٤١٧

الأمثال والحكم المستخرجة

من

نهج البلاغة

محمد الغروي

مؤسسة النشر الإسلامي التابعة
لجماعة المدرسين بقم المشرفة (ايران)

٤١٧

الأمثال والحكم المستخرجة

من

نهج البلاغة

محمد الغروي

مؤسسة النشر الإسلامي (التابعة)
لجماعة المدرسين بقم المشرفة (ايران)

الكتاب: الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة

تأليف: الحاج الشّيخ محمّد الغروي

طبع ونشر: مؤسّسة النّشر الإسلامي التّابعة لجماعة المدرّسين ـ قم ـ

المطبوع: ٥٠٠ نسخة

التّاريخ: ١٤٠٧ هجري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد و آله الطاهرين.

لا يخفى ما لنهج البلاغة من منزلة سامية في الفكر الاسلامي، لما تضمّن في طيّاته من أُصول في الفلسفة والسياسة والاقتصاد والعقائد والأخلاق و شتّى العلوم الأُخرى، و إن سمّاه السيّد الرضي بـ «نهج البلاغة» لظروف سياسيّة معروفة تتعلّق بعصره، فهو حقاً نهج للبلاغة، و آية للفصاحة، ولكن البلاغة هي القوالب اللفظيّة التي صبّ فيها أميرالمؤمنين عليه السلام تلك المعاني والأفكار المعصومة المتعاليه، فهو نهج للبلاغة شكلاً، و نهج للفكر الالٰهي مضموناً.

و بعد انتصار الثورة الاسلامية المباركة شرعت بثورة ثقافية شاملة، فقامت بإحياء نهج البلاغة و إلفات نظر العلماء والمفكرين الى هذاالسفر الخالد، فأسّست داراً لنهج البلاغة، و عقدت مؤتمرات سنويّة حوله، ومن بركات هذه الثورة العظيمة و تلك الجهود انتشرت معالمه و أفكاره اكثر من قبل.

وقد أقدمت مؤسّسة النشرالاسلامي على طبع ونشر كتباً في شتى المجالات من المعارف الاسلامية، ومن جملتها الكتب المتعلّقة بنهج البلاغة «فارسية و عربية»، وقد انتشرت عدة منها فى اثناء انعقاد مؤتمر هذاالعام ـ ١٤٠٦ هـ ـ و بعضها تأخّر نشرها، منها هذاالكتاب القيّم الذي هو من حبر البحّاثة حجة الاسلام الشيخ محمّد الغروي ـ دامت إفاضافة ـ

نسأل الله تعالى أن ينفع المسلمين بهذاالكتاب، و يساهم في تطوير حركة الفكر والثقافة الاسلامية إنه سميع مجيب، و آخر دعوانا أن الحمدلله ربّ العالمين. وحرّرت في ٨ ربيع الأول ١٤٠٧ المصادف لشهادة الامام الحسن العسكري عليه السلام.

مؤسّسة النشرالاسلامي

التابعة لجماعة المدرّسين بـ «قم المشرّفة»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على محمّد خاتم النّبيّين، وعلى عليٍّ أميرالمؤمنين وأولاده الخلفاء المعصومين، ولا سيّما بقيّة الله في الأرضين الإمام المهديّ المنتظر عجّل الله فرجه الشّريف.

تمهيد

في ضمن دراستنا للأمثال والحكم استخرجنا ما يقرب من ألف مَثَل من كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام في كتاب (نهج البلاغة)، وغيره. سمّيناه (الأمثال والحكم العلويّة)؛ تباعاً لكتابنا (الأمثال النّبويّة).(١)

وقد رأينا أن نقدّم قسماً من الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة، تلبيةً لطلب بعض الإخوان؛ وليكون بداية خير للأمثال العلويّة.

* وأوّل الغيث رشٌّ ثم ينسكب *(٢).

هٰذا، و قد آستخرجنا من روايات سائر أهل البيت المعصومين عليهم السّلام كميّةً كبيرةً من الامثال لا تقلّ عن هٰذا العدد في هٰذه الدّراسة المثليّة؛ لاشْتراكها كلّها في تهذيب النّفوس، و الأهداف الرّفيعة، و الدّعوة إلى دين الله جلّ جلاله الخالص.

---

(١) طبع في بيروت ـ في مجلّدين ـ عام ١٤٠١هـ.

(٢) التّمثيل والمحاضرة: ٢٣٦- وفي هامشه: (قطر) بدل:(رشّ).

الأمثال:

تنقسم الأمثال إلى: مَثَلٍ سائرٍ، ومَثَلٍ قياسيٍّ.

والمَثَل السّائر: ما قاله القائل من العرب، أوغير العرب في واقعة اقتضته، ثمّ جرى على الألسن، وسار به الرّكبان يتمثّل به في الشّيء المنشود المشابه للواقعة بدون تبديل.

والقياسيّ: هو تصويرٌ، يخلقه المصوّر، لتوضيح فكرةٍ عن طريق تشبيهٍ، يسمّيه أرباب البلاغة: (التّمثيل المركّب)؛ أو إبداعٌ، يقصد جمال التّصوير به، ويجمع بينه وبين ما ينشده المتمثّل من أهداف.

وإن شئت قلت عن الأوّل: كلّ حكمةٍ جاريةٍ على الألسن، كما قاله العسكريّ (١)وعن الثّاني: كلّ مايُبْدعه الممثّل.

والمَثَل المبحوث في هذا الكتاب ما يشمل الأقسام حتّى الصّالح لأن يكون مثلاً، كما يمرّ إن شاء الله تعالى.

التّصنيف:

بوسعنا أن نصنّف الأمثال في (نهج البلاغة)، وسائر كلمات الإمام عليه السّلام إلى: قرآنيّة، وأمثال سائرة، وقياسيّة؛ وإلى: نثريّة، وشعريّة؛ وإلى: جاهليّة، وإسلاميّة، ومخضرمة؛ وإلى ما سواها من صنوف.

---

(١) جمهرة الأمثال المطبوعة على هامش (مجمع الأمثال) للميدانيّ، سنة ١٣١٠ هجريّة بالمطبعة الخيريّة بمصر - ج: ١/٥.

الفوائد:

قد استوفينا كتابة شيءٍ كثيرٍ من فوائد الأمثال، في مقدّمة (الأمثال النّبويّة)، و(الأمثال العلويّة)، مضافة إلى (الأمثال القرآنيّة)؛ وكذلك تعاريف القوم لها، فلانعيد.

الكتب المؤلّفة:

قد أشار إلى عدّة منها صاحب رسالة الإسلام كما يلي، قال: وأراني قبل أن أدخل البحث مطالباً بالإشادة، بذكر جهود متقدّمين، ساهموا في جمع جملة من أمثال الإمام عليه السّلام وحِكمه، ممّا هو ضمن (نهج البلاغة)، وماهو في غيره، وكذلك شاركوا في شرحها بما يوضح معانيها.

و مجموعاتهم حسبما يذكرها كارل برو كلمان ـ هي:

١ـ ١٠٠ حكمة ومثل. وقد ترجمت إلى الفارسيّة والتركيّة والألمانيّة.

وشرحت من قبل:

أ ـ رشيد الدّين الوطواط.

ب ـ المستشرق فلايشر.

ج ـ حسين بن معين الدّين الميبديّ.

د ـ محمّد العمريّ.

هـ ـ جمال خلوتي.

٢ ـ غرر الحِكم و درر الكلِم ـ جمع عبدالواحد الآمديّ التّميميّ.
٣ ـ حِكم جمعها ابن دريد.
٤ ـ أمثال ينسب جمعها إلى الجاحظ.
٥ ـ حِكم الإمام عليّ ـ عليه السّلام ـ (مجلّة المشرق ـ ج: ٥ ـ بيروت).
٦ ـ شذرات الأدب من كلام العرب، وبعض أمثال عليّ الخليفة ولاية العجم وخطبة للشّيخ الرّئيس.
٧ ـ نثر اللآلي (المجموعة الثّانية من فلايشر).
٨ ـ كلمات عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ، شرح الشّيخ محمّد عبده.
٩ ـ أقوال أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ، عليّ بخاريّ.
١٠ ـ صد كلمه مولاى متقيان أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ، وقد ترجمه وليم يول إلى الإنكليزيّة.
١١ ـ ألف كلمة من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ مجرّدة من شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة.

وبُغية الوقوف على مخطوطات ومطبوعات هذه المؤلّفات، والمكتبات الّتي توجد فيها، يرجع إلى الجزء الأوّل من (تاريخ الأدب العربيّ) تأليف بروكلمان، ترجمة الدّكتور عبدالحليم النّجّار، تحت عنوان (أمثال سيّدنا عليّ) ـ عليه السّلام ـ(١)

---

(١) رسالة الإسلام: العددان، السّابع والثّامن، السّنة الثّانية، ١/ذي القعدة/١٣٨٨هـ ـ ١/شباط/ عام ١٩٦٨م، ص: ١٠٩ ـ ١١٠.

ولا يخفى أنّ بعض هذه الكتب متداخل في بعضها الآخر، فراجع.
وفيما نقلناه هٰهنا الكفاية، ومَنْ أحبَّ التوسّع نظر المظانّ؛ فإنّه قد كتب عنه عليه السّلام الشّيء الكثير حتّى عدّ من كلماته بهذا الصّدد مافوق ثلاثة عشر ألفٍ من مَثَلٍ وحكمةٍ كما في كتاب: (عيون الحِكم والمواعظ): ثلاثة عشر ألفاً وستمائة وثمانية وعشرين حِكمة... ـ للشّيخ عليّ بن محمّد اللّيثيّ الواسطيّ كما في الذّريعة.(١)
ومن تلك المظانّ الجزء الأوّل، من أربعة أجزاء كتاب: (مصادر نهج البلاغة وأسانيده)، تأليف السّيّد عبدالزّهراء الحسينيّ الخطيب.

أمثال قرآنيّة:

في كلمات الإمام أميرالمؤمنين عليه السّلام آيات قرآنيّة، تمثّل بها لما رام من أهداف توفّرت فيها الشّروط.
قال صاحب رسالة الإسلام: إنّ جميع ما ٱستشهد به الإمام عليه السّلام من آيات قرآنيّة مثليّة في كلامه هي من نوع ما ٱصطلح عليه بـ (الأمثال المكنيّة)، وهي الّتي (تتجلّى فيها الشّروط الأساسيّة الّتي وضعها أرسطو لتحديد المَثَل من حيث الإيجاز، والتّشبيه، وإصابة الغرض):
١ ـ ولتعلمنّ نبأه بعد حين ـ ٨٨/ص.

---

(١) ج: ١٥/٣٧٩، في (ع ي و). ـ ظ: ثمانٍ لا ثمانية ـ.

٢ ـ ولاينبّئك مثل خبير ـ ١٤/فاطر.
٣ ـ عفاالله عمّا سلف ـ ٩٥/ المائدة.
٤ ـ ألاَ إنَّ حزب الشّيطٰن هم الخٰسرون ـ ١٩/ المجادلة.
٥ ـ إنَّ في ذٰلك لعبرة لمن يخشىٰ ـ ٢٦/ النّازعات.
٦ ـ وما هي من الظّٰلمين ببعيد ـ ٨٣/هود.

إنَّ الإمام ـ عليه السّلام ـ يكثر من استعمال آيات القرآن الكريم في كلامه، وبخاصّة الآيات الوعظيّة والمثليّة، وهي شيءٌ طبيعيٌّ من أديب خرّجته مدرسة القرآن الكريم، وتأثّر به أيّ تأثر. وظاهرة أخرى: هي أنَّ الإمام ـ عليه السّلام ـ غالباً ما يأتي بالآية ختاماً لكلامه، فقد رأيته في اثنين وعشرين نصّاً ممّا استشهد فيه بالقرآن يختمه بالآية...

إنَّ الإمام ـ عليه السّلام ـ يتّبع طريقة المزج في الكثير من الآيات الّتي استعملها، فيخيّل للقارئ ـ بادئ الأمر ـ وهو يقرأ الآية في سياق كلام الإمام ـ عليه السّلام ـ أنّها منه، لولا مايبدو عليها من أسلوب القرآن المتفرّد فيميّزها.

ومن أمثلة ذلك قوله ـ عليه السّلام ـ: «ثم خرج إليّ جُنيدٌ متذائبٌ ضعيفٌ، كأنّما يساقون إلى الموت و هم ينظرون».(١) وقوله ـ عليه السّلام ـ: «وإن تكن الأخرى، فلا تذهب نفسك عليهم حسرٰت إنَّ الله عليمٌ بما يصنعون».(٢) وقوله ـ عليه السّلام ـ: «ولو أشاء أن أقول

---

(١) الأنفال: ٦. النّهج: ٣٠٠/٢، الخطبة: ٣٩.
(٢) فاطر: ٨. النّهج: ٢٤١/٩، الخطبة: ١٦٣.

لقلت: عفاالله عمّا سلف».(١). (٢)

لم يقصر تمثّله عليه السّلام بالآيات القرآنيّة على العدد المذكور، بل أكثر من أن يحصى، ولسنا بصدد تحريره، وهو ديدن أهل البيت عليهم السّلام، ومن حذا حذوهم.

هذه فاطمة الزّهراء عليها السّلام تقول في خطبتها: «وما عشت أراك الدّهر عجباً، وإن تعجب فعجب قولهم»!!(٣) «ليت شعري إلى أيّ إسناد استندوا؟! وعلى أيّ عماد اعتمدوا؟!... لبئس المولى ولبئس العشير».(٤)و «بئس للظّلمين بدلاً».(٥). (٦)

أقول: كذا في طبعة النّجف الأشرف، وفي طبعة بيروت(سناد) بدل (إسناد).

استعرضناه عند التكلّم على (الأمثال الفاطميّة)، المستخرجة من كلماتها- روحي فداها-.

وهكذا الإمام الحسن والحسين إلى المهديّ عليهم السّلام، وعجّل الله فرجهم الشّريف؛ وفي ذلك بلاغ مبين، وأداء للرّسالة السّماويّة مهما كان نوع الأداء، واندفاع إلى القرآن الكريم، وأنّه المصدرلكلّ أمر، وشاهد صدق عليه: «ومن أصدق من الله قيلاً».(٧)وأحسن الحديث

---

(١) المائدة: ٩٥. النّهج: ١٠/٦١، الخطبة: ١٧٩.

(٢) رسالة الإسلام: العدد: ٧ - ٨، عام ١٣٨٨هـ، ص: ١١١ - ١١٣.

(٣) الرّعد: ٥.

(٤) الحجّ: ١٣.

(٥) الكهف: ٥.

(٦) الاحتجاج: ١/١٤٨.

(٧) النّساء: ١٢٢.

كما قال جلّ جلاله: «الله نزّل أحسن الحديث كِتْباً». (١)

على أنَّه كلام الحبيبِ يطيب للمحبّين أن يلهجوا به، اِنَّه أحلى من الشّهد، وقد تجلّى الله جلّ جلاله في كتابه، كما قال عليه السّلام: «فتجلّى لهم سبحانه في كتابه، من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته...». (٢)

نهج الكتاب:

نَهْجُنا في هذا الكتاب هو نَهْجُ (الأمثال النّبويّة)، على طريقة حروف التّهجّي، الحرف الأوّل فالأوّل، وإلغاءِ حرف التّعريف تسهيلاً للاستخراج، ونقصد من المَثَل فيه، بأنواعه من السّائر والقياسيّ، وما يصلح للتّمثّل به، وإن لم يكن من الأمثال، وهو ديدننا في مؤلّفاتنا المثليّة على الإطلاق مقتصرين على طرف منها. و(خ ـ ط) للخطبة، و(ك) للكتاب والكلام، و(ح) للحكمة. واعتمدنا على النَّهج: المطبوع ١٣٨٥، وشرحه للمعتزليّ بتحقيق محمّد أبوالفضل إبراهيم في عشرين جزءاً في (الأمثال العلويّة)، و(الأمثال والحكم المستخرجة)، وهو هذا الكتاب الّذي بين يدي القارئ الكريم. وما توفيقي إلّا بِالله، و لله الحمد في بداية الأمور ونهايتها، حمداً لا يقدر على إحصائه إلّا هو، بلا نهاية له، ولا أمد. ولنعم ما قال بعض الفضلاء:

---

(١) الزّمر: ٢٣.

(٢) النّهج: ١٠٣/٩، الخطبة: ١٤٧.

الحـــمـــدلله بـــقـــدرالله | لاقدر وُسع العبد ذي التّناهي
والحـمـدلله الَّـذي بـرهـانـه | أن لـيس شأن لـيس فيـه شانه
والحمدلله الَّـذي من يـنـكره | فـإنّما يـنـكـر مـن يصـوّره(١)

* * *

(١) شرح النهج: ٦٠/١.

حرف الهمزة

١ـ آخر الدّواء الكيّ

تـمثّل به عليـه السّـلام في كتاب له، جواباً لـقـوم سألوه، عقاب من أجلب على عثمان بعدما بويع:

«يا إخوتـاه! إنّي لستُ أجهـل ما تعلمـون... وسأمسـك الأمر ما استمسك، وإذا لم أجد بدّاً، فآخر الدّواء الكيّ»(١).

لأنّه إنّما يقدم عليه بعد أن لاينفع كلّ دواء: أي إذا أعضل وأبى قبول كلّ دواء حسم بالكيّ.(٢)

وقيل: (آخر الدّاء الكيّ)، وردّ أنّه مِن غلط العامّة، إذ الكيّ ليس مِن الدّاء، ليكون آخره.

قيل: أوّل مَن قال المَثَل لقمان بن عاد، في قصّة امرأة غازلت رجلاً، زعمته أخاها، حتّى لقي لقمان زوجها، اسمه هانئ، يسوق إبله، ويقول:

(الرَّجز)

روحي إلى الحيّ فإنَّ نـفسي رهـيـنـةٌ فيهـم بـخير عِـرْسِ

---

(١) النهج: ٩/٢٩١، ط ١٦٩.

(٢) المستقصى: ١/٣.

حسّانة المُقلة ذاتِ أنسِ   لايشترى اليوم لها بأمسِ

فهتف به لقمان، ياهانئ! وقال:

(الرّجز)

ياذا البجادِ(١) الحَلِكَهْ(٢)   والزَّوْجَةِ المُشْتَرَكَهْ
عَشِّ رُوَيْداً إبلَكَهْ   لَسْتَ لِمَنْ لَيْسَ لَكَهْ

قال هانئ: نورٌ نورٌ للّه أبوك . قال لقمان: عليَّ التّنوير، وعليك التّغيير، مررتُ بها تغازل رجلاً، زعمته أخاها، قال: فما الرّأي؟ قال: أن تقلب الظّهر بطناً، حتّى يستبين لك الأمر. قال: أعالجها بكيّةٍ تُوردها المنيّة، قال: (آخرالدّواء الكيّ).

يضرب فيمن يستعمل في أوّل ما يجب استعماله في آخره، وفي إعمال المخاشنة مع العدوّ، إذا لم يجد معه اللّين والمداراة(٣) صدقت القصّة أم لا،فإنّه يساعدها الاعتبار.

يريد عليه السّلام من ضرب المَثَل النّاس إن استقاموا أصابوا رشدهم وحظّهم، و إن اعوجّوا فلا بدّ من إقامة اعوجاجهم مهما كلّف الأمر .قال البحرانيّ: أي الحرب والقتال؛لأنّها الغاية الّتي ينتهي

---

(١) البجاد: الكساء.

(٢) الحلك : الأسود.

(٣) المستقصى : ١/٣-٥.

أمرالعصاة إليها ومداواة أمراض قلوبهم كماتنتهي مداواة المريض إلى أن يكوى (١).

٢ـاتّباع الكلب للضّرغام يلوذ بمخالبه

من كتاب له عليه السّلام إلى عمرو بن العاص:

«فإنَّك قد جعلت دينك تبعاً لدنيا آمرئ ظاهرٍ غيّه، مهتوكٍ ستره، يَشينُ الكريم بمجلسه، ويسفّه الحليم بخلطته، فاتّبعتَ أثَرَه، وطلبتَ فَضْلَه، اتّباع الكلب للضّرغام يلوذ بمخالبه، ينتظر ما يلقى إليه من فضل فريسته، فأذهبتَ دنياك وآخرتك، ولو بالحقّ أخذتَ أدركتَ ما طلبتَ...»(٢).

وجه التّمثيل له بمتابعة الكلب للأسد للحصول على فضل فريسته واضحٌ لقاعدة وهي: إذا دنئت نفس المرء غَرَبَت عَنها المكارم الإنسانيّة والأخلاق المرضيّة، ورسخت فيها أضدادها، واستحكمت خلال البهائم والسّباع فيها إلى الغاية، فإذا استولى الغضب عليها فأسدٌ

---

(١) شرح النّهج: ٣/٣٢٣،ولا يخفى أنّه قدجاء: «آخر الدّواء الكيّ» في كتاب (أمثال وحكم) ١/١٩، وكتاب وسائل الشّيعة ١٨١/١٧، باب ١٣٦ من أبواب الأطعمة المباحة، ح ٥، و٦ عن الباقر عليه السّلام.

(٢) النّهج: ١٦/١٦٠، ك ٣٩.

مفترس لاهمّ له سوى الافتراس، وإذا ملكها الطّمع فصاحبها كلب لائذ ينتظر مايلقى إليه، أوالاحتيال فثعلب.

وهلمّ جرّاً (١) في كلّ خصلةٍ تختصلها السّباع والحيوانات تنكشف لذوي البصائر من الناس، فضلاً عن أمير المؤمنين الّذي يرى الأشياء كما هي، إذا وصف شيئاً منحه نعوته الجديرة به، لأنّه عليه السّلام الحَكَم العَدل الّذي يعطي كلّ ذي حقٍّ حقَّه.

فمَنْ نظر إلى معاوية وآبن العاص وجد الخلال الّتي بيّنها الإمام عليه السّلام من الفسق، وشَيْن الكريم، وتسفيه الحليم فيهما؛ وأنّهما يجريان مجرى الكلاب و الأُسود عند الفريسة تابعة ومتبوعة.

عن آبن مزاحم في كتاب صفّين بلفظ:

«أما بعد، فإنَّك تركتَ مروءتك لامرىءٍ فاسقٍ، مهتوكٍ ستره، يشين الكريم بمجلسه، ويسفّه الحليم بخلطته، فصار قلبكَ لقلبه تبعاً، كما قيل: (وافَقَ شَنٌّ طبقة).(٢) فسلَبك دينكَ، وأمانتكَ، ودنياكَ، وآخرتكَ... فصرتَ كالذّئب يتبع الضّرغام، إذا ما اللّيل دجى، أو أتى الصّبح، يلتمس فاضل سؤره، وحوايا فريسته، ولكن لانجاة من القدر...»(٣).

---

(١) مَثَلٌ سائرٌ ذكره الميدانّي في مجمع الأمثال: ٤٠٢/٢، حرف الهاء.

(٢) من أمثال سائرة: مجمع الأمثال: ٣٥٩/٢. وحرف الواو مع الألف من الأمثال العلويّة.

(٣) شرح النّهج: ١٦٣/١٦.

٣ ـ أحبب حبيبك هوناً مّا

قال عليه السّلام:

«أحبب حبيبك هوناً مّا، عسى أن يكون بغيضك يوماً مّا، وأبغض بغيضك هوناً مّا، عسى أن يكون حبيبك يوماً مّا».

من كلمات الإمام عليه السّلام الحِكميّة.(١)

عدّه أبوهلال العسكريّ من الأمثال في جمهرته، وقال: المَثَل لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه ـ عليه السّلام ـ وهوناً: أي قصداً غير إفراط، وهو من قول النّمر بن تولب:

وأحبب حبيبك حبّاً رويدا　　لئلّا يعولك أن تصرما
وأبغض بغيضك رويدا　　إذا أنت حاولت أن تحكما

ومن أجود ما قيل في هذا المعنى قول بعضهم: (لا تكن مُكثراً، ثم تكون مقلاً، فيعرف سرفك في الإكثار، وجفاؤك في الإقلال) . (٢)

---

(١) النّهج: ١٩/١٥٦، ح٢٧٤.

(٢) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ١/١٣٢.

قال الشّارح: الهون بالفتح: التّأنّي. والبغيض: المبغض. وخلاصة هذه الكلمة: النّهي عن الإسراف في المودّة والبغضة، فربّما انقلب من تودّ فصار عدوّاً، وربّما انقلب من تعاديه فصار صديقاً.

وقال بعض الحكماء: توَقَّ الإفراط في المحبّة، فإنَّ الإفراط فيها داعٍ إلى التّقصير منها، ولأن تكون الحال بينك وبين حبيبك نامية، أولى من أن تكون متناهية.. وقال الشّاعر:

وأحبب إذا أحببت حبّاً مقارباً فإنّك لا تدري متى أنت نازع
وأبغض إذا أبغضت غير مباين فإنك لا تدري متى أنت راجع

وقال عديّ بن زيد:

ولا تأمنن من مبغض قرب داره ولا من محبّ أن يملّ فيبعدا.(١)

وقد جاء: «عثرة الاسترسال لا تستقال». (٢)

إذا كان الحبّ مع الله عزّ وجلّ، فأحبب حبّاً إلى الغاية بدون تقليل بل إلى حدّ العشق، وهو الحبّ المفرط، وأبغض الشّيطان، والنّفس الأمّارة، وما يصدّك عن اللّه تعالى بغضاً إلى الغاية.

---

(١) شرح النّهج: ١٩/١٥٦.

وفي مجمع الأمثال: ١/١٠٧: «أبغض بغيضك هوناً مّا». البغيض بمعنى: المبغض، كالحكيم بمعنى: المحكم. وهوناً: أي قليلاً سهلاً: أي بغضاً غير مستقصى فيه، فلعلّكما ترجعان إلى المحبّة، فتستحييا من بغضكما. ودخلت (ما) للتوكيد.

(٢) حديث العثرة في غرر الحكم: ٢٢١، حرف العين.

٤ ـ اختطاف الذّئب الأزلّ دامية المِعزى الكسيرة

من كتاب له عليه السّلام لابن عمّه ابن عبّاس، استنكاراً لأخذه من بيت المال، حينما كان والياً من قبله على البصرة، وفيه:

«فلمّا أمكنتك الشّدّة في خيانة الأمّة، أسرعت الكرّة،وعاجلت الوثبة، واختطفت ماقدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم اختطاف الذّئب الأزلّ دامية المِعزى الكسيرة، فحملته إلى الحجاز رحيب الصّدر بحمله غير متأ ثّم من أخذه ... ...».(١)

الذّئب الأزلّ: الخفيف الوركين، وذلك أشدّ لعَدْوِه، وأسرع لوثبته، وإن اتفق أن تكون شاة من المِعزى كسيرة ودامية أيضاً، كان الذّئب على اختطافها أقدر.(٢)

والأزلّ في الأصل: الصّغير العَجُز، وهو في صفات الذّئب الخفيف.

وقيل: هو من قولهم: (زلّ زليلاً) إذا عدا.(٣)

---

(١) النّهج: ١٦/١٦٧.

(٢) شرح النّهج: ١٦/١٦٩.

(٣) النّهاية: في (زلل)، والمَثَل من هذه المادّة.

وإنّما خصّ الدّامية دون غيرها، لأنَّ في طبع الذَّئب محبّة الدّم، فهو يؤثر الدّامية على غيرها، ويبلغ به طبعه في ذلك أنّه يرى الذّئب مثله وقد دمي، فيثب عليه ليأكله.

قال الشاعر:

(من الطّويل)

فكنت كذئب السَّوْء لمّا رأى دماً بصاحبه يوماً أحال على الدّم

وقال آخر:

(من البسيط)

إني رأيتك كالورقاء يوحشها قرب الأليف وتغشاه إذا عُقرا

(:أي الأليف)، والورقاء: ذئبة، يقول: لا تقرب الذّئب وتستوحش منه، فإذا عُقر وثبت عليه.(١)

والمعز: الشّاة من الغنم خلاف الضّأن، وخصّ الإمام عليه السّلام الكسير منه لخروج الدّم الَّذي يختطفه من أجله. وإنَّما اختار عليه السّلام كلمة (الاختطاف)، للسّرعة المأخوذة في معناها: أي الأخذ بسرعة، ومنه البرق الخاطف.

يقول عليه السّلام: يابن عبّاس! قد أخذتَ الأموال من غير حلّ، إذ

---

(١) غريب الحديث لابن قتيبة: ١٣٦/٢.

هي لليتامى والأرامل، برحب الصّدر منك في استلابها وحملها إلى الحجاز، لصرفها فيما تشتهي بلا احتشام ولاخوف من الله ولا منّي ولا من ذويها، وليس اختطافك لها إلاّ كاختطاف الذّئب الوثّاب المعز الدّامي الكسير السّهل التّناوش، اعتداء القويّ على الضّعيف، ومنه يعرف حال الأقوياء المعتدين على من دونهم بلا اختصاصٍ بابن عبّاس.

فمن شاء أن يكون ذئباً عادياً فليفعل فعله وليختطف، إلاّ أن يتوب ويردّ مظلمة العباد.

٥ ـ اختلف النَّجر، وتشتّت الأمر

من خطبة له عليه السّلام بعد الحمد والاستغاثة والشّهادة لله عزّ وجلّ، قال:

«وأشهد أنَّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالدّين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنّور السّاطع، والضّياء اللاّمع، والأمر الصّادع؛ إزاحة للشّبهات، واحتجاجاً بالبيّنات، وتحذيراً بالآيات، وتخويفاً بالمثلات؛ والنّاس في فتن انجذم فيها حبل الدّين، وتزعزعت سواري اليقين، واختلف النَّجر، وتشتّت الأمر... ...».(١)

نَجَر الخشبة ينجرُها نجراً، من باب قتل: نحتها، والصّانع النّجّار،

(١) النّهج: ١/١٣٥ـ ١٣٦، الخطبة ٢.

والنّجارة مثل الصّناعة. ونجران: بلدة من بلاد همدان من اليمن، سمّيت باسم بانيها نجران بن زيدان. وفي النّهاية: موضع معروف بين الحجاز والشّام واليمن.

وفي الحديث: «شرّ النّصارىٰ نصارىٰ نجران».(١)

للنَّجر معان: منها، الأصل، وأسماء عدّة مواضع، والجزاء، ومنه قولهم: «لأنجرنَّ نجيرتك»: أي لأجرينّ جزاءك، ونجار كغراب، والأصل، واللّون.

وفي المَثَل: (كلّ نُجار إبل نجارها)، و هذا من قول رجل كانَ يغير على النّاس، ويطلب إبلهم ثم يأتي بها السّوق، فيعرضها على البيع، فيقول المشتري: من أيّ إبل هذه؟ فيقول البائع: تسألني الباعة: أين دارها؟ لا تسألوني، واسألوا: مانارها؟ (كلّ نجار إبل نُجارها). والباعة هٰهنا: المشترون، والنّار من سمات الإبل. والنجران كسكران: العتبة قال:

صببت الماء في النَّجران حتّى تركت الباب ليس له صرير.(٢)

وكيف كان:

يريد عليه السّلام: بيان حال النّاس قبل الإسلام، في فتن تقطع الدّين فيها، لايقين لهم بالمعاد ولا بالمبدأ، كلّ منهم له طور من الجهالة،

---

(١) مجمع البحرين: في (نجر).

(٢) منتهى الأرب: في (نجر) بعد التّعريب.

كأنّهم نحتوا بأنواع شتّى من النّحت، فلكلّ نحتٌ يخصّه، وأصل باطل ترعرع عليه، ولاتجد أمورهم إلاّ وهي متشتّة لتشتّت أصولهم، وطباعهم الكدرة، ونفوسهم الشّرّيرة، حتّى جاء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بدين الإسلام، والقرآن النّور السّاطع والضّياء اللاّمع، فأضاء الجزيرة، بل الدّنيا بربوعها بضياء حقائق النّبوّة الأحمديّة، والأحكام السّماويّة المهذّبة للطّبائع والنّفوس الخاضعة للأصنام الحجريّة والأوثان النّحاسيّة، فهداهم الإسلام إلى التّوحيد، والدّين الخالص، وترك الأنداد، فسادوا العالم كلّه ببركة دين الله عزّ وجلّ، والإيمان بالرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

والكلام صالح للتّمثّل به؛ للفكر المتشتّت، والفرقة.

٦ ـ أخرج الحقّ من خاصرته

في آخر خطبة له عليه السّلام:

«وأيم الله لأبقرنّ الباطل، حتّى أخرج الحقّ من خاصرته».(١)

وآخر أخرى بلفظ: «فلأنقبنّ الباطل، حتّى يخرج الحقّ من جنبه».(٢)

ونظيره ما ذكره الميدانيّ من المَثَل السّائر: (يخرج الحقّ من

---

(١) النّهج: ٧/١١٤، الخطبة ١٠٣.

(٢) النّهج: ٢/١٨٥، الخطبة ٣٣.

خاصرة الباطل)، يضرب لمن يفرق بينهما.(١) يراد بذلك: تحقيق الحقّ، وإبطال الباطل، مهما كلّف الأمر.

قال المعتزليّ: كأنَّه جعل الباطل كالشّيء المشتمل على الحقّ، غالباً عليه، ومحيطاً به، فإذا بُقر ظهر الحقّ الكامن فيه.(٢) وقال شارحاً للأخرى: «فلأنقبنّ الباطل»: كأنَّه جعل الباطل كشيء، قد اشتمل على الحقّ، واحتوى عليه، وصار الحقّ في طيّه كالشّيء الكامن المستتر فيه، فأقسم لينقبنّ ذلك الباطل، إلى أن يخرج الحقّ من جنبه. (٣) كلا الشّرحين متقارب.

وقد جاء المَثَل للحقّ والباطل في القرآن الكريم، والسّنّة النّبويّة، وأحاديث أهل البيت عليهم السّلام.

من الأوّل آية: «أنزل من السّماء ماءً فسالت أودية بقدرها فاحتمل السّيل زبداً رابياً وممّا يوقدون عليه في النّار ابتغاء حِلية أومتٰع زبدٌ مثله كذٰلك يضرب الله الحقّ والبٰطل فأمّا الزّبد فيذهب جُفاءً وأمّا ما ينفع النّاس فيمكث فى الأرض كذٰلك يضرب الله الأمثال».(٤)

في الآية تمثيلان: الأوّل تمثيل الوحي والمعارف بالماء النّازل من السّماء، وهو الحقّ، ويقابله تمثيل الأوهام بالزّبد الذّاهب، وهوالباطل. والثّاني، تمثيل كلّ ماينفع النّاس، بما يوقد عليه في النّار من الحليّ والفلزّات وآلات الحرب، وما يبقى بعد الطّبخ للأكل وغيره، وهو

---

(١) مجمع الأمثال: ٤٢٩/٢.

(٢) شرح النّهج: ١١٦/٧.

(٣) شرح النّهج: ١٨٦/٢.

(٤) الرّعد: ١٧.

الحقّ، ويقابله مالايعتدّ به من الخليط والأزباد والتّافهات: وهي الباطل الّذي لاينتفع به.

ومن السنّة: «الحقّ ثقيل مرّ، والباطل خفيف حلو». (١)

ومن الرّوايات: المَثَل الجاري المبحوث عنه.

ومن المَثَل السّائر: (الحقّ أبلج، والباطل لجج).

ولنعد إلى ماكنّا فيه من التّمثيل العلويّ للباطل بحيوان له خاصرة يخرج منها الحقّ ببقرها أونقبها؛ والبقر: الشّقّ والفتح، والتّوسّع في الشّيء. وسمّي الإمام الباقر عليه السّلام باقراً؛ لأنّه يبقر العلم بقراً: أي يشقّه ويفتحه. (٢)

ومن السّعة الحديث: «سيأتي على النّاس فتنةٌ باقرةٌ، تدع الحليم حيران»: أي واسعة عظيمة. (٣) والمناسب للمقام الشّق.

والخاصرة من الخصر، له معنيان: البرد، ووسط الشّيء، من الأوّل قول حسان:

ربّ خـالٍ لي لـو أبصـرتـه   سَبطِ المِشيةِ في اليوم الخصر

ـ السّبط: المسترسل. ـ والخصر، خصر الإنسان وغيره: وهو

---

(١) البحار: ٨٤/٧٧. الأمثال النّبويّة: ١/٣٧٢. الرّقم: ٢٣٧، حرف الحاء مع القاف.

(٢) مجمع البحرين: في (بقر).

(٣) النّهاية: في (بقر).

وسطه المستدقّ فوق الوركين.(١)

اذا دريت ذلك تجلّى لك ما أراده عليه السّلام؛ إنّه المحقّق الحقّ، والمبطل الباطل مهما كان، وفيه جاء النّبويّ:

«عليّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ، ولن يفترقا، حتّى يردا عليّ الحوض يوم القيامة». و «عليّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ، يدور حيثما دار».

نقله العلاّمة الأمينيّ رحمه اللّه بطرق متعدّدة.(٢) وهذه الخصيصة لا تفارق الأربعة عشر المعصومين، أوّلهم محمّد خاتم الأنبياء، وآخرهم خاتم الأوصياء، سميّ الرّسول، عجّل الله فرجه الشّريف.

٧ - إذا تمّ العقل نقص الكلام

قال عليه السّلام:

«إذا تمّ العقل نقص الكلام».(٣)

والوجه في نقص الكلام (: أي قلّته)، إذا تمّ العقل، بيّنه عليه السّلام في بعض حِكمه، قال عليه السّلام: «لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه».(٤)

قال الرّضيّ رحمه الله تعالى: وهذا من المعاني العجيبة الشّريفة،

---

(١) مقاييس اللّغة: في (خصر).

(٢) الغدير: ٣/١٧٦ - ١٨٠.

(٣) النّهج: ١٨/٢١٧، الحكمة: ٦٩.

(٤) النّهج: ١٨/١٥٩، الحكمة: ٤٠.

والمراد به: أنَّ العاقل لايُطلق لسانه إلاّ بعد مشاورة الرّويّة ومؤامرة الفكر والأحمق تسبق حذفات لسانه، وفلتات كلامه مراجعة فكره و مماخضة رأيه، فكأنَّ لسان العاقل تابع لقلبه، وكأنَّ قلب الأحمق تابع للسانه.(١) :أي فلايتكلّم العاقل، إلاّ بعد التّروّي والفكر فيما يريده ممّا له أو عليه فـي العاجل والآجل، فلا محالة يقلّ كلامه، وهو من المَثَل السّائر، وقدجاء في (مجمع الأمثال)(٢) و (التّمثيل والمحاضرة) في أثناء ذكر نبذة في العقل والعاقل، قال:

(العقل عقال النّفس). (عقول كلّ قوم على قدر زمانهم). (العقل أشرف الأحساب). (العقل جنّة واقية). (العقل الإصابة بالظّن، ومعرفة مالم يكن بما كان). (أشدّ الفاقة عُدم العقل). (لو صوّر العقل لأضاء معه اللّيل، ولو صوّر الجهل لأظلمت معه الشّمس). (كلّ عمل يأذن فيه العقل فهو صواب).(كلّ شيءٍ إذا كثر رخص إلاّ العقل، فإنّه إذا كثر غلا). (العقل غريزة، تربّيها التّجارب). (إذا تمّ العقل نقص الكلام).(حسن الصّورة الجمال الظّاهر، وحسن العقل الجمال الباطن). (ليس الإنسان الصّورة،إنّما الإنسان العقل). (ما أبين وجوه الخير والشّرّ في مرآة العقل). (مَنْ غلبه الهوى فليس لعقله سلطان). (العاقل مَنْ عقل لسانه، والجاهل مَنْ جهل قدره).(العقل صفاء النّفس، والجهل كدرها). (العاقل لايستقبل النّعمة ببطر، ولايودّعها بجزع). (لا ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة غيره، وطاعة نفسه عليه

---

(١) النّهج: ١٨/١٥٩، الحكمة: ٤٠. (٢) ج: ٢/٤٥٥.

ممتنعة). (أيدي العقول تمسك أعنّة النّفوس عن الهوى). (اقصر عن شهوة خالفَتْ عقلك).(أعقل النّاس أعذرهم للنّاس). (أَحْرِ بمَنْ كان عاقلاً أن يكون عمّا لايعنيه غافلاً).(١)

وكفى في شرف العقل أنّه إذا جرى حديثه مدحه الكلّ، والحمق أوالجهل ذمّه الكلّ، وجاء القرآن الكريم ممتدحاً للعقل في تسعة وأربعين موضعاً تصريحاً أوتلويحاً منها: «والنّجوم مسخّرات بأمره إنّ في ذٰلك لأيٰتٍ لقومٍ يعقلون».(٢)

وحول العقل بحوث:

منها: تعريفه، سئل الرّضا عليه السّلام: «ما العقل؟ فقال: التّجرّع للغصّة، ومداهنة الأعداء، ومداراة الأصدقاء».(٣) و نبويّ: «إنّ العقل عقال مِن الجهل».(٤) و تعريفه بآثاره، إمّا لعدم تعقّل النّاس لكنهه، أو أنّ الغرض يترتّب على الآثار دون معرفة الكنه.

ومنها: أين محلّه من البدن، في نبويّ: «مَثَلُ العقل في القلب كمثل السّراج وسط البيت».(٥) وصادقيّ: «وموضع العقل الدّماغ، الأ ترى أنّ الرّجل إذا كان قليل العقل، قيل له: ما أخفّ دماغك».(٦)وقيل: محلّه الدّماغ والقلب معاً، فراجع (٧).

---

(١) ص: ٤٠٧ - ٤٠٩.
(٢) النّحل: ١٢.
(٣) أمالي الصّدوق: ٢٥٢.
(٤) التّحف: ١٥.
(٥) جامع البروجردي: ٩٦/١، المقدّمات، باب: ١٠.
(٦) تفسير البرهان: ٧٤/٤.
(٧) الأمثال النّبويّة: ١٩٥/٢، رقم المَثَل: ٥٠١، وفيه تفاصيل.

٨ ـ إذا لم يكن ماتريد، فلا تُبَل كيف كنتَ

قال عليه السّلام:

«إذا لم يكن ماتريد، فلا تُبَل كيف كنتَ».(١)

قال المعتزليّ: قد أُعجم تفسير هذه الكلمة على جماعة من النّاس.

وقالوا: المشهور في كلام الحكماء: إذا لم يكن ما تريد، فأرِدْ مايكون. ولا معنى لقوله: «فلا تُبَل كيف كنتَ». وجهلوا مراده: إذالم يكن ماتريد، فلا تُبَل بذلك: أي لا تكترث بفوت مرادك ، ولا تبتئس بالحرمان.

ولو وقف على هذا، لتمّ الكلام، وكمل المعنى، وصار هذا مثل قوله: «فلا تكثر على ما فاتك منها أسفاً»، ومثل قول الله تعالى: «لكيلا تأسوا على مافاتكم».(٢) لكنّه تمّم وأكّد، فقال: «كيف كنتَ»: أي لا تُبَل بفوت ما كنتَ أمّلته، ولاتحمل لذلك همّاً، كيف كنت، وعلى

---

(١) النّهج: ٢١٥/١٨، الحكمة: ٦٧.

(٢) الحديد: ٢٣.

أيّ حال كنت، من حبسٍ، أو مرضٍ،أو فقرٍ، أو فقد حبيبٍ.

وعلى الجملة: لا تبال الدّهر، ولا تكترث بما عكس عليك من غرضك، ويحرمك من أملك،وليكن هذا الإهوان به والاحتقار له ممّا تعتمده دائماً على أيّ حال أفضى بك الدّهر إليها.(١) في حديثٍ قدسيّ: «يا داوُد! تريد، وأريد، ولا يكون إلاّ ما أريد».(٢) إذ ليس كلّ مايريده الإنسان يدركه، لأنّ المراد لايخلو عن شيئين: إمّا غير مقدّر لا له ولالغيره، كالبقاء في الدّنيا، وقد قال تعالى: «كلّ مَن عليها فانٍ * ويبقىٰ وجه ربّك ذوالجلٰل والإكرام».(٣) أو من وسائل العيش الدّنيويّ، وهو أيضاً لايدرك منه إلاّ ماقد قدّر وأوتي من ذلك.

كما دلّ على هذا التّبعيض كلمة (منها) في آية: «ومَنْ كان يريد حرث الدّنيا نؤته منها وماله في الأٓخرة من نصيب».(٤)

عن الصّادق عليه السّلام:

«المال والبنون حرث الدّنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، وقد يجمعهما لأقوام».(٥)

كما قال الشّاعر:

---

(١) شرح النّهج: ٢١٥/١٨.

(٢) التّوحيد: ٣٣٧.

(٣) الرّحمٰن: ٢٦ - ٢٧.

(٤) الشّورىٰ: ٢٠.

(٥) تفسير البرهان: ١٢١/٤.

ما أحسن الدّين والدّنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرّجل(١)

و ماأكثر حواجز الوصول إلى ما يتمنّاه الإنسان وليس يدركه، وإن عاش ما عاش، على حدّ قول القائل:

ما كلّ ما يتمنّى المرء يدركه تجري الرّياح بما لا تشتهي السّفن(٢)

وهنا أمر هامّ: وهو أنَّ الإنسان إذا لم يدرك أُمنيّته، وكان على نهج الحقّ، فلم يبل كيف كان. ومنه قول الشهيد عليّ بن الحسين الأكبر عليهما السّلام:

«لمّا نزل الحسين عليه السّلام الثَّعلبيّة، فوضع رأسه، فَرَقد، ثمّ استيقظ، فقال: قد رأيتُ هاتفاً يقول: أنتم تسرعون، والمنايا تسرع بكم إلى الجنّة، فقال له ابنه عليّ: يا أبه! أفلسنا على الحقّ؟ فقال: بلى يا بنيّ! والذّي إليه مرجع العباد، فقال: يا أبه! إذن، لانبالي بالموت، فقال له الحسين: جزاك الله يا بنيّ خير ماجزى ولداً عن والدٍ».(٣)

وهذا قول أهل البيت عليهم السّلام كلّهم، بل كلّ من عرف

---

(١) الأمثال النبويّة: ١/٤٢١. تحت الرّقم: ٢٦٩.

(٢) التّمثيل والمحاضرة: ١١٢.

(٣) البحار: ٤٤/٣٦٧.

الله عزّ وجلّ، وفناء الأشياء إلاّ وجهه تعالى.

ألا كلّ شيء ماخلا الله باطل   وكلّ نعيم لامحالة زائل (١).

٩ ـ ارتوى من آجن

من كلماته عليه السّلام الحكمية في صفة بعض القضاة: «بكّر فاستكثر من جمعٍ، ما قلّ منه خير ممّا كثر، حتّى ارتوى من آجن، واكتنز من غير طائل، جلس بين الناس قاضياً لتخليص ما التبس على غيره». (٢)

هذا جزء من كلامه عليه السّلام، وزّعناه على نبذة أمثالٍ

---

(١) جامع الأصول: ٥/١٧٩. الأمثال النبويّة: ١/١٠٦، تحت رقم المَثَل: ٦٦.

ثمّ إنّ للحديث الجاري معنى آخر، قال الشّيخ محمدبن عبده: إذا كان لك مرام لم تنله، فاذهب في طلبه كلّ مذهب، ولا تبال أن حقّروك أو عظّموك، فإنّ محطّ السّير الغاية، (أو هو المعنى المذكور في الشّرح على حدّ قول القائل:

إذالم تستطع شيئاً فدعه   وجاوزه إلى ماتستطيع).

هامش مصادر نهج البلاغة: ٤/٥٥.

قوله: (لا تبال)، الصّواب (ولا تبل) على النّهي، فإنّ النّفي غير مناسب، وقيل بجواز إبقاء الألف في مثله.

(٢) النّهج: ١/٢٨٣، كلام١٧.

مضروبةٍ لقسمين من القضاة، فللأوّل منهم: «حمّال خطايا غيره». (١) وللثّاني: «ما قلّ منه خير ممّا كثر». (٢)«حتّى ارتوى من آجن» المبحوث هنا. «هو من الشّبهات في مثل نسج العنكبوت». (٣)«خبّاط جهالات». (٤) «لم يعضّ بضرس قاطع». (٥) «يذري.. إذراء الرّيح الهشيم». (٦) «تعجّ منه المواريث». (٧)

وكلّه عندنا ، من الأمثال السّائرة أو الصّالحة أن يتمثّل بها على ماسلكناه في هذا الكتاب، «بكّر فاستكثر من جمع»، راجع معناه إلى: «ما قلّ منه خير ممّا كثر».

قوله عليه السلام: «حتّى ارتوى من آجن»، قال ابن الأثير في حديث عليّ -عليه السّلام-: «ارتوى من آجن»: هو الماء المتغيّر الطّعم واللّون. ويقال فيه: أَجِنَ وأَجَنَ ويأجِنُ أجنا وأُجُونا، فهو آجِنٌ وأَجِنٌ.

ومنه حديث الحسن عليه السّلام: «أنّه كان لايرى بأساً بالوضوء من الماء الآجن». (٨) وقال الطّريحيّ في الحديث: «نهي عن الوضوء في الماء الآجن»: أي المتغيّر لونه و طعمه. (٩)

أقول: إذا خرج عن صدق الماء عليه بقول مطلق بأن صار مضافاً، مثل ماء الورد، لم يجز الوضوء به عند علمائنا الإماميّة، وباقي

---

(١) حرف الحاء مع الميم.
(٢) الميم مع الألف.
(٣) الهاء مع الواو.
(٤) الخاء مع الباء.
(٥) اللاّم مع الميم.
(٦) الياء مع الذّال.
(٧) التّاء مع العين.
(٨) النّهاية: في (أجنَ).
(٩) مجمع البحرين: في (أجن).

الفروع في الفقه، وفي حديث الصّادق عليه السّلام: «إن تغيّر الماء فلا تتوضّأ منه».(١)

ثمّ الإمام عليه السّلام شبّه ما اكتنزه هذا الجالس بين النّاس قاضياً لرفع المخاصمات، من مزعبلاته وأوهامه الفاسدة، بماء تغيّر لونه وطعمه الّذي لايجوز شربه، ولا الوضوء به، ولا سائر الاستعمالات، وذلك لأجل الحرمان من علوم أهل البيت عليهم السّلام، ومعارفهم المستقاة من نمير القرآن الكريم، والأبحر الّتي مجراها من الرّحمن عزّ وجلّ، قال السّيّد الأمين:

هم أبحر العلم الّتي ما شانها كدرٌ و مجْراها من الرّحمٰن(٢)

١٠ ـ أرعدوا، وأبرقوا

من كلام له عليه السّلام:

«وقد أرعدوا، وأبرقوا، ومع هٰذين الأمرين الفشل، ولسنا نرعد حتّى نُوقع، ولانسيل حتّى نمطر».(٣)

الفقرة: «لسنانرعد حتّى نوقع...»، تكلّمنا عليها.(٤) ونبحث الآن عن المَثَل الجاري: «أَرعدُوا وأَبْرقُوا»، وهو المَثَل السّائر: (يَرْعد

---

(١) الوسائل: ١/١٠٣.
(٢) المجالس السّنيّة: ٥/٣٦٨.
(٣) النّهج: ١/٢٣٧، كلام ٩.
(٤) حرف اللاّم مع السّين.

ويَبْرق).

قال الميدانيّ بعد ذكره: يقال: رعدالرّجل وبرق، إذا تهدّد، ويروىٰ: (يُبرق ويُرعد)، وينشد:

أبْـرِقْ وأرْعِـدْ يـايـزيـ ـد؛ فما وعيدك لي بضائر

وأنكر الأصمعيّ هذه اللّغة. (١)

قال الشّارح المعتزليّ: أَرْعَدَ الرّجل وأَبْرق، إذا أوعد وتهدّد، وكان الأَصمعيّ ينكره، ويزعم أنّه لايقال إلاّ رعد وبرق، ولمّا احتجّ عليه ببيت الكميت:

* أبرق... *

قال - :أي الأصمعيّ-: الكميت قرويّ لايحتجّ بقوله. وكلام أميرالمؤمنين عليه السّلام حجّة دالّة على بطلان قول الأصمعيّ.

والفشل: الجبن والخَوْر. وقوله عليه السّلام: «ومع هٰذين الأمرين الفشل» معنى حسن، لأنّ الغالب من الجُبناء كثرة الضّوضاء والجَلبة يوم الحرب، كما أن الغالب من الشّجعان الصّمت والسّكون. (٢)

وذكر الشّارح بعد ما تقدّم مثالاً من فريقي الجبناء والشّجعان، موضحاً لقول الإمام عليه السّلام: «مع هٰذين الأمرين الفشل»،

---

(١) مجمع الأمثال: ٤١٦/٢، حرف الياء.

(٢) شرح النّهج: ٢٣٧/١ - ٢٣٨.

ويتجلّى ما قابل ذلك بالمقايسة. قال: سمع أبو طاهر الجنابيّ -متولّي **القرامطة-** ضوضاء عسكر المقتدر بالله، ودبادبهم وبُوقاتهم، وهوفي ذلك **ألف وخمسمائة**، وعسكر المقتدر في عشرين ألفاً، مقدّمهم يوسف بن أبي السّاج، فقال لبعض أصحابه: ماهذا الزَّحَل؟ قال: فشل قال: أَجَل.

ويقال: إنَّه ما رئي جيشٌ كجيش أبي طاهر، ماكان يُسمع لهم صوت، حتّى إنَّ الخيل لم تكن لها حمحمةٌ، فرشق عسكر ابن أبي السّاج القرامطةَ بالسّهام المسمومة، فجرح منهم أكثر من خمسمائة إنسان. وكان أبو طاهر في عمارية له، فنزل وركب فرساً. وحمل بنفسه ومعه أصحابه حملة على عسكر ابن أبي السّاج، فكسروه وفلّوه وخلصوا إلى يوسف فأسروه وتقطّع عسكره بعد أن أتى بالقتل على كثير منهم، وكان ذلك في سنة خمس عشرة وثلا ثمائة.

ومن أمثالهم:

(الصّدق ينبئ عنك لاالوعيد).(١) لسنا نجابهُ ما ذكره من تطبيق **القصّة أوكذبها** بعد عدم عزّة التّمثيل!

وما أجاب به الأصمعيّ من دلالة كلام الإمام عليه السّلام على بطلان زعمه حقّ، ونظيره من وجه قول الباقر عليه السّلام، عندما سأله زرارة بن أَعْين: ألا تخبرني، من أين علمت، وقلت: أنّ المسح ببعض الرّأس وبعض الرّجلين؟ فضحك، فقال: «يا زرارة! قاله رسول الله -صلّى اللّه عليه وآله وسلّم-، ونزل به الكتاب... فقال: فامسحوا

---

(١) شرح النّهج: ٢٣٨/١.

برؤوسكم. فعرفنا حين قال: برؤوسكم، أنّ المسح ببعض الرّأس، لمكان الباء» إلى آخر الحديث. (١)

فزعم سيبويه أنّ استعمال (الباء) في التّبعيض غلط، فدلّ على بطلان زعمه هذا الخبر الصّحيح الباقريّ. وتفصيل البحث في الفقه، والغرض التّنظير لا أكثر.

ثم إلابراق وإلارعاد، كما تقدّم عن الميدانيّ وغيره، يتمثّل به للتّهديد ولعدمه إذا نفاهما المتكلّم، فقال: لسنا نُبرق ولانُرعد، ويجوز أن يتمثّل بذلك في غير التّهديد، كما في المنافق، حيث يظهر ماليس له حقيقة، وهو شأن كلّ مراءٍ يُري للنّاس ماليس فيه، ومن هنا جاء التّشديد في إلاخلاص في العبادة للّه، بل جميع الحالات. ففي علويّ:

«الدّنيا كلّها جهل إلاّ مواضع العلم، والعلم كلّه حجّة إلاّ ما عمل به، والعمل كلّه رياء إلاّ ماكان مخلصاً، وإلاخلاص على خطر حتّى ينظر العبد بما يختم له». (٢)

---

(١) الوسائل: ١/٢٩٠ ـ ٢٩١، الباب: ٢٣ من أبواب الوضوء.

(٢) السّفينة: ١/٤٠١، في (خطر). الأمثال النّبويّة: ١/٥٨، حرف الهمزة مع الخاء رقم المثل: ٣١.

وممّا يناسب المقام ما ذكره الميدانّي: (بَرْقٌ لوكان مَطَرٌ)، يُضْرب لمَنْ له رواء، ولا معنى وراءه. مجمع الأمثال: ١/٩٩، حرف الباء. وما جاء في بعض أشعار يوم صفّين منها قول بعضهم في أبياتٍ له:

فأبْـرِق وأرعِدْ مااستطعتَ فإنّني ... إلـيْكَ بمايُشجيكَ سَبْطُ الأنامل

وقعة صفّينَ لنصر بن مزاحم، ص: ٤١٦.

وليس الإبـراق والإرعاد تبرز ظاهرتها في القول فحسب، بل في العمل أيضاً، إذا كان بغير الّذي أضمرتْه السّريرة، فلا يفارقه الفشل، لا محالة، عند تبيّن الحال.

١١ ـ أعذر بما أنذر

من خطبة مطوّلة له عليه السّلام تسمّى بالغرّاء، وهي من الخطب العجيبة، أوّلها:

«الحمد لله علا بحوله، ودنا بطوله» ـ إلى أن قال عليه السّلام: ـ «أوصيكم بتقوى الله الّذي أعذَرَ بما أنذَرَ، واحتجّ بما نَهَج ... ...».(١)

وهو من الأمثال السّائرة. قال الميدانيّ: (أعذر مَنْ أنذر): أي من حذّرك مايحلّ بك، فقد أعذر إليك: أي صار معذوراً عندك. (٢)وقال جار الله: (أعذَرَ مَنْ أنذَرَ): أي مَنْ حذّرك ما يحلّ بك، فقد بالغ في العذر. (٣) يرميان غرضاً واحداً.

ولعلّ إلى ذلك ينظر قوله تعالى: «عُذراً أونذراً»·(٤) قيل: معناه: عُذراً للمحقّين، ونذراً للمبطلين، وصفان للملائكة الملقيات ذكراً. وللآية تفسير، يطلب من مظانّه. ومن المحتمل أن تكون (أو) في «عذراً أو نذراً» بمعنى الواو، وعليه يناسب المَثَل الجاري والحديث المرويّ: «أنا

---

(١) النّهج: ٦/٢٦٨، الخطبة: ٨٢.

(٢) مجمع الأمثال: ٢/٢٩، حرف العين.

(٣) المُستقصىٰ: ١/٢٤٠.

(٤) المُرسلات: ٦.

النّذير العريان». (١) إذ العَرْى أبين للنَّظر، وأدلّ على الحذر، وكان من عادة العرب إذا أرادوا التّحذير من العدو، والمُحذَّرُ بعيد، حذّر القوم بالتّعرّي أو النّار في بعض الحالات.

والإنذارعلى أقسام يجمعها مطلوبيّة الحذر من المُنذَر منه، مثلاً قوله تعالى: «فأنذرتكم ناراً تلظّى».(٢) للتّحذّر عمّا يسبّب دخولها؛ وقد صُرّح لهذا الغرض في آية: «فلولا نفَرَ من كلّ فرقةٍ منهم طائفةٌ ليتفقّهوا في الدّين وليُنذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون». (٣) جعل غاية الإنذار حذر القوم، وحذفُ متعلّق الحذر دليلٌ على عموم مايسبّب العذاب والعقاب على ما بيّن لهم إن تمرّدوا.

والمقام كذلك، حيث صدّر الكلام العلويّ بإيصاء التّقوى، ثمّ وصف الله تعالى بأنّه المُعذِر المُنذِر.

وأمّا الإعذار المقرون بالإنذار في المثَل (أعَذَرَ مَنْ أَنذَر)، أو «بما أَنْذَرَ» كما في كلام الإمام عليه السّلام، وقد تعرّض له الشّيخ الطّريحي أيضاً. (٤) فيراد به: أنّه صار ذا عذر، فلا يلام إذا أخذ المُنْذِرُ (بالكسر) المُنْذَرَ (بالفتح)، وعاقبه على عدم القيام بما يقتضيه المقام.

ونظيره مِنْ وجهٍ، قوله الآخر عليه السّلام لابن ملجم:

---

(١) أمثال الحديث: ١٠٨، الأمثال النّبويّة: ١/١٨٤، الرّقم: ١١٦، حرف الهمزة مع النّون.

(٢) اللّيل: ١٤.

(٣) التوبة: ١٢٢.

(٤) مجمع البحرين: في (عذر).

أريـد حـيـاتـه ويـريـد قـتلي   عذيرك من خـليلك من مراد(١)

يريد بقوله: (عذيرك) فإن أوقعتُ به كنتُ معذوراً.(٢) وبلفظ آخر: قد تمّت الحجّة عليه.

١٢ ـ أكبر مكيدته أن يمنح القرم سُبّته

من كلام له عليه السّلام في ذكر عمرو بن العاص:

«عجباً لابن النّابغة! يزعم لأهل الشّام: أنَّ فيّ دُعابَةً، وأنّي امرؤٌ تلعابةٌ، أعافس وأمارس! لقد قال باطلاً، ونطق آثماً. أما ـ وشرّ القول الكذب ـ إنَّه ليقول فيكذب، ويعد فيخلف، ويُسْأل فيبخل، ويَسْأل فيلحف، ويخون العهد، ويقطع الإلّ؛ فإذا كان عند الحرب فأيّ زاجرٍ وآمرٍ هو! مالم تأخذ السّيوف مآخذها، فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القرْم سُبّته».(٣)

---

(١) البحار: ٤٢/١٩٢ ـ ١٩٣.

(٢) هامش المصدر.

(٣) النّهج: ٦/٢٨٠، الكلام: ٨٣. في المصدر: «يمنح القوم»، ونحن كتبنا: «يمنح القرْم»؛ لأنّه الموجود في بقيّة النّسخ، دون «القوم»؛ لعدم صحّته بخلاف «القرم» وهو الفحل. والسّيّد الكريم، كما في كتب اللّغة.

للكلام تتمّة لم نذكرها، والجملة الأخيرة المذكورة صالحة للمَثَل، وإن لم يرسلها الإمام عليه السّلام مثلاً.

ومنح الإست القزْمَ المعبّر عنه بالسُّبّة المراد به: كشف العورة، عملٌ شنيعٌ أقدم عليه ابن العاص، لينجو به من القتل، ومن ثمّ قيل له: نجا بعورته عندما قرب أجله بسيف الإمام عليه السّلام الّذي ما اعتلا امرأً إلاّ قدّه، وما اعترضه إلاّ قطّه (١) ودخل النّار.

زعم ابن النّابغة الجبان: أنَّ في أمير المؤمنين عليه السّلام دُعابةً ومعافسةً وممارسةً، وأنّه تلعابةٌ.

الدُّعابة: المزاح، كما في حديث صادقيّ: «ما مِنْ مؤمنٍ إلاّ وفيه دُعابةٌ، قلت: وما الدُّعابة؟ قال: المزاح». (٢) وهو من حسن الخلق، صرّح به في حديث يونس الشّيباني، قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام:

«كيف مداعبة بعضكم بعضاً؟ قلت: قليل. قال: فلا تفعلوا، فإنَّ المداعبة من حسن الخلق، وإنّك لتدخل بها السّرور على أخيك. ولقد كان رسول الله ـصلّى الله عليه وآله وسلّمـ يداعب الرّجل، يريد أن يسرّه». (٣) يراد بـ(فلا تفعلوا): أي القلّة لا تفعلوها.

فالدُّعابة سنّة ممدوحة، جعلها عمروبن العاص، ومِنْ قبل عمرو، عُمر ذمّاً لايليق بالخلفاء، بل يحسن فيهم الغلظة والفظاظة. قياساً على

---

(١) النّهاية: في (قطط).

(٢) الوسائل: ٨/٤٧٧.

(٣) الوسائل: ٨/٤٧٨.

أنفسهم، حيث كانوا كذلك، وإبطالاً لقوله تعالى امتداحا لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «وإِنَّكَ لَعلىٰ خُلُقٍ عَظيمٍ». (١) وردعاً له: «ولو كُنْتَ فظّاً غليظ القلب لانفضّوا مِنْ حَوْلِكَ». (٢)

والتِّلْعابة: الكثير اللّعب. (٣) فواعجباً كيف تسمع أمّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ذلك، ثمّ تغضي طرفها؟! أينسب إلى المعصوم عليه السّلام اللّعب، وقد قال: «أما والله إنّي ليمنعني من اللّعب ذكر الموت»..؟! (٤) والمنع منه متحقّق في المؤمنين، فكيف بأمير المؤمنين عليه السّلام؟!

وفي الفائق: العفاس والمراس: ملاعبة النّساء ومصارعتهنّ. والعجب من مؤلّفه رواية الحديث المختلق: (عليّ رضي الله تعالى عنه ـ عليه السّلام ـ كان تلعابة، فإذا فزِعَ فزِعَ إلى ضرسٍ حديدٍ). (٥) تصحيحاً لقول ابن العاص ومن قبله.

والمعتزليّ أنكر ما نسب إلى الإمام عليه السّلام أشدّ الإنكار، فقال: فأصل ذلك كلمة قالها عمر، فتلقّفها حتّى جعلها أعداؤه عيباً له، وطعناً عليه. (٦)

---

(١) القلم: ٤.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) معجم مقاييس اللّغة: في (لعب). والفائق: في (لعب).

(٤) النّهج: ٢٨٠/٦.

(٥) الفائق: ٣١٩/٣، في (لعب). والنّهاية في (فزع).

(٦) شرح النّهج: ٣٢٦/٦.

وقال: فإذا نَظْرتَ إلى كُتب الحديث والسِّيَر لم تجد أحداً، من خلق الله، عدوّاً ولا صديقاً روىٰ عنه شيئاً من هذا الفنّ، لا قولاً ولا فعلاً.

ولم يكن جدٌّ أعظم من جدّه، ولا وقارٌ أتمّ من وقاره، وما هَزَلَ قطّ، ولا لَعِبَ، ولا فارق الحقّ والنّاموس الدينيّ سرّاً ولاجهراً؛

وكيف يكون هازلاً، ومن كلامه المشهور عنه: «ما مزح امرؤٌ مزحةً إلاّ ومجّ معها من عقله مجّةً»!

ولكنّه خلق على سجيّةٍ لطيفةٍ، وأخلاقٍ سهلةٍ، و وجهٍ طلقٍ، وقولٍ حسنٍ، وبشرٍ ظاهرٍ؛ وذلك من فضائله وخصائصه الّتي منحه الله بشرفها، واختصّه بمزيّتها...(١)

وأنت تجد التّناقض في كلامه، حيث قال: أصل ذلك كلمة قالها عمر، ثمّ يقول: لم نجد، من خلق الله، عدوّاً ولا صديقاً، روى عنه شيئاً من هذا الفن. فهل ماقاله عمر فيه عليه السّلام كذب أو صدق؟ وهل هو عدوّ أو صديق؟..

بلى هي كلمة، تقال حتّى تصرف الوجوه عنه عليه السّلام، كما كانت كلمته عند انتشار موت الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنّه لم يمت، ومَنْ قال: إنّه قد مات، ضربته بسيفي، حتّى جاء أبوبكر فقال: مَنْ كان يعبد محمّداً فقد مات.. ثمّ تلاقوله تعالى: «أَفَإِيْنَ ماتَ أو قُتِلَ انقَلَبْتُم...» (٢).(٣)

كلمة يقولها المصلحيّون السّياسيّون، يصرفون وجوه النّاس عمّن

---

(١) شرح النّهج: ٣٣٧/٦.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

(٣) شرح النّهج: ١٧٨/١ - ١٧٩.

لايريدونه، وإن أراده الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم والحديث ذوشجون. (١)

وفي الكلام العلويّ بيان خصائص ابن العاص:

إذا قال كذب، وإذا وعد أخلف وإذا يُسْأل يبخل، وإذا سَأَلَ أَلحف، خائن قاطع الإلّ: أي العهد، بائع الدّين بدنيا غيره؛ وألف رذيلة أخرى فيه.

والّذي يروم الاطّلاع على طائفة كبيرة من رذائله، فلينظر المناظرة والمفاخرة بين الإمام الحسن بن عليّ عليهما السّلام وبين جمع اجتمعوا عند معاوية، وهم:

١ ـ عمروبن العاص

٢ ـ الوليدبن عقبة بن أبي معيط

٣ ـ عتبة بن أبي سفيان بن حرب

٤ ـ المغيرة بن شعبة. (٢)

فإنّها فاضحة لهم ورأسهم معاوية. وله عليه السّلام في المغيرة مَثَلٌ، يجدر النّظر إليه. (٣)

قوله عليه السّلام: «أكبر مكيدته أن يمنح القرْم سُبّته»، هذا بعض الجملة، وهي: «فإذا كان عندالحرب، فأيّ زاجرٍ وآمرٍ هو! مالم تأخذ

---

(١) مجمع الأمثال: ١/١٩٧، حرف الحاء.

(٢) شرح النّهج: ٦/٢٨٥ ـ ٢٩٤.

(٣) المصدر: ٢٩٣.

السّيوف مآخذها، فإذاكان ذلك، كان أكبر مكيدته أن يمنح القرْم سُبتّه)).

قال المعتزليّ: أي مالم تبلغ الحرب إلى أن تخالط الرّؤوس: أي هو بالتّحريض والإغراء قبل أن تلتحم الحرب، فإذا التحمت واشتدّت فلا يمكث، وفعل فعلته الّتي فعل. (١) من كشف سوءته ليسلم من القتل من عمل الجبان الدّنيء السّاقط من أمثال عمرو بن العاص.

وهذا الكلام ينطبق على كلّ من هو مثل ابن العاص العاصي، أصل الشّرّ والفساد والرّذيلة، فيشمل الكاذب إذا قال، المخلف إذا وعد، البخيل إذا سئل، الملحف إذا سأل، قاطع العهد الخائن، بائع الدّين بالدّنيا وألف رذيلة مور وثة من ابن العاص.

وهكذا شأن جميع كلمات الإمام عليه السّلام التّمثيليّة، الّتي قالها في حقّ غير ابن العاص من المفسدين والمنحرفين، لم تخصّهم خاصّة، وإن جاءت فيهم، لأنّ حكم الأمثال فيما يجوز وما لايجوز واحد، والشّيء يشمله حكم مثله، وهذا معنى قوله عليه السّلام في بعض خطبه:

((اعقل ذلك، فإنَّ المِثْلَ دليلٌ على شبهه، إنَّ البهائم همّها بطونها، وإنّ السّباع همّها العدوان على غيرها، وإنّ النّساء همّهنّ زينة الحياة الدّنيا والفساد فيها)). (٢)

وكذا الآيات القرآنية النّازلة في الأقوام الماضية، لا تخصّهم خاصّة، بل تعمّ كلّ من كان حاله حالهم، وعلى صفتهم، إذ لوكانت خاصّة بهم

---

(١) شرح النّهج: ٦/٢٨١.

(٢) النّهج: ٩/١٦٠، الخطبة: ١٥٣.

دون غيرهم، فلو ماتوا كما ماتوا ماتت الآيات.

وإليك التّصريح بذلك في رواية خيثمة عن أبي جعفر عليه السّلام:

«ولو أنّ الآية إذا نزلت في قوم، ثمّ مات أولئك، ماتت الآية، لما بقي من القرآن شيءٌ، ولكنّ القرآن يجري أوّله على آخره، مادامت السّماوات والأرض، ولكلّ قوم آية، يتلونها هم منها من خيرأوشرّ». (١)

و أبي بصير عن الصّادق عليه السّلام قال:

«ولو كانت إذا نزلت آية على رجلٍ، ثمّ مات ذلك الرّجل، ماتت الآية، لمات الكتاب، ولكنّه حيّ يجري فيمن بقي كما جرىٰ فيَمْن مضىٰ». (٢)

والسّنّة النّبويّة وجميع روايات أهل البيت عليهم السّلام كالكتاب العزيز، تجري مجرى الشّمس والقمر. كما جاء التّمثيل بهما في رواية عبدالرّحيم قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام:

«إنّ القرآن حيّ لم يمت، وأنّه يجري كما يجري اللّيل والنّهار، وكما تجري الشّمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أوّلنا». (٣)

فما جاء في الخطبة العلويّة من فضائل أو رذائل، غير مختصّةٍ بموردٍ.

---

(١) مقدّمة تفسير البرهان: ص: ٥.

(٢) المصدر.

(٣) المصدر.

١٣- أمْحى الظُّلَمَ لِتذاكيرِ الهِمَم!

مَثَلٌ من أمثال ثلاثة، أوّل من قالها أميرالمؤمنين عليه السّلام، في كلامٍ له يحثّ أصحابه على الجهاد:

«واللّهُ مُستأديكم شُكْرَه، ومورثكم أَمْرَهُ، ومُمْهِلَكُمْ في مضمارٍ مَمْدُودٍ لِتَتَنازَعُوا سَبَقَهُ. فشُدّوا عُقَدَ المآزِرِ، وَاطْوُوا فضول الخَواصِرِ، لاتجتمع عَزيمةٌ وَوَليمَةٌ. ما أَنْقَضَ النوْمَ لعزائمِ اليَوم! وأَمْحى الظُّلَمَ لِتذاكير الهِمَم!». (١)

«لا تجتمع عزيمةٌ وَوَليمةٌ» و« ماَ أَنْقضَ النّوم لِعزائم اليوم!»، مثلان تكلّمنا عليها، (٢)وثالثهما: «أَمْحى الظُّلَم لِتذاكير الهِمَمِ!»، واستوفينا البحث عمّا قبل الثّلاثة (٣) من الخطبة.

قال المعتزليّ في شرح المَثَل الثّالث: أي الظُّلَم الّتي ينام فيها لا كلّ الظُّلَم، ألا ترى أنّه إذا لم ينم في الظُّلمة، بل كان عنده من شدّة العزم وقوّة التّصميم مالا ينام معه، فإنَّ الظُّلمة لا تمحو تذاكير همه.

---

(١) النّهج: ١١/١٤٢، كلام ٢١٥.

(٢) حرف اللاّم مع الألف، والميم مع الألف.

(٣) المصدر.

والتّذاكير جمع تذكار.

والمثلان الأوّلان أحسن من الثّالث، وكان الثّالث مِنْ تتمّة الثّاني.

وقد قالت العرب في الجاهليّة هذا المعنى. وجاء في القرآن العزيز: «أَمْ حَسِبتم أَنْ تَدخلوا الجنّةَ وَلمّا يأتكم مَثَلُ الّذينَ خَلوْا مِنْ قَبلِكمْ مَسّتهم البأساءُ وَالضّرّاءُ وزُلْزِلُوا حتّى يَقولَ الرّسولُ وَالّذينَ آمنوا مَعَه مَتى نصرُالله أَلا إنّ نَصْرَ اللهِ قَريبٌ». (١)

وهذا مثل قوله: «لا تجتمع عزيمةٌ و وليمةٌ»: أي لايجتمع لكم دخول الجنّة والدّعة والقعود عن مشقّة الحرب.(٢)

أقول: الظُّلَم جمع الظّلمة، وهي كما تطلق على ظلمة اللّيل، تقال على الكفر والفسق، ومايترك على لوحة النّفس من سواد الذّنوب و ظلمتها. وعليه فلعلّ المراد: المعنى الأعمّ من ظلمة اللّيل الّتي ينام فيها، الذّاهبة بأنوار الهمم وتذاكيرها، ومن ظلمة النّفس المتكوّنة عن الذّنوب، وهي أيضاً تمحو ضياء الفكرة ونور الهمّة.

فهذا المَثَل الثّالث أحسن من المثلين المتقدّمين، وأدقّ منهما، والّذي دعا المعتزليّ على العكس هو العطف له على الثّاني، ولعلّ النّسخة الأصليّة بلفظ: «و ما أمحى الظُّلَم لتذاكير الهمَم!» والله العالم.

وكيف كان، إنَّ الإمام عليه السّلام يحذّر مغبّة التّساهل في الجهاد الظّاهريّ والباطنيّ، والكلام العلويّ جامع لهما، بل الباطنيّ أهمّ، لأنّه الجهاد الأكبر على ما نطق الخبر:

---

(١) البقرة: ٢١٤.

(٢) شرح النّهج: ١٤٤/١١.

«إنَّ النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بعث سريّة، فلمّا رجعوا قال: مرحباً بقومٍ قضوا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقيل: يا رسول الله! ما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النّفس». (١)

فيا لها من حرب ما أكثر قتلاها، وأقلّ من نجا منها...!

١٤ـ أمرتكم أمري بمنعرج اللوىٰ

في خطبةٍ له عليه السّلام يشكو أصحابه متمثّلاً بقوله:

أمرتُكُمُ أَمري بمنعرج اللّوىٰ   فلم تستبينوا النّصحَ إلاّ ضُحىٰ الغد

خطب عليه السّلام بها بعد التّحكيم:

«... فأبيتم عليّ إباء المخالفين الجُفاة، والمُنابذين العُصاة، حتّى ارتاب النّاصح بنصحه، وضنّ الزّند بقدحه، فكنتُ أنا وإيّاكم كما قال أخو هوازن:

أمرتُكُمُ أمري بمنعرج اللّوىٰ   فلم تستبينوا النُّصحَ إلاّ ضُحىَ الغَد» (٢)

---

(١) الوسائل: ١١/١٢٢.

(٢) النّهج: ٢/٢٠٤ ط ٣٥.

وأخو هوازن ـ صاحب الشّعر ـ هو دُرَيْدبن الصّمّة. والأبيات مذكورة في الحماسة، وأوّلها:

نصحت لعارضٍ وأصحاب عارض ورهط بني السّوداء والقوم شهّدي
فقلتُ لهم: ظنّوا بألفي مُدَجّجٍ سراتُهُم في الفارسيّ المسرّدِ
أمرتُهُمْ أمري بمنعرج اللّوى فلم يستبينوا النّصحَ إلاّ ضُحىَ الغدِ
فلمّا عصوني كنتُ منهم وقد أرى غَوايتهم وأنّني غير مُهتدِ
وما أنا إلاّ من غَزيّةَ إن غوت غويتُ وإن ترشُد غَزيّةُ أرشُدِ.(١)

حادثة التّحكيم عند مخالفة أصحابه عليه السّلام يعرف عظمها من كلامه، حيث يقول: «فأبيتم عليّ إباء المُخالفين الجُفاة...».

والكلّ يدري مايصنع المخالف الجافي والمنابذ العاصي على أميره، وهو ناصحه حتّى ارتاب بنصحه.

وقوله عليه السلام: «وضنّ الزّند بقدحه»: أي لم يقدح لي بعد ذلك رأي صالح، لشدّة مالقيتُ منكم من الإباء والخلاف والعصيان، لأنّ المُشير النّاصح إذا اتّهم واستغشّ عَمي قلبه وفَسُد رأيه. (٢)

نعم المعصوم عليه السّلام لم يعم قلبه، ولم يفسد رأيه، ويصبر على البلوى، والأمر بطابعه الأوّليّ كذلك.

---

(١) شرح النّهج: ٢/٢٠٥.
(٢) المصدر.

١٥ ـ أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك

قال عليه السّلام لرجل أفرط في الثّناء عليه ـ وكان له متّهماً:
«أنا دون ما تقول، وفوق ما في نفسك». (١)

وذكره الميدانيّ في مجمع الأمثال، قال: قاله أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ـ عليه السّلام ـ لرجلٍ مدحه نفاقاً. (٢) والزّمخشري في المستقصى. (٣)

قال الشّارح المعتزليّ:

قالت الحكماء: إنّه يحدث للممدوح في وجهه أمران مهلكان:

أحدهما: الإعجاب بنفسه.

والثّاني: إذا أثنى عليه بالدّين أوالعلم، فَتَرَ وقَلَّ اجتهاده، ورضي عن نفسه، ونقص تشميره وجدّه في طلب العلم والدّين؛ فإنَّه إنّما يتشمّر من رأى نفسه مقصّراً، فأمّا من أطلقت الألسن بالثَّناء عليه، فإنّه يظنّ أنَّه قد وَصَلَ وأَدْرَكَ، فيقلّ اجتهاده، ويتّكل على ماقد حصل له عند النّاس.

---

(١) النّهج: ٢٣٣/١٨، الحكمة ٨٠.

(٢) ٥٣/١، حرف الهمزة، الرّقم ٢١٦، بلفظ: (أنا دون هذا...).

(٣) ٣٧٧/١.

ولهذا قال النّبيّ صلّى الله عليه ـ وآله ـ وسلّم لمن مدح إنسانا كاديسمعه: «ويحك قطعت عنق صاحبك لوسمعها ما أفلح».

فأمّا قوله عليه السّلام: «وفوق ما في نفسك»، فإنّه إنّما أراد أن ينبّهه على أنه قد عرف أنه كان يقع فيه وينحرف عنه، وإنّما أراد تعريفه ذلك، لِما رآه من المصلحة، إمّا لظنّه أنّه يقلع عمّا كان يذمّه به، أو ليُعلمه بتعريفه أنّه قد عرف ذلك، أوليخوّفه ويزجره، أولغير ذلك. (١)

أقول: لايُدْرىٰ بأيّ بيانٍ كان قد مدح الإمام عليه السّلام، إلّا أنّ في ردعه إيّاه، وتفويق نفسه الشّريفة عمّا في نفس المادح درساً للأمّة لترك المدح في الوجه، والكفّ عن القول فيما لم يحط به، وترك النّفاق بإظهار مالم يصدّقه القلب، كما في قوله تعالى في ردع المنافقين: «إذا جاءك المنٰفقون قالوا نشهد إنّك لرسول الله والله يعلم إنّك لرسوله والله يشهد إنّ المنٰفقين لكٰذبون». (٢)

فليس ردع المدح عن صفة أنّ الصّفة غير موجودة، بل على نفس المادح نفاقاً، أوجهلاً، أوطمعاً، أوصوناً له، أوغير ذلك من الوجوه، ففي النّبويّ: «احثوا في وجوه المادحين التّراب». (٣) أونفس الممدوح.

أمّا الإمام المعصوم فلايحيط أحدٌ بفضائله، إلاّ المعصوم عليه السّلام بعد الله عزّ وجلّ، وقد جاء في الحديث: «يا عليّ لايعرف الله إلّا أنا

---

(١) شرح النّهج: ١٨/٢٣٣-٢٣٤.

(٢) المنافقون: ١.

(٣) الوسائل: ١٢/١٣٢. الأمثال النّبويّة: ١/٥٤. الرّقم: ٢٨. حرف الهمزة مع الحاء.

وأنت، ولا يعرفني إلاّ الله وأنت، ولا يعرفك إلاّ الله وأنا». (١) ما مضمون ذلك، وكفى في تعريف الله عزّ وجلّ الإمام عليه السّلام ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن سائر النّاس، ولذكره مقام آخر.

١٦ ـ انفجرتم عن السِّرار

في خطبة له عليه السّلام:

«بنا اهتديتم في الظّلماء، وتسنّمتم العلياء، وبنا انفجرتم عن السِّرار. وُقِرَ سَمْعٌ لم يفقه الواعية... ...».(٢)

قال المعتزليّ: وأمّا قوله عليه السّلام: «بنا اهتديتم في الظّلماء»، فيعني بالظّلماء: الجهالة. «وتسنّمتم العلياء»: ركبتم سنامها، وهذه استعارة. قوله: «وبنا انفجرتم عن السِّرار»: أي دخلتم في الفجر، والسِّرار: اللّيلة واللّيلتان يستتر فيهما القمر في آخر الشّهر، فلا يظهر. (٣)

من معاني السّر: الإخفاء، يقابل الإعلان، ومنه المَثَل: «سِرّك دمك، فلا تجْرِينّه إلاّ في أوْداجك». (٤) «مايوم حَليمَة بِسِرّ». (٥)

---

(١) مشهور على الألسن، وهي حقيقة ثابتة لاريب فيها.

(٢) النّهج: ١/٢٠٧.

(٣) شرح النّهج: ١/٢٠٨.

(٤) النّهج: ٢٠/٢٨٥، الحكم المنسوبة ٢٦٦.

(٥) منتهى الأرب في لغة العَرَب: في (سرر).

وخطّ الجبهة، ومنه العلويّ في وصف النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ورونق الجلال يطّرد في أَسِرَّةِ جبينه».(١)

وأوّل الشَّهر ووسطه وآخره، ومنه النّبويّ: «صوموا الشَّهر وسرّه»: أي أوّله أو وسطه. وسرّ كلّ شيءٍ جوفه، أو آخر ليلة يستتر الهلال بنور الشّمس. (٢)

والنّكاح، ومنه السِرّيّة؛ لأنّه أمر لا يعلن به.

وقيل: هو من الأضداد: أي الإخفاء والإظهار، ومنه قوله تعالى: «وأسَرُّوا النّدامة لمّا رأوُا العذاب».(٣) عن أبي عبيدة: أسررت الشّيء: أعلنته، قال في الآية: أظهروها. (٤)

والمناسب للمقام هوالاستتار المكنّى به عن الجهل وظلمته، وبالانفجار عن نور ولاية أهل البيت عليهم السّلام وهداهم. لولاهم لوقعنا في الشّقاوة الأبديّة، والجهالة الجاهليّة، فبضيائهم عليهم السّلام اهتدينا، وبسببهم وجدنا الطّريق المستقيم، وبولايتهم نجونا، والحمدللّه جلّت نعماؤه.

«ولوأنّ عبداً عبدالله بين الرّكن والمقام، وصام دهره، وقام ليله، ولم يأتِ بولاية أهل البيت عليهم السّلام، لم يقبل الله منه شيئاً أبداً».(٥)

---

(١) النّهاية: في (سرر).

(٢) المصدر.

(٣) يونس: ٥٤.

(٤) معجم مقاييس اللّغة: في (سرر).

(٥) الوسائل: ١/٩٠ـ ٩٦. مامضمونه

ولايجوز العبد يوم القيامة إلاّ بجوازٍ منهم وإذن. وهل الإنسان يستطيع الانفجار عن السِّرار، والدّخول في الفجر؟ لا... إنَّما الله عزّ وجلّ يدخل من يشاء في رحمته، «بل يُريدُ الإنْسـٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَه». (١)

لعلّ المعنى على بعض التّفاسير: التّخلّص عمّا يلقاه من جرّاء أعماله، والخروج عمّا فيه من ظلمة الجهل إلى نورالعلم، ومن الهلاك إلى النّجاة؛ والآية رادعةٌ له عن الاستطاعة، وعن إرادتـه إلاّ بسبب أهل البيت عليهم السّلام، يوفّق للإنفجار عن السّرار: أي الخروج عن الظّلماء إلى الضّياء.

والكلمة صالحة للمَثَل، بل هي منه، وقد عدّها كغيرها ابن أبي الحديد من الأمثال المذكورة في هذهِ الخُطبة الشّريفة. فلا بدّ من مزيدِ تدبّرٍ فيها.

١٧ ـ إنّ العطيّة على قَدَر النِّيَّة

من وصيّة له عليه السّلام، لابنه الحسن عليه السّلام:

«فلا يقنطنّك إبطاء إجابته، فإنّ العطيّة على قدر النّيّة، وربّما أخرّت عنك الإجابة، ليكون ذلك أعظم لأجر السّائل، وأجزل لعطاء الآمل». (٢)

---

(١) القيامة: ٥.

(٢) النّهج: ١٦/٨٧، الوصيّة:٣١.

لإبطاء الإجابة أسباب: منها: النيـّة، فلعلّها لم تكن خالصة.

ومنها: ربّما أخّرت، ليكون أعظم لأجر السّائل بتحمّل المشقّة، لأنّ الأجرعلى قدر المشقّة، ولأنّه أفضل، للنّبويّ: «أفضل الأعمال أحمزها». (١)

ومنها: أنّه لو أعطي ماأراد السّائل كان فيه هلاكه، أوفساد دينه.

ومنها: أنّ الدّنيا فانية، لا تبق له، ولايبقى لها، وإنّما الآخرة باقية له، يفتقر إلى تزويد الزّاد لها، والصّبرعلى الحرمان ربّما كان منه.

ومنها: ما قاله الله عزّ وجلّ: «ما عندكم ينفد وماعندالله باق» (٢) وهذا الوجه. يعود لعلّه إلى الوجه المتقدّم، وإن كان بينهما فرق معنويّ.

ومنها: أنّ الله يحبّ أن يسمع صوت عبده ودعاءه، وأنّ له دويّاً في عالم الملكوت، تفرح به الملائكة.

ومنها: أنّ ذلك سبب لغفران الذّنوب، ومكفّر لها، وغير ذلك من الوجوه.

وليس معنى الإبطاء ردّ دعوة الدّاعي، فإنّه استبخال له تعالى، وهو كفرٌ، وقد تظافرت روايات أهل البيت عليهم السّلام بالدّعاء، وكفى قوله تعالى: «وإذا سألك عبادى عنّى فإنّى قريب أُجيبُ دعوة الدّاع إذا دعانِ فَلْيستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلّهم يَرْشُدُون». (٣)

---

(١) الأمثال النبويّة: ١/١٤٠. الرّقم: ٤٨٥ حرف الهمزة مع الفاء.

(٢) النّحل: ٩٦.

(٣) البقرة: ١٨٦.

فانظر كيف جعل جلّ جلاله نفسه المقدّسة ضمان الإجابة ستّ مرّات كرّرها، وقد اشتملت الآية على التّضمين البالغ غايته ، لوتدبّرها متدبّرٌ.

ثمّ المَثَل السّائر ينطبق عليه تماماً ماذكره أبوهلال العسكريّ: من جعل كلّ حكمة سائرة مَثَلاً.(١)

ولاريب في كونه كلمة حكمة سائرة على الألسن. وللكلمة معنى عالٍ رفيع المستوى، أخذاً بما لها من إطلاق شامل، وذلك المعنى هو: أنّ النّاوي إذا جرّد النّيّة عن كلّ أمرٍ فانٍ، وأخلصها للباقي، عظمت عطيّته. ومن الواضح أنّ كلّ شيءٍ فانٍ إلاّ وجهه تعالى، كما قال: «كلّ من عليها فانٍ * ويبقى وجهُ ربِّك ذوالجلٰل والإكرام». (٢)

فمن اختار الله عزّ وجلّ ولم ينوِ سواه، كان الله تعالى هو عطيّته الباقية. فاخترمن العطايا ما شئت.

---

(١) الأمثال النّبويّة: ١/٧.

(٢) الرّحمٰن: ٢٦ - ٢٧.

١٨ ـ إنّ غداً من اليوم قريب

قال عليه السّلام:

«فسابقوا رحمكم الله إلىٰ منازلكم الّتي أمرتم أن تعمروها، والّتي رُغّبتم فيها، ودُعيتم إليها، واستتمّوا نعم الله عليكم بالصّبر على طاعته، والمجانبة لمعصيته. فإنّ غداً من اليوم قريب. ما أسرع السّاعات في اليوم، وأسرع الأيّام في الشّهر، وأسرع الشّهور في السّنة، وأسرع السّنين في العمر». (١)

وفي خطبة أخرى: «وإنّ غداً من اليوم قريب، يذهب اليوم بما فيه، ويجيء الغد لاحقاً به». (٢)

وخطبة أخرى: «وما أقرب اليوم من تباشير غدٍ». (٣)

والتّباشير: أوائل كلّ شيء، ومنه تباشير الصّبح: أوائله. ولا

---

(١) النهج: ٩٩/١٣، الخطبة: ٢٣٤. البحار: ٤٣٣/٧٧.

(٢) النّهج: ٢١٠/٩، ط ١٥٨.

(٣) النَّهج: ١٢٦/٩، الخطبة: ١٥٠.

يكون منه فعل.(١)وبمعنى البشرى (٢) : أي تبشّر أوائل الغد بلحوقه اليوم، وحلوله محلّه.

قال المعتزليّ: قوله عليه السّلام: «إنّ غداً من اليوم قريب»، كلام يجري مجرى المَثَل، والأصل فيه قول الله تعالى: «إنّ موعدهم الصّبح أليس الصّبح بقريبٍ». (٣)

ومنه قوله:

* فإنّ غداً لناظره قريب *

وقوله:

* غدٌ ما غدٌ ما أقرب اليوم من غدٍ *(٤)

وصدر البيت الأوّل:

* فإن يكُ صَدر هذا اليوم وَلّى * (٥)

قال الميدانيّ: أوّل من قال:

* إنّ غداً لناظره قريب *

قراد بن أجدع في قصّة طويلة، ذكرها في المجمع. (٦)

---

(١) معجم مقاييس اللّغة: في (بشر).

(٢) مجمع البحرين: في (بشر).

(٣) هود: ٨١.

(٤) شرح النّهج: ٩/٢١٦ و ١٣/١٠٠.

(٥) هامش المصدر الأوّل.

(٦) مجمع الأمثال: ١/٧٠، حرف الهمزة.

وجاء ذكره في كتاب التّمثيل والمحاضرة، (١) والفاخر.(٢) ويماثل المثل المذكور قولهم: (كلّ ما هو آتٍ قريبٌ). (٣) وقولهم: (ما فات فات، وما أقرب ما هو آتٍ). (٤) (إنّ مع اليوم غداً) وهو قول منصور المصريّ:

يا من يخاف أن يكو ... ن ما يخاف سرمدا
أما سمعت قولهم: ... إنّ مع اليوم غدا (٥)

وقولهم: (مع اليوم غدٌ). قال أبوهلال العسكريّ: يضرب مثلاً للنّظر في العواقب. وقال الرّاجز:

لا تقلواها وادلُواها دلواً ... إنّ مع اليوم أخاه غَدْوا

والقَلْو: السّير الحثيث، والدّلو: السّير الرّفيق. يقول: ارفق بها، ولا تقتلها اليوم بشدّة السّير، فإنّك تحتاج إليها غداً. وقال: غدوا على الأصل، وأصل (غد) غَدْو. ونحوه قول الشّاعر:

---

(١) ص: ٢٤٥.

(٢) ص: ٢٦٥.

(٣) مجمع الأمثال: ٢/١٧١.

(٤) المصدر: ٢/٣٢٧.

(٥) التّمثيل والمحاضرة: ١٠٥.

خفت مأثور الحديث غدا وغدٌ أدنى لمنتظره

وقال النّابغة الجعديّ:

وإنّ مع اليوم الّذي علموا غداً وإنّ الأمور بالرّجال تقلّبُ

وقال غيره:

فإن يك صدر هذا اليوم ولّى فإنّ غداً لناظره قريب

وهذا مَثَلٌ لِمَنْ حُرم مراده اليوم، فوَعده في غدٍ، وفي خلافه.

قول الرّاجز:

يا عجباً لقولهم غدٍ غدٍ قولاً كشحم الإرة المزهّد

* ولا يجيء دَسَمٌ على يدي *

ولا تكاد الأعراب تنشده إلاّ غدِ غدِ بالكسر.(١)

ثمّ إنّ المَثَل الجاري ـ: أي قول الإمام عليه السّلام:

«إنّ غداً من اليوم قريب» ـ يضرب للتّرغيب والنّظر في العواقب،

ومنه: «فسابقوا رحمكم الله إلى منازلكم...».

والتّرهيب عمّا فيه ذكر الموت، وما ينبّه الذّاكر المتفكّر، ومنه قوله

---

(١) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ٢٢٧/٢. الإرة: القديد. وقيل: هو أن يُغلى اللّحم بالخَلّ، ويحمل في الأسفار. وفي حديث بُريدة النّبويّ: (اللّحم المطبوخ في كرش). النّهاية: في (أرت). وفيه أنّ التّاء عوضٌ عن الياء.

عليه السّلام لزياد بن أبيه:

«فدع الإسراف مقتصداً، واذكر في اليوم غداً». (١)

وقد ذكرنا شيئاً من الموت عند التكلّم على المَثَل: «كلّ متوقّع آتٍ، وكلّ آتٍ قريب دانٍ». (٢)

وجاء ذكر الموت في القرآن الكريم في ١٦٥ موضعاً، وقد أطلق على النّوم، كما في دعاء الانتباه بعد النوم: «الحمدلله الّذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النّشور».(٣) سُمّي النّوم موتاً، لأنّه يزول معه العقل والحركة، تمثيلاً أوتشبيهاً لاتحقيقاً.

وقيل: الموت في كلام العرب يطلق على السّكون، يقال: ماتت الرّيح، إذا سكنت.

والموت يقع بحسب أنواع الحياة على ما قال الشّيخ الطّريحيّ:

فمنها: ما هو بإزاء القوّة النّامية الموجودة في الحيوان والنّبات، كقوله تعالى: «ويحي الأرض بعد موتها» ١٩/٣٠.

ومنها: زوال القوّة الحسّيّة، كقوله تعالى: «يٰليتنى متّ قبل هٰذا» ٢٣/١٩.

ومنها: زوال القوّة العاقلة، وهي الجهالة، كقوله تعالى: «أومن

---

(١) النّهج: ١٣٩/١٥، الكتاب: ٢١.

(٢) حرف الكاف مع اللاّم.

(٣) مفاتيح الجنان: ١٣٧، هامشه.

كان ميْتاً فأحييناهُ» ٦/١٢٢، و «إنّك لا تسمع الموتى» ٢٧/٨٠.

ومنها: الحزن والخوف المُكَدِّر للحياة، كقوله تعالى: «ويأتيه الموت من كلّ مكان وما هو بميّت» ١٤/١٧.

وقد يستعار الموت للأحوال الشّاقّة، كالفقر والذّلّ والسّؤال والهدم وغير ذلك. (١)

أمّا حقيقة الموت فقد تناولها الحكماء بالبحث، بأنّه خَلعٌ ولَبْسٌ، كمن ينزع لباساً على بدنه، ويلبس آخر، ولكنّه كما قال مولانا أميرالمؤمنين عليه السّلام:

«فغيرُ موصوفٍ ما نزل بهم، اجتمعت عليهم سَكْرةُ الموت، وحَسْرةُ الفوت». (٢)

«واستعدّوا للموت، فقد أظلّكم، وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا». (٣)

وفي الدّيوان المنسوب إلى مولانا أميرالمؤمنين عليه السّلام:

إلى مَ تجرّ أذيال التّصابي ... وشَيْبك قد نضا بُرد الشّباب

بلال الشّيب في فوديك نادىٰ ... بأعلى الصّوت حيّ على الذّهاب

خلقت من التّراب وعن قريبٍ ... تُغيّب تحت أطباق التّراب

طَمعت إقامةً في دار ظعنٍ ... ولا تَطْمع فرجلك في الرّكاب

---

(١) مجمع البحرين: في (موت).

(٢) النّهج: ٧/٢٠١، الخطبة: ١٠٨.

(٣) النّهج: ٥/١٤٥.

وأرخيت الحجاب فسوف يأتي رسولٌ ليس يُحجَبُ بالحجاب
أعامر قصرك المرفوع اقصر فإنّك ساكن القبر الخراب (١).

١٩ - إنَّها خدعة الصّبيّ عن اللّبن في أوّل الفصال

من كتابٍ له عليه السّلام إلى معاوية جواباً عن كتابه - قال عليه السّلام في آخره -:

«وأمّا تلك الّتي تريد؛ فإنّها خدعة الصّبيّ عن اللّبن في أوّل الفصال، والسّلام لأهله». (٢)

ذكر الميدانيّ المَثَلَ: (إنّها ليست بخدعة الصّبيّ)، ضدّ المَثَل العلويّ، وأنّه لمعاوية، فراجع. (٣)

الحاجة الّتي يريدها معاوية التّلبيس على النّاس، بأنّه صاحب دم عثمان، وبالنّتيجة التّرأس عليهم من وراء ذلك، وهم لايعلمون أنّ مطالبته لدم عثمان خُدْعةٌ، يراد بها الرّئاسة لا الثّأر، كما يخدع الصّبيّ عن اللّبن، لغاية الانفصال عنه.

وخدعة الصّبيّ عن اللبن: هي تلطيخ الثّدي بشيءٍ مُرٍّ، لينفر عن الالتقام، مقدّمة للفطام، وليس القصد من ذلك إلاّ الانفصال فحسب،

---

(١) بهج الصّباغة: ٨/١١ - ١٢.

(٢) النّهج: ١٧/٢٥١، كتاب ٦٤.

(٣) مجمع الأمثال: ١/٦٠، حرف الهمزة.

عند انقضاء حولين كاملين، كماقال تعالى: «والوٰلدٰتُ يُرضعن أولٰدهنّ حَوْلين كاملين لمن أراد أن يُتمّ الرّضاعة». (١)

فيقصد معاوية ومنْ قبله عائشة ـ خالقة حرب الجمل، الطّالبة بدم عثمان ـ التّرأس. أمّا معاوية فلنفسه، والأخرى لطلحة والزّبير، وبالأخير دفع الإمام عليه السّلام عن الخلافة، المنصوصة له بنصّ الغدير وغيره؛ والخادعون ـ وإن ظفروا بما خدعوا من أجله في الدّنيا للدّنيا، وربّما لم يظفروا به ـ حالهم حال السّاحر في الكيد والخداع، في عدم الفلاح. كما قال جلّ جلاله: «إنّما صنعوا كيد سٰحر ولا يفلح السّاحر حيث أتىٰ». (٢) هذا في الدّنيا، وفي الآخرة يرون جزاء خداعهم.

ولا ريب أنّ مخادعة الإمام عليه السّلام المفترض الطّاعة مخادعة الرّسول، صلّى الله عليه وآله وسلّم، ومخادعته مخادعة الله عزّ وجلّ، وقد قال تعالى: «إنّ المنٰفقين يخٰدعون الله وهو خٰدعهم». (٣) بافتضاحهم في الدّنيا، وعذابهم في الآخرة.

وفي الحقيقة إنّما المخادع يخادع نفسه، شعر بذلك أم لا؛ والغالب عليهم عدم الشّعور، كما قال جلّ جلاله: «يخٰدعون الله والّذين ءَامنوا وما يخدعون إلاّ أنفسهم ومايشعرون». (٤)

والخدعة تنشأ من دناءة النّفس وخبثها، وتترفّع عنها النّفوس النّظيفة، والعقول الحصيفة. وقد يقال للمجرّب في الخداع: داهية، ومن

---

(١) البقرة: ٢٣٣.

(٢) طه: ٦٩.

(٣) النساء: ١٤٢.

(٤) البقرة: ٩.

هنا عدّ معاوية وعمرو بن العاص من الدّهاة، والإمام عليه السّلام قال:
«ولولا كراهية الغَدْر، لكنتُ من أَدْهي النّاس»(١).

٢٠ ـ أهل الدّنيا كركبٍ، يساربهم، وهم نيامٌ

قال عليه السّلام:
«أهل الدّنيا كركبٍ، يسار بهم، وهم نيامٌ». (٢)

التّمثيل بالرّكب السّائرة وهم نيام ناظر إلى سرعة تصرّم العمر، في حين غفلة العامر، والإدبار عن الدّنيا، والإقبال إلى الآخرة، حيث إنّ السّائر إلى مكان يبتعد عمّا كان قبل السّير، ويقرب إلى مايسير إليه، قرباً وبُعداً قهريّاً، علم السّائر به أم لم يعلم، وأنّ الموت نازل بهم لامحالة.

إنّ الدّنيا قنطرة، يعبرون عليها إلى الآخرة، ومنازل يتحوّلون عنها إلى منازل لازوال لها ولا تحوّل عنها؛ لأنّها داربقاء لا فناء لها.

سرور الدّنيا غرور، نعيمها زائل، وعيشها باطل، وإنّ أهلها كركبٍ، أناخوا عشيّاً في منزلٍ، وفي الصّبح عنه راحلون.

تزوّد من الدّنيا فإنك راحل   وبادر فإنّ الموت لاشكّ نازل

---

(١) راجع المَثَل: «قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيلة» حرف القاف مع الدّال، مامعناه. والنّهج: ٢١١/١٠، كلام ١٩٣، نصّه.

(٢) النّهج: ٢٠٩/١٨، الحكمة: ٦٢.

سرورك في الدّنيا غُرورٌ وحسرةٌ وعيشك في الدّنيا محالٌ وباطل
ألا إنَّما الدّنيا كمنزل راكبٍ أناخ عشيّاً وهوفي الصّبح راحل(١)

قل للمُقيم بغيردار إقامةٍ حان الرّحيل فودّع الأحبابا
إنّ الَّذينَ لقيتَهم وصحبتَهم صاروا جميعاً في القبور ترابا(٢)

ومن حِكمه عليه السّلام: «وإنّ أهل الدّنيا كركبٍ، بيناهم حلّوا إذ صاح بهم سائقهم، فارتحلوا»(٣)،ويناسبه قول أبي العَتاهية:

إنّ داراً نحن فيها لدارٌ ليس فيها لمقيم قرار
كم وكم قدحلّها من أناس ذهب اللّيل بهم و النّهار
فهم الرّكب قدأصابوامناخاً فاستراحوا ساعةً ثمّ ساروا
وكذا الدّنيا على مارأينا يذهب النّاس وتخلوالدّيار(٤)

وله عليه السّلام في خطبةٍ: «فإنّما أنتم كركبٍ وقوفٍ، لا يدرون متى يؤمرون بالمسير» . (٥)

---

(١) نهج السّعادة: ١، الوصايا: ٧١.
(٢) المصدر: عن الإمام الحسن عليه السّلام.
(٣) النّهج: ٢٠/٥٢، الحكمة: ٤٢٣. البحار: ١٣/٧٨.
(٤) شرح النّهج: ٥٣/٢٠.
(٥) البحار: ٤٣٣/٧٧.

والتّمثيل بالرّكب السّائرة مرّةً والوقوف أخرىٰ: بلحاظ الفناء التّدريجي، والبقاء الموهوم، والحياة المزعومة، والأعمار المتصرّمة، و(النّاس نيامٌ، إذا ماتوا انتبهوا).(١) وليس الحياة إلاّ لحظات، وكما قال القائل:

دقّات قلب المرء قائلةٌ له … إنّ الحياة دقائقٌ وثوانٍ(٢)

أنفاس المرء خطاه إلى الموت، فماهذه الطّمأنينة وأنت مُزعَج؟! وما هذا الولوج وأنت مخرج؟! جمعك إلى تفريقٍ، ورفوك إلى تمزيقٍ، وسعتك إلى ضيقٍ؛ فيا أيّها المفتون، والطّامح بما لايكون! «أفحسبتم أنّما خلقنٰكم عبثاً وأنّكم إلينا لا تُرْجَعون».(٣)

ستندم عند الموت شرّ ندامةٍ … إذا ضمّ أعضاك الثّرى والمطابق
وعاينت أعلام المنيّة والرّدىٰ … و وافاك ما تبيضّ منه المفارق
وصِرْتَ رهيناً في ضريحك مفرداً … وباعدك الجارالقريب الملاصق(٤)

وقوله عليه السّلام: «فإنّما أنتم سفرٌ حلولٌ، والموت بكم نزولٌ». (٥)

---

(١) التّمثيل والمحاضرة: ٢٥.
(٢) قيل: لأحمد المصريّ.
(٣) المؤمنون: ١١٥.
(٤) نهج السّعادة: ١، الوصايا: ٦٨.
(٥) البحار: ١٩/٧٨.

والآخر: «إنّما أنتم فيها كركبٍ، عرّسوا وارتاحوا، ثمّ استقلّوا، فغدوا وراحوا». (١) نظائر المَثل المبحوث عنه.

٢١ ـ أورىٰ قبس القابس

هذا من تمثيلاته عليه السّلام، في خطبةٍ له علّم فيها النّاس الصّلاة على النّبيّ، صلّى الله عليه وآله ـ وسلّم. أوّلها ـ:

«اللّهمَ داحي المدحوّات... اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك، على محمّدٍ عبدك و رسولك ... ... قائماً بأمرك، مستوفزاً في مرضاتك، غير ناكلٍ عن قُدُمٍ، ولا واهٍ في عزْمٍ؛ واعياً لوحيك، حافظاً لعهدك، ماضياً على نفاذ أمرك، حتّى أَوْرىٰ قبس القابس، وأضاء الطّريق للخابط ... ...». (٢)

جئنا على بعض الخطبة عند التّمثيل: «الدّامغ صولات الأضاليل». (٣)

---

(١) البحار: ١٨/٧٨ و ٣٥٠/٧٧.

أقول: وفي كلام له عليه السّلام: «يا بني! إنّ من كان مطيّته اللّيل والنّهار...» ما معناه. النّهج: ٩٣/١٦.

(٢) النّهج: ١٣٨/٦، الخطبة: ٧١. شرح النّهج: ١٣٥/١٩، برواية سلامة الكنديّ.

(٣) حرف الدّال مع الألف.

وبعضها الآخر عند قوله عليه السّلام:

«أضاء الطّريق للخابط». (١)

المستوفز من الوَفز: العجلة: أي المستعجل في مرضاة الله تعالى، والقُدُم: الإقدام، ومعناه: غيرالجبان، والواهي: الضّعيف، «واعياً لوحيك»: أي فاهمه، والماضي في نفاذ الأمر: المصرّ فيه.

قال ابن الأثير: (ورَى الزند يَري)، إذا استخرج ناره، والزّند الواري: الّذي تظهر ناره سريعة، ومنه حديث عليّ عليه السّلام: «حتّى أورى قبساً لقابس»: أي أظهر نوراً من الحقّ لطالب الهدى؛ والقبس: الشّعلة من النّار، والقابس: طالب النّار. (٢)

أقول: الإيراء والقبس لغة قرآنيّة.

من الأوّل: «فالمُوريـٰت قدحاً»، (٣) : أي حوافر خيول المجاهدين في سبيل الله، إذا صكّت أحجار الأرض أخرجت نار الحباحب (٤)بقدحها لها. وآية: «أفرءَيتم النّار الّتى تُورون»، (٥): أي تستخرجونها.

---

(١) الهمزة مع الضّاد، من الأمثال العلويّة.

(٢) النّهاية: في (ورى) و(قبس).

(٣) العاديات: ٢.

(٤) الحباحب: اسم رجل بخيل، يضرب به المَثَل. راجع تفسيره، هامش الكشّاف: ٧٨٦/٤.

(٥) الواقعة: ٧١.

ومن الثّاني: «لعلّي ءَاتيكم منها بقبس أو أَجِدُ على النّار هُدىً». (١)
«أوْ ءَاتيكم بشهابٍ قَبسٍ لعلّكم تصطلون». (٢)

كما وفي خطبة الزّهراء عليها السّلام: «وقبسة العجلان». (٣)

ومن أمثال العرب: (القابس العجلان). (٤) جاء فيه لفظ: (القبس).

ومعنى خطبة الإمام عليه السّلام: خصّ يا ربّ صلواتك الشّريفة، وبركاتك النّامية، بمحمّد الرّسول القائم بالأمر الرّسالي، المستعجل في طلب المرضاة، الفاهم لوحيك، الحافظ لعهدك، المصرّ في تنفيذ أوامرك، حتّى اهتدى طالب الهدى بنوره، وأبصر المتحيّر طريقه بإضاءة شريعته الغرّاء، والقرآن المنزل عليه، وانمحت ظلمة الجهالة الجاهليّة بنور النّبوّة، والعلم، والهدى؛ وأزيح المانع عن الوصول إلى المعارف الإلٰهيّة الّتي كانت منطمسة الأعلام، مظلمة السّبُل بالأباطيل والأضاليل.

فيا أيّها القابسون! اقتبسوا من الأنوار...

---

(١) طٰه: ١٠.

(٢) النّمل: ٧.

(٣) الاحتجاج: ١/١٣٥.

(٤) الفاخر: ٢٤١، المَثَل: ٣٦٦.

٢٢ ـ أيادي سبأ

من كلامٍ له عليه السّلام:

«... فما آتي على آخر قولي، حتى أراكم متفرّقين أيادي سبأ...».(١)

✦

اختلف: أنّ المَثَل إسلامي، أصله قوله تعالى: «ومزّقناهم كلّ ممزّق». (٢) في قصّة أهل سبأ وتفرّقهم المذكورة في القرآن الكريم، وروايات أهل البيت عليهم السّلام.

أو جاهليّ، كما ذهب إليه الدّكتور صفا خلوصيّ، لأنّ سبأ وجدت قبل الإسلام.(٣)

أقول:

وهل وجود قوم سبأ قبل الإسلام يصيّر المَثَل مثلاً جاهليّاً، أولابدّ من ضربه لتلك الحالة في ذلك الزّمن؟..

قال ابن أبي الحديد: «أيادي سبأ» مَثَلٌ، يضرب للمتفرّقين، وأصله قوله تعالى عن أهل سبأ: «وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ».

---

(١) النَّهج: ٧/٧٠، ط٩٦.

(٢) سبأ: ١٩.

(٣) دراسة في الأمثال العربيّة كما في رسالة الإسلام: عدد: ٧ ـ ٨، ص: ١١٦.

وسبأ مهموز، وهو سبأبن يشجب بن يعرب بن قحطان، ويقال: (ذهبوا أيدي سبا، وأيادي سبا). الياء ساكنة، وكذلك الألف، وهكذا نقل المَثَل: أي ذهبوا متفرّقين. وهما اسمان، جعلا واحداً مثل: (معدي كرب). (١) وهو كالصّريح في كونه إسلامياً.

وكيف ماكان، فيمكن أن يكون لمعنيين: يضرب المَثَل المذكور، لبيان تفرّق القوم المقصود جمعهم، كما تقدّم، وللدعاء عليهم: أي لا تفارقهم الفرقة.

ولعلّ الثّاني أولى بكلام الإمام عليه السّلام، ليكون جملة: «أيادي سبأ» دعاء عليهم، ولكن ظهورها في تشبيه تفرّق أصحابه عند خطابه عليه السّلام بتفرّق قوم سبأ يمنع الدّعاء، اللّهمّ إلاّ أن يعمّ المعنيين بالاشتراك إن صحّ ذلك.

لقد كان أميرالمؤمنين عليه السّلام يعاني من تفرّق أصحابه، المسبّب لإبادتهم بغلبة العدّو، وقد نهى الله عزّ وجلّ عن الفرقة، وأمر باعتصام الحبل الإلٰهي، في آية: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا». (٢)

والإمام المعصوم هو الحَبْل الّذي أمر العباد بتمسّكه، ولا ينافي كونه القرآن أو الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، إذ كلّ ذلك واحد في المعنى، يدعو إلى الواحد الأحد، وهو الله تعالى، ويؤول الاعتصام بالآخرة به و إليه تعالى.

---

(١) شرح النّهج: ٧/٧٤ ـ ٧٥.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

٢٣ ـ إيّاك وما يعتذر منه

جاء المَثَل في كتابٍ له عليه السّلام إلى قُثَم بن عبّاس، وهوعامله على مكّة، أوّله:

«أمّا بعد،فإنّ عيني بالمغرب كتب إليّ، يعلمني، أنّه وُجّهَ إلى المَوْسم أُناسٌ ... إيّاك وما يعتذر منه...».(١)

قال الميدانيّ بعد المَثَل المذكور: أي لا ترتكب أمراً تحتاج فيه إلى الاعتذار منه. (٢) وهو من الأمثال المرسلة، وإن لم يرسله الإمام عليه السّلام. ثمّ الاعتذار ممّا يوجبه، إنّما هو من صنع الجاهل، حيث يقدم على مالا يدري مغبّته ، ولا حسنه من قبحه، أو خيره من شرّه، فإذا انكشف الحال ندم واعتذر. أمّا العاقل فلا يترأّى قبل أن يتروّى، ولايقدم على عمل إلاّ بعد التّثبّت والعلم بمغبّته.

وقد قالوا: المَثَل: (شرّ الرّأي الدّبريّ)، والدّبريّ: الّذي يجيء بعد مايفوت الأمر(٣)؛ومن أجله رغّبت المشورة، وأُمِرَ الجاهل بالسّؤال من

---

(١) النّهج: ١٦ /١٣٨،ك ٣٣.

(٢) مجمع الأمثال: ٤٤/١، حرف الهمزة.

(٣) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ١٢/١، حرف الشّين.

أهل الذّكر في الكتاب والسّنّة في أمور الدّين والدّنيا، والمستبدّ برأيه هالك، والتّثبّت في كلّ شيء حتّى لايقع فيما لا يحمد عقباه، وعدم جواز الأخذ بنبأ الفاسق إلاّ بعد التّبيّن، لئلّا يصيب إنساناً بجهالة، فيصبح على ما فعل نادماً، كما قال تعالى: «إن جاءكم فاسقٌ بنبإٍ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهٰلةٍ فتُصبحوا علىٰ ما فَعَلْتم نٰدمين».(١)

والمَورد لايخصّص، فيجري فيما ماثله من نوعه، ثمّ المَثَل يشمل كلّ ماذكر ومالم يذكر من المَوارد الّتي‌تورث الاعتذار بعدها، سواء أكان من قولٍ أو عملٍ، بل مطلق السّكون والحركة الّتي لايخلو منهما الإنسان.

فلا بدّ من التّفكّر فيه أوّلاً، فإن علم أنّ في ذلك رشداً أقدم، أوغيّاً أحجم عنه. ويقف عند الشّبهة لئلّا يهلك من حيث لايعلم، كما جاء ذلك في حديث التّثليث:

«الأمور ثلاثة: أمرٌ بيّنٌ رشده فيتّبع، وأمرٌ بيّنٌ غيّه فيجتنب، وشبهاتٌ بين ذلك؛ فـمن أَخَذَبها هلك من حيث لايعلم، ومَن وقف نجا».(٢) ما مضمون الحديث فراجع.

---

(١) الحجرات: ٦.

(٢) الوسائل: ١١٤/١٨.

حرف الباء

٢٤ - باع اليقين بشكّه والعزيمة بوهنهِ

من بعض خطبةٍ له عليه السّلام يصف آدم عليه السّلام: «ثمّ أسكن آدم داراً، أرغد فيها عيشه، وآمن فيها محلّته، وحذّره إبليس وعداوته، فاغترّه عدوّه نفاسة عليه بدار المقام، ومرافقة الأبرار، فباع اليقين بشكّه، والعزيمة بوهنه، واستبدل بالجذل وجلاً، وبالاغترار ندماً... ...».(١)

البيع: مبادلة مال بمال، (٢) وأخذ شيء بإعطاء شيء مطلقاً، ولم يختصّ بتمليك عينٍ بعوضٍ، على ما اصطلح عليه الفقهاء، والدّليل: الكتاب والحديث.

من الأوّل: «إنّ الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموٰلهم بأنّ لهم الجنّة - إلى قوله تعالى: - فاستبشروا ببيعكم الّذى بايعتم به». (٣)

وتناول الشّراء في خمسة وعشرين موضعاً إيجاباً وقبولاً بدون قصرٍ على التّفسير الفقهيّ.

ومن الثّاني: «باع اليقين بشكّه»، والمراد: نسيان العهد الرّبّانيّ من

---

(١) النهج: ١٠٢/١، الخطبة ١.

(٢) المصباح المنير: في (بيع).

(٣) التوبة: ١١١.

النّهي عن اقتراب الشّجرة. ويدلّ على النّسيان قوله تعالى: «ولقد عهدنا إلى ءَادم من قبلُ فَنَسِيَ ولم نَجِدْله عزماً». (١)

عن الباقر عليه‌السلام: «إنّ الله تعالى عهد إلى آدم: أن لايقرب هذه الشّجرة، فلمّا بلغ الوقت كان في علم الله أن يأكل منها، فنسي فأكل منها». (٢)

وعنه عليه‌السلام أيضاً: «إنّ الله قال لآدم وزوجته: لاتقرباها، فقالا: نعم يا ربّنا لا نقربها، ولانأكل منها. ولم يستثنيا في قولهما: نعم، فوكلهما الله في ذلك إلى أنفسهما، وإلى ذكرهما». (٣)

وصادقيّ: «سمّي الإنسان إنساناً؛ لأنّه ينسى. قال الله تعالى: «ولقد عهدنا إلى ءَادم من قبلُ فَنسِيَ». (٤)

والنّسيان مرفوعٌ لاعقاب عليه، لعدم الاختيار، نعم إذا كان السّبب اختياريّاً، فلا يمنعه العقل، لأنّ الامتناع بالاختيار لاينافي الاختيار، وإليه تشير آية: «فمن اضطرّ غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه». (٥) فيثبت الإثم على المضطرّ الباغي والعادي.

أمّا إطلاق العصيان والغواية على آدم في آية: «وعصى ءَادم ربّه فغوىٰ». (٦) فحقّ إذ كان عليه الاهتمام الأكثر، حتّى لايقع فيما لاينبغي الوقوع فيه، وإن كان حال النّسيان لا إثم عليه لعدم توجّه

---

(١) طهٰ: ١١٥.

(٢) تفسير الصّافي: ٢/٧٩.

(٣) المصدر.

(٤) المصدر ص: ٧٩ - ٨٠.

(٥) البقرة: ١٧٣.

(٦) طهٰ: ١٢١.

الخطاب إلى النّاسي.

فالإطلاق باعتبار المقدّمة الاختياريّة، على أنّ آدم عليه السّلام لم يظنّ بمن يقسم بالله عزّ وجلّ كاذباً، وقد نسي كلّ ماقال الله تعالى له من نهي الشّجرة وغيره، و إليك بعض ما اقتصّه الله عزّ وجلّ عنه، حيث قال تعالى: «ويآدم اسكن أنت وزوجك الجنّة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشّجرة فتكونا من الظّٰلمين * فوسوس لهما الشيطٰن ليبدي لهما ماوُرِىَ عنهما من سوءٰتِهِما وقال ما نهٰكما ربّكما عن هذه الشّجرة إلاّ أنْ تكونا ملَكَيْن أوتكونا من الخٰلدين * وقاسمهما إنّي لكما لمن النّٰصحين * فدلّٰهما بغرورٍ فلّما ذاقا الشّجرة بَدَتْ لهما سوءٰتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة».(١)

إلى آخر الآيات الدّالّة على نهي الله عزّ وجلّ، والوعد الإبليسيّ له بالخلود، والقسم على ذلك. وبالنّتيجة وقوع آدم وحوّاء فيما لا يجدر بهما عليهما السّلام. والعقل قاضٍ بلزوم العصمة للأنبياء عليهم السّلام، وعليه لابدّ من تأويل ما ظاهره المنافاة؛ للبرهان القاطع العقليّ.

قال المعتزليّ: إن قيل: كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام تصريح بوقوع المعصية من آدم عليه السّلام.

الجواب: أمّا أصحابنا فإنَّهم لايمتنعون من إطلاق العصيان عليه، ويقولون: إنَّها كانت صغيرةً، وعندهم أنّ الصّغائر جائزةٌ على الأنبياء عليهم السّلام.

---

(١) الأعراف: ١٩ - ٢٣.

وأمّا الإماميّة فيقولون: إنّ النّهي كان نهي تنزيهٍ، لانهي تحريمٍ، لأنَّهم لايُجيزون على الأنبياء الغلط والخطأ، لاكبيراً ولاصغيراً. وظواهر هذه الألفاظ تشهد بخلاف قولهم. (١) نعم لولا الدّليل العقليّ على العصمة. والبحث مُشبعٌ في محلّه.

ثمّ إن قلنا: إنّ البيع مبادلة خاصّة، لا تشمل بيع اليقين بالشّكَ، لفقدالعين المعتبرة فيه، كان تمثيلاً. والمختار عندنا الشّمول؛ لأنّ أسماء الأجناس ـومنها البيعـ موضوعةٌ للطّبائع الكلّيّة المشتركة المطبّقة على أفرادها، كالإنسان المشترك الكلّيّ المطبّق على جزئيّاته، وباقي البحث في الأصول ـفيكون مثلاً إطلاقاً، ونظيره المَثَل السّائر: (باع كَرْمَه، واشترى مِعْصَرَةً) (٢).(باع دينه بدنياه، أوبدنيا غيره).(٣)(البيع مرتخصٌ وغالٍ) (٤).

---

(١) شرح النّهج: ١٠٣/١.

(٢) مجمع الأمثال: ١٢٠/١، حرف الباء.

(٣) الوسائل: ٣٢٩/١١، في نبويّ، وفي غررالحكم: ص١٥٠، في علويّ: «بئس الرّجل مَنْ باع دينه بدنيا غيره».

(٤) الفاخر: ١٦٢.

٢٥ ـ باحتمال المُؤَنِ يجبُ السّؤْدُدُ

قال عليه السّلام:

«بكثرة الصّمت تكون الهيبة، وبالنّصَفة يكثُر المواصلون، وبالإفضال تعظّم الأقدار، وبالتّواضع تتمّ النّعمة، وباحتمال المُؤَنِ يجب السُّؤْدُدُ، وبالسّيرة العادِلة يقهر المناوئ، وبالحِلْم عن السّفيه تكثُر الأنصار عليه». (١)

سبع كلمات حكميّة، لكلّ واحدةٍ منهنّ تفسير يخصّها.

قال المعتزليّ: ولا سؤدُد إلاّ باحتمال المُؤَن، كما قال أبوتمّام:

والحمد شَهْدٌ لا ترى مشتاره ... يجنيه إلاّ مِنْ نقيع الحنظل
غُلٌّ لحامله ويحسبه الّذي ... لم يُوه عاتقه خفيف المحمل (٢)

ليس كلّ نَفْسٍ تحتمل الصّعاب في سبيل راحة النّاس، ومِنْ ثَمّ

---

(١) النّهج: ١٩/٤٨، الحكمة: ٢٢٠.

(٢) شرح النّهج: ١٩/٤٨.

جاء في صفات المؤمن: «نفسه في تعب، والنّاس منه في راحةٍ، وخيره مأمول، وشرّه مأمون».(١)

وقبل كلّ شيءٍ قوله تعالى: «وجعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآيـٰتنا يوقنون».(٢)

فانظر كيف كان عاقبة صبرهم على احتمال الصّعاب والمُؤَن، أن جعلهم الله عزّ وجلّ قدوةً للنّاس، يدعونهم إليه تعالى. فالصّبر يوجب السّؤدُد والتّقدّم والرّفعة بين النّاس، وأيّ سؤدُدٍ أرفع مِنْ جَعْلِهِم أئمّةً، يهدون بأمره عزّ وجلّ؛ ومن هٰهنا تعرف ما للأئمّة المعصومين عليهم السّلام من رفعةٍ و سؤددٍ ربّانيٍّ، بين خلق الأوّلين والآخرين.

ولمحتمل المُؤَن مراتب عاليات ودانيات، وللكلّ فضلٌ، حتّى المتحمّل في دار من أذى الجار، الإحسان إليه بدل المكافأة، فإنّه السّيّد في منطقته، لأجل قوّة احتمال الأذىٰ، وهكذا المحتمل من عشيرته وأصحابه أو أمّته، كماجاء الحديث النّبويّ:

«ما أوذي أحدٌ مثل ما أوذيتُ». (٣)

فكما أنّ أذاه صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يحتمله غيره، من نبيٍّ أوغيره، كذلك لايداني سُؤدُدَه سؤدُدٌ. فهو سيّد البشر جميعاً، ومِنْ بَعده وصيّه عليّ بن أبي طالب، وَوُلْدُه الطّاهرون عليهم السّلام.

---

(١) الوسائل: ١١/١٤٣.

(٢) السّجدة: ٢٤.

(٣) الجامع الصّغير: ٢/١٤٤.

فالإمام عليه السّلام عندما يقول: «وباحتمال المُؤَن يجب السّؤدُدُ»، هو من أجلى مظاهره، وكذا خواصّ أصحابه المحتملون الأذىٰ في سبيل الله عزّ وجلّ، لهم السّيادة في الدّنيا والآخرة.

ويماثل المثل المبحوث عنه المثل السّائر: (السّؤدُدُ مع السّواد)، (١): أي مع احتمال أذاهم.

٢٦ ـ بعد اللُّتيا والّتي

قال عليه السّلام في خطبة له:

«.. وإن أَقُلْ يقولوا: حَرَصَ على المُلْك، وإن أسكُتْ يقولوا: جَزِعَ من الموت. هيهات بعد اللُّتيا والّتي، والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطّفل بثدي أمّه...». (٢)

وهو من الأمثال الجارية على الألسن، تَمثَّلَ به الإمام عليه السّلام حين مُني بأصحابه المتمرّدين.

و(اللُّتيا): تصغير الّتي، كما أن اللُّذيا تصغير الّذي. وفي القاموس: بفتح اللاّم المشدّدة وضمّها. وهيهات، لظنّهم فيه الجزع: أي أَبَعد اللُّتيا والّتي أجزع؟! أَبَعد أن قاسيتُ الأهوال الكِبار والصّغار، ومُنيتُ بكلّ

---

(١) مجمع الأمثال: ٣٥٧/١، حرف السّين.

(٢) النّهج: ٢١٣/١، ط ٥

داهيةٍ عظيمةٍ وصغيرةٍ فاللُّتيا للصّغيرة، والّتي للكبيرة. (١)

ومن الامثال السّائرة قولهم: (بعد اللُّتيا والّتي)، كما جاء ذكره في فهرس أمثال النّهاية. (٢)

وقال الميدانيّ بعد ذكر المَثَل: هما الدّاهية الكبيرة والصّغيرة، وكنّى عن الكبيرة بلفظ التّصغير، تشبيهاً بالحيّة، فإنّها إذا كثر سُمّها صغرت، لأن السُمَّ يأكل جسدها.

وقيل: الأصل فيه أنّ رجلاً مِن جَديس تَزَوّج امرأةً قصيرةً، فقاسىٰ منها الشّدائد، وكان يعبّر عنها بالتّصغير. فتزوّج امرأةً طويلةً، فقاسىٰ منها ضعف ما قاسىٰ من الصّغيرة، فطلّقها، وقال: بعد اللُّتيا والّتي، لا أتزوّج أبداً، فجرى ذلك على الدّاهية.

وقيل: إنّ العرب تصغّر الشّيء العظيم، كالدُّهيم، واللُّهيم، وذلك منهم رَمْزٌ. (٣)

وهو مثلٌ سائرٌ، يضرب لأمرين داهيتين، إحداهما أدهىٰ من الأخرى.

يريد عليه السّلام بالقول: مطالبة الخلافة من الشّيخين، إذا طالبها بها، قال النّاس: حَرَصَ على المُلك الدّنيويّ، أَتَرىٰ حين تقمّصاها، لِمَ لايقولوا لهما: حَرَصْتما على المُلك؟!

---

(١) شرح النّهج: ٢١٤/١.

(٢) ج: ٣٥٢/٥.

(٣) مجمع الأمثال: ٩٢/١، حرف الباء.

ويقولون ذلك لأميرالمؤمنين عليه السّلام، وهو على حدّ أن يقولوه لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ لأنّ النّبوّة والخلافة كلتاهما أمر سماويّ.

حرف التّاء

٢٧ ـ تُرسل في غير سدد

من كلامٍ له عليه السّلام لبعض أصحابه ، وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام، وأنتم أحقّ به؟ فقال عليه السّلام:

«يا أخا بني أسد! إنّك لقلق الوضين، تُرسل في غير سدد، ولك بعدُ ذمامة الصّهر، وحقّ المسألة، وقد استعْلَمتَ فاعلم... ...».(١)

عند التّكلّم على المَثَل: «وَدَعْ عنك نهباً صيح في حجراته» ذكرنا بعض كلام الإمام عليه السّلام .(٢)

القلق: الانزعاج. والوضين: حزام الرّحل، ومنه البيت الّذي تمثّل به النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عند إفاضته من عرفات، على مارُوِي:

إليك تعدو قَلَقاً وضينها مخالفاً دين النّصارىٰ دينها. (٣)

---

(١) النّهج: ٩/٢٤١.

(٢) حرف الواو مع الدّال.

(٣) النّهاية: في (قلق).

والإرسال في غير سدد: التّكلّم في غير قصد، وغير صواب. والاستداد والسّدد: الاستقامة. (١)

وحاصل الكلام العلويّ: إنّك أيّها الأسديّ! قلق الخاطر، ومضطرب الحزام. والحزام لايضطرب إلاّ وأنّ صاحبه مضطرب الفكر، فيضطرب بدنه، وحزامه بالتّبع.

ويسبّب الإرسال في غير سَددٍ فقد الاستقامة في الكلام، فيأتي بغير الصّواب؛ والعامل لاضطراب البدن، وخبط الكلام، هو تقلقل الفكر، واضطرابه، فيأتي بما لايضْمَن الصّواب، ويكون كالمتهافت في الشّيء، على حدّ المَثَل السّائر: (يخبط خبط عشواء)، يضرب للمتهافت في الشّيء، كما قاله الميداني. (٢) أو: «كحاطب ليلٍ»، يضرب مثلاً للرّجل يجمع كلّ شيء، ولا يميّز بين الجيّد من الرّديء. والحاطب الّذي يجمع الحطب، وإذا حَطَب باللّيل جمع في حبله الحيّة والعقرب، على ما في جمهرة العسكريّ. (٣)

وفي المقام ربّما كان الكلام كالحيّة والعقرب، إذا لم يكن صواباً وسداداً. فحال المُرسل في الكلام حال الحاطب في اللّيل.

وجملة: «تُرسل في غير سَدَد» صالحة للتمثّل بها، وضربها للمهذار، وللقائل المضطرب. ونظيره أيضاً قولهم:

---

(١) شرح النّهج: ٢٤٢/٩.

(٢) مجمع الأمثال: ٤١٤/٢، حرف الياء.

(٣) على هامش مجمع الأمثال: ١٤٧/٢.

(أَخبط من حاطب ليل)،و (أخبط من عشواء).(١)

ثمّ مسألة الخلافة الّتي سأل الأسديّ أميرالمؤمنين عليه‌السّلام عنها هي من أهمّ المسائل المذهبيّة، عند الجعفريّ والسّنّي. فتجد الشّارح المعتزليّ حينما يتناول هذا الكلام يجتهد في صرفه إلى مايوافق مذهبه، مهما كان له من ظهورٍ، أو صراحةٍ على مذهب الإماميّة. فلو حاولتُ نقل مواضع اجتهاده لخرج بناعن البحث، و إليك بعض المواضع من نفس الكلام الجاري. قال عليه‌السّلام: «وقد استعْلَمْتَ فاعلم، أمّا الاستبداد علينا، ونحن الأعلون نسباً، والأشدّون بالرّسول صلّى الله عليه ـوآله ـوسلّم نَوْطاً، (٢) فإنّها كانت أثَرَةً، شحّت عليها نفوس قومٍ، وسخت عنها نفوس آخرين، والحكم الله، والمعود إليه يوم القيامة». (٣)

قال المعتزليّ: ويعني بالنّفوس الّتي سَخَتْ: نَفْسَه، وبالنّفوس الّتي شحّت: امّا على قولنا، فإنّه يعني: نفوس أهل الشّورى بعد مقتل عمر، وأمّا على قول الإماميّة: فنفوس أهل السقيفة، وليس في الخبر ما يقتضي صرف ذلك إليهم، فالأَولى أن يحمل على ماظهر عنه من تألّمه من عبدالرّحمن بن عوف، وميله إلى عثمان. (٤)

---

(١) مجمع الأمثال: ١/ ٢٦١، رقم المثل: ١٣٧٦، و ١٣٧٧.

(٢) النّوْط: الاتّصال.

(٣) النّهج: ٢٤١/٩، كلام:١٦٣.

(٤) شرح النّهج: ٢٤٣/٩.

لايخفى أنّ الشّيخ المفيد رحمه الله روى كلام الإمام عليه‌السّلام في الفصول المختارة: ص٤٦.

حكّم عقلك بعد الإحاطة بكلامه عليه السّلام، وبما قاله في آخره: «والحكم الله، والمعود إليه يوم القيامة».

وهل سؤال الأسديّ كان عن إحدى الطّائفتين، حتّى يطابق الجواب السّؤال، أوكان عن أصل الخلافة، فيكون الجواب طبقاً له؟

حكّم عقلك، ثمّ اقض بما شئت. والحكم الله، والمعود إليه يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

٢٨ ـ تزول الجبال ولا تزُلْ

من كلام له عليه السّلام لابنه محمّد بن الحنفيّة لمّا أعطاه الرّاية يوم الجمل:

«تزول الجبال، ولا تزُل، عضّ على ناجذك، أعِرِ الله جُمْجُمَتَكَ، تِدْ في الأَرض قدمك، اِرمِ ببصرك أقصى القوم، وغضّ بصرك؛ واعلم أنّ النّصر من عند الله سبحانه». (١)

الخطاب عامّ، وإن كان المخاطب ابن الحنفيّة، إذ هو سبب صدوره، وأنّه من أفراده، كبقيّة الخطابات غير المقصورة على مورد الصّدور.

قد حوى الخطاب العلويّ على مهامّ آداب الحرب. وهي سبعة:

الأوّل: الثّبات فيها، قال تعالى: «يـٰأَيّها الّذين ءَامنوا إذا لقيتم فئةً

---

(١) النّهج: ٢٤١/١، كلام: ١١.

فاثبتوا ». (١) «وليربط على قلوبكم ويثبّت بهِ الأَقْدام» (٢)؛ ومن هنا حسن التّمثيل بالجبال الّتي لاتحرّكها القواصف، لثبوتها وعدم زوالها. وزاد الإمام عليه السّلام فرض زوالها بفرض المحال العاديّ في مبالغة الثّبات في ميدان الحرب بقوله: «تزول الجبال، ولا تزُل»: أي إن زالت، فلا تزُل أَنْتَ، وَاثْبت بدون فرارٍ أو تحرّفٍ.

ومن شأن الجبال الثّبوت لثقلها، وقد ضربت أمثالٌ سائرةٌ في الجبل. قالت العرب: (أثقل من شمام)، قال الميدانيّ: وهو مبنيّ على الكسر عند الحجازيّين، وهو جبل له رأسان، يسمّيان: (ابنَيْ شمام). قال لبيد:

فهل نبّئت عن أخويْن داما على الأَحداث إلاّ ابنَيْ شمامِ

(أَثقل من نضادَ) هذا أيضاً جبل بالعالية:

لوكان مِنْ حَضَن تَضاءَلَ ركنه أو من نضادَ بكى عليه نضادُ

(أثقل من عمايَةَ) هي جبل بالبحرين من جبال هُذيل. (أثقل من أُحُد) هو جبل بيثرب، معروف مشهور. (أثقل من دمخ الدّماخ) هو

---

(١) الأنفال: ٤٥.

(٢) الأنفال: ١١.

جبل من جبال ضخام في حمى ضريّة، والدّماخ: اسم لتلك الجبال. (١)، وأصرحها دلالةً على الثّبوت قوله عليه السّلام: «كالجبل لا تُحرّكه القواصف، ولا تُزيله العواصف». (٢)

الثّاني من آداب الحرب: عضّ النّاجذ، وهو أقصى الأضراس، و به ينبو السّيف عن الدّماغ. كما قال عليه السّلام: «وعضّوا على النّواجذ، فإنَّه أنبى للسّيوف عن الهام». (٣)

الثّالث: إعارة الله جلّ جلاله الجمجمة، كناية عن بذلها في طاعته، ليردّها عليه، إمّا في الدّنيا بالنّصر، أوالآخرة ثواب الشّهداء.

الرّابع: وتد القدم في أرض المعركة، ويراد به: الرّسوخ فيها، وهو تأكيد في عدم الزّوال المتقدّم بيانه في الأوّل.

الخامس: رمي البصر إلى أقصى المحاربين.

السّادس: غضّ البصر. قال المعتزليّ: ولا تناقض بين قوله -عليه السّلام-: (ارم ببصرك) وقوله: (غضّ بصرك)؛ وذلك لأنّه في الأولى أمَرَه أن يفتح عينه، و يرفع طَرْفه، ويحدّق إلى أقاصي القوم ببصره، فعل الشّجاع المِقدام، غير المكترث، ولا المبالي؛ لأنّ الجبان تضعف نفسه، ويخفق قلبه، فيقصر بصره، و يدهش، ويستشر خوفاً. فكأنّه -عليه السّلام- قال: إذا عزَمْتَ على الحملة ، وصمّمت، فغضّ حينئذٍ

---

(١) مجمع الأمثال: ١/١٥٥ - ١٥٦، حرف الثّاء.

(٢) النّهج: ٢/٢٨٤، الخطبة: ٣٧، وحرف الكاف مع الجيم.

(٣) النّهج: ٥/١٦٨، الخطبة: ٦٥.

بصرك، واحمل، وكن كالعشواء الّتي تخبط ما أمامها، ولا تبالي.(١)

السّابع: اليقين بأنّ النّصر هو من عندالله عزّ وجلّ، لابساعده وبسالته. فإنّه كم من كميٍّ باسلٍ صُرع في المعركة.

ولئن ذكر عليه السّلام هذهِ الآداب الحربيّة لغيره، فإنّها قد تجمّعت فيه بأعلى مراتبها، وأقصاها. وهوالّذي يضرب به الأمثال في الحروب؛ وكانت شجعان العرب تفتخر أن ترى مصرعها بيده. هذه أخت عمروبن ودّ قائلة: كانت منيّته على يد كفوٍ كريمٍ من قومه، ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر!! ثمّ أنشأت تقول:

* لوكان قاتل عمرٍ غير قاتله *

الأبيات (٢).

(١) شرح النّهج: ١/٢٤١ - ٢٤٢.

(٢) إرشاد الشّيخ المفيد: ٥٧. شرح النّهج: ١/٢٠، فلاحظ.

٢٩ ـ تَعُجُّ منه المواريثُ

من كلامه عليه السّلام في وصف فاقد الأهليّة لمنصب القضاء بين النّاس:

«تصرخ من جور قضائه الدِّماء، وتعجّ منه المواريث، إلى الله أشكو من معشرٍ يعيشون جُهّالاً، ويموتون ضُلّالاً». (١)

صرخ يصرخ، من باب (قتل)، صراخاً، وهو: الصّياح باستغاثة وجدّ وشدّة، وفي الدّعاء: «يا صريخ المستصرخين». (٢)

وتعجّ من العجّ: أي رفع الصّوت، وفي حديث جبرئيل: «يا محمّد! مُرْ أصحابك بالعَجّ والثّجّ»: أي رفع الصّوت في التّلبية. والثّجّ: إسالة الدّماء من الذّبح والنَّحر في الأضاحي. (٣) وقد جمع الصّراخ والعجّ مع الضّجّ في دعاء النّدبة: «وليصرخ الصّارخون، ويضجّ الضّاجّون، ويعجّ العاجّون». (٤)

---

(١) النّهج: ١/٢٨٣ ـ ٢٨٤، كلام: ١٧.

(٢) مجمع البحرين في (صَرَخ).

(٣) مجمع البحرين: في (عجج). والنّهاية كذلك.

(٤) مفاتيح الجنان: ٥٣٥.

قال ابن فارس: العين والجيم أصل واحد يدلّ على ارتفاع في شيءٍ من صوت، أوغبار، وما أشبه ذلك، من ذلك، العجّ: رفع الصوت، عجّوا بالدّعاء، إذا رفعوا أصواتهم. وفي الحديث: «أفضل الحجِّ: العَجُّ والثّجّ». قال ورقة:

ولوجاً في الذّي كَرِهتْ مَعدّ ولو عَجَّتْ بمكّتها عَجيجاً

أراد: دخولاً في الدّين. وعجيح الماء: صوته، ومنه، النَّهر العجّاج، ويقولون: عجّت القوس: إذا صوّتت، قال:

تعجّ بالكفّ إذا الرّامي اعتزم ترنُّمَ الشّارف في أخرى النَّعَم

قال أبو زيد: عجّت الرّيح، وأعجّت، إذا اشتدّت وساقت التّراب. و ممّا يجري مجرى المَثَل والتّشبيه: (فلان يلقّ عجاجَتَه على فلان)، إذا أغار عليه، وكأنّ ذلك من عجاجة الحرب و غيرها قال الشّنفرى:

وإنّي لأهوى أن ألفّ عجاجتي على ذي كساءٍ من سلامان أو بُرد(١)

قيل: استعمال الصّراخ والعجّ في كلامه عليه السّلام من باب

---

(١) مقاييس اللّغة: في (عجج).

الاستعارة، أوالتّمثيل للدّم والميراث بإنسان قد ظُلم، وجير عليه، **ويستغيث من** ظلم ظالمه، وجور جائره. وليس الصّراخ والعجّ فيهما على **الحقيقة، إذ** لاصراخ للدّم، ولا عجيج للميراث.

وعليه فيكون من باب التّمثيل هذا، إن لم نقل بالاشتراك المعنويّ **في مادّة** الاشتقاق، بالإضافة إلى جميع مشتقّاتها. فمثلاً، الصّراخ والعجّ **بمعنى:** الصّوت الخاصّ، ورفعه لبثّ الحزن، مختلف حسب المقامات، والمراد منه: أنّ المهراق دمه، أو المأخوذ منه المال، بحكم قضاوةٍ باطلةٍ، يستغيث بطبع الحال، ويطلب القصاص، وإرجاع المال من الظّالم **الغاصب.**

٣٠ ـ تقصر دونها الأَنوق، ويحاذى بها العيّوق

من كتابه عليه السّلام إلى معاوية:

«... ... وقد أتاني كتاب منك، ذو أفانين من القول، ضعفت قواها عن السّلم، وأساطير لم يحكها عنك علم ولا حلم، أصبحت منها كالخائض في الدّهاس، والخابط في الدّيماس، وترقّيت إلى مرقبة بعيدة المرام، نازحة الأعلام، تقصر دونها الأنوق، ويحاذى بها العيّوق...».(١)

في كلامه عليه السّلام أكثر من تمثيل، يظهر بعد شرح مفرداته:

---

(١) النّهج: ٢٢/١٨، ك ٦٥.

أفانين القول: أساليبه المتنوّعة. وضعف قوى الأفانين عن السّلم: أي الإسلام،: أي عدم صدورها عن مسلمٍ، حيث طلب تولّيه العهد، وإبقاءه بالشّام رئيساً.

الأساطير جمع أسطورة: الأباطيل. حوكها: نظمها. والدّهاس بالكسر جمع دَهْس، وبالفتح مفرد، وهو: المكان السّهل، ليس هو بتراب ولاطين. والدّيماس بالكسر: السَّرَب المظلم تحت الأرض.

والمرقبة: الموضع العالي، يراقب عليه. والأعلام جمع علم: مايهتدى به في الطّرقات. والأَنوق بالفتح: طائر، وهو الرّخمة. وفي المَثَل: (أعزّ من بيض الأَنوق)، (١) لأنّها تحرزه، لايظفر به أحد. والعيّوق: كوكبٌ فوق زحل في العلوّ: أي أنت بكتابك المشتمل على دعاوٍ باطلةٍ، لا تصدر عن مسلمٍ، ولا يحكى عن علم وحلم كاتبه؛ لست إلّا كالخائض في أرض رخوةٍ، يقوم ويقع، والخابط في نفق مظلم، لايهتدي الطّريق.

سمت همّتك إلى الخلافة، وهي منك بموضعٍ مرتفعٍ عالٍ، لاسبيل إليه ولا أعلام تهتدي بها، وهي كالرّخمة الّتي لايظفر ببيضها، والكوكب الّذي فوق الكواكب كلّها؛ وكيف ترومها؟! (٢)

ضربت هذه الأمثال، لبُعد معاوية عن الخلافة الّتي يريدها. يضرب المَثَل المذكور لقصور طالب الشّيء، وفي معنى المَثَلَيْن قولهم: (دونه بيض الأنوق) و(دونه العيّوق) (٣).

---

(١) مجمع الأمثال: ٢/٤٤، حرف العين.

(٢) تلخيص من شرح النّهج: ١٨/٢٥ - ٢٧.

(٣) مجمع الأمثال: ١/٢٦٥،حرف الدّال.

٣١ ـ التّقوىٰ مطايا ذُلُلٌ حُمل عليها أهلها

في خطبة له عليه السّلام:

«ألا وإن الخطايا خيلٌ شُمُسٌ، حُمل عليها أهلها، وخلعت لُجُمها، فتقحّمت بهم في النّار، ألا، وإنّ التّقوىٰ مطايا ذُلُلٌ، حُمل عليها أهلها، وأُعطوا أزمّتها، فأوْرَدتْهم الجنّة». (١)

تمثيلان تكلّمنا على أوّلها(٢) الخاصّ بالذّنوب. وأمّا الثّاني فقد جاء في القرآن الكريم، أنّ التّقوىٰ خير الزّاد، وهو قوله عزّ وجلّ: «وتزوّدوا فإنّ خيرالزّاد التّقوى». (٣) بناءً على أنّه تمثيل بزاد المسافر الّذي هو من أهمّ لوازم السّفر.

وقد تناول التّنزيل التّقوىٰ بما لها من مشتقّات في مائتين وستّين موضعاً. ولا تجد أجمع تعريف للتّقوىٰ، وأوجزه، كقوله تعالى: «والّذي جاء بالصّدق وصدّق به أُوْلٰئِك هم المتّقون»؛ (٤) لأنّه اشتمل على إيجاز

---

(١) النّهج: ١/٢٧٢، ط ١٦.

(٢) حرف الخاء مع الطّاء.

(٣) البقرة: ١٩٧.

(٤) الزّمر: ٣٣.

بليغ، وتعريف مطّرد، منعكس لها، بحيث لم يجئ الإنسان بالصّدق والتّصديق، إلاّ والتّقوىٰ تلازمه، ويلازمها.

وكلمة: (جاء بالصّدق) إشارة إلى عدم قصر الصّدق على القول، و إلاّ لقال تعالى: (والّذي صدق)، فيعمّ الفعل والقصد وكلّ حركة وسكون. فمن كان صادقاً قولاً، وعملاً، ونيّةً، بل في كلّ حركة تصدر منه، أوسكون؛ فهو في غاية التّقوىٰ. ومن ثَمَّ فسّر بالأنبياء عليهم السّلام؛ لأنّه العصمة، لايستطيع سائر النّاس ذلك. ولكنّ الآية لها إطلاقها المنطبق على كلّ من كان كذلك من البشر، فتدبّر.

فلو لم يكن لبيان التّقوىٰ والمتّقي إلاّ قوله تعالى: بأنّها خير الزّاد، وأنّ الجائي بالصّدق، المصّدق بالصّدق، وهو المتّقي، لكفى مقياساً كاملاً لمن أراد أن يذّكّر أو أراد أن يعرف كيف يتّقي؟ ومَنْ هو المتّقي؟ وما هي نتيجة التّقوى في سفرالآخرة، وهو السّفر إلى الله جلّ جلاله؟.

ولا ينال ماعندالله تعالى، ولا ولاية أهل البيت عليهم السّلام إلاّ بالتّقوى. «إن أولياؤه إلاّ المتّقون». (١) وإن كان تعليلاً لقوله تعالى: «وما كانواأولياءه»، (٢) : أي البيت الحرام؛ لأنّه مبنيّ على تقوىٰ، فلا يلي أمره إلاّ المتّقون.

إلاّ أنّ أهل البيت عليهم السّلام بما أنّهم أمرآء المتّقين، لم يكن أولياؤهم إلاّ المتّقين، بمناسبة الحكم والموضوع. ويشهد لذلك قول

---

(١) الأنفال: ٣٤.

(٢) الأنفال: ٣٤.

الصّادق عليه السّلام: «يا خَيثمة! إنّا لا نُغني عنهم من الله شيئاً، إلاّ بالعمل الصّالح، فإنّ ولايتنا لا تنال إلاّ بالورع». (١) «ولباس التّقوىٰ ذٰلك خير». (٢) ترى المَثَل الرائع، حيث جعل التّقوىٰ في ملازمتها للإنسان لزوم اللّباس له، ستراً للعورة، وحفظاً من الحرّ والقرّ، وزينةً ووقاراً.

وأمّا التّمثيل العلويّ بأنّ التّقوى مطايا سهلة الرّكوب يتوصّل بها حاملها إلى مآربه قد ملك زمامها يسيرعليها إلى الجنّة بعزٍّ وافتخار. فهو ما يجده كلّ متّقٍ عياناً لاٰ يُفتقر إلى بيان.

٣٢ ـ تميد بأهلها ميدان السّفينة

من خطبة له عليه السّلام:

«بَعَثَهُ حين لاعلم قائم، ولامنار ساطع، ولا منهج واضح؛ أوصيكم عبادالله بتقوى الله، وأحذّركم الدّنيا، فإنّها دارشخوص، ومحلّة التّنغيص ساكنها ظاعن، وقاطنها بائنٌ، تميد بأهلها ميدان السّفينة، تقصفها القواصف في لجج البحار، فمنهم الغَرِقُ الوَبِقُ، ومنهم النّاجي على بطون الأمواج، تحفزه الرّياح بأذيالها، وتحمله على أهوالها؛ فما غرق منها فليس

---

(١) الوسائل: ٤٠٠/٨.

(٢) الأعراف: ٢٦. وفي آخر الآية: «ذٰلك من ءايٰت الله لعلّهم يذّكّرون».

بمستدرك ، وما نجامنها فإلى مهلك ». (١)

كم من خطبة لأمير المؤمنين عليه السّلام، يصف فيها الدّنيا ويكشف عن حقيقتها للنّاس، ويضرب لهم الأمثال، ومنها المَثَل المذكور في هذه الخطبة، حيث ضَرَبَ عليه السّلام لأهل الدّنيا مَثَلاً براكبي السّفينة في البحر، وقد مادت بهم. فمنهم الهالك على الفور، ومنهم من لايتعجّل هلاكه، وتحمله الرّياح ساعة أو ساعات، ثمّ مآله إلى الهلاك أيضاً.

قبل أن يشرح الشّارح المَثَل العلويّ، شرح صدر الكلام، يقول: بعث الله سبحانه محمّداً صلّى الله عليه وآله ـ وسلّم ـ لمّا لم يبق عَلَم يهتدي به المكلّفون؛ لأنّه كان زمان الفترة، وتبدّل المصلحة، واقتضاء وجوب اللّطف عليه سبحانه تجديداً لبعثته؛ ليعرّف المبعوثُ المكلّفين الأفعال الّتي تقرّبهم من فعل الواجبات العقليّة، وتبعدهم عن المقبّحات العقليّة.

والمنار السّاطع: المرتفع، سطع الصّبح سطوعاً: ارتفع. ودار شخوص: دار رحلة. والظّاعن: المسافر. والقاطن: المقيم. والبائن: البعيد. يقول: ساكن الدّنيا ليس بساكن على الحقيقة، بل هو ظاعن في المعنى، وإن كان في الصّورة ساكناً. والمقيم بها مفارق، وإن ظنّ أنه مقيم. وتميد بأهلها: تتحرك وتميل. والميدان: حركة واضطراب. (٢)

---

(١) النهج: ١٠/١٧٦، الخطبة: ١٨٩.

(٢) شرح النّهج: ١٠/١٧٦ - ١٧٧.

وإنّما يحذّر العباد عن الدّنيا وغرورها، بما قد أخذ عليه السّلام قبل التّحذير حِذره، ويوصيهم بتقوى الله. وهو إمام المتّقين، ورأس الزّهد والتّقوى.

قال الشّارح: وأما الزّهد في الدّنيا، فهو سيّد الزّهّاد، وبدل الأبدال، وإليه تشدّ الرّحال، وعنده تنفضّ الأحلاس؛ ما شبع من طعام قطّ، وكان أخشن النّاس مأكلاً وملبساً.

قال عبدالله بن رافع: «دخلت إليه يوم عيد، فقدّم جراباً مختوماً، فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً، فقدّم، فأكل، فقلت: يا أميرالمؤمنين! فكيف تختمه؟ قال: خفتُ هٰذين الولَديْن أن يلتّاه بسمنٍ أو زيتٍ».(١)

إنّه اقتدى بأخيه رسول الله صلّى الله عليهما وآلهما وسلّم، ولقد كان نبيّ الزّهّاد، كما أنّ عليّ بن أبي طالب إمامهم، بل وفاطمة الزّهراء والأحد عشر بهما مقتدون عليهم السّلام، بل هو ديدن شيعتهم الصّادقين في تشيّعهم إلى يوم القيامة.

ثُمّ تشبيه الدّنيا بالبحر الموبق، لاينجي راكبه والسّفينة الدّنيويّة، المائدة بأهلها. بل هنا سفينة، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق وهوى، وهي أهل بيت الرّسول صلّى الله عليهم وسلّم. كما في النّبويّ المتّفِق على نقله الفريقان: «مَثَلُ أهل بيتي كمَثَل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها زجّ في النّار».

---

(١) شرح النّهج: ٢٦/١.

ولمّا رأيت النّاس قد ذهبت بهم مذاهبهم في أبحر الغيّ والجهل
ركبت على اسم الله في سفن النّجا وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرّسل(١).

(١) الأمثال النّبويّة: ٢/١٧٩، وهامشه، رقم المَثَل: ٤٨٨، حرف الميم مع الثّاء.

حرف الثّاء

٣٣ ـ ثكلتك أمّك

قال عليه السّلام لقائل، قال بحضرته: أستغفرالله:

«ثكلتك أمّك! أتدري ما الاستغفار؟! إنّ للاستغفار درجة العلّيّين، وهو اسم واقع على ستّة معان:

أوّلها: النّدم على ما مضىٰ، الثّاني: العزم على ترك العود إليه أبداً، والثّالث: أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم، حتّىٰ تلقى الله عزّ وجلّ أملس ليس عليك تبعة، والرّابع: أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها، فتؤدّي حقّها، والخامس: أن تعمد إلى اللّحم الّذي نبت على السّحت، فتُذيبه بالأحزان حتّىٰ تُلصق الجلد بالعظم، وينشأ بينهما لحم جديد، السّادس: أن تذيق الجسم ألَمَ الطّاعة، كما أذقته حلاوة المعصية؛ فعند ذلك تقول: أستغفرالله».(١)

قوله عليه السّلام: «ثكلتك أمّك» من المَثَل السّائر؛ قال الميدانيّ: (ثكلتك أمّك أيَّ جَرْد ترقع).الجرد: الثّوب الخلق، يقال: ثوب سحق

---

(١) النّهج: ٢٠/٥٦، الحكمة: ٤٢٥.

وجَرْد: أي خَلَق. ونصب (أُمِّي) بترقع.

يضرب لمن يطلب ما لانفع له فيه. (١) و ما نحن فيه للدّعاء على الإنسان، و مثله: (ثكلتك الجَثَل): أي صاحبة الشّعر الكثير من الأمّ، أو غيرها من قومه.

راجع المَثَل: «يا أمّه اثكليه». (٢)

ومنه المَثَل: (ثكلتك الرّعْبَل): أي الخرقاء، من رعبل الثّوب، إذا خرقه، يعني: أمّه. يضرب في دعاء الشّرّ. (٣) وقد أشبعنا البحث عند المَثَل: «هبلتك الهبول». (٤)

والمراد منه هنا: الرّدع عن التّلفّظ بكلمة الاستغفار، والغفلة عن حقيقة معناه، و أنّه ليس من مقولة اللّفظ، بل الاستغفار اسم واقع على حقيقةٍ حاصلةٍ من ستّة أمور، لولاها لما كان استغفاراً: النّدم على الماضي، والعزم على ترك العود، وأداء حقوق المخلوق والخالق عزّ وجلّ، وإذابة اللّحم النّابت من السّحت بالأحزان، وإذاقة الجسم ألم الطّاعة؛ فإذا فعل ذلك كلّه، ثمّ قال: أستغفرالله، كان صادقاً في استغفاره، وإلاّ فهو كاذب لاغٍ.

والشّرط الأوّل إذا صدق فيه، تحقّق الثّاني، وفرغ للثّالث والرّابع، ويتبع ذلك كلّه الخامس والسّادس. فإنّ هذهِ الأمور السّتّة يتبع بعضها

---

(١) مجمع الأمثال: ١/١٥٥، حرف الثّاء.

(٢) الياء مع الألف من الأمثال العلويّة.

(٣) المستقصى: ١/٣٤.

(٤) حرف الهاء مع الباء.

بعضاً، لا أنّها أمورٌ متباينة،

والعلّة في ذلك أنّ العبد إذا خاف مقام ربّه ، قام بتلك الأمور، وجاءه الشّوق إلى لقاءالله تعالى. والمشتاق إليه نادم على كلّ مامضى منه في سبيل غيره، وصرف همّه فيه، وودّع ماسواه بردّالحقوق. فيُشعل الحبّ نارالفراق، فيحترق منه الجسد، ويبقى هزيلاً ناحلاً، ليس له إلاّ الله همّ، وترك العالم وكلّ بني آدم لأجله تعالى.

حرف الجيم

٣٤ ـ جاءَ بأمرٍ لَمْ يُعرَفْ بابُهُ

من كلام له عليه السّلام في معنى طلحة بن عبيدالله، أوّله:

«قد كنت وما أهدّد بالحرب...، ... ووالله ما صَنَعَ في أمر عثمان واحدة من ثلاث: لئن كان ابن عفّان ظالماً ـ كما كان يزعم ـ لقد كان ينبغي له أن يوازر قاتليه، وأن ينابذ ناصريه. ولئن كان مظلوماً، لقد كان ينبغي له أن يكون من المُنَهْنِهينَ عنْه، والمعذِّرين فيه. ولئن كان في شكٍّ من الخصلتين، لقد كان ينبغي له أن يعتزله، ويَرْكُدَ جانباً، ويَدَعَ النّاس معه.

فما فَعَلَ واحدةً مِن الثّلاث؛ وجاء بأمرٍ لم يُعْرف بابُهُ، ولم تَسْلَم معاذيرُهُ». (١)

(١) النّهج: ٣/١٠، كلام:١٧٥.

في شرح قوله عليه السّلام: «قد كنت وما أهدّد بالحرب...» قال المعتزليّ: أي خلقتُ، وَوُجِدتُ وأنا بهذه الصّفة، كما تقول: خلقني الله وأنا شجاعٌ؛ كما في المَثَل: (لقد كنتُ وما أُخَشّى بالذّئب). (١) وبقيّة المَثَل (فاليوم قيل: الذّئب الذّئب). قال الميدانيّ: المثل لقباث بن أشَيْم الكنانيّ، عَمَرَ حتّى أنكروا عقله... (٢)

ثمّ شرح المعتزليّ حال طلحة، وقال: إنّه تجرّد للطّلب بدم عثمان، مغالطةً للنّاس، وإيهاماً لهم أنَّه بريءٌ من دمه، فيلتبس الأمر، ويقع الشّكّ. وقد كان طلحة أجهد نفسه في أمر عثمان، والإجلاب عليه، والحصر له، والإعزاء به، ومنّتْهُ نفسُه الخلافة؛ بل تلبّس بها وتسلّم بيوت الأموال، وأخذ مفاتيحها، وقاتل النّاس، وأحدقوا به، ولم يبق إلّا أن يصفق بالخلافة على يده. (٣)

مَنْ شاء تفصيل تلبيس الأمر منه على النّاس، وأنّه مناوىءٌ، أو ناصرٌ، فلينظر الشّرح.

ويماثل المَثَل مِنْ بعض الوجوه المَثَل: (جاء ثانياً مِنْ عنانِهِ)، إذا جاء ولم يقدر على حاجته، قاله ابن رفاعة. (٤) و(جاء بإحدى بَناتِ طَبَق)، بنت طَبَق: سلحفاة. تزعم العرب أنّها تبيض تسعاً وتسعين

---

(١) شرح النّهج: ٤/١٠.

(٢) مجمع الأمثال: ١٨٠/٢، حرف اللاّم.

(٣) شرح النّهج: ٤/١٠ - ٩.

(٤) مجمع الأمثال: ١٦٤/١، حرف الجيم.

بيضةً، كلّها سلحفاة. يضرب للرّجل يأتي بالأمر العظيم. (١) و (جاء بالتُّرّه)، هو واحد التُّرَّهات. وكذلك (جاء بالتّهاته)، وهي جمع التّهتهة: وهي اللّكنة. قال القطاميّ:

ولم يكن ما اجتدينا من مواعيدها إلاّ التّهاته والأُمنيّة السَّقما (٢)

و(جاء بمطفئة الرَّضَف): أي جاء بأمرٍ أشدّ ممّا مضى، يضرب في الأمور العظام. (٣) و (جاء بالشُّقَر والبُقَر)، اسم لما لايعرف، أي جاء بالكذب الصّريح (٤) .

٣٥ ـ جعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه

روى أبو جُحَيفة، قال: سمعت أميرالمؤمنين عليه السّلام يقول:
«إنّ أوّل ما تغلبون عليه من الجهاد، الجهاد بأيديكم، ثمّ بألسنتكم، ثمّ بقلوبكم؛ فمن لم يعرف بقلبه معروفاً، ولم ينكر منكراً، قلب فجعل أعلاه أسفله، وأسفله أعلاه». (٥)

---

(١) مجمع الأمثال: ١٦٥/١.

(٢) مجمع الأمثال: ١٦٨/١.

(٣) مجمع الأمثال: ١٧٠/١.

(٤) مجمع الأمثال: ١٧٥/١.

(٥) النّهج: ٣١٢/١٩، الحكمة: ٣٨١.

قال المعتزليّ: إنّما قال ذلك؛ لأنّ الإنكار بالقلب آخرالمراتب، وهو الّذي لابدّ منه على كلّ حال، فأمّا الإنكار باللّسان وباليد فقد يكون منهما بدٌّ، وعنهما عذرٌ، فمن ترك النّهي عن المنكر بقلبه، والأمر بالمعروف بقلبه، فقد سخِط اللّهُ عليه بعصيانه، فصار كالمنسوخ الّذي يجعل الله تعالى أعلاه أسفله، وأسفله أعلاه تشويهاً لِخِلْقته.

ومن يقول بالأنفس الجسمانيّة، وأنّها بعد المفارقة يصعد بعضها إلى العالم العُلويّ: وهي نفوس الأبرار، وبعضها ينزل إلى المركز، وهي نفوس الأشرار؛ يتأوّل هذا الكلام على مذهبه، فيقول:

إنّ من لايعرف بقلبه معروفاً: أي لايعرف من نفسه باعثاً عليه، ولا متقاضياً بفعله، ولا ينكر بقلبه منكراً: أي لا يأنف منه، ولايستقبحه، ويمتعض من فعله، يقلب نفسه الّتي قدكان سبيلها أن تصعد إلى عالمها، فتجعل هاوية في حضيض الأرض،وذلك عندهم هوالعذاب والعقاب.(١)

نقل هذا المذهب من دون ردّ ظاهر من الشّارح يُوهم الإيمان به، ولعلّه اكتفى في ردّه بشرحه المذكور قبله.

قال الخطيب: أبوجُحيفة وهب بن وهب كان من صغار الصّحابة، حتّى قيل: إنّه لم يبلغ الحلم عند وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله ـوسلّمـ ولكنّه سمع منه وروى عنه. ونزل الكوفة، وشهد مع عليّ عليه السّلام مشاهده كلّها، وكان عليه السّلام يحبّه، ويثق به، ويسمّيه وهب الخير، وجعله على بيت مال الكوفة، وتوفّي سنة ٧٢. (٢)

---

(١) شرح النّهج: ٣١٢/١٩.

(٢) هامش مصادر النّهج: ٢٧٦/٤.

قوله عليه السّلام: «فجعل أعلاه أسفله، وأسفله أعلاه» يصلح ليضرب به مَثَلاً لسوء العاقبة، على حدّ قوله تعالى: «جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارةً من سجّيلٍ منضودٍ» (١).

---

(١) هود: ٨٢.

حرف الحاء

٣٦ ـ حدو الزّاجر بشولة

قال عليه السّلام:

«... عبادالله! إنّ الدّهر يجري بالباقين كجريه بالماضين، لايعود ماقد ولّى منه، ولايبقى سرمداً ما فيه، آخر فعاله كأوّله، متشابهة أموره، متظاهرة أعلامه؛ فكأنّكم بالسّاعة تحدوكم حدو الزّاجر بشولة... ...». (١)

قال ابن الأثير في شرح الشائلة واحدة الشوائل: وهي الّتي شال لبنها: أي ارتفع، وتسمّى: الشّول: أي ذات شول؛ لأنّه لم يبق في ضرعها إلاّ شول من لبن: أي بقيّة. ويكون ذلك بعد سبعة أشهر مِن حملها. ومنه حديث عليّ ـ عليه السّلام ـ: «فكأنّكم بالسّاعة تحدوكم حدو الزّاجر بشولة»: أي الّذي يزجر إبله لتسير. (٢) وقال الشّيخ الطّريحيّ: والتّاء

---

(١) النّهج: ٢٠٩/٩، ط ١٥٨.

(٢) النّهاية: في (شول).

في (شولة) تأنيث أو مصدر: أي ذات شول. والشّائلة واحدة الشّوائل. وشُوّل كركّع جمع شائل: وهي النّاقة الّتي تشول بذنبها للّقاح، ولا لبن لها أصلاً، وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية. وشوّلت النّاقة: أي صارت شائلة.

وشوّال: أحد فصول السّنة، سُمّي بذلك لشولان الإبل بأذنابها في ذلك الوقت، لشدّة شهوة الضّراب، ولذلك كرهت العرب التّزويج فيه، وعن النبيّ -صلّى الله عليه وآله وسلّم- «سُمي شوّالاً؛ لأنّ فيه شالت ذنوب المؤمنين»: أي ارتفعت وذهبت. (١) والحَدْو: سوق الإبل، والحادي: السّائق لها، والحديّ: التّغنّي لجدّ السّير.

وإنّما شبّه عليه السّلام اندفاع النّاس بالسّاعة: أي القيامة، بسائق النّاقة القليلة اللّبن أوعديمته في سرعة سيرها؛ لخفّتها ولزجرها: أي أنّ السّاعة تقهركم على الموقف لمحاسبتكم على أعمالكم، إن خيراً فخيرٌ، وإن شرّاً فشرٌّ.

وكُرّرمنه عليه السّلام التّعبير بالحدو، ومنه: «وإنّ وراءكم السّاعة تحدوكم»، (٢) «وأنّ السّاعة تحدوكم»،(٣) بل «بل السّاعة موعدهم والسّاعة أدهى وأمرّ» (٤) من الزّجر والقتل والأسر، وأفظع من كلّ فظيع، وأدهى من الدّواهي كلّها.

---

(١) مجمع البحرين: في (شول).

ثمّ ماذكره الطّريحيّ، من أنّ شوّال أحد فصول السّنة، الظّاهر(أحدشهورالسّنة)، هوالصّواب.

(٢) النّهج: ١/٣٠١، ط ٢١.

(٣) النّهج: ٩/٢٨٨، الخطبة:١٦٨.

(٤) القمر: ٤٦.

٣٧ ـ الحسد يأكل الإيمان، كما تأكل النّار الحطب

من تمثيلات صادرة عن الإمام عليه السّلام في إحدى خطبه، قال فيها:

«ولا تحاسدوا، فإنّ الحسد يأكل الإيمان، كما تأكل النّار الحطب». (١)

من الإيمان أن يعقد المؤمن قلبه على أنّه تعالى يؤتي الملك مَنْ يشاء، وينزعه عمّن يشاء، ويؤتي الفضل من رزقٍ وغيره، كما قال تعالى: «أم يحسدونَ النّاس علىٰ ما ءَاتٰهم الله من فضله». (٢)

فإذا تمنّى زوال ذلك، وانضجر من وجوده، فقد عارض الله في قضائه وعطائه. وهو منافٍ للإذعان بهما، فكيف يبقى الإيمان؟! بل يفنى، كما تفني النّار الحطب.

ثمّ الحسد جاء الأمر بالتّعوّذ من شرّه، كما قال تعالى: «ومِنْ شرّ حاسدٍ إذا حَسَدَ». (٣) وفي نبويّ: «.. وكاد الحسد أن يغلب القدر».

---

(١) النّهج: ٣٥٤/٦، ط ٨٥.

(٢) النّساء: ٥٤.

(٣) الفلق: ٥.

وصادقي: «آفةالدّين الحسد والعُجب والفخر». ونبويّ: «قال الله عزّ وجلّ لموسى بن عمران: يا ابن عمران! لا تحسدنّ النّاس على ماآتيتهم من فضلي، ولا تمدّنّ عينيك إلى ذلك، ولا تتبعه نفسك، فإنّ الحاسد ساخطٌ لنعمي، صادّ لقسمي الّذي قسمت بين عبادي، ومَنْ يك كذلك فلستُ منه، وليس منّي». (١)

وهو من داعية الذّنوب. قال أميرالمؤمنين عليه السّلام:

«... الحرص والكبر والحسد دواعٍ إلى التّقحّم في الذُّنوب». (٢) وكما لايسلم له إيمانٌ، لم تبقَ صحّة البدن معه، قال عليه السّلام: «العجب لغفلة الحسّاد عن سلامة الأجساد». (٣) وقال عليه السّلام: «صحّة الجسد من قلّة الحسد». (٤) «والحسد غُلٌّ في عنق صاحبه»، وقد نفاه عليه السّلام عن الملائكة عند وصفهم: «ولا تولّاهم غِلّ التّحاسد». (٥)

وأيّ فرق بين مَنْ على عنقه غُلّ ظاهريّ ومَنْ شغل قلبه، وملك عقله الحسد؛ والجامع بينهما سلب الاستطاعة والرّاحة.

وكرّر هذا التّمثيل المذكور في كلامه عليه السّلام في أكل الحسد الإيمان بأكل النّار الحطب في الأحاديث، ومنها النّبويّ (٦).

---

(١) أصول الكافي: ٣٠٧/٢.

(٢) النّهج: ٣٠١/١٩.

(٣) النّهج: ٤٩/١٩.

(٤) المصدر: ٩٧/١٩.

(٥) المصدر: ٤٢٥/٦.

(٦) الأمثال النّبويّة: ٣٦٥/١، رقم المَثَل: ٢٣٣، حرف الحاء مع السّين.

٣٨ ـ الحكمة ضالّةُ المؤمن

من كلمات الإمام عليه السّلام مارواه السّيّد الرّضيّ طاب ثراه، قال: وقد قال عليّ عليه السّلام في مثل ذلك.

«الحكمة ضالّة المؤمن، فخذ الحكمة، ولو من أهل النّفاق». (١)

بعد كلمة حكميّة أخرى بهذا الصّدد، وهي قوله عليه السّلام: «خذ الحكمة أنّىٰ كانت، فإنّ الحكمة تكون في صدر المنافق، فتلجلج في صدره حتّى تخرج، فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن». (٢)

ونحن أثبتناها في الكتاب بلفظ: «خذ الحكمة أنّىٰ كانت» (٣) وإن كان فيه نوع تكرير يندفع بتطوّر البحوث هنا وهناك، قال الميداني: يعني: أنّ المؤمن يحرص على جمع الحِكم من أين يجدها يأخذها. (٤)

ثمّ إنّ المَثَل على ماروواه السّيّد الـرّضيّ: من الأمثال العلويّة. وقد جاء هذا المَثَل بعينه عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، كتبناه في

---

(١) النّهج: ١٨/٢٢٩، الحكمة: ٧٧.

(٢) المصدر.

(٣) حرف الخاء مع الذّال.

(٤) مجمع الأمثال: ١/٢١٤، حرف الحاء.

(الأمثال النّبويّة)، (١) ولامنافاة أنَّهما عليهما السّلام تمثّلا به.

عرّفت الحكمة بتعاريف، فقيل: هي فهم المعاني، والعلم بمصالح الدّارين، ومفاسدهما، وإتقان الأمور، أحكم الأمر: أتقنه وأبرمه. وطاعة الله، والنّبوّة، ومعرفة الإمام عليه السّلام؛ وقيل: أجمع تعريف: هي المعرفة بالشّرائع السّماويّة، والعمل بها. وغيرها من أقوال، وكلّ ذلك صحيح محقّق لحقيقتها.

ثمّ الحصول على الحكمة بأمورٍ:

منها: إخلاص العمل، وفيه جاء النّصّ: «من أخلص للّه أربعين صباحاً، جَرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه». (٢)

ومنها: نوم القيلولة، وهو قبل الزّوال إلى مابعده بساعة أو أكثر، وهذا منافٍ لوقت صلاة الظّهر، فالأولى الاختصاص إلى الزّوال.

ومنها: صلاة اللّيل، وقراءة القرآن الكريم، وقلّة الأكل والكلام والنّوم، ومجالسة الأتقياء، ومجانبة أهل الغفلة.

وليست الحكمة الّتي جاءت في القرآن الكريم والأحاديث المرويّة عن أهل البيت عليهم السّلام الحكمة المصطلحة عندالحكماء والفلاسفة اليونانيّين، بل هي أحد ماقدّمناه، أو كلّه، أوغير ذلك ممّا يناسب الكتاب والسّنّة المرويّة. فتدبّر جيّداً حتّى لايختلط الوحي بغيره.

ومعنى قوله عليه السّلام: «الحكمة ضالّة المؤمن» كما تقدّم من

---

(١) ١/٣٧٦، رقم المَثَل: ٢٣٩، حرف الحاء مع الكاف.

(٢) السّفينة: ١/٤٠٨، في (خلص)، وفي ص: ٢٩١، في مادّة (حكم).

الميدانيّ: أي هي منشودته. والاختصاص بالمؤمن لإيمانه الجامع للحكمة، بأيّ تفسيرها الّذي يفقده المنافق.

في حديث علوي: «من زهد في الدّنيا ولم يجزع من ذلّها، ولم ينافس في عزّها، هداه الله بغير هداية من مخلوقٍ، وعلّمه بغير تعليم، و أثبت الحكمة في صدره، وأجراها على لسانه». (١)

وهذا الحديث الشّريف، يؤكّد حديث: «مَنْ أخلص لله...» الآنف الذّكر، فافهم إن شاء الله تعالى.

٣٩ـ الحمدلله كلّما لاح نجمٌ وخَفَقَ

من خطبة له عليه السّلام عند المسير إلى الشّام، أوّلها:

«الحمدلله كلّما وقب ليل وغَسَقَ، والحمدلله كلّما لاح نجمٌ وخَفَق». (٢)

لم نُنهِ الخطبة؛ لأنّ الفقرتَيْن دون غيرهما مقصودتان بالبحث، في حديث نبويّ: «الحمد رأس الشّكر، ماشكرالله عبد إلاّ بحمده». (٣)

والحمد والشّكر متقاربان، والحمد أعمّهما، لأنّك تحمد الإنسان على

---

(١) البحار: ٧٨/٦٣ ـ ٦٤.

(٢) النّهج: ٣/٢٠٠. وشرح النّهج: ٣/١٦٨، و وقعة صفّين ١٣٤.

(٣) الفائق: ١/٣١٤، في (حمد).

صفاته الذّاتيّة، وعلى عطائه، ولا تشكره على صفاته. وإنّما كان الحمد رأس الشّكر؛ لأنّ فيه إظهارالنّعمة، وإلاشادة بها، ولأنّه أعمّ منه، فهو شكر وزيادة. (١) وإن شئت زيادة الإيضاح نظرت كتاب: (البسملة والحمدلة).(٢)

والحمد يدلّ على كرم الحامد، وأنّه القائم بما عليه من إظهار ما أسدى إليه المحمود، وممّن يقدّره بما يوجب الزّلفى لديه.

ومِنْ ثَمَّ جاء في المَثَل السّائر من أمثال العرب قولهم: (حمداً إذا استغنيت كان أكرم)، يعني: إذا سألت إنساناً شيئاً، فبذله لك، واستغنيت، فاحمده واشكر له، فإنّ حمدك إيّاه أقرب إلى الدّليل على كرمك. (٣)

والحمد تعظيم المحمود بما يليق به، قال ابن أبي الحديد: ومن مستحسن ما وقفتُ عليه من تعظيم الباري عزّ جلاله بلفظ (الحمدلله) قول بعض الفضلاء في خطبة أرجوزة علميّة:

الحمدلله بقدر الله ... لاقَدْر وُسعِ العبد ذي التّناهي
والحمدلله الّذي برهانه ... أن ليس شأن ليس فيه شانه
والحمدلله الّذي مَنْ ينكره ... فإنّما ينكر مَنْ يصوّره(٤).

---

(١) النّهاية: ٤٣٧/١، في (حمد).

(٢) المطبوع في بيروت ـ ١٤٠٢هـ.

(٣) مجمع الأمثال: ٢٠٢/١، حرف الحاء.

(٤) شرح النّهج: ٦٠/١.

لاح الشّيء: إذا لَمَح ولَمَع، والمصدر اللّوح. قال الشّاعر:

أراقب لوحاً من سُهيل كأنَّه إذا مابدا من آخر اللّيل يطرف (١)

وخفق من الخفق والخفقان: أي الاضطراب. يقال: خفق القلم، وخفق النَّجم، وخفق القلب، يخفق خفقاناً. قال:

كأنّ قطاةً علّقت بجناحها على كبدي من شدّة الخفقان (٢)

أو من خفق اللّيل، إذا ذهب أكثر، أو خفق النّجم، إذا انحطّ في المغرب، أو من خفق، إذا نعس نعسة، وعلى ذلك كلّه حمل حديث الدّجّال: «يخرج في قلّة من النّاس، وخفقة من الدّين». (٣)

والمراد هنا: كلّما ظهر النّجم، وخفي. والكلام مسوق للاستمرار، كما أنّ: «الحمدللّه كلّما وَقَبَ ليلٌ وغَسَق» كذلك. وليس المقصود انتهاء الحمد عند انتهاء المعلّق عليه، نظير آية: «إن تستغفر لهم سبعين مرّةً فلن يغفرالله لهم». (٤) المراد بها: الاستمرار لا التّعليق.

وقد كرّر التّعليق في الأدعية والزّيارات وغيرها، ومنها: «السّلام

---

(١) معجم المقاييس: ٥/٢٢٠، في (لوح).

(٢) المصدر: ٢/٢٠١، في (خفق).

(٣) الفائق: ١/٣٨٦، في (خفق).

(٤) التّوبة: ٨٠.

عليك يا خليل الله، مادجى اللّيل وغسق، وأضاء النّهار وأشرق، السّلام عليك ماصمت صامت، ونطق ناطق، وذرّ شارق». (١)

ومنه ماذكره العسكريّ من المَثَل السّائر: (قولهم: ما ذرّ شارق). يقال: ما أفعل ذلك ماذرّ شارق، يعنون: الشّمس. والشّارق: الطّالع. أشرق إذا طلع أو أضاء وصَفا، أو إذا دخل في الشّروق. (٢)

وكيف كان، فهو من الأمثال السّائرة على الألسن أو صالح، لأن يتمثّل به إن لم يكن منها بالصّميم، ولا يخفى على اللّبيب النّكتة في اختيار المعلّق عليه حسب المقامات، علاوة على الاستمرار.

٤٠ ـ حمّال خطايا غيره

من تمثيلاته عليه السّلام في كلام له في صفة من يتصدّى للحكم بين الأمّة، وليس لذلك أهل:

«إنّ أبغض الخلائق إلى الله رجلان: رجل وكله الله إلى نفسه، فهو جائر عن قصد السّبيل، مشغوف بكلام بدعة، ودعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن به، ضالّ عن هدى من كان قبله، مضلّ لمن اقتدى به في حياته، وبعد وفاته، حمّال خطايا غيره، رهن بخطيئته... ...». (٣)

---

(١) مفاتيح الجنان: ٣٥٤، سادس زيارات الأمير عليه السّلام.

(٢) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ٢٢٦/٢.

(٣) النّهج: ٢٨٣/١، كلام:١٧.

«حمّال خطايا»،الأصل فيه قوله تعالى: «وقال الَّذين كفروا للّذين ءَامنوا اتّبعوا سبيلنا، ولنحمل خطٰيكم وماهم بحٰملين من خطٰيٰهم من شيءٍ إنَّهم لكٰذبون». (١)

لفظ قرآني، كالأثقال والأوزار الّتي تحمل على ظهور أصحابها، كما قال تعالى: «وهم يحملون أوزارهم علىٰ ظهورهم ألَاساءما يزِرون». (٢)

وقال تعالى: «وليحملنّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليُسئلُنّ يوم القيٰمة عمّا كانوا يفترون». (٣) كما أن قوله عليه السّلام: «رهن بخطيئته»، الأصل فيه «كلّ امرىءٍ بما كسب رهينٌ». (٤)

ثمّ الرّجلان منطبقان على كلّ مَن توفّرت فيه أوصافهما. وقد تصدّينا لبيان وصف الثّاني عند عدّة أمثال، أحدها: «ماقلّ منه خير ممّا كثر». (٥)

أمّا الرّجل المبحوث، فرجل وكله الله إلى نفسه. والإيكال إليها: الحرمان من رعايته جلّ جلاله،ووضع الحبل على الغارب، وهو الهلاك. ومنه دعاء أبي حمزة الثّماليّ عن السّجّاد عليه السّلام: «يا سيّدي إن وكلتني إلى نفسي هلكت». (٦)

«فهو جائر عن قصد السّبيل»، إذ لاينفكّ عن الانحراف عن الصّراط المستقيم، لأنّه خابط لا محالة.

---

(١) العنكبوت: ١٢.
(٢) الأنعام: ٣١.
(٣) العنكبوت: ١٣.
(٤) الطّور: ٢١.
(٥) حرف الميم مع الألف.
(٦) مفاتيح الجنان: ١٩٥.

«مشغوف بكلام بدعة»: أي خرق الحبّ شغاف قلبه، حتّى وصل إلى فؤاده، والشّغاف: الحجاب، ومنه قوله تعالى: «قد شغفها حبّاً». (١) والبدعة: إدخال ماليس من الدّين فيه. «ودعاء ضلالة»، بإغواء غيره.

«فهو فتنةٌ لمن افتتن به»: أي بلاء و اختبار له. «ضالّ عن هدى من كان قبله»: أي هدى النّبيّ والأئمّة الطّاهرين والأنبياء عليهم السّلام.

«مضلّ لمن اقتدى به في حياته، وبعد وفاته»، من آثاره وكتبه المضلّة، المكتوبة عليه بـ «ونكتب ماقدّموا وءاثٰرهم». (٢)

«حمّال خطايا غيره» مصداق لقوله تعالى: «وليحملنّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم...» الآنف الذّكر. «رهنٌ بخطيئته» وذلك لآية: «كلّ امرىءٍ بما كسب رهينٌ». (٣) طبّق الآية والرّواية على نفسك قبل غيرك يا هذا!!.

٤١ ـ حَنّ قِدْحٌ ليس منها

تمثّل عليه السّلام بهذا المَثَل في جواب معاوية في كتاب له: «... وما للطّلقاء وأبناء الطّلقاء، والتّمييز بين المهاجرين الأوّلين، وترتيب

---

(١) يوسف: ٣٠.

(٢) يسٓ: ١٢.

(٣) الطّور: ٢١.

درجاتهم، وتعريف طبقاتهم، هيهات لقد حَنّ قِدْحٌ ليس منها، وطفق يحكم فيها مَنْ عليه الحكم لها...». (١)

(حَنَّ) فعل ماض من الحنين: وهو نوع صوت، قال الشّارح: و(قِدْح) أصله من القداح، من عود واحد، يجعل فيها قِدح من غيرذلك الخشب، فيصوّت إذا أرادها المُفيض، فذلك الصّوت هو حنينه. هذا مَثَل يضرب لِمَن يُدخل نفسه بين قوم، ليس له أن يدخل بينهم،(٢)أو لمن يفتخر بقوم ليس منهم،أولمن يمتدح بما لا يوجد فيه.

قيل: المَثَل لعمربن الخطّاب، أجاب به عقبةبن أبي مُعيط حينما قال له: (أأُقتل من بين قريش؟) ولكن يظهر من الزّمخشريّ أنّه ليس لعمر. قال: وقيل في بني الحنان، وهم بطن من بلحارث، أنّ جدّهم ألقى قِدْحاً في قداح قوم يضربون بالمسير، وكان يضرب لهم رجل أعمى، فلمّا وقع قدحه في يده قال: (حَنَّ قِدْحٌ ليس منها) فلقّب الحنّان لذلك.

ويؤيّد نفيه عن عمر قول الميدانيّ: أنّ عمر تمثّل به (٣)، وظاهر التَمثّل أنّه لغيره.

والقِدْح: السّهم من أقداح الميسر، وعند إجالتها خالف صوت القدح الّذي ليس من مادّة بقيّة القِداح صوتها، وبه يعرف أنّه ليس من جملتها.

---

(١) النّهج: ١٨١/١٥، كتاب ٢٨.

(٢) شرح النّهج: ١٩١/١٥.

(٣) رسالة الإسلام: عدد: ٧ - ٨، ص: ١١٧ - ١١٨.

إن قلت: إنّ كلام الإمام عليه السّلام تصديق للشّيخين، بأنّهما من ذوي الرّتب والدّرجات، ليس لتمييزها إلاّ لمن كان في درجتهم، وهو الإمام عليه السّلام.

والجواب: أنّ الكلام جاء كمقياسٍ كلّيٍ لاينطبق إلاّ على موطنه.

٤٢ - حيدي حيادِ

من خطبة له عليه السّلام:

«**أيّها النّاس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم،** كلامكم يوُهن **الصّم الصّلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء.** تقولون في المجالس: **كَيْتَ وكَيْتَ، فإذاجاء القتال قلتم:** حيدي حيادِ...».(١)

في الشّرح: حيدي حيادِ، كلمة يقولها الهارب الفارّ، وهي نظيرة **قولهم: (فيحي فياحِ)،** (٢): أي اتّسعي، و(صَمّي صَمامِ) للدّاهية: أي زيدي؛ وأصلها من حاد عن الشّيء: أي انحرف. وحيادِ، مبنيّة على الكسر، وكذلك ماكان من بابها، نحو قولهم: بَدارِ: أي ليأخذ كلّ واحد

(١) النّهج: ٢/١١١، الخطبة ٢٩.

(٢) في هامش المصدر: فياح مثل قطام: اسم للغارة، وكان يقال للغارة في الجاهليّة: فيحي فَياحِ، وذلك إذا دفعت الخيل المغيرة فاتّسعت.

قِرنه. وقولهم: خَراجِ في لُعبةٍ للصّبيان: أي اخرجوا. (١)

وقال غير الشّارح: وفي خطبة عليّ عليه السّلام: «فإذا جاء القتال قلتم: حيدي حَيادِ»، حيدي: أي ميلي، وحَياد بوزن قَطام. قال الجوهريّ: هو مِثْل قولهم: فيحي فياحِ: أي اتّسعي. وفياح اسم للغارة. (٢) ونظيرها في لزوم الهيئة قولهم في المَثَل السّائر: (حُماداك أن تفعل كذا) : أي غايتك و فعلك المحمود ، و هو مثل قولهم: (قُصاراك) ، و (غناماك). (٣)

«تقولون في المجالس: كَيْتَ وكَيْتَ»: أي سنفعل وسنفعل.

قال الشّارح: وكَيْتَ وكَيْتَ، كناية عن الحديث، كما كنّي بفلان عن العَلَم، ولا تستعمل إلاّ مكرّرة، وهما مخفّفان من (كَيّة). فإذا جاء القتال فررتم وقلتم :الفِرار الفرار.ثم أخذ في الشّكوى،فقال:مَنْ دعاكم لم تعزّ دعوته، ومَنْ قاساكم لم يسترح قلبه. دَأَبُكم التّعلّل بالأمور الباطلة، والأمانيّ الكاذبة، وسألتموني الإرجاء وتأخّر الحرب، كَمْن يمطل بدَيْنٍ لازمٍ له. والضّيم لايدفعه الذّليل، ولا يدرك الحقّ إلاّ بالجدّ فيه والاجتهاد وعدم الانكماش. (٤)

وقال الشّارح: وهذه الخطبة خطب بها أميرالمؤمنين عليه السّلام في

---

(١) شرح النّهج: ٢/١١١ - ١١٢.

(٢) النّهاية: ١/٤٦٦، في (حيد).

(٣) مجمع الأمثال: ١/٢١٥، حرف الحاء.

(٤) شرح النَّهج: ٢/١١٢

غارة الضّحّاك بن قيس. قال: كانت غارة الضّحّاك بن قيس بعد الحكمين، وقبل قتال النّهروان، وذلك أنّ معاوية لمّا بلغه أن عليّاً عليه السّلام بعد واقعة الحكمين تحمّل إليه مقبلاً، هاله ذلك فخرج من دمشق معسكراً، وبعث إلى كور الشّام فصاح بها، إنّ عليّاً قدسار إليكم، وكتب إليهم نسخة واحدة، فقرئت على النّاس.

ودعا معاوية الضّحّاك بن قيس، وقال له:

سِرْ حتّى تمرّ بناحية الكوفة، وترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة عليّ فأَغِرْ عليه، وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً فأَغِرْ عليها.

وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أخرى، ولا تقيمنّ لخيل بلغك أنّها قد سُرّحتْ إليك لتلقاها فتقاتلها، فسرَّحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف.

فأقبل الضّحّاك، فنهب الأموال، وقتل من لقي من الأعراب، حتّى مرّ بالثّعلبيّة، فأغار على الحاجّ، فأخذ أمتعهم.

ثمّ أقبل، فلقي عمرو بن عميس بن مسعود الهذليّ، وهو أخو عبدالله ابن مسعود، فقتله في طريق الحاجّ عند القطقطانة، وقتل معه ناساً من أصحابه.

و روى محمّد بن يعقوب الكلينيّ، قال: استصرخ أميرالمؤمنين عليه السّلام النّاس عقيب غارة الضّحّاك بن قيس الفهريّ على أطراف أعماله، فتقاعدوا عنه فخطبهم، فقال: «ماعزّت دعوة مَنْ دعاكم، ولا

استراح قلب مَنْ قاساكم...». (١)

يا ساعد الله قلبك يا أميرالمؤمنين! مِن أُناس لم يعرفوك، ولم يقدروك، ومِن معشرٍ يعيشون جهّالاً، ويموتون ضلاّلاً في دَوْرك، وفي كلّ الأدوار.

(١) شرح النهج: ٢/١١٣ - ١١٧.

حرف الخاء

٤٣ - خبّاط جهالات

من كلامه عليه السّلام، في صفة من ليس أهلاً للقضاء بين النّاس:

«جاهلٌ خبّاط جهالات، عاشٍ ركّاب عشوات». (١)

وفي رواية: «خبّاط عشوات، ركّاب جهالات». (٢)

وزّعنا أبعاض الكلام على كلّ مَثَل مذكور فيه.

قال العسكريّ: (أَخبط مِنْ عشواء): وهي النّاقة العشواء الّتي لا تبصر باللّيل، فتخبط كلّ شيء تمرّ به. والخبط: أن تطأ برجلها فتكسره. (أخبط من حاطب ليل)؛ لأنّه يجمع ما يحتاج إليه وما لا يحتاج إليه. (٣)

وقال الزّمخشريّ: (أخبط من حاطب ليل)، الخبط: الإصابة مرّة والإخطاء أخرى. و حاطب اللّيل كذلك لا يعرف ما يحتطبه... فهو بين الخطأ والصّواب. و(أخبط من عشواء): هي النّاقة الّتي لا تبصر باللّيل، تخبط فتصيب هذا، وتخطىء هذا. قال زهير:

---

(١) النّهج: ١/٢٨٣، كلام ١٧.

(٢) غريب الحديث: ٢/١٢٣.

(٣) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ١/٢٩١.

(من الطّويل)

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب   تمته ومن تُخطىء يعمّر فيهرم (١)

وقال الميداني بعد المثل: ويقال في مَثَلٍ آخر: (إنّ أخا الخلاط أعشى باللّيل). قالوا: الخلاط: القتال، وصاحب القتال باللّيل لايدري من يضرب. (٢)

قال ابن قتيبة: (خبّاط عشوات): أي خبّاط ظلمات، وخابط العشوة نحو: واطئ العشوة، وهو الّذي يمشي في اللّيل بلا مصباح فيتحيّر ويضلّ، وربّما تردّى في بئر، أو سَقَطَ على سبع. ويقال في مثل:(سقط العشاء على سرحان)، وذلك أنّ خارجاً خرج يطلب العشاء، فسقط على ذئب فأكله. وبعض أصحاب اللّغة يزعم أن السّرحان في هذا المَثَل الأسد... (٣)

وسواء أكان (خبّاط جهالات) أو (خبّاط عشوات) ينطبق عليه المَثَل السّائر الّذي قدّمناه؛ لأنّ ظلمة الجهل لا تقصر عن ظلمة اللّيل، ومَنْ لايبصر إذا مشى باللّيل، بل الجهل أشدّ منها ظلمةً، إذ القاضي إذا

---

(١) المستقصى: ١/٩٣ - ٩٤. ثمّ لايخفى أنّ قول زهير:

* تُمِتْهُ ومن تخطئ يعمّر فيهرم *

من الإماتة، فتفطّن.

(٢) مجمع الأمثال: ١/٢٦١، حرف الخاء.

(٣) غريب الحديث: ٢/١٢٣.

قضى بين النّاس، وهو جاهل، لايدري أبحقّ قضىٰ أم بباطل، هلك وهلكت نفوس وأعراض وأموال، ولأجله قال عليه السّلام: «تصرخ من جور قضائه الدّماء، وتعجّ منه المواريث» في نفس الخطبة.

فأيّهما أشد فظاعةً، أخابط باللّيل أم خابط في القضاء الّذي من جرّاء ذلك تهراق الدّماء البريئة، وتهتك النّواميس والحرمات، وتؤخذ الأموال غصباً؟.

ومن هنا شدّد في أمرالقضاء، واشترط في القاضي أن يكون تقيّاً ورعاً عادلاً فقيهاً بأحكام الإسلام،لاجاهلاً لايبالي بأمور الدّين ودنيا المسلمين، يقضي مايشتهي، ويحكم ما يريد، لا كثّرالله أمثاله.

٤٤ ـ خذ الحكمة أنّىٰ كانت

من كلماته عليه السّلام الحكميّة المثليّة قوله:

«خذ الحكمة أنّىٰ كانت، فإنّ الحكمة تكون في صدر المنافق، فتلجلج في صدره حتّىٰ تخرج، فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن». (١)

بَحَثْنا حول المَثَل: «الحكمة ضالّة المؤمن» عن أشياء تمسّ المَثَل الجاري، فراجع. (٢)

---

(١) النّهج: ١٨/٢٢٩، الحكمة: ٧٧.

(٢) حرف الحاء مع الكاف.

وقد روى المَثَل المبحوث عنه جمع من الكُتّاب، منهم القضاعيّ، وقال: يقال: لَجْلَج اللّقمة في فيه، إذا أدارها ولم يُسغها.

وأراد عليه السّلام: أنّ الكلمة قد يعلمها المنافق، فلا تزال تتحرّك في صدره ولا تسكن حتّى يسمعها المؤمن أوالعالم، فيثقفها فتسكن في صدره إلى أخواتها من كلم الحكمة. (١)

قال المعتزليّ: خطب الحجّاج، فقال: إنّ الله أمرنا بطلب الآخرة، وكفانا مؤونة الدّنيا، فليتنا كفينا مؤونة الآخرة، وأمرنا بطلب الدّنيا!

فسمعها الحسن عليه السّلام، فقال: «هذه ضالّة المؤمن، خرجت من قلب المنافق». (٢)

وفي وصيّة موسى بن جعفر عليه السّلام لهشام بن الحكم: «واعلموا أنّ الكلمة من الحكمة ضالّة المؤمن، فعليكم بالعلم قبل أن يرفع، ورفعه غيبة عالمكم بين أظهركم».

وفسّرت: بأنّ المؤمن يأخذ الحكمة من كلّ من وجدها عنده، وإن كان كافراً أو فاسقاً، كما أنّ صاحب الضّالّة يأخذها حيث وجدها.

وقيل: المراد: أنّ من كان عنده حكمة لايفهمها ولا يستحقّها، وجب أن يطلب من يأخذها بحقّها، كما يجب تعريف الضّالّة، وإذا وجد من يستحقّها وجب أن لايبخل في البذل كالضّالّة.

«يا هشام! إنّ الزّرع ينبت في السّهل، ولا ينبت في الصّفا. فكذلك

---

(١) دستور معالم الحكم: ١٢٨، وغريب الحديث: ١٤٨/٢.

(٢) شرح النّهج: ٢٢٩/١٨.

الحكمة تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر في قلب المتكبّر الجبّار؛ لأنّ الله تعالى جعل التّواضع آلة العقل، وجعل التّكبّر من آلة الجهل. ألم تعلم أنّ مَنْ شمخ إلى السّقف برأسه شجّه، ومَنْ خفض رأسه استظلّ تحته وأكنّه؟ فكذلك من لم يتواضع لله خفضه الله ومن تواضع لله رفعه الله».

وقال لقمان في وصاياه لابنه:

«يا بنيَّ! تعلّم الحكمة تشرّف بها؛ فإنّ الحكمة تدلّ على الدّين، وتشرّف العبد على الحرّ، وترفع المسكين على الغنيّ، وتقدّم الصّبيّ على الكبير، وتُجلس المسكين مجالس الملوك، تزيد الشّريف شرفاً، والسّيّد سؤدداً، والغنيّ مجداً. وكيف يظنّ ابن آدم أن يتهيّأله أمر دينه ومعيشته بغير حكمة، ولن يهيّىء الله أمر الدّنيا والآخرة إلاّ بالحكمة».

ومن حِكم عيسى عليه السّلام:

«بحقٍّ أقول لكم: لا تكونوا كالمنخل يخرج الدّقيق الطّيّب، ويمسك النّخالة، كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم، ويتبقّى الغِلّ في صدوركم»(١)

وقد جمعت الحكمة بأطرافها بعد القرآن وحديث النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كلمات الأئمّة المعصومين عليهم السّلام، ولاسيّمابابِ مدينة علم الرّسول وحكمته أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب فدتها أرواح العالمين، ولن تدخل المدينة إلّا من بابها؛ وإنّ حديث المدينة النّبويّ قد رواه الفريقان، حتّى أنّ مؤلّف كتاب (الغدير) أنهاه إلى مائة وثلاثة

---

(١) سفينة البحار: ١/٢٩١ - ٢٩٢، في (حكم).

وأربعين طريقاً عن الجمهور. (١) /

والشّيخ الطّريحيّ نقل: أنّ سبب الحديث أنّ أعرابيّاً أتى النّبيّ -صلّى الله عليه وآله وسلّم- فقال له: طَمْشٌ طاحَ ،فغادر شِبْلاً، لِمن النّشب؟ فقال -صلّى الله عليه وآله وسلّم-: «للشِّبْل مُميطاً». فدخل عليٌّ عليه السّلام، فذكر له النّبيّ -صلّى الله عليه وآله وسلّم -لفظ الأعرابيّ، فأجاب بما أجاب به النّبيّ -صلّى الله عليه وآله وسلّم- فقال: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها». الحديث. (٢)

والظّاهر على تقدير صحّة النّقل: أنّ سؤال الأعرابي عن إنسانٍ هَلَك، وخلّف ابناً ومالاً، لمن المال؟ فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: للابن لا ابن الابن أو غيره مدفوعاً عن غيرالابن وهو معنى الإماطة. والطّمْش: الإنسان يقال: (وَحْشٌ ولا طَمْشٌ). (٣) و(طاح) من الطّوح أو الطّيح: السّقوط والهلاك كنّى عن الموت. والشِّبْل: ولد الأسد: أي ابن الميّت. والنّشب: العَلَق المكنّى به عن المال المتعلّق بالإنسان. والمغادرة: التّرك. وحاصل السّؤال أنّ إنساناً أو رجلاً مسمّى بـ (طَمْش) مات وترك ابناً ومالاً، ولأجل ابتعاده عنه بالموت عبّر بالمغادرة. وكان الجواب: أنّ المال للابن حال كونه حاجباً عن غيره، ويدفعه عن الإرث ويزيله وهو المراد بالإماطة في «مميطاً» أي مزيلاً

---

(١) ج: ٦١/٦ - ٧٧.

(٢) مجمع البحرين: في (بوب).

(٣) منتهى الأرب في لغة العرب: في (ط م ش).

إطلاقاً لسواه، فيعطى المال كلّه للشّبل إن كان وحده كما هو مفروض السّؤال ـ وإنّما ذكرنا ذلك كلّه لأدنى علقة بالمثَل الجاري والتفصيل في محلّه (١).

٤٥ ـ الخطايا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمل عليها أهلها

في خطبة له عليه السّلام:
«ألا وإنّ الخطايا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمل عليها أهلها، وخلعَتْ لُجُمها، فتَقحّمت بهم في النّار». (٢)

الشُّمُس واحدتها شَموس، معرّب (چموش).
قال ابن الأثير فيه ـ: أي في الحديث ـ: «مالي أراكم رافعي أيديكم في الصّلاة، كأنّها أذناب خيل شُمُس». هي جمع شَموس: وهو النّفور من الدّوابّ: الّذي لا يستقرّ لشغبهِ وحدّتِهِ. (٣)

---

(١) الأمثال العلويّة: حرف الشّين مع الياء ولا يخفى أنّ من معاني التّشب: الوقوع فيما لا مخلص منه ومنه المثل السائر: (أخوك مَنْ واساك بالتّشب لا مَنْ ساواك بالنّسب) رياض الأدب: ١٤. ولكنّ الأظهر تفسير النّشب في المثل بالمال: أي المواساة بالمال من دلائل الأخوّة. أو المراد به السّهم: أي مَنْ رمىٰ عدوّك به.

(٢) النّهج: ١/٢٧٢، ط١٦.

(٣) النّهاية: ٢/٥٠١، في (شمس).

تكلّمنا عند المَثَل: «كأنّها أذناب خيلٍ شُمُسٍ» من الأمثال النّبويّة على الحديث النّبويّ غير ما ذكره ابن الأثير، كما وأشرنا هنالك إلى المَثَل العلويّ في المقام، وأمور ينبغي النّظر إليها، فراجع. (١)

شبّه عليه السّلام راكب الذّنوب الّتي تجرّ صاحبها إلى نار جهنّم بمَنْ حُمل على خيل نفور شاغبة، تمنع ظهرها عن الرّكوب، وقد خلعت لُجُمها، فكما تورد هذه راكبها الموت والهلاك، كذلك من يركب المعاصي تفضي براكبها إلى جهنّم والهلاك الأبديّ، وتجرّه إلى تكذيب آيات الله عزّ وجلّ، كما دلّ على ذلك قوله تعالى: «ثمّ كان عٰقبة الّذين أسٰـٔوا السُّوأىٰ أن كذّبوا بـَأيٰت الله وكانوا بها يستهزِءُون». (٢)

إذ المذنب حين يذنب يسلب منه الإيمان، كما جاء به الحديث «لا يزني الزّاني حين يزني وهو مؤمن». (٣) و مستخفّ بالله جلّ جلاله وإن كان عن جهل، إذ لو كان معظّماً له تعالى لما تمرّد عليه، ولما ركب الخطايا وإنّما أودَتْ به شقوته وعدم خشيته من سوء المغبّة؛ و «إنّما يخشى الله من عباده العلمٰؤُا إنّ الله عزيز غفور». (٤)

دلّ آخر الآية على أنّ الله عزّ وجلّ غنيّ عن طاعة العلماء و خشيتهم، وأنّهم قاصرون مقصّرون مهما بلغوا من العلم والخشية، فضلاً

---

(١) الأمثال النّبويّة: ٣٢/٢، رقم المَثَل: ٣٥٩، حرف الكاف مع الهمزة.

(٢) الرّوم: ١٠.

(٣) الوسائل: ٢٤/١. وج: ٢٣٥/١٤.

(٤) فاطر: ٢٨.

عن غيرهم، ولكنّه غفور يغفر الذّنب، و«ماقدروا الله حقّ قدره إنّ الله لقويّ عزيز». (١)

«وما عصيتك إذ عصيتك، وأنا بك جاهل، ولا لعقوبتك متعرّض، ولا لنظرك مستخفّ، ولكن سوّلت لي نفسي، وأعانتني شقوتي، وغرّني سترك المُرخىٰ عليّ».(٢)

وهل يعلم العاصي مَنْ يعصي ومَنْ يخالف؟! مَنْ لولا رحمته وفضله علينا في أقلّ من طرفةِ عينٍ لكنّا من الهالكين المعذّبين بالعذاب الأبديّ.

قال تعالىٰ: «ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدّنيا والأَخرة لمسّكم فى ما أَفَضتُمْ فيه عذابٌ عظيمٌ». (٣)

لانجاة منه إلاّ بفضله ورحمته الواسعة. فيا إنسان! إيّاك والذّنب.

٤٦ ـ خيردارٍ، وشرُّ جيران

من خطبة له عليه السّلام، منها قوله:

«أطاعوا الشّيطان، فسلكوا مسالكه، و وردوا مناهله، بهم سارت أعلامه، وقام لِواؤه. في فتن داستهم بأخفافها، و وطِئَتْهُمْ بأظلافها، وقامت على سنابكها، فهم فيها تائهون حائرون، جاهلون مفتونون، في

(١) الحج: ٧٤.

(٢) مفاتيح الجنان: ٤٠٨.

(٣) النور: ١٤.

خير دارٍ وشرّ جيرانٍ، نومهم سُهُود، وكحلهم دموع، بأرضٍ عالمها مُلجَم، وجاهلها مُكرَم». (١)

نقل المعتزليّ عن الرّاونديّ: خير دار: الكوفة، وقيل: الشّام؛ لأنّها الأرض المقدّسة، وأهلها شرّ جيران، يعني: أصحاب معاوية. وعلى التّفسير الأوّل، يعني: أصحابه عليه السّلام - قال - ونحن نقول: إنّه عليه السّلام لم يخرج من صفة أهل الجاهليّة، وقوله: «في خير دارٍ» يعني: مكّة. و«شرّ جيران» يعني: قريشاً. وهذا لفظ النّبيّ صلّى الله عليه وآله -وسلّم- حين حكىٰ بالمدينة حالةً كانت في مبدأ البعثة، فقال: «كنت في خيردارٍ» و «شرّ جيران».

ثمّ حكى عليه السّلام ماجرى له مع عقبة بن أبي مُعيط. والحديث مشهور.

وقوله: «نومهم سُهود وكُحلهم دُموع» مِثْل أن يقول: جُودهم بُخْل، وأمنهم خوف: أي لو استماحهم محمّد -صلّى الله عليه وآله وسلّم- النّوم لجادوا عليه بالسّهود عوضاً عنه، ولو استجداهم الكحل لكان كحلهم الّذي يصلونه به الدّموع.

ثمّ قال: «بأرض عالمها مُلَجم»: أي من عرف صدق محمّد صلّى الله عليه وآله -وسلّم-، وامن به في تقيّةٍ وخوفٍ. «وجاهلها مُكرَم»: أي مَن جَحَد نبوّته وكذّبه في عزٍّ ومنعةٍ. (٢)

---

(١) النّهج: ١/١٣٦، الخطبة: ٢. (٢) شرح النّهج: ١/١٣٧ - ١٣٨.

اختلف المفسّرون لقوله عليه السّلام: «خير دار، وشرّ جيران»، قيل في الأوّل: الكوفة، أوالشّام، أومكّة، أوالدّنيا؛ والثّاني: أهلها على بيان، تعرّض له ابن ميثم البحرانيّ بتفصيل، فراجع(١)

وكيف كان، فهو صالح للتّمثّل به، إن لم يكن مَثَلاً سائراً بالصّميم لكلّ دار تلائم ساكنها، ولم يسلم من شرّ جارها.

وما ذكر من مكّة، أو الكوفة، أو الشّام، أو غيرها؛ إنّما هي مصاديق المَثَل، من دون قصر عليها، شأن المَثَل أينما حلّ ونزل. خصوصاً الدّنيا، فقد عبّر عنها وعن الآخرة بالدّار، فيمكن وصف الأُولى بالشّرّ والخير باعتبارين: من وقوع العصيان والكفر والتّمرّد على الله بالشّرّ وكونها متجر الأولياء ومطيّة الأنبياء والمؤمنين بالخير. وهكذا أهلها المؤمنون خيرجيرانٍ، وغيرهم بشرّ جيرانٍ. طبّق ولاحرج مع رعاية الحقّ من الجانبين، ولقد كان للمَثَل الجاري التّطبيق لدُور السّكنى وجيرتها مالا يخفى.

---

(١) شرح النّهج: ١/٢٤٣ - ٢٤٤.

حرف الدّال

٤٧ ـ الدّامغ صولات الأضاليل

من خطبة له عليه السّلام، علّم فيها النّاس الصّلاة على النّبيّ صلّى الله عليه وآله ـ وسلّم ـ، أوّلها:

«اللّهم داحي المدحوّات، وداعم المسموكات، وجابل القلوب على فطراتها، شقيّها وسعيدها، اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك على محمّد عبدك ورسولك، الخاتم لما سبق، والفاتح لما انغلق، والمُعلن الحقّ بالحقّ، والدّافع جيشات الأباطيل، والدّامغ صولات الأضاليل، كما حمّل، فاصطلع قائماً بأمرك ... ...».(١)

قوله: «داحي المدحوّات» يعني: باسط الأرضين، وكان عزّ وجلّ خلقها ربوة، ثمّ بسطها. قال جلّ ذكره: «والأرض بعد ذٰلك دحٰها».(٢) ويروى: (بارئ المسموكات): أي خالق السّماوات. وداعمها: ممسكها.

قال الفرزدق:

---

(١) النّهج: ١٣٨/٦، الخطبة: ٧١.

(٢) النّازعات: ٣٠.

إنّ الّذي سَمَكَ السّماء بنىٰ لنا   بيتاً دعائمه أعزّ وأطول

وفي لفظ: «دامغ جيشات الأباطيل» يريد عليه السّلام: المُهلك لما نَجَم وَ ٱرْتَفَعَ من الأباطيل، وأصل الدّمغ من الدّماغ، كأنّه الّذي يضرب وسط الرّأس، فيدمغ: أي يصيب الدّماغ. ومنه قول الله تعالى: «بل نقذف بالحقّ على البـٰطل فيَدْمَغُه»، (١): أي يبطله. والدّماغ مَقتلٌ، فإذا أُصيب هلك صاحبه. و(جيشات) مأخوذ من جاش الشّيء، إذا ارتفع. وجاش الماء إذا طما، وجاشت النّفس. (٢) والآية تناسب الدّمغ للباطل لا لصولة الإضلال، ولذلك رواه جمع من الكُتّاب: أي «الدّامغ جيشات الأباطيل» لا الدّافع.

ثمّ في الخطبة استعارات وتمثيلات، منها تمثيل الأضاليل أو الأباطيل بإنسان ذي دماغ، يضربه الضّارب ضرباً على الدّماغ فيهلك.

وكلّ هذه الأوصاف له صلّى اللّه عليه وآله وسلّم؛ حيث أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قد ختمت به نبوّة الأنبياء، وفتحت به أبواب المعارف والعلوم الّتي كانت مُغلقة لم تهتد إليها القلوب، وأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أظهر الحقّ في كلّ شيء، وأوضح طرق الوصول إليه بالحقّ، ودفع الأباطيل عنها: أي عن الطّرق؛ لأنّ الطّريق إلى شيء إذا

---

(١) الأنبياء: ١٨.

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة: ص: ١٤٣ ـ ١٤٦.

كان باطلاً كان المقصد مثله؛ بدمغ رؤوس الضّلالة، وهم كفّار قريش، وغير قريش، وكلّ ضالّ من فرق النّاس.

وقد حاربهم النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، ليغرس التّوحيد في القلوب، فقام بالرّسالة الملقاة عليه، حتّى أدّاها كما هي، وبلّغها إلى العالم كلّه بدون فتور وهوادة، فترك في الله تعالى أدانيه وأقاربه، وقرّب الأقاصي والأباعد فيه، عند قبولهم الحقّ والتّوحيد والدّين الخالص.

وهكذا أهل بيته الأئمّة الطّاهرين، لا سيّما أميرالمؤمنين عليه وعليهم السّلام، وكلّ ذلك وظيفة كلّ مؤمن بالله تعالى وبشريعته الغرّاء إلى يوم القيامة، للأسوة الحسنة المحثوثة عليها في القرآن (١).

٤٨ ـ دع عنك من مالت به الرّميّة

من كلام له عليه‌السّلام في جواب لكتاب معاوية الّذي يذكر فيه بعض النّاس. قال عليه‌السّلام:

«... فدع عنك من مالت به الرّميّة، فإنّا صنائع ربّنا، والنّاس بعدُ صنائع لنا...».(٢)

---

(١) الأحزاب: ٢١. الممتحنة: ٤ و٦.

في السّورتين الحثّ البالغ على التّأسّي به صلّى الله عليه وآله وسلّم، والأنبياء عليهم السّلام، والصّالحين من عبادالله.

(٢) النّهج: ١٥/١٨٢، ك ٢٨.

لقوله عليه السّلام: «فإنّا صنائع ربّنا» إلى آخره تفسير مرهون بوقته.

الرّميّة بمعنى: الرّمي، والباء للإلصاق: أي دع من رمته الدّنيا بسهامها، وصار غرضاً لها؛ لإقباله عليها. ويشهد لذلك ماجاء في بعض خطبه عليه السّلام يصف فيه الدّنيا. قال عليه السّلام: «ترميهم بسهامها، وتفنيهم بحمامها». (١)

ويصحّ ذلك أيضاً رميه بسهام النّفس، وإبليس. إذ استعارة رمي السّهام فيها بجامع التّأثير السّريع على حدّ سواء. وقد جاء: «النَّظرة سهم مسموم من سهام الشّيطان». (٢)

وقيل: الرّميّة: الطّريدة المرميّة. يقال للصّيد: يرمي هذه الرّميّة، وهي (فعيلة) بمعنى مفعولة، والأصل في مثلها أن لا تلحقها الهاء نحو: (كفّ خضيب، وعين كحيل) إلاّ أنَّهم أجروها مجرى الأسماء لا النّعوت كالقصيدة والقطيعة.

والمعنى: دع ذكر من مال إلى الدّنيا، ومالت به: أي أمالته إليها. (٣)

عن الشيخ محمّد عبده: يضرب لمن اعوجّ غرضه، فمال عن الاستقامة لطلبه. (٤)

قيل: المراد من الموصول في المَثَل: هو عثمان لا الشّيخان؛ لأنّه

---

(١) النّهج: ٢٥٧/١١، ط ٢٢١.

(٢) الوسائل: ١٣٨/١٤ - ١٤٠.

(٣) شرح النَّهج: ١٩٤/١٥.

(٤) رسالة الإسلام: عدد: ٧ - ٨، ص: ١١٨.

عليه السّلام لم يذكرهما بقدح، والمثل يضرب لذلك، فلا بدّ من صرفه إلى غيرهما. (١)

يجاب عنه أنّ الكلام مقياسٌ كلّيٌ له اطّراده في جميع النّاس، إذا تحقّقت فيه الرّميّة، مهما كان نوعه. ومعاوية المخاطب به من أجلى مصاديقه، ومن تدبّر صدر الكلام عرف الحقّ.

٤٩ـ الدّهر يُخلق الأبدان ويجدّد الآمال

قال عليه السّلام:

«الدّهر يُخلق الأبدان، ويجدّد الآمال، ويقرّب المنيّة، ويباعد الأُمنيّة. مَنْ ظَفَرَ به نصب، ومَنْ فاته تعب». (٢)

للدّهر أمثال سائرة عندالعرب: (الدّهر أبلغ في النّكير) يعني بالنّكير: الإنكار والتغيير، يريد أنّ الدّهر يغيّر ما يأتي عليه. (الدّهر أطرقُ مستتبٌّ): أي مطرق مُغضٍ منقاد. قال بشّار بن بُرْد:

عامِ لا يغررك يومٌ من غد　　عامِ إنّ الدّهر يغضي ويَهَب
صادِ ذا الضّغن إلى غِرّته　　وإذا درّت لَبونٌ فاحتلب

---

(١) شرح النّهج: ١٥/١٩٤.

(٢) النّهج: ٢١٨/١٨، الحكمة: ٧٠.

(الدّهر أرودُ مستبدٌّ): أي ليّن المعاملة، غالب على أمره. وهٰذا كقول ابن مُقبل:

إن ينقض الدّهر منّي مرّة لبِلَى　　فالدّهر أرْودُ بالأقوام ذوغير

(أرْودُ): أي يعمل عمله في سكون لايشعر به، ويقال: المستبدّ: الماضي في أمره لايرجع عنه.

(الدّهر أنكب لايُلبّ)؛ ويروى: (أنكث لايلث). أنكب من النّكبة: أي كثير النّكبات. والصّحيح أن يقال: أنكب من النّكب، وهو المَيْل، يعني: أنه عادل عن الاستقامة، لايقيم على جهة واحدة. وأنكث: أي كثير النّكث والنّقض لما أبرم.(١)

(دواء الدّهر الصّبر عليه). (٢) قال بعض الحكماء: الدّنيا تُسرّ لتغرّ، وتفيد لتكيد، كم راقدٍ في ظلّها قد أيقظته، و واثقٍ بها قد خذلته، بهذا الخُلُق عُرفت، وعلى هذا الشّرط صُوحبت. قال شاعرٌ فأحسن:

كأنّك لم تسمع بأخبار مَنْ مضى　　ولم تَر بالباقين ماصَنَع الدّهرُ
فإن كنتَ لا تدري فتلك ديارهم　　عفاها فحال الرّيح بَعدَكَ والقَطْر
وهل أبصَرتْ عَيناكَ حَيّاً بمنزلٍ　　على الدّهر إلاّ بالعراء له قبرُ

---

(١) مجمع الأمثال: ٢٧٢/١، حرف الدّال.
(٢) مجمع الأمثال: ٢٧٤/١: حرف الدّال.

فلا تحسبنّ الوَفر مالاً جَمْعَته ولكنّ ما قدّمتَ من صالحٍ وَفْرُ
مضى جامعو الأموال لم يتزوّدوا سوى الفَقْر يابُؤسَى لمن زاده الفقر
فحتّامَ لا تصحو وقد قرب المدى وَحَتّامَ لاينجاب عَنْ قَلْبِكَ السّكُرُ
بلى سوف تصحو حين ينكشف الغطا وتذكر قولي حين لاينفع الذّكرُ
ومابين ميلاد الفتى ووفاته إذا انتصح الأقوام أنفسهم عُمرُ
لأنّ الّذي يأتيه شبه الّذي مضى وما هو إلّا وقتك الضّيّق النّزْرُ
فصبراً على الأيّام حتّى تجوزها فعمّا قليلٍ بعدها يحمد الصّبرُ (١)

والمراد بالدّهر هنا: مافي قوله عليه السّلام: «الدّهر يومان: يومٌ لكَ، ويومٌ عَلَيْك»، (٢) لا ما في قوله: «لا تسبّوا الدّهر، فإنّ الدّهر هو اللّه» (٣).

٥٠ ـ الدّهر يومان: يوم لك ويوم عليك

من كلام الإمام عليه السّلام الجاري مجرى الأمثال:

«الدّهر يومان: يوم لك، ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر». (٤)

---

(١) شرح النّهج: ١٨/٢١٨ ـ ٢١٩.

(٢) النّهج: ١٩/٣٦٤، الحكمة: ٤٠٦.

(٣) نهاية ابن الأثير: ٢/١٤٤، حرف الدّال مع الهاء.

وانظر تفصيل ذلك إلى المَثَل: «الدّهر يومان: يومٌ لك، ويومٌ عليك».

(٤) النّهج: ١٩/٣٦٤، ح٤٠٦.

ويشبهه المثل: (الأيّام عوج رواجع) العوج جمع أعوج، يقال: الدّهر تارة يعوّج عليك، وتارة يرجع إليك. أثبته الميدانيّ. (١)

قال الشّارح: قديماً قيل هذا المعنى: الدّهر يومان: يوم بلاءٍ، ويوم رخاءٍ. والدّهر ضربان: حبرة وعبرة. والدّهر وقتان: وقت سرورٍ، ووقت ثبور. وقال أبوسفيان يوم أُحُد، يومٌ بيوم بدر، والدّنيا دُوَل.

ويحمل ذمّ البطر. هٰهنا على محملين:

أَحدهما: البطربمعنىٰ: الأَشَرَ وشدّة المرح، بطرالرّجل بالكسر يبطر، وقد أبطره المال، وقالوا: بطر فُلان معيشته، كما قالوا: رَشد فلان أمره.

والثّاني: البطر بمعنى: الحيرة والدّهش: أي إذا كان الوقت لك فلا تقطعنّ زمانك بالحيرة والدّهش عن شكرالله، ومكافأة النّعمة بالطّاعة والعبادة، والمحمل الأوّل أوضح. (٢)

الدّهر هو ماسوى الله جَلّ جلالهُ برمّتة، الممتدّ من البداية إلى النّهاية، وربّما يتخيّل أنّه المنتزع من الحدّين و واقع المنتزع وما تقدّم هو المجزوم، ولامتداده ظُنّ قدمه حتّى زعم الدّهريّون أنّه منشأ الحياة والهلاك، كما حكى عنهم الله جلّ جلاله: (وما يهلكنا إلاّ الدّهر). (٣)

فإن أرادوا به الله تعالى، وجهلوا أنّه هو، أو: أجروا عليه تعالى اسم الدّهر فهذا أهون من الأوّل. والبحث في محلّه.

---

(١) مجمع الأمثال: ٤٢٧/٢، حرف الياء.

(٢) المصدر.

(٣) الجاثية: ٢٤.

يريد عليه السّلام: أنّ للدّنيا إقبالاً وإدباراً، فانّ أَقْبَلَتْ عليك فلا تغترّبها فتنسى كلّ شيءٍ وإن أَدْبَرَتْ فاصبر. وقد جاء في الحديث القدسيّ: «يا موسى إن أقبلت الدّنيا فعقوبة عجّلت، وإن أدبرت فقل: مرحباً بشعار الصّالحين». (١) ثمّ المَثَل السّائر بلفظ: (يوم لنا، ويوم علينا) يضرب في انقلاب الدُّول والتّسلّي عنها، قاله الميدانيّ (٢).

---

(١) مجموعة ورّام: ٢/٤٣.

(٢) مجمع الأمثال: ٢/٤٢٦، حرف الياء. ويماثل المثل قولهم: (سهمٌ لك، وسهمٌ عليك) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ١/٣٣٦.

حرف الرّاء

٥١ـ رأي الشّيخ أحبّ إليّ مِنْ جَلَد الغلام

قال عليه السّلام:

«رأي الشّيخ أحبّ إليّ مِنْ جَلَد الغلام»، ويُروى: «مِنْ مشهد الغلام».(١)

قال المعتزليّ:

إنّما قال كذلك؛ لأنّ الشّيخ كثير التّجربة، فيبلغ من العدوّ برأيه ما لا يبلغ بشجاعة الغلام الحدث غير المجرّب؛ لأنّه قد يُغرّر بنفسه، ويُهلك أصحابه؛ ولا ريب أنّ الرّأي مقدّم على الشّجاعة، ولذلك قال أبو الطّيّب:

الرّأي قبل شجاعة الشّجعان ... هو أوّل وهي المحلّ الثّاني
فإذا هما اجتمعا لنفسٍ مرّةٍ ... بلغت من العَلْياء كلّ مكان
ولربّما طَعَنَ الفتى أقرانه ... بالرّأي قبل تطاعن الأقران

(١) النّهج: ١٨/٢٣٧، الحكمة: ٨٣.

لـولا العقـول لكان أدنـىٰ ضَيْغمٍ ... أدنـىٰ إلى شـرفٍ مـن الإنسـان
ولما تـفاضـلـت الرّجـال ودَبّرَتْ ... أيـدي الكمـاة عَـوالِـيَ المـرّان

وقال لَقيط بن يَعْمر...:

وقلّـدوا أمـركـم لِـلّـهِ درّكـم ... رحبَ الذّراع بأَمْرالحرب مضطلعا
لا مُقرفاً إنْ رخاءُ العيش ساعَدَهُ ... ولا إذا عضّ مكـروهٌ بـه خشـعا
مازال يحلب هـذا الدّهـر أشطره ... يـكـون مُـتّبـعـاً طـوراً ومُـتَّـبَـعـا
حتّـى اسـتـمرّ على شَـزْرٍ مـريْـرتُهُ ... مستحكم الرَّأْي لاقَحْماً ولاضَرِعا (١)

في كتاب مصادر النّهج عدّة مصادر للمَثَل المبحوث عنه. (٢) و جاء في كتب الأمثال منسوباً إلى الإمام أميرالمؤمنين عليه السّلام، وأغلبها برواية: «من مشهد الغُلام». منها: مجمع الميدانيّ، قال: قاله عليّ رضي الله تعالى عنه ـ عليه السّلام ـ في بعض حروبه. (٣)

وقال الزّمخشريّ بعد الرّواية: أي لأَن يعينك الشّيخ برأيه وهو غائب، خيرٌ من أن يعينك الغُلام بنفسه حاضراً معك. (٤) و كذا

(١) شرح النّهج: ١٨/٢٣٧ ـ ٢٣٨، وفي هامش المصدر: ص :٢٣٧. النفس المِرّة: القويّة الشّديدة. من قوله تعالى: «ذومِرّةٍ فأَستوىٰ». النّجم: ٦.

(٢) ج: ٤، ص :٨٣.

(٣) ج: ٢٩٢/١، حرف الرّاء.

(٤) المستقصىٰ: ٩١/٢، رقم المَثَل: ٣٢١.

الثّعالبيّ في التّمثيل والمحاضرة. (١)

وعلى الرّواية الأُولى.

الجَلَد: هوالشّدّة، والضّرب بالسّيف. فالمراد: أنّ الرّأي الرّاسخ من المجرّب خيرٌ من البسالة الفاقدة للخبرة.

والرّواية الثّانية: «مَشْهَد الغُلام»، إمّا من الشّهود: أي الحضور، ومنه: «فمن شَهِد منكم الشّهر فليصُمه». (٢) : أي من كان حاضراً في البلد، ويقابله الغائب. فالمراد: أنّ رأي الشّيخ وإن كان غائباً خيرٌ من حضور الغلام، فضلاً عن غيبته. أو من الشّهادة: أي مايشاهد الرّائي من منظر الغُلام، فالمعنى: أنّ رأي الشّيخ الطّاعن في السّنّ خيرٌ ممّا يجلب النّظر من جمال منظر الغلام، وطراوته، لاستبدال جمال صورة الشّيخ بجميل فكرته، على عكس الغُلام الّذي ليس وراء روائه تجربة كافية في الحروب، ولا غيرها.

إما الطّاعن في السّنّ على مرور الأيّام، فقد حصل على التّجربة، والعقل بقسميه: المطبوع والمسموع؛ ومن هنا جاء في المَثَل النّبويّ: «الشّباب شعبةٌ من الجنون». (٣) وقيل: الشّباب كسُكر الشّراب. وعلى ذلك قول الشّاعر:

---

(١) ص: ٢٩ - ٣٠.

(٢) البقرة: ١٨٥.

(٣) المجازات النّبويّة: ١٥٤، رقم الكلمة: ١٥٩. الأمثال النّبويّة: ٤٧٥/١، رقم المَثَل ٣٠٣، حرف الشّين مع الباء.

إنّ شرخ الشّباب والشّعر الأسـ ـود مالم يُعاصَ كان جنونا (١)

ومن أمثالهم:

(زاحِمْ بِعودٍ، أوْدَعْ)، والعود: المُسنّ من الإبل والشّاء. قال الكرمانيّ: أي لا تستعن إلاّ بأهل السّنّ، والتّجربة في الأمور. قال الشّاعر:

حنى الشّيب ظهري فاستمرّت عزيمتي ولولا انحناء القَوْسِ لم يَنْفَذ السّهم

وقال ابن المعتز:

وما ينتـقص من شباب الـرّجال يـزد في نهـاهـا، وألـبـابهـا. (٢)

وهنا تفسيرٌ ثالثٌ للمشهد: أي كلّ عمل مشهود منه يفقد الخبرة الكافية بما يلحقه من قدحٍ، أو مدحٍ يتقدّمه الواجد لها، وبما أنّ الغلام من أجلى مظاهر الفقدان، والشّيخ هو الواجد لها غالباً، جاء ذكرهما في الحديث.

لايقال: إنّ بعض الأغلمة أعلى خبرة من بعض الشّيوخ. فإنّا نقول: إنّ الموضوع غالبيّ لا كلّي مطّرد؛ فربّ شابٍ خيرٌ من شيخٍ. ومِنْ ثمّ يراد منها الجنس: أي بطبعها، وإلاّ فللمَثَل صورٌ حاصلة بمقايسةٍ بين الشّيخ والغلام، تثنيةً وجمعاً إلى عددٍ غير مقصودٍ به الكلام؛ والوجه فيه ما

---

(١) المجازات النّبويّة: ١٥٥.

(٢) بهج الصّباغة: ١٠/٢٢٤ - ٢٢٨.

تقدّم من إرادة الجنس لا العدد. فتدبّر.

إنّ الشّيخوخة والصِّبا من الأدوار المارّة على الإنسان، وقد تناول القرآن الكريم أكثرها، من كونه تراباً: وهو أوّلها، ثمّ نباتاً، ثمّ نطفةً، ثمّ علقةً، ثمّ مضغة، ثمّ جنيناً، ثمّ رضيعاً، ثمّ طفلاً، فغلاماً، فمراهقاً، ويافعاً، و باقلاً، وفتيً، وشارخا ، وكهلاً، وشيخاً، ويَفَناً، وميّتاً، وجنازة، وغيرها من أسماء؛ ذكر بعضها الثّعالبيّ(١)وغيره.

ولولا ضيق المجال لجئنا عليها، وأثبتناها من الكتاب والسّنّة والكلمات، ولاستَدْعىٰ ذلك إلى وضع كتابٍ خاصٍّ جامعٍ لجميعها بالأسر.

وقد عرفت مضرب المَثَل ممّا سلف من نقل الميدانيّ وغيره وهل المراد به شخص معهود؟ الحقّ هو العموم.

(١) فقه اللّغة: ٨١ ـ ٨٢.

٥٢ ـ ربّ بعيدٍ أقربُ مِنْ قريبٍ

في كلام له عليه السّلام:

«و ربّ بعيدٍ أقربُ مِنْ قريبٍ، وقريبٍ أبعدُ مِنْ بعيدٍ».(١)وفي لفظٍ: «ربّ بعيدٍ هو أقربُ مِنْ قريبٍ».(٢)

وهذا المَثَل موافق للمَثَل السّائر: (ربّ بعيدٍ لايفقد بِرّه، وقريبٍ لايؤمَن شرّه). (٣) و (ربّ أخٍ لك لم تلده أُمّك)، يعني به: الصّديق، فإنّه ربّما أربى في الشّفقة على الأخ من الأب والأمّ. (٤) و (ربّ ابن عمّ ليس بابن عمّ).

قال الميدانيّ بعد المَثَل: هذا يحتمل معنيين: أحدهما: أن يكون شكاية من الأقارب: أي ربّ ابن عمّ لا ينصرك ولا ينفعك، فيكون كأنّه ليس بابن عمّ.

والثّاني: أن يريد: ربّ إنسان من الأجانب يهتمّ بشأنك، ويستحي

---

(١) النّهج: ١١٣/١٦، الوصيّة: ٣١. البحار: ٢١٣/٧٧و ٢٣٢.

(٢) البحار: ٢٨٩/٧٧. نهج السعادة:٥٩/١.

(٣) مجمع الأمثال: ٣١٠/١، حرف الرّاء .

(٤) مجمع الأمثال: ٣٠٢/١.

من خذلانك، فهو ابن عمّ معنًى، وإن لم يكن ابن عمّ نسباً، ومثله في احتمال المعنيين قولهم: (ربّ أخٍ لك لم تلده أُمّك). (١)

أقول: احتمال المعنيين آت في قوله عليه السّلام: «ربّ بعيدٍ أقرب من قريب»، بأن يضرب مَثَلاً للشّكاية عن الأقارب، أخٍ أوابن عمٍّ أو غيرهما إذا لم ينفعوك، وأن يضرب مَثَلاً عن الأجانب المهتمين بشأن الإنسان، فإنّهم أقرباء في المعنىٰ، وإن لم يكونوا أقرباء نسباً. وهو معنىٰ قوله عليه السّلام الآخر: «المودّة قرابة مستفادة». (٢) و«المودّة أشبك الأنساب». (٣) قال ابن أبي الحديد: وهذا معنىٰ مطروق. قال الشّاعر:

لعمرك مايضرّك البعُدُ يوماً إذا دنت القلوب من القلوب (٤)

جاءت الرّوايات والكلمات في القُرب والبُعد المعنويّين، والأمر بالأوّل، وإن لم يكن قريباً نسبيّاً، والتّجنّب عن الثّاني، وإن كان من الأقربين، وأن لايوادّ من حادّ الله ورسوله وان كان أباً أو أخاً، كما في آية: «لا تَجِدُ قوماً يؤمنون بالله واليوم الأخر يوادّون من حادّ الله و رسوله ولوكانوا ءاباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم».(٥)

---

(١) مجمع الأمثال: ٣٠٦/١.
(٢) النّهج: ٣١/١٩، وحرف الميم مع الواو.
(٣) البحار: ٤٢١/٧٧.
(٤) شرح النّهج: ١١٨/١٦.
(٥) المجادلة: ٢٢.

ومن الرّوايات: العلويّ: «والإخوان صنفان: إخوان الثّقة، وإخوان المكاشرة. فأمّا إخوان الثّقة فهم الكفّ والجناح والأهل والمال». (١)

ومن الكلمات: الودّ أعطف من الرّحم. عليك بالإخوان، فإنّهم في الرّخاء زينة، وفي البلاء عُدّة. النّفس بالصّديق آنس منها بالعشيق، وغزل المودّة أرقّ من غزل الصّبابة. لقاء الإخوان مسلاة للهموم.

ومنها الإشارة إلى شروط المودّة:

إن أخاك الصّدق من لم يخدعك — وإن رآك طالباً سعى معك
ومَنْ إذا ريب الزّمان صدعك — شتّت فيك شمله ليجمعك (٢)

المودّة الّتي لا أقرب منها هي المودّة في الله عزّ وجلّ، وهي المعبّر عنها في الحديث بالحبّ في الله، (٣) و رَوْح الله كما في قول المعصوم عليه السّلام: «إنّ من رَوح الله ثلاثة: التّهجّد باللّيل، وإفطار الصّائم، ولقاء الإخوان» (٤).

---

(١) الوسائل: ٨/٤٠٤- ٤٠٥.

(٢) التّمثيل والمحاضرة: ٤٦١ - ٤٦٣.

(٣) الوسائل: ٤٣١/١١.

(٤) الوسائل: ٤٦٠/١٠.

٥٣ ـ ربّ قولٍ أنفذ من صَوْلٍ

قوله عليه السّلام:

«ربّ قولٍ أنفذ من صولٍ». (١)

من الكلمات القصار الحكميّة الّتي صارت من الأمثال السّائرة بعد صدورها، وهذا المَثَل ذكره جمع، منهم المفضّل، (٢) والميدانيّ بعد إيراده بلفظ: (ربّ قولٍ أشدّ من صولٍ)، و كذا الزّمخشريّ(٣) قال: يضرب عند الكلام، يؤثّر فيمن يواجه به.

قال أبو عبيد: وقد يضرب هذا المَثَل فيما يتّقى من العار. وقال أبوالهيثم: (أشدّ) في موضوع خفضٍ؛ لأنّه تابعٌ للقول، وماجاء بَعْد (رُبّ) فالنّعت تابع له. (٤)

قال الشّارح:

قد قيل هذا المعنىٰ كثيراً، فمنه قولهم:

---

(١) النّهج: ٣٥٩/١٩، ح ٤٠٢.

(٢) الفاخر: ٢٦٥.

(٣) المستقصى: ٩٨/٢.

(٤) مجمع الأمثال: ٢٩٠/١، حرف الرّاء .

* والقول ينفذ مـا لا تنفذ الإبَرُ *

و من ذلك: القول لا تملك إذا نـما، كالسّهم لا تملكه إذا رمى وقال الشّاعر:

وقافيةٍ مثـل حدّ السّنا ... ن تبقى ويذهب من قالها
تخيّـرتهـا ثـمّ أرسـلتهـا ... ولم يطق النّاس إرسـالها

وقال محمود الورّاق:

أتاني منك مـاليس ... على مكـروهـه صبر
فأغضيت على عـمدٍ ... وكم يغضي الفتى الحرّ
وأدّبـتك بـالهـجر ... فمـا أدّبـك الهـجر
ولا ردّك عمّـا كـا ... ن منك الصّفح والبرّ
فلّما اضطرّني المكرو ... ه واشتـدّ بي الأمـر
تناولتُك مِنْ شِعرى ... بمـا لـيس لـه قـدر
فحرّكتُ جناح الضّرّ ... لمّا مسّك الضُّرّ.(١)

وقد جاء في العلويّ: «ربّ كلامٍ كالحسامِ» (٢).

---

(١) شرح النّهج: ١٩/٣٥٩.
(٢) غررالحكم: ١٨٣، حرف الرّاء بلفظ (ربّ).

٥٤ـ رُبّ ملومٍ لاذنب له

قال الإمام أميرالمؤمنين وإمام الهدى، أرواحنا لتراب مقدمه الفداء. في جواب كتاب معاوية:

«وماكنت لأعتذر مِنْ أنّي كنت أنقم عليه أحداثاً؛ فإنْ كان الذَّنب إليه إرشادي وهدايتي له؛ فربّ ملومٍ لاذنب له،

* وقد يستفيد الظّنّة المتنصح *

وما أردت إلاّ الإصلاح ما استطعتُ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب».(١)

هذا جزءٌ من كلام له عليه السّلام بهذا الصّدد، حيث اتّهم معاوية الإمام عليه السّلام بالاشتراك في قتل عثمان، فأجاب عنه: بأنّي كنت ناقماً عليه لأحداث ارتكبها، وليست هذه النّقمة شركة في قتل عثمان، بل كانت هداية له وإرشاداً، فإن كنت يا معاوية تلومني على ذلك، «فرّب ملومٍ لاذنب له»،

وها أنا ذا ملوم بلا ذنب ركبته.

---

(١) النّهج: ١٥/١٨٣، ك ٢٨.

قال الزّمخشريّ: (ربّ ملومٍ لا ذنب له) قال الأحنف لرجل ذمّ عنده الكمأة مع السّمن. قال:

(المتقارب)

فلا تلم المرء في شأنه | فرّب ملومٍ ولم يذنب (١)

و (ربّ لائمٍ مُليمٌ)، (٢) وهو معاوية وأضرابه من قالة الباطل. قيل: قال: (ربّ ملومٍ لاذنب له)، هو أكثم بن صيفيّ، يقول: قد ظهر للنّاس منه أمر أنكروه عليه ، وهم لايعرفون حجّته وعذره، فهو يلام عليه، وذكروا: أنّ رجلاً في مجلس الأحنف بن قيس قال: ليس شيءٌ أبغض إليّ من التّمر والزّبد. فقال الأحنف: (ربّ ملومٍ لاذنب له). (٣) تقدّم انتماء المَثَل إلى الأحنف مِنْ صاحب المُستقصىٰ.

ثمّ الملامة أشدّ مراتب العتاب وهي تخطئ وتصيب.

(١) المستقصىٰ: ٢/٩٩.

(٢) المُستقصىٰ: ٢/٩٨.

(٣) مجمع الأمثال: ١/٣٠٥، حرف الرّاء.

وقد روى المَثَل العلويّ الشّيخ المجلسيّ ـطاب ثراهـ في البحار: ١٣/٧٨.

٥٥- رجع الحقّ إلى أهله

«لايقاس بآل محمّد صلّى الله عليه ـ وآله وسلّم ـ من هذه الأُمّة أحدٌ، ولا يسوّى بهم مَنْ جرت نعمتهم عليه أبداً. هم أساس الدّين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التّالي، ولهم خصائص حقّ الولاية، وفيهم الوصيّة والوراثة. الآن إذ رجع الحّق إلى أهله، ونقل إلى منتقله». (١)

هذا فصل من فصول خطبة له عليه السّلام بعد انصرافه من صفّين. وفي معنى المَثَل المذكور ماجاء من أمثال العرب: (عاد السّهم إلى النّزعة): أي رجع الحقّ إلى أهله، والنّزعة: الرُّماة مِنْ (نَزَعَ في قوسه): أي رمى، فإذا قالوا: (عاد الرّمي على النّزعة) كان المعنى: عاد عاقبة الظّلم على الظّالم، ويكنّى بها عن الهزيمة تقع على القوم.(٢) ومنها: (عاد الأمر إلى نصابه)، يضرب في الأمر يتولاّه أربابه. (٣)

---

(١) النّهج: ١/١٣١- ١٣٩، ط ٢.

(٢) مجمع الأمثال: ٢/١٨، حرف العين.

(٣) المصدر: ٢/٣٥.

يريد عليه السّلام بذلك: رجوع الخلافة بعد اغتصابها إليه أيّام خلافته. وتأوّل الكلام المعتزليّ بما يأباه العقل والنّقل، قال: وهذا يقتضي أن يكون فيما قبل في غير أهله. ونحن نتأوّل ذلك على غير ما تذكره الإماميّة.

ونقول: إنّه عليه السّلام كان أولى بالأمر وأحقّ، لا على وجه النّصّ على الخلافة، بل على وجه الأفضليّة... لٰكنّه ترك حقّه لما علمه من المصلحة... (١)

ليتني دريتُ ما حمل المعتزليّ على سحق عقله، حتّىٰ يتناقض في القول! إن كان عليه السّلام كما يقول: إنّه أحقّ بالخلافة من جميع المسلمين بحكم العقل، وإنّه أفضل البشر، فكيف يُهمِل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم النّصّ عليه حتّىٰ يختاروا مَنْ هو أدْنىٰ؟ وهل هذا إلاّ تغريراً منفيّاً عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ وهل يشكّ عربيّ في معنىٰ «رجع الحقّ إلى أهله»: أنّ مَنْ قبله غير أهلٍ له؟

والكلام المتقدّم ينصّ على انحصار الوصاية والوراثة، وهي الخلافة المنصوصة.

قال المعتزليّ: ولسنا نعني بالوصيّة: النّصّ على الخلافة، ولٰكن أمور أخرى. (٢) نعم أمور أخرى حملتك على ذلك والحديث ذوشجون.

---

(١) شرح النّهج: ١/١٤٠.

(٢) المصدر.

٥٦ـ ردّوا الحجرمن حيث جاء

قال عليه السّلام:

«ردّوا الحجر من حيث جاء، فإنّ الشّر لايدفعه إلاّ الشّرّ».(١)

قال الشّارح:

هذا مثل قولهم في المَثَل: (إنّ الحديد بالحديد يفلح). (٢) وقال عمروبن كلثوم:

ألا لايَجْهَلَنْ أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقال الفند الزِّمانيّ:

فلمّا صرّح الشّرّ فأمسى وهو عريان
ولم يبق سوى العدوا نِ دِنّاهم كما دانوا
وبعض الحلم عند الجهل للذّلّة إذعان
وفي الشّرّ نجاة حين لاينجيك إحسان

---

(١) النّهج: ١٩/٢٢١، ح ٣٢٠.

(٢) مجمع الأمثال: ١/١١، حرف الهمزة.

وقال الأحنف:

وذى ضغنٍ أمّت القولَ عنه   بحلمي فاستمرّ على المقال
ومَنْ يحلم وليس له سفيهٌ   يلاق المعضلات من الرّجال (١)

قال الميدانيّ: (ردّ الحجَر مِنْ حيث جاءك): أي لا تقبل الضّيمْ، وارم مَنْ رماك.(٢)

ومن أمثال متناسبة: (الشّر بالشّرّ مُلحق)(٣)، (والشّرّ للشّرّ خُلِق)(٤)

وقد جاء في صادقيّ: «إنّ اللّعنه إذا خرجت مِن في صاحبها تردّدت، فإن وجدت مساغاً وإلاّ رجعت على صاحبها». (٥)

والغرض من ردّ الحجر منع تجاوز الظّالم الغاشم، بردّ ظلمه إليه، فإنّ الظّلم شرّ، وشرّمنه صاحبه: أي الظّالم، وانظر نظير المَثَل. (٦) فاذا لم يردّعلى المتجاوز تجاوزه ازداد تجاوزاً، وإذا عُومل بمثل ماصنع ارتدع، فصبر المظلوم زيادة في ظلم الظّالم، ولاينافيه ماجاء في الصّبر، فإنّ ذلك فيا لم يمكن رَدّ الظّلم. وحمل الحجر على معناه الظّاهريّ لايمنع مِنْ معناه المَثَليّ مِنْ ردّ ظلم الظّالم إليه.

---

(١) شرح النّهج: ٢٢١/١٩.

(٢) مجمع الأمثال: ٣٠٦/١، حرف الرّاء.

(٣) النّهج: ٤١/١٨.

(٤) مجمع الأمثال: ٣٦٦/١، حرف الشّين.

(٥) السّفينة: ٥١٢/١، في (لعن).

(٦) وهو: «فاعل الخير خيرٌ منه...» رقم المَثَل: ٩٢حرف الفاء مع الألف.

٥٧ـ ركب الجهل مراكبه

كلمة تمثيليّة من تمثيلات الإمام عليه السّلام من خطبة في الملاحم:

«... فعند ذلك أخذ الباطل مآخذه، وركب الجهل مراكبه ...».(١)

بحثنا عن عدّة تمثيلات في الخطبة، منها: «صال الدّهر صيال السّبع العقور»، و «ليصدق الرّائد أهله»، و «خلق لكم الأمر خلق الخرزة».(٢) وغيرها المذكور منها في هذه الخطبة.

(ركب ومراكب) من الرّكب: الرّاء والكاف والباء. أصل منقاس، وهو علوّ شيء شيئاً. يقال: رَكِب ركوباً يركَبُ، والرّكاب: المطي واحدتها راحلة. (ماله ركوبة ولا حمولة): أي مايركبه، ويحمل

---

(١) النّهج: ١٩١/٧، الخطبة: ١٠٦.

(٢) حرف الصّاد مع الألف، واللام مع الياء، والخاء مع اللاّم.

عليه.(١) والمراكب جمع المركب البحريّ والبريّ والجويّ، يختلف المراد منه حسب المقام.

والجهل يقابله العلم تارة، والعقل أخرى. وجاء في القرآن الكريم، من الأوّل قوله تعالى: «قال هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جٰهلون».(٢)ومن الثّاني يشير قوله عزّ وجلّ: «وتلك الأمثٰل نضربها للنّاس ومايعقلها إلّا العٰلِمُونَ».(٣)

أمّا الرّوايات فحدّث ولاحرج: «مَنْ قال: أنا عالمٌ فهو جاهل» و«لافقر أشدّ من الجهل، ولاعُدم أشدّ من عُدم العقل»: (٤) و يكفيك ماجاء من حديث جنود العقل والجهل. (٥) وما سئل عليه السّلام عن وصف العاقل، قال: «الّذي يضع الشّيء مواضعه، وسئل عن الجاهل، فقال عليه السّلام: أجبت». (٦) والشّعر المنسوب إليه:

* والجاهلون لأهل العلم أعدآء*. (٧)

---

(١) مقاييس اللّغة: في (ركب). قوله: راحلة إشارة إلى ماقبل: الرّكاب: الإبل، واحدتها راحلة، ولا واحد لها من لفظها. شرح النّهج: ٤٧/٧.

(٢) يوسف: ٨٩.

(٣) العنكبوت: ٤٣.

(٤) الحديث موجود في البحار: ٨٨/١.

(٥) البحار: ١٥٨/١ - ١٥٩.

(٦) النّهج: ٦٦/١٩، الحكمة: ٢٣٢.

(٧) الدّيوان: ٧.

وغير ذلك والتّرفيه أنّ الإنسان مهما بلغ من العلم ما لم يتعقّله، ولم يعمل على طبقه فهو جاهل؛ لأنّ العلم سُلّم العمل، فلو لم يكن عملٌ، كان السّلّم عبثاً، لا يصنعه إلّا الجاهل.

ثمّ قوله عليه السّلام: «ركب الجهل مراكبه» إشارة إلى انغمار النّاس في ذلك الزّمان في الجهل، وأنّ أعمالهم وأقوالهم ومايزاولونه ـ مهما كان نوعها ـ بعيدة عن الصّواب، وفاقدة الحقيقة والحقّ المنشود، وليس فيها من نور، وكيف لا؟ والعلم مخزون عند أهله، وهم الأنبياء و أوصياؤهم عليهم السّلام، ولم يحصل إلاّ بالسّؤال عنهم والتّعلّم منهم.

قال أبوجعفر عليه السّلام لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة: «شرِّقا وغَرِّبا، فلاتجدان علماً صحيحاً إلاّ شيئاً خرج من عندنا أهل البيت».(١)

فإذا لم يبق مِن القرآن إلّا رسمه، ولا مِن الإسلام في ذلك الزّمان إلّا اسمه، فمن أين يكون العلم؟ فلا محالة يركب الجهل مراكبه بشتّى أنواع الرّكوب، وفي كلّ مكان تجده حاضراً، إذا غار العلم وفاض الجهل إلى الله تعالى المُشتكىٰ.

---

(١) أصول الكافي: ١/٣٩٩.

٥٨ـ ركبنا أعجاز الإبل

والأصل فيه قوله عليه السّلام:

«لنا حقّ، فإن أعطيناه وإلّا ركبنا أعجاز الإبل، وإن طال السُّرى».

قال الرّضيّ رحمه الله تعالى: وهذا القول من لطيف الكلام وفصيحه، ومعناه: أنّا إن لم نُعط حقّنا كنّا أذلآء، وذلك أنّ الرّديف يركب عجز البعير، كالعبد والأسير، ومَنْ يجري مجراهما. (١)

قال بعض الشّرّاح: له تفسيران:

أحدهما: أنّ راكب عجز البعير يلحقه مشقّةٌ وضررٌ. فأراد: أنّا إذا منعنا حقّنا صبرنا على المشقّة والمضرّة، كما يصبر راكب عجز البعير. وهذا التّفسير قريب ممّا فسّره الرّضيّ.

والوجه الثّاني: أنّ راكب عجز البعير إنّما يكون إذا كان غيره قد ركب على ظهر البعير، وراكب ظهر البعير متقدّم على راكب عجز البعير. فأراد: أنّا إذا منعنا حقّنا تأخّرنا وتقدّم غيرنا علينا، فكُنّا كالرّاكب

---

(١) النّهج: ١٣٢/١٨، ح ٢٢.

رديفاً لغيره.

وأكّد المعنىٰ على كلا التّفسيرين بقوله: «وإن طال السُّرىٰ»؛ لأنّه إذا طال السُّرىٰ كانت المشقّة على راكب البعير أعظم، وكان الصّبر على تأخّر راكب عجز البعير عن الرّاكب على ظهره أشدّ وأصعب... قاله يوم الشّورىٰ. (١)

وقال آخر: عليّ رضي الله تعالى عنه- عليه السّلام- قال يوم الشّورىٰ: لنا حقّ إن نعطه نأخذه، وإن نُمنعه نركب أعجاز الإبل وإن طال السُّرىٰ. هذا مَثَلٌ لركوبه الذّلّ والمشقّة وصبره عليه وإن تطاول ذلك، وأصله أنّ الرّاكب إذا اعرورى البعير ركب عجزه من أصل السّنام، فلا يطمئنّ ويحتمل المشقّة. وأراد بركوب أعجاز الإبل: كونه ردفاً تابعاً، وأنّه يصبر على ذلك وإن تطاول به. ويجوز أن يريد: وإن نمنعه نبذل الجهد في طلبه، فِعْلَ مَن يضرب في ابتغاء طلبته أكباد الإبل، ولا يبالي باحتمال طول السُّرىٰ. (٢) وهكذا غيرهما من الجمهور قد خصّصوا كلامه عليه السّلام بيوم الشّورىٰ بعد وفاة عمر واجتماع الجماعة لاختيار واحد من السّتّة.

وليت شعري لِمَ خَصّصُوه بذلك! وهل كان منع القوم الإمام عليه السّلام من حقّ الخلافة من بعد عمر! وكان له ولصاحبه الحقّ ماليس له عليه السّلام منه نصيب! أو خصّهما الله ورسوله به دونه! أوأنّه خاصّ به، تقمصّه القوم؟! اختر ما شئت.

---

(١) النهج: ١٨/١٣٢ - ١٣٣، الحكمة ٢٢. (٢) الفائق: ٢/٣٩٧ - ٣٩٨.

٥٩ـ رمى بأفوق ناصل

مثل سائر ضربه عليه السّلام في خطبة له، منها:

«أيّ دارٍ بَعدَ داركم تمنعون! ومع أيّ إمامٍ بعدي تقاتلون! المغرور والله من غَررتموه، ومَنْ فازَ بكم فقَد فاز والله بالسّهم الأخيب(١)، ومَنْ رَمىٰ بكم فَقَدْ رَمىٰ بأفْوق ناصِلٍ». (٢)

ورواه الشّيخ المجلسيّ، (٣) وجَمْعٌ مِنْ الجمهور، منهم ابن الأثير قال: ومنه حديث عليّ ـعليه السّلامـ:

«ومَنْ رَمىٰ بكم فَقَدْ رَمىٰ بأفْوق ناصِلٍ»: أي رمى بسهم منكسر الفوق، لانصل فيه. (٤) والميدانيّ في مجمع الأمثال بلفظ: (رَجَع بأفوق ناصِلٍ)، وقال: النّاصل: السّهم سَقَط نَصْلُه، والأفْوق: الّذي انكسر فوقه. يضرب لِمَنْ رَجَعَ عن مقصده بالخيبة، أو بمالاغناء عنده. (٥)

---

(١) اطلبه من حرف الفاء مع الألف.

(٢) النّهج: ٢/١١١، الخطبة: ٢٩.

(٣) البحار: ٣٤٠/٧٧.

(٤) النّهاية: ٣/٤٨٠، في (فوق).

(٥) المجمع: ١/٢٩٥، حرف الرّاء.

وفي هامش البحار، الأفوق مِن السّهام: المكسور الفوق. والفَوْق: موضع الوَتَر من السّهم. والنّاصل: العاري عن النّصل. ولا يخفىٰ طيش السّهم الّذي لافوق له ولا نصل، فإنّه لايكاد يتجاوز عن القوس: أي مَنْ رَمىٰ بهم فكأنّما رمى بسهمٍ لايثبت في الوَتَر حتّىٰ يرمي، وإنّ مَنْ رَمىٰ به لم يصب مقتلاً إذ لا نصل له. (١)

قوله عليه السّلام: «أيّ دارٍ بعد داركم تمنعون!» لقد كُتِبَتْ الذّلّة والعار على قومٍ غزوا في عُقر دارهم. وكذلك قومه عليه السّلام حيث أنّ قصّة الضّحّاك ، دعت الإمام عليه السّلام على أن يخطب هذه الخطبة المليئة بالشّكوىٰ، وكانت غارة الضّحّاك بعد الحكمين وقبل قتال النّهروان، حيث حثّ عليه السّلام الجيش على قتال معاوية، ولمّا بلغه ذلك هاله، فصاح إنّ عليّاً قد سار إليكم، ودعا معاوية الضّحّاك ، وقال له: سر حتّى تمرّبه بناحية الكوفة، فمَن وجدتَه مِن الأعراب في طاعة عليٍّ، فأَغِرْ عليه، وإن وجدت له مسلحةً أوخيلاً فأَغِرْ عليها، فأقبل الضّحّاك ، فَنَهَب الأموال، وقَتَل مَنْ لَقِيَ مِن الأَعراب ـ إلى آخره ـ.

وقال الشّيخ الكلينيّ رحمه الله: استصرخ أميرالمؤمنين عليه السّلام النـاس عـقيب غـارة الضّـحّاك على أطـراف أعـماله، فـتـقاعدوا عـنه فخطبهم فقـال: «مـا عَـزَّتْ دعـوة مَنْ دعـاكـم، ولا اسـتـراح قـلـب مَنْ قاساكم». (٢)

---

(١) هامش البحار: ٣٤٠/٧٧.

(٢) شرح النّهج: ١١٣/٢ ـ ١١٧.

من فقرات الخطبة المذكورة فيها الكلمة التّمثيليّة، ومن ذلك تعرف الشّكوى العلويّة بادية الملامح عليها، وهي كلمة لايقولها إلاّ مَن ابتلى بقومٍ لايستطيع وفاقهم ولا فراقهم، فإن وافقهم ضَلّ، وإن فارقهم زَلّ، ولعمر الحقّ أنّه المصيبة مِنْ مِثْل أميرالمؤمنين الحجّة البالغة الرّبانيّة أن يبتلي بأصحابٍ لايليقون به.

قوله عليه السّلام: «ومع أيّ إمام بعدي تقاتلون!» نظير قوله تعالى: «فبأيّ حديث بعد الله وءايٰتِهِ يؤمنون». (١) يقال ذلك: لغير المؤمن بالحقّ الجاحد له قلباً.

وقوله عليه السّلام: «المغرور والله مَنْ غررتموه»، القَسَم فيه لتهويل ما يزاولونه من التّمرّد على إمامهم وعصيانهم، والكلام مسوق للشّكوى، كما ذكرنا ذلك عند المَثَل: (٢) «فاز.. بالسّهم الأخيب».

من سائرخطبه الدّالّة على بلوغ انضجاره عليه السّلام الغاية من صنع أصحابه، ومِنْ ذلك قوله عليه السّلام في ذمّهم:

«لَوَددتُ والله أنّ معاوية صارفني بكم صرف الدّينار بالدّرهم، فأَخَذَ منّي عشرةً منكم وأعطاني رجلاً منهم يا أهل الكوفة!! مُنيتُ منكم بثلاثٍ واثنتين: صمٌّ ذَوُو أسماعٍ، وبُكمٌ ذَوُو كلامٍ، وعُميٌ ذَوُو أبصارٍ، لا أحرار صدقٍ عند اللّقاء، ولا إخوان ثقةٍ عند البلاء». (٣)

---

(١) الجاثية: ٦

(٢) حرف الفاء مع الألف.

(٣) النّهج: ٧/ ٧٠-٧١ الخطبة: ٩٦.

يدلّ على حقيقة الأمر، علمه بالحقائق وجهلهم

حرف الزّاي

٦٠ـ زرعوا الفجور.. وحصدوا الثّبور

من خطبة مطوّلة له عليه السّلام، ومنها في المنافقين:
«زرعوا الفجور وسقوه الغرور، وحصدوا الثّبور».(١)

قال المعتزليّ: جعل مافعلوه من القبيح بمنزلة زرع زرعوه ثمّ سقوه، فالّذي زرعوه الفجور، ثمّ سقوه بالغرور، والاستعاره واقعة موقعها؛ لأنّ تماديهم وما سكنت إليه نفوسهم مِن الإمهال، هوالّذي أوجب استمرارهم على القبائح الّتي واقعوها، فكان ذلك كمايسقى الزّرع ويربّى بالماء ويستحفظ.

ثمّ قال: «وحصدوا الثّبور»: أي كانت نتيجة ذلك الزّرع والسّقي حصاد ماهو الهلاك والعطب. وإشارته هذه ليست إلى المنافقين، كما ذكره الرّضيّ رحمه الله، وإنّما هي إشارة إلى من تغلّب عليه، وجحد حقّه كمعاوية وغيره. ولعلّ الرّضيّ رحمه الله تعالى عرف ذلك وكنّى عنه.(٢)

---

(١) النّهج: ١٣٨/١، الخطبة: ٢.

(٢) شرح النّهج: ١٣٩/١.

نعم إنّما معاوية رأس المنافقين، فكلمة المنافقين شاملة له ولغيره من الرّؤساء، والملاك عموم لفظ الإمام عليه السّلام، المنطبق على كلّ من كانت صفته ذلك، ثمّ الكلام صالح للمَثَل إن لم يكن نفسه.

ونظيره المَثَل النّبويّ السّائر: «مَنْ يزرع خيراً يحصد رغبةً، ومَنْ يزرع شرّاً يحصد ندامةً». (١)

ذكرناه في كتاب (الأمثال النّبويّة) وقلنا: يصحّحه صحيح أبي بصير، قال:

«دخل رجلان على أبي عبدالله عليه السّلام في مداراة بينهما ومعاملة، فلمّا أن سمع كلامهما قال: أما أنّه ماظفر أحدٌ بخيرٍ من ظفر بظلم، أما أنّ المظلوم يأخذ من دين الظّالم أكثر ممّا يأخذ الظّالم من مال المظلوم. ثمّ قال: مَنْ يفعل الشّرّ بالنّاس فلا ينكر الشّرّ إذا فُعِل به، أما أنّه إنّما يحصد ابن آدم مايزرع، وليس يحصد أحدٌ من المُرّ حُلواً، ولا من الحُلو مُرّاً، فاصطلح الرّجلان قبل أن يقوما». (٢)

مَثَل الصّادق عليه السّلام قد حوى طرفي المَثَل السّائر: الخير والشّرّ.

ومن أمثال العرب: (أعجز من جاني العنب من الشّوك) هذا أيضاً من قول الشّاعر:

إذا وترت امرأً فاحذر عداوته ... من يزرع الشّوك لا يحصد به عنبا

---

(١) البحار: ٧٨/٧٧.

(٢) الأمثال النّبويّة: ٢/٢٩٣، الرّقم: ٥٨٧، حرف الميم مع النّون.

قال حمزة: وهذا الشّاعر أخذ هذا المَثَل من حكيم من حكماء العرب من قوله: (مَنْ يزرع خيراً يحصد غبطةً، ومَنْ يزرع شرّاً يحصد ندامةً، ولن يجتنيَ من شوكةٍ عِنَبَةً). (١) المَثَل هو المَثَل النّبويّ، ولعلّ الحكيم يريد به النّبيّ صلّى اليه وآله وسلّم. وكيف كان، أنّ زارع الفجور المستقى بماء الغرور لايحصد سوى الثّبور والويل والهلاك .

(١) مجمع الأمثال: ٢/٥٣.

حرف السّين

٦١- سروح عاهةٍ بوادٍ وعثٍ

أحد الأمثال الّتي ضربها في وصيّته لابنه الحسن عليهما السّلام، قال فيها:

«وإيّاك أن تغترّ بما ترى من إخلاد أهل الدّنيا إليها، وتكالبهم عليها، فقد نبّأك الله عنها، ونعتت لك نفسها، وتكشّفت لك عن مساويها؛ فإنّما أهلها كلاب عاوية وسباع ضارية، يهرّ بعضها على بعض، ويأكل عزيزها ذليلها، ويقهر كبيرها صغيرها. نَعَم معقّلة، وأخرى مهملة، قد أضلّت عقولها، وركبت مجهولها. سروح عاهةٍ بوادٍ وعْثٍ، ليس لها راعٍ يقيمها، ولا مُسيم يُسيمها... ...».(١)

وهي وصيّة مطوّلة، أخذنا منها مايربط المَثَل الجاري.

قال الشّارح: ثلاثة أمثال محرّكة لمن عنده استعداد. استقرأني أبو الفرج محمّد بن عبّاد رحمه الله -وأنا يومئذٍ حَدَثٌ- هذه الوصيّة، فقرأتها عليه من حِفظي، فلمّا وصلتُ إلى هذا الموضع صاح صيحةً شديدةً وسقط، وكان جبّاراً قاسي القلب.

---

(١) النّهج: ١٦/٨٩-٩٠، الوصيّة: ٣١.

(سروح عاهةٍ) السّروح، جمع سَرْح: وهو المال السّارح. والعاهة: الآفة. و(وادٍ وَعْثٍ): لايثبت الحافر والخف فيه، بل يغيب فيه ويشقّ على من يمشي فيه. (١) أو السّروح: الأغنام.

يقول عليه السّلام: أهل الدّنيا كلابٌ عاويةٌ، وسباعٌ جائعةٌ، يتناهشن على جيفٍ، أو أغنامٌ سائمةٌ ترعى، ومعقّلةٌ متحيرّةٌ في أودية لا يثبت فيها خف ولا حافر، لاراعي يرعاها، وقد اعتورتها الآفات من كلّ جوانبها.

برزت في كلامه عليه السّلام حقائق أهل الدّنيا وبوائق ما زالت الأيّام تخفيها، وسوف يحشر النّاس على ماهم فيه من صفات الحيوانات، كما جاء في تفسير «وإذا الوُحُوشُ حُشِرَتْ». (٢) يأتون يوم القيامة على صور ما كانوا يزاولون من صفات الكلاب والسّباع وغيرها.

---

(١) شرح النّهج: ١٦/٩٠ - ٩١.
(٢) التّكوير: ٥.

٦٢ـ السّعيد مَنْ وُعظ بغيره

من خطبة له عليه السّلام، قال فيها:

«السّعيد مَنْ وُعظ بغيره، والشّقيّ مَنْ انخدع لهواه وغروره».(١)

قال ابن أبي الحديد: قوله: «السّعيد...» مَثَلٌ من الأمثال النّبويّة.(٢) و نحن ذكرناه في كتابنا (الأمثال النّبويّة)(٣) ولٰكن لم يمنع كونه مثلاً علويّاً أيضاً، وفي الحِكم المنسوبة إليه عليه السّلام بلفظ: «السّعيد من وُعظ بغيره، والشّقيّ من اتّعظ به غيره». (٤) وذكره الشّيخ المحموديّ في باب كتبه وخطبه. (٥)وهو من المَثَل السّائر.

قال الميدانيّ: «السّعيد مَنْ وُعظ بغيره»: أي ذو الجدّ من اعتبر بما لحق غيره من المكروه، فيجتنب الوقوع في مثله.

---

(١) النّهج: ٣٥٣/٦، ط: ٨٥، البحار: ٢٩١/٧٧و٢٩٣.

(٢) شرح النّهج: ٣٥٦/٦.

(٣) ج: ٤٦٧/١، رقم المَثَل ٢٩٨، حرف السّين مع العين.

(٤) النّهج: ٢٨٩/٢٠، الرّقم: ٣٠٣.

(٥) نهج السّعادة: ١،باب الكتب: ٢٥٢ و ٢٧٦، وج: ١، باب الخطب: ٦٢، وج: ٢١٤/٣.

قيل: إنّ أوّل من قال ذلك مرثدبن سعد، وَفْد عادالّذين بعثوا إلى مكّة يستسقون لهم فلمّا رأى ما في السّحابة الّتي رفعت لهم البحر من العذاب أسلم مرثد، وكتم أصحابه إسلامَه، ثم أقبل عليهم، فقال: مالكم حيارى كأنّكم بسكارى؟ إنّ السّعيد مَنْ وُعظ بغيره، ومن لم يعتبر الّذي بنفسه يلقى نكال غيره. فذهبت من قوله أمثالاً.(١)

وقال العسكريّ: (قولهم: السّعيد مَنْ وُعظ بغيره) من قول الحرث ابن كلدة:

إنّ اختيارك لاعن خبرةٍ سلفت ... إلاّ الرّجاء وقد مايخطىء البصر
كالمستغيث ببطن السّيل يحسبه ... حرزاً يبادره إذ بلّه المطر
فقد رأيت بعبدالله واعظةً ... تنهى الحليم فما أنساني الغرر
إنّ السّعيد له في غيره عظةٌ ... وفي الحوادث تحكيم ومعتبر
لا أعرفنّك إن أرسلت قافيةً ... تلقى المعاذير إن لم تنفع العذر (٢)

لم يأتِ اسم السّعيد والشّقي في القرآن الكريم إلاّ في موضوع جامع، وهوقوله تعالى: «يومَ يأت لا تكلّم نفس إلاّ بإذنه فمنهم شقيٌّ وسعيد ».(٣) وموضع تفريق: «فأمّا الّذين شقُوا ففى النّار لهم فيها زفيروشهيق *

(١) مجمع الأمثال: ١/٣٤٣، حرف السّين.

(٢) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ١/٣٣٠.

(٣) هود: ١٠٥.

خٰلدين فيها ما دامت السّمٰوٰت والأرض إلّا ماشاء ربّك إنّ ربّك فعّال لما يريد* وأمّا الّذين سُعِدوا ففي الجنّة خٰلدين فيها ما دامت السمٰوٰت والأرض إلاّ ما شاء رَبّك عطاءً غيرَ مجذوذ».(١)

وقوع الاستثناء في الأشقياء المعلّق على المشيئة المشترك مفهوم من قوله تعالى: «فعّال لما يريد»، وأمّا السّعداء فلم يخرجهم الاستثناء؛ لقوله تعالى: «عطاءً غيرَ مجذوذ» الدّال على عدم انقطاع النّعيم عنهم، وإنّما التّعليق على المشيئة؛ لبيان القدرة فقط لا الوقوع، فافهم، والخارج من الأشقياء طائفة مذنبون من أهل التّوحيد من النّار بالشّفاعة.(٢)

والشّقيّ: المخالف لآل محمّد عليهم السّلام، والمطيع: هو السّعيد؛ لأنّ الخلاف عليهم الخلاف على الله والرّسول، و إطاعتهم إطاعتهما، كما جاء ذلك في زيارة المهديّ عجّل الله فرجه الشّريف المبدوءة بـ «سلام على آل يس»، «شَقِيَ من خالفكم، وسَعِدَ من أطاعكم».(٣)

وفي السّعادة والشّقاوة أبحاث كلاميّة، تأتي في محلّها إن شاءالله تعالى (٤) والغرض هنا الإشارة.

---

(١) هود: ١٠٦-١٠٨.

(٢) تفسير الميزان: ١١/٤٠.

(٣) مفاتيح الجنان: ٥٢٤.

(٤) انظر الشّقيّ في حرف الشّين، مع القاف، رقم المَثَل: ٧١.

٦٣ـ سَلْ عن الرّفيق قبل الطّريق، وعن الجار قبل الدّار

في الوصيّة لابنه الحسن عليهما السّلام:

«سَلْ عن الرّفيق قبل الطّريق، وعن الجار قبل الدّار». (١)

قال المعتزليّ: وقد رُوي هذا الكلام مرفوعاً، وفي المَثَل: (جار السّوء كلب هارش، وأفعى ناهش). وفي المَثَل: (الرّفيق: إمّا رحيق أوحريق). (٢)

يريد بالرّواية: النّبويّ: «الجار ثمّ الدّار، الرّفيق ثمّ الطّريق». (٣) فهو مثل سائر نبويّ وعلويّ. قال الميدانيّ: وكلاهما يروى عن النّبيّ صلّى الله عليه ـ وآله ـ وسلّم.

قال أبوعبيد: كان بعض فقهاء أهل الشّام يحدّث بهذا الحديث، ويقول: معناه: إذا أردتَ شراء دارٍ فَسَلْ عن جوارها قبل شرائها. (٤)

---

(١) النّهج: ١١٣/١٦، الوصيّة، ٣١.

(٢) شرح النّهج: ١٢١/١٦.

(٣) الأمثال النّبويّة: ٣٣٦/١. رقم المَثَل: ٢١٧، حرف الجيم مع الألف.

(٤) مجمع الأمثال: ١٧٢/١.

ويحتمل الإيصاء بالجار بأن لايجوع وتشبع، وتشرب ويظمأ، وتُكسىٰ ويَعْرىٰ، وكلّ ما أنت فيه من سرور و حبور يفقده؛ في نبويّ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره».(١)

وآخر: «والذّي نفسي بيده لايسلم العبد حتّىٰ يسلم قلبه ولسانه، ويأمَنْ جاره بوائقه؛ قالوا: وما بوائقه؟ قال: غَشْمه، وظُلمه».(٢) وقال لقمان: «يا بنيّ! حملتُ الحجارة والحديد، فلم أرَ شيئاً أثقل من جارالسّوء». وأنشدوا:

ألا من يشتري داراً برخصٍ كراهة بعض جيرتها تباع (٣)

وعندالمثل النّبويّ بعد قوله تعالى: «وبالوٰلدين إحسٰناً وبذى القربىٰ واليتٰمىٰ والمسٰكين والجار ذى القربىٰ والجار الجنب والصّاحب بالجَنْب».(٤) قسّمنا الجار إلى قريب الدّار أوبعيدها، وهما: إمّا قريب، أو أجنبيّ؛ فالجار الرّحم قريباً أو بعيداً داخل في «والجار ذى القربىٰ»، والأجنبيّ القريب والبعيد في «والجار الجنب»، «والصّاحب بالجنب» هوالّذي يصحبك في السّفر جنباً إلى جنبٍ. (٥)

---

(١) شرح النّهج: ٨/١٧.

(٢) شرح النّهج: ٨/١٧.

(٣) المصدر.

(٤) النّساء: ٣٦.

(٥) الأمثال النّبويّة: ٣٣٧/١، رقم المثل: ٢١٧.

وفي وصيّته عليه السّلام لمّا ضربه ابن ملجم: «... والله الله في جيرانكم؛ فإنَّهم وصيّة نبيّكم مازال يوُصي بهم حتّى ظننّا أنَّه سيورّثهم». (١)

قال المعتزليّ: وكان يقال: الجيران خمسةٌ: الجار الضّار السّيّىء الجوار، والجار الدّمس الحسن الجوار، والجار اليرْبوعيّ المنافق، والجار البراقشيّ المتلوّن في أفعاله، والجار الحسدليّ الّذي عيْنه تراك ، وقلبه يرعاك .(٢)

الدّمس (بالسّين): الشّدّة وفي بعض النّسخ: (والجار الدّمث): أي ليّن الخلق، وسهله. وهو أنسب.

ومن أدب الجوار الصّبر على الأذى فضلاً عن الأذىٰ:

ليس حسن الجوار كفّ الأذىٰ، ولكنّ حسن الجوار الصّبر على الأذى (٣).

---

(١) النّهج: ١٧/٥، الوصيّة: ٤٧.

(٢) شرح النَّهج: ١١/١٧.

ولا يخفى أنّ كلمة: (الحسدليّ) نسبة إلى الحسدل؛ وهو القراد، هامش شرح النّهج للمعتزليّ: ١٧، ص: ١١.

(٣) شرح النَّهج: ٩/١٧.

٦٤ـ سيرعف بهم الزّمان

من كلامٍ له عليه السّلام لمّا أظفره الله بأصحاب الجمل، وقد قال له بعض أصحابه: وددتُ أنّ أخي فلاناً كان شاهداً ليرى ما نصرك الله به على أعدائك، فقال عليه السّلام:

«أَهَوىٰ أخيك معنا؟ فقال: نعم، قال: فقد شَهِدَنا، ولقد شَهِدَنا في عسكرنا هذا قومٌ في أصلاب الرّجال، وأرحام النّساء، سيرعف بهم الزّمان، ويقوى بهم الإيمان». (١)

إن لم يكن الكلام من المَثَل في شيءٍ، فإنّه من باب التّمثيل بالصّميم؛ لما ستعرفه بعد قليلٍ.

رعف الرّجل، من بابي (قتل، ونفع): إذا خرج الدّم من أنفه. (٢)

ويدّل على سبقٍ وتقدّمٍ، فرس راعف: سابق متقدّم. قال الأعشىٰ:

بـه تـرعُـفُ الأَلْـفَ إذ أُرْسِلَتْ غداة الصّباح إذا النّقع ثارا. (٣)

قال المعتزليّ: يرعف بهم الزّمان: يوجدهم ويخرجهم، كما يرعف

---

(١) النّهج: ١/٢٤٧، كلام ١٢ قال الميدانيّ: (عذاب رعف به الدّهر عليه)، يقال: رعف الفرس يرعَفُ ويرعُفُ: إذا تقدّم. يضرب لمن استقبله الدّهر بشرٍّ شمّرٍ: أي شديد. مجمع الأمثال: ٢/٣٤، حرف العين.

(٢) مجمع البحرين: في (رعف).

(٣) مقاييس اللّغة: في (رعف).

الإنسان بالدّم الّذي يخرجه من أنفه، قال الشّاعر:

وما رعف الزّمان بمثل عمرو ولا تلد النّساء له ضريبا.(١)

تمثيل بما يأتي الدّم من الأنف من غير انتظار وحسبان، وهو المعبّر بالرّعاف، وكرّر في الحديث، ففي علويّ: «لا يقطع الصّلاة الرُّعافُ ولا القيء ولا الأزُّ». (٢)

وصحيح الحلبيّ عن أبي عبدالله عليه السّلام، قال: «سألته عن رجل رعف، فلم يَرْقَ رعافه، حتّى دخل وقت الصّلاة، قال: يحشو أنفه بشيءٍ ثمّ يصلّي». (٣)

قال الخطيب، نقلاً عن البرقيّ: «لمّا قتل أميرالمؤمنين عليه السّلام الخوارج يوم النّهروان، قام إليه رجلٌ، فقال: يا أميرالمؤمنين! طوبى لنا إذ شَهِدْنا معك هذا الموقف، وقَتَلْنا معك هؤلاء الخوارج، فقال أميرالمؤمنين عليه السّلام: والّذي فَلَقَ الحَبّة وبرأ النّسَمَة لقد شَهِدَنا في هذا الموقف أناسٌ لم يخلق آباؤهم ولا أجدادهم بعدُ، فقال الرّجل: وكيف شَهِدَنا قومٌ لم يخلقوا؟ قال: بلى، قومٌ يكونون في آخرالزّمان، يُشركوننا فيما نحن فيه، وهم يسلّمون لنا، فأولئك شركاؤنا فيما نحن فيه حقّاً حقّاً».

و مصدر الشّريف غير هذهِ الرّواية، وتعدّد القضيّة ممكن، واتّحادها ممكن... «فلكلّ أمرئٍ مانوى» و «الأعمال بالنّيّات» و «مَنْ أَحَبَّ

---

(١) شرح النّهج: ١/٢٤٧.

(٢) الوسائل: ٤/١٢٤٨. والأزّ: الغليان والتّهيّج في البطن.

(٣) الوسائل: ١/١٨٧ ـ ١٨٨.

عمل قومٍ أُشرك في عملهم» و«إنّما يجمع النّاس الرّضا والسّخط».(١)

روى المحدّث القمّيّ رحمه اللّه عن عطيّة العوفيّ، قال: خرجتُ مع جابربن عبدالله الأنصاري رحمه الله زائرَيْنِ قبر الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السّلام، فلمّا وَرَدْنا كربلاء، دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل، ثمّ ائتزر بإزارٍ، وارتدى بآخر، ثمّ فتح صُرّةً فيها سُعْد فنثرها على بدَنَهِ، ثمّ لم يَخْطُ خطوةً إلاّ ذكرالله حتّى دنا من القبر، قال: أَلْمِسْنيهِ، فأَلمسته، فَخَرَّ على القبر مغشيّاً، فرَشَشْتُ عليه شيئاً من الماء فأفاق، ثمّ قال: يا حسينُ! ثلاثاً، ثمّ قال: حبيبٌ لا يجيب حبيباً، ثمّ قال: وأنّى لك بالجواب، وقد شُحِطَتْ أوداجُك على أثباجك، وفرّق بين بدنك ورأسك... ثمّ قال: والّذي بَعَثَ محمّداً صلّى الله عليه وآله ـوسلّمـ بالحقّ لقد شارَكْناكم فيما دَخَلْتُمْ فيه.

قال عطيّة: فقلتُ لجابر: وكيف؟ ولم نهبط وادياً، ولم نعلُ جَبَلاً، ولم نَضْرِب بسيفٍ، والقوم قد فرّق بين رؤوسهم وأبدانهم، وأُوتمَتْ أولادهم، وأُرمِلَت الأَزواج؛ فقال: يا عطيّة! سَمِعْتُ حبيبي رسول الله صلّى الله عليه وآله ـوسلّمـ يقول: من أَحَبّ قوماً حشر معهم، ومَنْ أَحَبّ عمل قومٍ أُشرِكَ في عَمَلِهِم، والّذي بعث محمّداً صلّى الله عليه وآله ـوسلّمـ بالحقّ إنّ نيّتي ونيّة أَصحابي على ما مضى عليه الحسين عليه السّلام وأصحابه.(٢) ذكرناه لمناسبة البحث الجاري.

---

(١) مصادر النّهج: ٣٤١/١ ـ ٣٤٢، وفي البحار: ٢١٢/٧٠ «إنّما الأعمال بالنّيّات، ولكلّ امرىءٍ مانوى...».

(٢) السّفينة: ٦٢٩/٢، في (نوى).

حرف الشّين

٦٥ـشتّان مايومي علىكورها ويـوم حـيّـان أخـي جـابر

من الأَبيات المعدودة من الأمثال:

* شتّان مايومي على كُورها *...(١)

تمثّل عليه السّلام بالبيت في خطبته المعروفة بـ (الشّقشقيّة).

قال المعتزليّ: إنّ البيت للأعشى الكبير، أعشىٰ قيس، وهوأبوبصير ميمون بن قيس بن جندل. من القصيدة الّتي قالها في منافرة علقمة بن علاثة و عامر بن الطّفيل. (٢) وأوّلها:

شاقتك من قتلة أطلاها بالشّط فالوتر إلى حـاجر
فركن مهـراس إلى ماردٍ فقاع منفوحة ذي الحائر
دار لهـا غـيّـر آيـاتها كلّ ملـثّ صـوبه زاخر

والضّمير في (كُورها) في البيت المتمثّل به يعود على النّاقة في بيتٍ

---

(١) النّهج: ١٦٢/١، ط ٣.
(٢) شرح النّهج: ١٦٦/١.

متقدّم عليه، وهو قوله:

وقد أسلي الهمّ حين اعتري بجسـرةٍ (١) دوسـرةٍ عـاقـر

وحيّان: اسم رجل من بني حنيفة، كان سيّداً مطاعاً، وذا نعمةٍ وافرةٍ، وكان الأعشى ينادمه. وجابر: أخوحيّان، أصغرمنه، وذكره الشّاعر للقافية.

و معنى البيت: فرقٌ كبيرٌ مابين سفري على ناقتي و بين يوم حيّان في نعمته الوافرة. يُشير عليه السّلام به إلى أنّ هناك فرقاً بين يومه في الخلافة مع ما انتقض عليه من الأمر، ومع يوم عُمَر، حيث وَلِيَها على قاعدةٍ ممهّدة. (٢)

---

(١) الجسرة: العظيمة من الإبل.والدّوسرة: النّاقة الضّخيمة، كما في هامش شرح النّهج: ١٦٦/١.

(٢) رسالة الإسلام: عدد: ٧ - ٨، ص: ١٢٠ - ١٢١.

ولا يخفى أنّ من الأمثال السّائرة قولهم: (أنعم من حيّان أخي جابر). قال الميدانيّ بعد المثل: قالو: إنّه كان رجلاً من العرب في رخاء من العيش ونعمة من البدن فقال فيه الأعشى:

شتّان مايومي على كورها ونوم حيّان أخي جابر

يقول: أنا في السّير، والشّقاء، وحيّان في الدّعة والرّخاء. مجمع الأمثال: ٣٥٦/٢. حرف النّون.

أقول: في غير المجمع: (ما يومي على كورها) حتى (فرائد اللآل) الّذي هو شرحه ج: ٣١٥/٢، والمستقصى: ٣٩٣/١.

وحصيلة ذلك، أنّ الفرق بين راكب النّاقة الرّاقلة به، وحيّان المُتنعّم بنعمةٍ ناعمةٍ وراحةٍ، هو الفرق بيني في خلافتي الّتي انتقض عَلَيَّ أَمْرُها، وبين عمر الّذي مهّدت له الأمور، كما أراد وأرادها الأوّل،

وهذا من دلالات مظلوميّته عليه السّلام واغتصاب حقّه الثّابت، فلوكان الأمر على ضوء وصاية النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم سائراً، لما اغتصب حقُّ الخلافة منه، ولا حقٌّ إلى يوم القيامة.

٦٦- شحذ القَيْنُ النّصل

من خطبة له عليه السّلام يقول فيها:

«يا قوم! هذا إبّانَ وُرود كُلّ موعودٍ، ودنوٍّ من طلعة مالا تعرفون، ألا وإنّ مَنْ أَدْرَكَها منّا يَسْري بسراجٍ مُنيرٍ، ويحذو فيها على مثالِ الصّالحين، ليَحلَّ فيها رِبْقاً، ويَعْتقَ فيها رِقّاً، ويَصْدَعَ شعباً، ويَشْعب صَدْعاً؛ في سُترة عن النّاس، لايُبصر القائف أَثَرَه؛ ثمّ ليشحذنّ فيها قومٌ شحذ القَيْن النّصل...».(١)

في الدّعاء: «أعوذ بكَ مِنْ عدوٍّ شَحَذَ لي ظَبّة مُديته»: أي حدّ لي، من قولهم: شحذتُ السّكينَ، أشْحَذه شَحذاً، من باب منع: إذا حددته.(٢)

---

(١) النهج: ١٢٦/٩، ط ١٥٠.

(٢) مجمع البحرين: في (شحذ).

والقَيْن: الحدّاد، والجمع أقيان، ويقال للعبد: القَيْن بالفتح، وجمعه القيان. والأوّل المراد هنا؛ إذ الإمـام عليه السّلام يريد بقوله: «ودنوٍّ من طلعة ما لاتعرفون» إلى آخره: الإخبار بمجيء الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشّريف، ونقبائه المعبّر عنهم بقوله عليه السّلام: «ثمّ ليشحذنّ فيها -: أي في الطّلعة غير المعروفة - قومٌ شحذ القَينْ النّصل» تمثيلٌ لأذهانهم المتجلّية بأنوار القرآن، كأنّها شحّذت: أي حدّدت حتّى أصبحت تُدرك كلّ شيء.

كيف لا؟! و لأبصارهم البَر ق الرّبّانيّ، و لأسماعهم الاتّصال بالوحي يقذف فيها الحقائق قذفاً لها مباشرةً، فيشربون من كؤوس الحكمة القرآنيّة في الصّبوح والغبوق، وهذا ما أشار إليه عليه السّلام بقوله: «تجلّى بالتّنزيل -: أي القرآن - أبصارهم، ويُرمى بالتّفسير في مسامعهم، ويغبقون كأس الحكمة بعد الصّبوح».(١)

كما أنّ الشّحاذ المُجلي عن السّيوف الزّنجار وخبث الحديد، كذلك القرآن الكريم مُجلٍ لأذهانهم كلّ كدر الطّبيعة، فَتَسْتَنير بأنواره، ويُخبرون عن الحقائق، أولئك أولياء الحجّة عليه السّلام، وشأن كلّ عالم ربّاني مهما كان، وأين ما كان يتلقّون الوحي، وتُلقى في مسامعهم معانيه وأسراره.

ثمّ المثل يماثله من بعض الوجوه المَثلان النّبويّان: «إنّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد» و «إنّ للقلوب صدأً كصدأ الحديد، وجلاؤها

---

(١) النّهج: ١٢٦/٩، وانظر حرف الياء مع الغين.

الاستغفار وتلاوة القرآن». (١)

وأمّا المَثَل في القَين وإن لم يرتبط بالمراد فهو المَثَل: (إذا سمعت بسُرىٰ القَيْن فاعلم أنّه مُصبح). وهو سعد القَيْن، صار مَثَلاً في الكذب والباطل. (٢)

وقال العسكريّ: قولهم: (إذا سَمِعتَ بسُرىٰ القَيْن فأَصبح) يضرب مثلاً للرّجل يعرف بالكذب، حتّىٰ يردّ صدقه، وأصله أنّ القَيْن، وهو الحدّاد، إذا كسد عمله أشاع بارتحاله، وهو يريد الإقامة، وإنّما يذكر الرّحيل ليستعمله أهل الماء، ثمّ إذا صدق لم يصدّق؛ لأنّ من عرف بالصّدق جاز كذبه، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه. (٣)

ثمّ إنّ الإمام عليه السّلام يُشير في خطبته إلى زمان ظهور الحجّة المهديّ عجّل الله فرجه، ونقبائه المُشحذة أذهانهم بالحكمة والمعرفة.

---

(١) الأمثال النّبويّة: ١/٢٥٧، رقم المَثَل: ١٧١، حرف الهمزة مع النّون.

(٢) منتهى الأرب: ٣/١٠٧٤.

(٣) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ١/١٣، و المستقصى: ١/١٢٤.

٦٧ـ شُدّوا عُقَدَ المآزر

مَثَلٌ من الأمثال المذكورة في كلام له عليه السّلام، يحثّ أصحابه على الجهاد، أوردناه عند التّكلّم على المَثَل: «لا تجتمع عزيمةٌ وَ وليمةٌ»، (١) والمثلين الآخرين، (٢) أوّله: أي أوّل كلامه عليه السّلام:

«واللّهُ مُسْتَأديكم شُكْرَهُ، ومُورّثكُمْ أمْرَهُ، ومُمْهلكُمْ في مضمارٍ ممدودٍ، لتتنازعوا سَبَقَهُ. فشُدّوا عُقَدَ المآزر، وَاطوُوا فُضولَ الخواصِر». (٣)

ونقلنا ما شرحه المعتزليّ للأمثال، قال: أي شمّروا عن ساق الاجتهاد. ويقال لمن يُوصَى بالجدّ والتّشمير: (أُشْدُد عقد إزارك)؛ لأنّه إذا شدّها كان أبعد عن العثار، وأسرع للمشي. (٤)

ومنه المَثَل السّائر: (شَدَّ للأمر حَزيمَهُ)، ويروى: حيزومه، والفرق بينهما، أنّ الحزيم موضع الحزام من الصّدر والظّهر، كلّه مستدير، والحيزوم ملتقى رأس الجوانح، ومن وسط الصّدر. قال وكيع بن أبي سُويد:

---

(١) حرف اللاّم مع الألف.

(٢) حرف الميم مع الألف، والهمزة مع الميم.

(٣) النّهج: ١٤٢/١١، كلام ٢١٥.

(٤) شرح النّهج: ١٤٢/١١.

شيخٌ إذا حمّلَ مكروهةً　　　شَدَّ الحيازيم لها والحزام

وقال عليّ ـ عليه السّلام ـ:

أُشْدُدْ حيازيمك للموت　　　فـإنّ المـوتَ لاقـيـك

ولا تجـزع مِـن المـوت　　　إذا حَلَّ بواديـك (١)

وقد سبق المَثَل: «أُشْدُدْ حيازيمك للموت»، المرويّ من طريقنا ومن الجمهور، فراجع.(٢)

والمقاصد الّتي يشدّ من أجلها الحزام، إمّا دنيويّةٌ أودينيّةٌ، ولكلٍّ أهل، والّذي يحمل الإنسان على العمل وشدّ الحزام إنّما هو الإرادة. وأمّا الأهداف فربّما تتحقّق.

وممّا يعجبني ماجاء من دعاء يوم المبعث النّبويّ السّابع والعشرين من رجب المرجّب منه: «وَقَدْ عَلِمْتُ أَنّ أَفْضَلَ زَادِ الرّاحِلِ إِلَيْكَ عَزْمُ إرادةٍ يَخْتارُكَ بها، وَقَدْناجاكَ بعَزْمِ الإرادةِ قَلْبي».(٣)

ولا قَيمة للأمر الدّنيويّ إَذا لم ينتهِ إلى الدّين، لا إرادةً، ولا عملاً،

---

(١) المستقصىٰ: ١٢٨/٢.

(٢) حرف الهمزة مع الشّين في الأمثال العلويّة لاهنا، فتفطّن، ومجمع الأمثال: ٣٦٦/١، حرف الشين.

(٣) مفاتيح الجنان: ١٥٣.

ولا شدّ عقدة الإزار؛ لفنائه ونفاده،كما قال تعالى: «ماعِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وما عِنْدَاللهِ باقٍ». (١)

و أمّـا أمـرُهُ عـليـه السّلام بشدّ عُقَدالمآزر، فناظرٌ إلى الجهاد في سبيل الله تعالى، ويحتمل النّظر إلى المعنى الشّامل،والله العالم.

٦٨- الشَّرُّ بالشَّرّ مُلْحَقٌ

قاله عليه السّلام في كتابٍ له كتبه إلى الحارث الهمدانيّ: «...، ...،...،وإيّاك ومصاحبة الفسّاق؛ فإنّ الشّرّ بالشّرّ ملحقٌ ...». (٢)

قال الشّارح: يقول: إنّ الطّباع ينزع بعضها إلى بعضٍ، فلا تصحبنّ الفسّاق؛ فإنّه ينزع بك ما فيك من طبع الشّرّ إلى مساعدتهم على الفسوق والمعصية، وما هو إلاّ كالنّار تقوى بالنّار، فإذا لم تجاورها وتمازجها نارٌ كانت إلى الانطفاء والخمود أقرب.

ورُوي: (ملحق) بكسر الحاء، وقد جاء في الخبر النّبويّ: «عذابك بالكفّار مُلْحِق» بالكسر. (٣)

قوله عليه السّلام: «الشّرّ بالشّرّ مُلْحَقٌ» معدودٌ من الأمثال نظير قولهم: (الشّرّ للشّرّ خُلق)، و(الحديد بالحديد يفلح). (٤)

---

(١) النّحل: ٩٦.

(٢) النّهج: ٤١/١٨، ك ٦٩.

(٣) شرح النّهج: ٥٠/١٨ - ٥١.

(٤) مجمع الأمثال: ٣٦٦/١، حرف الشّين.

والإنسان المغفّل إذا صاحب الفاسق، أثّر فِسْقُه فيه، وزاد هو في فِسْقه؛ إن لم يكن على حذرٍ منه لامحالة، جاء التّأثير وزيادة الفسق بزيادة أفراد الفسّاق، وهو المصاحب، إذ المصاحبة مؤثّرة، إنْ خيراً فخيرٌ، وإن شرّاً فشرٌّ.

وجاء في حديث الإمام السّجّاد عليه السّلام النّهي عن مصاحبة خمسةٍ، ومحادثتهم ومرافقتهم في طريقٍ، وهم: الكذّاب، والفاسق، والبخيل، والأحمق، والقاطع لرحمه.(١)

ونسب إلى أميرالمؤمنين عليه السّلام ما يلي:

عاشر أخاثقةٍ تَحظى بصحبته فالمرء مكتسب من كلّ مصحوب
كالرّيح آخذةٌ حين تمرّ به نتن من النّتن أوطيب من الطّيب(٢)

ومن آثار سوء مصاحبة الفاسق أنّه مظنّة سخط الله عزّ وجلّ وعذابه، إذا نَزَلَ عَمَّ مَنْ مَعَه، كما كان عكس ذلك مصاحبة المتّقي الّذي هو عرضة رحمة الله تعالى؛ فإنّها إن نَزَلَتْ عَمَّتْ.

والفسق: هو الخروج عن طاعة الله تعالى، الّذي هو منشأ الشّرور، إذ لا يأمن معه ركوب المعاصي كلّها، من الاجتماعيّة وغيرها الّتي تجلب الشّرور.

---

(١) السّفينة: ٢/٨، في (صحب).

(٢) الدّيوان المنسوب إليه عليه السّلام، قافية الباء.

ومن الأمثال السّائرة قولهم: (إنّ الشّقيّ ينتحي له الشّقيّ): أي أحدهما يقيّض لصاحبه، فيتعارفان ويأتلفان (١).

٦٩ـ الشَّفيعُ جَناحُ الطّالب

قال عليه السّلام:
«الشَّفيعُ جَناحُ الطّالب». (٢)

قيل: الشّفاعة: توسّط مَنْ له جاهٌ عند المُشفَّع في إنجاح حاجة المشفوع له، فكأنّ المشفوع له يَطير نحو ما قَصَدَه بوسيلة الشّفيع، فشبّهه بجناح الطّائر. (٣)

إذا حقّقنا النّظر وجدنا الشّفاعة: هي الوساطة في حصول الشّيء، والوسيلة والسّبب المؤثّر فيه من أيّ شيءٍ لأيّ شيءٍ عند أيّ شيءٍ من عالم الأسباب الّتي جاء فيها الحديث:

روى الشّيخ الكلينيّ بسنده عن أبي عبدالله عليه السّلام، أنّه قال: «أبى الله أن يُجريَ الأشياء إلاّ بالأسباب، فجعل لكلّ شيءٍ سبباً،

---

(١) مجمع الأمثال: ٦٥/١، حرف الهمزة.

(٢) النّهج: ٢٠٤/١٨، الحكمة: ٦١، والنّهج: ٢٠ /٣٤٠ ، رقم ٩٠٠ من الحِكم المنسوبة.

(٣) منهاج البراعة: ٩٩/٢١.

وجعل لكلّ سببٍ شرحاً، وجعل لكلّ شرحٍ علماً، وجعل لكلّ علم باباً ناطقاً، عرفه مَنْ عَرَفه، وجهله مَنْ جهله؛ ذلك رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ونحن».(١)

فأهل البيت عليهم السّلام من أشرف الأسباب، وأهمّ الوسائل المبتغاة المعنيّة بها الآية: «يأيُّها الّذين ءامنوا اتّقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة». (٢) ممّن له جاهٌ وكلّ حرمات الله من رسلٍ وكتبٍ وغيرها. فأهل البيت عليهم السّلام من أقرب ما يتوسّل به المتوسّلون إلى الله تعالى، وهم شفعاؤنا إليه جلّ جلاله، كما جاء في زيارة الجامعة الكبيرة: «اللّهمّ إنّي لو وجدتُ شفعاء أقرب إليك من محمّدٍ وأهل بيته الأخيار الأئمّة الأبرار، لجعلتُهم شفعائي».(٣)

وأسباب الشّفاعة كثيرةٌ، منها: القرآن الكريم «إنّه شافعٌ مُشفّعٌ».(٤) ومنها: اعتراف المذنب بذنبه وخضوعه، كما قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: «شفيع المذنب خضوعه». (٥) ويلزم الخضوع الاعتراف لا محالة.

ثمّ الشّفاعة لها شروط، أهمّها رضاء الله تعالى، ومِنْ بَعْد إذنه، على

---

(١) أصول الكافي: ١/١٨٣.

(٢) المائدة: ٣٥.

(٣) مفاتيح الجنان: ٥٥٠.

(٤) أصول الكافي: ٢/٥٩٩.

(٥) السّفينة: ١/٧٠٧. البحار: ٧٨/٥٣.

ما نطق القرآن الكريم: «ولا يشفعون إلاّ لِمَن ارتضى».(١) «ما مِنْ شفيعٍ إلاّ مِنْ بَعْد إذنِهِ».(٢)

وقد تناولها في ستة وعشرين موضعاً، منه مصرّحاً بهذا الشّرط أو ملوّحاً وذلك؛لاعتبار القابليّة العقليّة. في النّبويّ: «رجلان لا تنالهما شفاعتي: سلطانٌ عسوفٌ غشومٌ، وغالٍ في الدين مارقٌ».(٣)

وممّن يفقد القابليّة المستخفّ بالصّلاة؛ في الباقريّ:

«قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلّم-:لاينال شفاعتي من استخفّ بصلاته».(٤) وصحيح أبي بصير قال:

«دخلتُ على أمّ حميدة أُعزّيها بأبي عبدالله عليه السّلام، فبَكَتْ وبكَيتُ لبكائها، ثمّ قالَتْ: يا أبا محمّدٍ! لو رأيتَ أباعبدالله عندالموت لرأيتَ عجيباً، فتح عينيه ثمّ قال: اجمعوا لي كلّ من بيني وبينه قرابةٌ، قالَتْ: فما تركنا أحداً إلاّ جمعناه، فنظر إليهم، ثمّ قال: إنّ شفاعتنا لاتنال مستخفّاً بالصّلاة».(٥)

وإذا تدبّرت عرفت صنوفاً آخرين من النّاس لا تليق بهم الشّفاعة؛ لأسباب مذكورة في الكتاب والسّنّة وعندالعقول الحصيفة.

---

(١) الأنبياء: ٢٨.

(٢) يونس: ٣.

(٣) السّفينة: ٧٠٦/١، في (شفع).

(٤) الوسائل: ١٧/٣.

(٥) المصدر.

ثمّ كلام الإمام عليه السّلام: (الشّفيع جناح الطّالب) بيان لطبع المطلب مع قطع النّظر إلى شروط الشّفاعة والمشفوع له والشّفيع. بل المراد: أنّ كلّ من يقصر عن الوصول إلى المطلوب لأجل الموانع يرفعها الشّفيع ويساعده، كأنّه جناحه الّذي يطيربه إلى مطلوبه، أويعيره على حدّ قول القائل:

أسِرْبَ القَطاهل من يُعير جَناحه لعلّي إلى مَنْ قد هَوْيتُ أطيرُ (١)

٧٠ـ شِقْشقةٌ هَدَرَتْ ثُمّ قَرّتْ

من الكلمات المعدودة من الأمثال قوله عليه السّلام:
«شِقْشقةٌ هَدَرَتْ ثُمّ قَرّتْ». (٢)

وهو مثل سائر تمثّل به الإمام عليه السّلام لابن عبّاس، عندما سأله اطّراده في خطبته المعروفة بالشّقشقيّة، سمّيت بها لاشتمالها على كلمة الشّقشقة، وقد ناوله رجل من أهل العراق كتاباً لينظر فيه، فقطع خطبته لذلك، ولم يعد إليها، فتأسّف ابن عبّاس عمّا فاته من إكمالها عن

---

(١) جامع الشّواهد: ١١٨/١، باب الألف بعده السّين.
(٢) النّهج: ٢٠٣/١، ط ٣.

آخرها؛ لأنّها تكشف عن مواقف الخلفاء الثّلاثة، والخلال الّتي لا تليق بمنصب الخلافة والإمامة على الأُمّة المرحومة.

وقد أوّل الجمهور كلمات الخطبة بما لا تنطبق عليه اللّغة العربيّة؛ ولا يشكّ في مراد الإمام عليه السّلام منها من له أدنى إلمام بها: أي باللّغة العربيّة من منطوق الخطبة ومفهومها، ومِن ثمّ أنكرها بعضهم أن تكون من خطبه عليه السّلام رأساً، لئلّا يواجه مشكلة التّأويل.

ولم يذكر الزّمخشريّ المَثَل في (المستقصى في أمثال العرب)، ولا ريب في كونه منها -فِراراً- من الإسناد إلى الخطبة العلويّة، وإلفات النّظر إليها.

وذكره النّيسابوريّ في كتابه مجمع الأمثال مسنداً الخطبة إليه عليه السّلام، مع تفسير المَثَل، قال: الشّقشقة: شيءٌ كالرّئة يخرجها البعير من فيه إذا هاج. وإذا قالوا للخطيب: (ذو شقشقة) فإنّما يشبّه بالفحل.

ولأمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه -عليه السّلام- خطبة تعرف بالشّقشقيّة؛ لأنّ ابن عبّاس رضي الله عنهما قال له حين قطع كلامه: يا أمير المؤمنين! لو اطّردت مقالتك من حيث أَفضيتَ. فقال: هيهات يا ابن عبّاس! تلك شقشقةٌ هَدَرَتْ ثمّ قَرّتْ. (١)

ولا ينقضي العجب من ابن أبي الحديد القائل بصدورها عن الإمام عليه السّلام، وتأويله لكلمات الخطبة والإصرار عليه.

---

(١) ١/٣٦٩، حرف الشّين.

قال: إن قيل: بيّنوا لنا ما عندكم في هذا الكلام، أليس صريحه دالّاً على تظليم القوم ونسبتهم إلى اغتصاب الأمر؟ فما قولكم في ذلك؟ إن حكمتم عليهم بذلك فقد طعنتم فيهم، وإن لم تحكموا عليهم بذلك فقد طعنتم في المتظلّم المتكلّم عليهم!.

قيل: أمّا الإماميّة من الشّيعة، فُتجري هذه الألفاظ على ظواهرها، وتذهب إلى أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله ـوسلّمـ نصّ على أميرالمؤمنين عليه السّلام، وأنّه غصب حقّه. وأمّا أصحابنا رحمهم الله، فلهم أن يقولوا...(١)

ـأقول: وراح يلقّنهم ما يلفّقونه لصرف ظواهر ألفاظ الخطبةـ: إنّه لمّا كان أميرالمؤمنين عليه السّلام هو الأفضل والأحقّ، وعدل عنه إلى من لايساويه في فضل، ولايوازيه في جهاد وعلم، ولايماثله في سؤددٍ وشرفٍ ـساغ إطلاق هذه الألفاظ، وإن كان مَن وُسم بالخلافة قبله عدلاً تقيّاً، وكانت بيعته بيعة صحيحة؛

ألا ترى أنّ البلد قد يكون فيه فقيهان، أحدهما أعلم من الآخر بطبقاتٍ كثيرةٍ، فيجعل السّلطان الأنقص علماً منهما قاضياً، فيتوجّد الأعلم ويتألّم، وينفث أحياناً بالشّكوى، ولايكون ذلك طعناً في القاضي، ولا تفسيقاً له، ولا حكماً منه بأنّه غير صالحٍ، بل للعدول عن الأحقّ والأولى! وهذا أمرٌ مركوزٌ في طباع البشر،ومجبول في أصل الغريزة والفطرة.

---

(١) شرح النّهج: ١/١٥٦ـ ١٥٧.

فأصحابنا رحمهم الله لمّا أحسنوا الظّنّ بالصّحابة، حملوا ما وقع منهم على وجه الصّواب، وأنّهم نظروا إلى مصلحة الإسلام، وخافوا فتنةً لا تقتصرعلى ذهاب الخلافة فقط، بل و تفضي إلى ذهاب النّبوّة والملّة. فعدلوا عن الأفضل الأشرف الأحقّ إلى فاضل آخر دونه، فعقدوا له ـاحتاجوا إلى تأويل هذه الألفاظ الصّادرة عمّن يعتقدونه في الجلالة والرّفعة قريباً من منزلة النّبوّة، فتأوّلوها بهذا التّأويل، وحملوها على التّألّم للعدول عن الأولى.(١)

ذكرت كلامه لتكون أنت الحَكَم فيه، وهل يسوغ البناء على أصل باطل في العقول من تأخير الفاضل عن المفضول، ثمّ التّفريع عليه؟ أو هل للأمّة الخيرة في نصب الخليفة بعد نصّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم الغدير له عليه السّلام؟ أوَ يجوز حمل الخطبة على التّألّم للعدول عن الأولى، وماهو بمنزلة النّبوّة، كما اعترف بها؟ أوَ مِن الممكن أن نصحّح عمل المفضول بتأويل القول الصّادر صريحاً من الفاضل في قدحه؟!.

فاختر ما تحبّ. والحديث ذوشجون (٢).

---

(١) شرح النّهج: ١/١٥٦ - ١٥٧.

(٢) مَثَلٌ سائرٌ، ذكره النّيسابوريّ في مجمع الأمثال: ١/١٩٧، حرف الحاء. قال: يضرب هذا المَثَل في الحديث، يتذكّر به غيره، فراجع.

٧١ـ الشّقيّ مَن انخدع لهواه وغروره

من خطبة له عليه السّلام، قال فيها:
«السّعيدُ مَنْ وُعِظَ بغيره، والشّقيُّ مَنْ انخدع لهواه وغروره».(١)

تكلّمنا على الفقرة الأولى (٢) بما يغني البحث في المقام عن زيادة توضيح؛ لأنّه كما قيل تعرف الأشياء بأضدادها. (٣) فإذا عرفت السّعيد عرفت ضدّه وهو الشّقي. وقد حان الوفاء بما وعدناه هناك مِنْ بعض أبحاث كلاميّة:

روى الشّيخ الكلينيّ طاب ثراه بسنده الصّحيح، عن منصوربن حازم، عن أبي عبدالله عليه السّلام، قال: «إنّ الله خلق السّعادة والشّقاوة قبل أن يخلق خلقه، فمن خلقه الله سعيداً لم يبغضه أبداً، وإن عمل شرّاً أبغض عمله ولم يبغضه، وإن كان شقيّاً لم يحبّه أبداً، وإن عمل صالحاً أحبّ عمله وأبغضه لما يصير إليه ، فإذا أحبّ اللّه شيئاً

---

(١) النّهج: ٣٥٣/٦، ط: ٨٥.
(٢) انظر السّعيد، حرف السّين مع العين.
(٣) أمثال وحِكَم دهخدا: ٥٤٨/١.

لم يبغضه أبداً، وإذا أبغض شيئاً لم يحبّه أبداً». (١)

تناول العلماء هذا الحديث وأشباهه الدّالّة على أنّ السّعادة والشّقاوة ليس للعباد فيهما صنعٌ، وأنّهما مخلوقتان للّه عزّ وجلّ، وهكذا الخير والشّرّ، والقضاء والقدر، الّتي نتيجة ذلك كلّه الجبر الباطل، وظاهر طائفة من آيات القرآن الكريم ممّا فيه الإضلال والقضاء والقدر وغيرها، وأحاديث الطّينة تولّد أصعب المسائل الكلاميّة، وهكذا من أحاديث القضاء والقدر الّتي استند القائل بالجبر بها.

وأمّا الجواب: فتارة يكون بالرّوايات المجيبة عن الإشكالات وهي كثيرة، وأخرى بكلمات العلماء، والاستدلالات العقليّة المذكورة في كُتب الكلام، ونذكر هنا من النّوعين نبذاً إذ الإنهاء مستدع لوضع كتاب على حده.

فمن الرّوايات الّتي بهذا الصّدد:

١ـ صحيح الحلبيّ: عن أبي عبدالله عليه السّلام في قول اللّه عزّ وجلّ: «وقد كانوا يدعون إلى السّجود وهم سٰلِمونَ». (٢) قال: «وهم مستطيعون، يستطيعون الأخذ بما أمروا به، والتّرك لما نهوا عنه، وبذلك ابتلوا». (٣)

٢ـ وحديثه الآخر: قال عليه السّلام: «لا يكون العبد فاعلاً ولا متحرّكاً

---

(١) أصول الكافي: ١/١٥٢ ـ ١٥٣.

(٢) القلم: ٤٣.

(٣) التّوحيد: ٣٤٩.

إلاّ والاستطاعة معه من اللّه عزّ وجلّ، وإنّما وقع التّكليف من الله تبارك وتعالى بعد الاستطاعة، ولايكون مكلّفاً للفعل إلّا مستطيعاً». (١)

٣ـ وصحيحه الآخر: قال عليه السّلام: «ما أمر العباد إلّا بدون سعتهم، فكلّ شيءٍ أمر النّاس بأخذه، فهم متّسعون له، وما لا يتّسعون له فهو موضوعٌ عنهم، ولكنّ النّاس لا خير فيهم». (٢)

٤ـ والرّضويّ: «يستطيع العبد بعد أربع خصال: أن يكون مخلّى السّرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح، يريد أن يزني، فلا يجد امرأة، ثمّ يجدها، فأمّا أن يعصم فيمتنع، كما امتنع يوسف عليه السّلام، أو يخلّى بينه و بين إرادته فيزني، فيسمّى زانياً، ولم يُطع اللّه بإكراهٍ، ولم يُعص بغلبةٍ». (٣)

٥ـ والصّادقيّ: في قول اللّه عزّ وجلّ: «وسيحلفون باللّه لواستطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم واللّه يعلم إنّهم لكٰذبون». (٤) قال: أكذبهم اللّه عزّ وجلّ في قولهم: «لواستطعنا لخرجنا معكم»، وقد كانوا مستطيعين للخروج. (٥)

٦ـ والصّادقيّ الآخر: «لا يكون من العبد قبضٌ ولا بسطٌ إلّا باستطاعةٍ متقدّمةٍ للقبض والبسط». (٦)

٧ـ والموسويّ: قال: «مرّ أمير المؤمنين عليه السّلام بجماعةٍ بالكوفة، وهم

---

(١) التّوحيد: ٣٤٥.
(٢) التّوحيد: ٣٤٧.
(٣) التّوحيد: ٣٤٨.
(٤) التّوبة: ٤٢.
(٥) التّوحيد: ٣٥١.
(٦) التّوحيد: ٣٥٢.

يختصمون في القدر، فقال لمتكلّمهم: أبالله تستطيع، أم مع الله، أم من دون الله؟ فلم يَدْرِ مايردُّ عليه، فقال أميرالمؤمين عليه السّلام: إنّك إن زعمت أنّك بالله تستطيع فليس لك من الأمر شيءٌ.(١)وإن زعمت أنّك مع الله تستطيع، فقد زعمت أنّك شريكٌ معه في ملكه، وإن زعمت أنّك من دون الله تستطيع فقد ادّعيت الرّبوبيّة من دون الله عزّ وجلّ فقال: يا أميرالمؤمنين لابل بالله أستطيع، فقال عليه السّلام: أما إنّك لوقلت غير هذا لضربتُ عنقك ».(٢)

٨ـ وصحيح ابن أبي عمير: قال: «سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السّلام عن معنى قول رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: «الشّقيّ مَنْ شقي في بطن اُمّه، والسّعيد مَنْ سعد في بطن اُمّه». فقال: الشّقيّ مَنْ عَلِمَ الله وهو في بطن اُمّه أنّه يستعمل أعمال الأشقياء، والسّعيد مَن عَلِمَ الله وهو في بطن اُمّه أنّه سيعمل أعمال السّعداء، قلت له: فما معنى قوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ:

٩ـ «اعملوا فكلٌّ ميسّرٌ لما خُلِقَ له»؟ فقال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق الجنّ والإنس ليعبدوه، ولم يخلقهم ليعصوه، وذلك قوله عزّ وجلّ: «وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون». (٣) فيسّر كلاًّ لما خلق له، فالويل لمن استحبّ العمى على الهدى».(٤)

---

(١): أي ممّا ادّعيت من استقلالك في الأفاعيل والحركات، وإلّا فقد قرّره عليه السّلام على هذا الشّقّ في آخره.

(٢) التّوحيد: ٣٥٢ ـ ٣٥٣.

(٣) الذّاريات: ٥٦.

(٤) التّوحيد: ٣٥٦.

إذا كان العبد مجبوراً في عمله، فلم يكن للسّعادة والشّقاوة معنى؛ لأنّ السّعيد: الموفّق للعمل الصّالح باختياره،والشّقيّ: المخذول باختياره. وهذه الرّوايات التّسع. أثبتت الاختيار، وعليه يكون للسّعادة والشّقاوة معنىً معقول، إلّا الحديث الأوّل فإنّه لابدّ من تأويله.

فنقول: ومن الكلمات وهي النّوع الثّاني في مقام الجواب عمّا يوهم الجبر الباطل، ماقاله المحقّق المازندرانيّ: (الإنسان عبارة عن مجموع الجوهرين: النّفس والبدن. ولكلّ واحدٍ منهما طريقان: طريق الخير، وطريق الشّر. فطريق الخير للأوّل: العقائد الصّحيحة، والأخلاق المرضيّة، وللثّاني: هي الأعمال الحسنة، وطريق الشّرّ للأوّل، هي: العقائد الباطلة، والأخلاق الرّذيلة، وللثّاني، هي: الأعمال القبيحة.

فإن استقام هذان الجوهران في شخصٍ دائماً، كما في الأنبياء والأوصياء كان سعيداً مطلقاً محبوباً للّه تعالى دائماً غير مبغوضٍ أبداً، وإن لم يستقم شيءٌ منهما أبداً كان شقيّاً مطلقاً مبغوضاً أبداً غير محبوبٍ أصلاً، وإن استقام الأوّل دائماً دون الثّاني كان هو محبوباً دائماً غير مبغوضٍ أبداً؛ لأنّ الجوهر الأوّل أولى بالحقيقة الإنسانيّة، بل هو الإنسان حقيقة، وكان عمله مبغوضاً، وإن استقام الثّاني دائماً دون الأوّل كان هو مبغوضاً وعمله محبوباً. وإن استقام كلّ واحدٍ منهما في وقتٍ دون آخر، يعتبر حاله في الخاتمة، فإن استقاما أواستقام الأوّل وحده كان هوعند اللّه محبوباً، وكان عمله مبغوضاً، وإن استقام الثّاني، أولم يستقم شيءٌ منهما كان هو عنداللّه مبغوضاً، وكان عمله محبوباً، وكلّما كان العمل وحده مبغوضاً، أمكن أن تتداركه التّوبة أوالمصيبة أوالبرزخيّة أو الشّفاعة أوالعفو.

وممّا ذكرنا ظهر أنّ الكافر الّذي يؤمن محبوبٌ له تعالى في علم الغيب، والمؤمن الّذي يكفر مبغوضٌ أبداً، لايقال: هذا ينافي قوله تعالى: «لقد رَضِيَ اللّه عن المُؤمنين إذيبايعونك تحت الشّجرة».(١)

فإنّ هؤلاء كانوا محبوبين، ثمّ صار بعضهم مبغوضاً بالنّفاق؛ لأنّا نقول: الرّضا متعلّق بالمُؤمنين، وكون هؤلاء من المؤمنين عند المبايعة ممنوع، وعلى تقدير التّسليم كان الرّضا مشروطاً بالوفاء وعدم النّكث).(٢)

وقال السّيّد شبّر: تطبيق هذاالحديث على قواعد العدليّة وأصول الإماميّة يقتضي أن يحمل الخلق في خلق السّعادة والشّقاوة على الخلق التّقديريّ لا التّكوينيّ، والخلق الثّاني في قوله: «قبل أن يخلق خلقه» على الخلق التّكوينيّ الموجود في الخارج، إلى آخر كلامه رحمه الله. (٣)

والتّأويل للظّواهر إذا لم يوافقها العقل واجبٌ، ومنها المقام، فافهم.

---

(١) الفتح: ١٨.

(٢) مصابيح الأنوار: ١/١٠٩ ـ ١١٠، نقلاً عن المحقّق المازندرانيّ.

(٣) مصابيح الأنوار: ١/١٠٧.

٧٢ـ الشّكرُ زينةُ الغنىٰ

قال عليه السّلام:

«العفاف زينة الفقر، والشّكر زينة الغنىٰ».(١)

تكلّمنا على الفقرة الأولى.(٢)

والشّكر: صرف العبد جميع ما أنعم اللّه عليه فيما خلق من أجله، وعرّف بتعاريف، ذكرناها بالمناسبة في كتابنا (الاسم الأعظم، أو معارف البسملة والحمدلة).(٣)ويكون باللّسان والأركان والجَنان: أي القلب، وهو أصل الأوّلين.

من الحِكم المنسوبة إليه عليه السّلام: «ما أنعم الله على عبدٍ نعمةً فشكرها بقلبه إلاّ استوجب المزيد عليها، قبل ظهورها على لسانه».(٤)

في ثلاثة وسبعين موضعاً من القرآن الكريم تناول الشّكر ومشتقّاته الدّالّة على تعظيم المنعم منها: ما اقتصّ اللّه عزّ وجلّ عن قول سليمان

---

(١) النّهج: ٢١٣/١٨، الحكمة: ٦٦. البحار: ٤٢٢/٧٧. وج: ٩١/٧٨.

(٢) حرف العين مع الفاء من هذا الكتاب.

(٣)ص: ١٩٥ - ٢٢٤.

(٤) النّهج: ٢٦١/٢٠، ٥٠.

عليه السّلام: «ربّ أوزعنى أنْ أشكر نعمتك الّتى أنعمت عَلَىّ وعلىٰ والدىّ». (١) وقبل ارتداد الطّرْف (٢)، عندما رأى عرش بلقيس مستقرّاً لديه: «هٰذا من فضل ربّى ليبلونى ءأشكر أم أكفر ومن شكر فإنّما يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ ربّى غنيّ كريم».(٣) والشّكر سبب الزّيادة، كما قال تعالى: «وإذ تـأذّن ربّكم لَئِن شكرتم لأزيدنّكم».(٤)

ولغيرها على ما أُشير اليه في الأمثال السّائرة كما يلي:

(النّعمة وحشيّةٌ، إن شكرت قرّت، وإن كفرت فرّت). (الشّكر قيد النّعمة، ومفتاح الزّيادة، وثمن الجنّة). (مَنْ كنتَ طليق برّه، فلتكن أسير شكره). (النّعمة كالرّوضة، والشّكر كالزّهرة). (شكر المَولىٰ هوالأولىٰ). (الشّكر صوان النّعمة، ومادّة الزّيادة). (الشّكر ترجمان النّيّة، ولسان الطّويّة). (الشّكر هو السّبب إلى الزّيادة، والطّريق إلى السّعادة). (اشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شكرك). (من شكر قليلاً استحقّ جزيلاً). (النّعمة عروسٌ مهرها الشّكر).(إذا نزلت بك ضيفاً فاجعل قراها الشّكر). (كلّ مَنْ أُوليَ نعمةً فهو عبدها حتّىٰ يعتقد شكرها، ومن شكرها فقد استوجب مزيدها). (الشّكر أزكى مقالٍ، ولشوارد النّعمة أوثق عقالٍ). (الشّكر تميمة لتمام النّعمة). (إن

---

(١) النّمل: ١٩.

(٢) بإسكان الرّاء: العين، وفتحها: اللّسان.

(٣) النّمل: ٤٠.

(٤) إبراهيم: ٧.

قصّرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشّكر).(١)

ولو عرف العبد ربّه لم يطلب سواه بشكره، وقد رُوي عن أهل البيت عليهم السّلام، في علويّ: «إنّ قوماً عبدوا اللّه رغبةً، فتلك عبادة التّجّار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبةً، فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا اللّه شكراً، فتلك عبادة الأحرار».(٢)

ثمّ إنّما صار الشّكر زينة الغنىٰ، بأيّ تفسير فسّرالغنى؛ لأنّه جماله، كما أنّ الصّبر زينة العبادة، والحفظ زينة الرّواية، وخفض الجناح زينة العلم، وحسن الأدب زينة العقل، وبسط الوجه زينة الحلم، والإيثار زينة الزّهد، وبذل المجهود زينة المعروف، والخشوع زينة الصّلاة (٣).

---

(١) التّمثيل والمحاضرة: ٤١٦ - ٤١٧.

(٢) الوسائل: ٤٦/١، مقدّمة العبادات.

(٣) البحار: ٩١/٧٨.

حرف الصّاد

٧٣ـ صاحب السّلطان كراكب الأسد

من تمثيلات الإمام عليه السّلام:

«صاحب السّلطان كراكب الأسد، يغبط بموقعه وهو أعلم بموضعه». (١)

قال بعض الشّرّاح: قد جاء في صحبة السّلطان أمثال حكميّة مستحسنة تناسب هذا المعنىٰ، أو تجري مجراه، نحو قولهم: (صاحب السّلطان كراكب الأسد، يهابه النّاس، وهو لمركوبه أهيب). (إذا صحبت السّلطان فلتكن مداراتك له مداراة المرأة القبيحة لبعلها المبغض لها، فإنّها لاتدع التّصنّع له على حالٍ). (العاقل من طلب السّلامة من عمل السّلطان)؛ لأنّه إن عفّ جنى عليه العفاف عداوة الخاصّة، وإن بسط يَدَه جنى عليه البَسْط ألسنة الرّعيّة. (٢)

---

(١) النّهج: ١٤٩/١٩، الحكمة ٢٦٩.

(٢) شرح النّهج: ١٤٩/١٩ ـ ١٥٠، وقد جاء مايماثل التّمثيل المَثَل العلويّ في الخنثى المشكل لِمَنْ تزوّج به: «لأنت أجرأ مِنْ خاصي الأسد»، وبلفظ آخر: «لأنت أجرأ مِنْ راكب الأسد». الوسائل: ٥٧٦/١٧ ـ ٥٧٧، باب ٢ من أبواب ميراث الخنثى، الحديث ٣، و٥. أثبتناه في (الأمثال العلويّة) حرف اللام مع الهمزة، وأثبته الشّيخ التّستريّ في بهج الصّباغة: ٢٠٠/١١، كما وجاء التّمثيل المبحوث عنه فيه، ص: ١٩٥، أيضاً.

جاء التّحذير البالغ في أحاديثهم عليهم السّلام من الدّخول إلى دواوين الظّلمة والسّلاطين، وإعانتهم ولو بقطّ القلم، في نبويٍّ: «إذا كان يوم القيامة، نادى منادٍ: أين أعوان الظّلمة، ومَن لاق لهم دواةً، أو ربط كيساً، أومدّ لهم مدّة قلمٍ؟ فاحشروهم معهم». (١)

إذ لا يأمن معهم من المعاصي، وقتل النّفس المحترمة، واغتصاب أموال النّاس، بل وترك جميع ما أوجبه اللّه عزّ وجلّ، وركوب ما نهاه، ولا فرق بين العامل بالظّلم، والمعين، والرّاضي به؛ كما في الحديث. (٢)

نعم إذا قصد قضاء حوائج المؤمنين، ونجاتهم من الهلكة، جاز إلّا أن يغلب عليه، فلا يستطيع دفعاً عن نفسه، فضلاً عن غيره من نفوس. وعليّ بن يقطين من النّوع الجائز.

ثمّ الإمام عليه السّلام أراد من التّمثيل براكب الأسد: خطورة الأمر، حيث لايأمن راكبه من الهلاك، ولعلّه يعمّ كلّ متسلّطٍ لم يقيّده الإيمان، ومقتدرٍ وإنْ لم يكن بسلطان.

---

(١) الوسائل: ١٢/١٣٠.

(٢) الوسائل: ١١/٣٤٥.

٧٤- صاحبها كراكب الصّعبة

فقرة تمثيليّة أخرى من الخطبة الشّقشقيّة، قال عليه السّلام:

«فصاحبها كراكب الصّعبة، إن أشنق لها خَرَم، وإن أسلس لها تقحّم».(١)

قال المعتزليّ: والصّعبة من النّوق: مالم تركب ولم تُرَضْ، إنْ أشنق لها راكبها بالزّمام خَرَم أنفها، وإن أسلس زمامها تقحّم في المهالك، فألقته في مهواةٍ أوماءٍ أونارٍ، أوندّت فلم تقف حتّى تُرديه عنها فهلك. وأشنق الرّجل ناقته، إذا كفّها بالزّمام وهو راكبها. واللّغة المشهورة (شنق) ثلاثيّة. وأشنق البعير نفسه، إذا رفع رأسه.. وأصله من الشِّناق: وهو خيط يُشدّ به فم القِربة.

وقال الرّضيّ أبوالحسن رحمه اللّه تعالى: إنّما قال عليه السّلام: «أشنق لها»، ولم يقل: (أشنقها)؛ لأنّه جعل ذلك في مقابلة قوله: «أسلس لها»، وهذا حسن؛ فإنّهم إذا قصدوا الازدواج في الخطابة فعلوا مثل هذا، قالوا: الغدايا والعشايا، والأصل الغدوات جمع غدوة.

---

(١) النّهج: ١٦٢/١، الخطبة ٣.

و قال صلّى الله عليه وآله ـوسلّمـ: «ارجعن مأزورات غير مأجورات»،وأصله(موزورات) بالواو؛ لأنّه من الوزْر...

وقال الرّضيّ رحمه الله تعالى أيضاً:

ويروي أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله ـوسلّم ـخطب النّاس، وهو على ناقة قد شَنَق لها، وهي تقصع بجرّتها ... الجرّة: مايعلو من الجوف وتجرّه الإبل.(١)

قد طمع في الخلافة مَنْ لايصلح لها، وإنّما هي لأهلها، وليس إلاّ أميرالمؤمنين عليه السّلام، وحيث عُدِلَتْ عنه، أصبح موقفه منها حرجاً، فإن أَخَذَها قسراً، قالوا: إنّه عليه السّلام دنياويّ، مضافاً إلى إراقة الدّماء، وإن صَبَرَعنها، قالوا: إنّه عاجزٌ، علاوة على تهمة الوفاق والرّضا بمَنْ عُدِلَتْ إليه. فحاله كما مثّل عليه السّلام براكب الصّعبة، إن كفّها شقّ أنفها، وإن أرخى زمامها هلكت وأهلكت، وكما قال عليه السّلام: «فمُني النّاس لعمرالله بخبطٍ وشماسٍ، وتلوّنٍ واعتراضٍ، فصبرتُ على طول المدّة، وشدّة المحنة».

وقال قبل هذه الفقرات مايكشف عن صعوبة الأمر، وهو عليه السّلام قد اختار الصبر فيها:

«فسدلتُ دونها ثوباً، وطويتُ عنها كشحاً، وطفقتُ أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذّاء، أو أصبر على طخيةٍ عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصّغير، ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه، فرأيتُ أنّ الصّبر على

---

(١) شرح النّهج: ١/١٧١ - ١٧٣.

هاتا أحجىٰ، فصبرتُ وفي العين قذى، وفي الحلق شجاً، أرىٰ تراثي نهباً...».(١)

ولن تجد مَنْ يكشف عن حقيقة الأمر الّذي كان فيه كنفسه الشّريفة، فهو أدرى بحاله من غيره، فلوكان بيان أجلى للكشف،لَذكَرهُ. واللّه جلّ جلاله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم يعلم عُظم ماهو فيه، وهو «أوّل مظلوم، وأوّل من غُصِبَ حَقُّه».(٢) على وجه الأرض.

٧٥ـ صال الدّهر صيال السّبع العقور

كلمة تمثيليّة من خطبة الإمام عليه السّلام في الملاحم المشتملة على الحوادث الواقعة بعده، روحي فداه:

«... فعند ذلك أخذ الباطل مآخذه، وركب الجهل مراكبه، وعظمت الطّاغية، وقلّت الدّاعية، وصال الدّهر صيال السّبع العقور... ...».(٣)

«ركب الجهل مراكبه» عدّدناه من الأمثال فراجع.(٤)

---

(١) النّهج: ١٥١/١.

(٢) مفاتيح الجنان: ٣٥٣ـ الزّيارة الخامسة له عليه السّلام.

(٣) النّهج: ١٩١/٧، الخطبة ١٠٧.

(٤) حرف الرّاء مع الكاف.

وصال، أصله الصّاد والواو واللاّم، يدلّ على قهر وعلوّ. يقال: صال عليه يصول صولة، إذا استطال.(١)وسطو وحمل و وثوب، ومنه: «ربّ قول أنفذ من صول». (٢) والدّعاء: «اللّهمّ بك أحول، وبك أصول».

والصّيال: المصاولة من باب المفاعلة، التّصاول التّفاعل، ومنه الحديث: «إنّ هٰذين الحيّين من الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم تصاول الفحلين»: أي لايفعل أحدهما معه شيئاً إلاّ فعل الآخر معه شيئاً مثله.(٣)

والسّبع والسّباع: الأسد والذّئاب والكلاب والنّمور وغيرها، والسّبع بمعنى: العدد وغيره. والعقور جاء في الحديث: «خمس يقتلن في الحلّ والحرم، وعدّمنها الكلب العقور»، وهو كلّ سبع يعقر: أي يجرح ويقتل ويفترس، كالأسد والنّمر والذّئب، سمّاها كلباً لاشتراكها في السّبعيّة. والعقور من أبنية المبالغة. (٤) ومنه قوله عليه السّلام نقلاً عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: «إيّاكم والمُثلة، ولو بالكلب العقور».(٥)

ثمّ الكلام متّصل بما قبله الّذي لم نذكره هنا، وهو قوله عليه السّلام: «راية ضلالٍ قد قامَتْ على قُطبها وتَفَرّقَتْ بشعبها...» إلى أن يتّصل إلى المذكور هنا، وفي ارتباطه بحثٌ لايليق بالمقام.

---

(١) مقاييس اللّغة: في (صول).

(٢) انظر الرّاء مع الباء.

(٣) النّهاية: في (صَوَل)، وفيه الدّعاء.

(٤) النّهاية: في (عقر).

(٥) النّهج: ٦/١٧، الوصيّة. ٤٧.

والمراد من صول الدّهر: أهل ذلك الزّمان من السّلاطين والحكّام الجائرة، بل أكثر أفراد النّاس يكونون سباعاً ضاربة، يهرّ بعضها على بعض، والمؤمن فيهم كالشّاة الّتي احتوشتها الذّئاب والسّباع، فهل تسلم منها؟

ولعلّ المَثَل النّبويّ: «مَنْ لم يكن ذئباً أكلته الذّئاب»، بعد قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يأتي على النّاس زمان، يكون النّاس فيه ذئاباً» (١) ناظر إليه.

والإمام عليه السّلام علمه مستقئ من عين النّبوّة الصّافية، وكذلك علوم أهل البيت عليهم السّلام، والكلّ مجراه من علم الرّحمٰن. قال السّيّد الأمين:

هم أبحر العلم الّتي ماشانها كدر ومجراها من الرّحمٰن (٢).

---

(١) السّفينة: ١/٤٧٨، في (ذئب)، والأمثال النّبويّة: ٢/٢٨٧، رقم المَثَل: ٥٨٢، حرف الميم مع النّون.

(٢) المجالس السّنيّة: ٥/٣٦٨.

٧٦ـ صنائع المعروف تقي مصارع الهوان

إحدى فقرات خطبة له عليه السّلام، أوّلها:

«إنّ أفضل ما توسّل به المتوسّلون إلى الله سبحانه وتعالى، الإيمان به و برسوله ـ إلى أن قال عليه السّلام: ـ وصنائع المعروف؛ فإنّها تقي مصارع الهوان». (١)

وهذا منطبق تماماً على المَثَل المعروف: (اصطناع المعروف يقي مصارع السّوء).

قال الميدانيّ بعد المَثَل السّائر: يقال: صَنَع معروفاً واصطنع كذلك في المعنى: أي فعل المعروف في أهله، يقي فاعله الوقوع في السّوء. (٢) ورواه غيره بلفظ: (صنائع المعروف تقي مصارع الحتوف). (٣) والكلّ متواطئ المعنى. وفسّر: كأسر الرّوم للمسلم، أو كأخذ الظّلَمة لغير المستحقّ للأخذ. (٤)

---

(١) النّهج: ٢٢١/٧، الخطبة: ١٠٩.

(٢) مجمع الأمثال: ٤٠٨/١، حرف الصّاد، رقم المَثَل: ٢١٥٩.

(٣) التّمثيل والمحاضرة: ٤٢٢.

(٤) شرح النّهج: ٢٢٤/٧.

وقيل في المعروف والصّنيعة: المعروف حصن النّعم من صروف الزّمن. المعروف رقٌّ، والمكافأة عنه عتقٌ. المعروف كنزٌ لا تأكله النّار. زكاة النّعم اتّخاذ الصّنائع. الصنائع ودائع الأيادي قروض. إنّما سُمّي المعروف معروفاً؛ لأنّ الكرام عرفت فضلَه فأتته. في كلّ شيء سرفٌ إلاّ في المعروف. نِعم العُدّة عند الحاجة إسلاف الصّنيعة. أهنأ المعروف أعجله. أهنأ المعروف مالا تبتذل فيه الوجوه. خير المعروف مالا يتقدّمه مَطْلٌ، ولم يتبعه منٌّ. للجواد الحازم كنزٌ في الآخرة من عمله، وكنزٌ في الدّنيا من معروفه. جود المقلّ من القليل. الجواد مَن يفيض من غيض. إنّ جود المقلّ غير قليل. لا تستحي من القليل، فإنّ الحرمان أقلّ منه.(١)

والمعروف: اسم جامع لكلّ ماعرف من طاعة الله، والتّقرّب إليه، والإحسان إلى النّاس، وكلّ ماندب إليه الشّرع، ونهى عنه، من المحسّنات والمقبّحات. وهو من الصّفات الغالبة: أي أمر معروف بين النّاس، إذا رأوه لاينكرونه. والمعروف: النَّصَفة وحسن الصّحبة مع الأهل وغيرهم من النّاس. والمنكر: ضدّ ذلك جميعه. ومنه الحديث: «أهل المعروف في الدّنيا هم أهل المعروف في الآخرة»: أي مَنْ بَذَل معروفه للنّاس في الدّنيا آتاه الله جزاء معروفه في الآخرة.(٢)

وقد تناول القرآن الكريم المعروف في تسعة وثلاثين موضعاً، نادباً إليه صراحةً وفحوىً. وفي زيارة الإمام المنتظر عجّل الله فرجه

---

(١) التمثيل والمحاضرة: ٤٢٢ - ٤٢٣.

(٢) النهاية: ٣/٢١٦، في (عرف).

الشّريف: «المعروف ما أمرتم به، والمنكر ما نهيتم عنه» (١): أي الأئمّة عليهم السّلام.

والمعروف كاسمه معروف، كما تقدّم بيانه، يعرفه الكلّ. والصّنائع واحدها الصّنيعة، لاينبغي تركها لقلّتها أوحياء أوغيرها، كما قال القائل:

افعل الخير ما استطعت وإن كان قليلاً فلن تحيط بكلّه
ومتى تفعل الكثير من الخير إذا كنت تاركاً لأقلّه؟

ليس جود الجواد من فضل مالٍ إنّما الجود للمقلّ المواسي

بثّ النّوال ولا تمنعك قلّته فكلّ ماسدّ فقراً فهو محمودُ(٢)

وفي نبويّ: «إنّ للجنّة باباً، يقال له: باب المعروف، لايدخله إلاّ أهل المعروف». ورُوي: «اصطنع المعروف إلى أهله، وإلى غير أهله، فإن لم يكن من أهله فكن أَنْتَ من أهله». ورُوي: «لايتمّ المعروف إلاّ بثلاث خصال: تعجيله، وتصغيره، وستره؛ فإذا عجّلته هنأته، وإذا صغّرته عظّمته، وإذا سترته أتممته».

وعن الباقر عليه السّلام: «صنائع المعروف تقي مصارع السّوء، وكلّ

---

(١) سفاتيح الجنان: ٥٢٤.

(٢) التّمثيل والمحاضرة: ٤٢٢ - ٤٢٣.

معروفٍ صدقةٌ، وأهل المعروف في الدّنيا أهل المعروف في الآخرة».
(١)قالـهعليه السّلام تفسيراً لقوله تعالى: «لا خير في كثيرٍ من نّجوٰهم إلاّ من أمرَ بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلٰح بين النّاس» (٢).

٧٧ـ الصّورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان

كلمة جارية على الألسن، قالها أميرالمؤمنين عليه السّلام في خطبة له، يصف طوائف، منها:

«وآخر قد تسمّى عالماً، ليس به، فاقتبس جهائل من جهّال، وأضاليل من ضُلاّل، ونَصَبَ للنّاس أشراكاً من حبائل غرور، وقول زور، وقد حمل الكتاب على آرائه، وعطف الحقّ على أهوائه، يؤمِّن النّاس من العظائم، ويهوّن كبير الجرائم، يقول: أقف عندالشّبهات ـوفيها وقع، ويقول: اعتزل البِدَع وبينها اضطجع ـفالصّورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان... ...». (٣)

قال المعتزليّ: وقوله: «فالصّورة صورة إنسان...»، فمراده بالحيوان هٰهنا: الحيوان الأخرس، الحمار والثّور، وليس يريد العموم؛ لأنّ الإنسان داخل في الحيوان، وهذا مثل قوله تعالى: «إن هم إلاّ كالأنٰعم

---

(١) السّفينة: ١٧٨/٢، في (عرف) صدره مِثْل الميدانيّ، وآخره كالنّهاية.

(٢) النّساء: ١١٤.

(٣) النّهج: ٣٧٢/٦ـ ٣٧٣، الخطبة: ٨٦.

بل هم أضلّ سبيلاً». (١)وقال الشّاعر:

وكائنْ ترى من صامتٍ لك معجب زيادته أو نقصه في التّكلّم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلاّ صورة اللّحم والدّم(٢)

ولعلّ قوله عزّ وجلّ: «وإذا الوحوش حشرت»،(٣)يشمل مجيء طائفة من النّاس يوم القيامة على صورة الوحوش والسّباع؛ لما كانوا يزاولون من صفاتها وغرائزها الحيوانيّة الّتي كانت في الدّنيا مختفية عن الأنظار، فكشف عنها الغطاء، وأبليت سرائرهم على حدّ تعبير القرآن الكريم: «يوم تبلى السّرائر». (٤)

فالسّلاطين سباع في الحقيقة يوم يقوم الأشهاد، وإن كانوا اليوم بصورة الأناسيّ، والكفّار بهائم، والفسّاق أحمرة والمنافقون يرابيع، والملحدون دوابّ، والجاحدون خنازير، وأهل الدّنيا كلاب، كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «فإنّما أهلها كلاب عاوية وسباع ضارية». (٥)

فكلّ من اختصل بخصلة تخصّ حيواناً، مهما كان شكله واسمه، فهو هو، وإن لم يسمّ باسمه، فالحريص نمل، يأتي يوم الحشر الأكبر على صورته، والشّهويّ خنزيرٌ، والغضوب سبعٌ، وهكذا من بقيّة الخصال غير الإنسانيّة.

---

(١) الفرقان: ٤٤.
(٢) شرح النّهج: ٦/٣٧٤.
(٣) التّكوير: ٥.
(٤) الطّارق: ٩.
(٥) النّهج: ١٦/٨٩، الوصيّة: ٣١.

كما إذا انعكس انعكس، مثل من بلغ في العفّة عن الشّهوات الغاية من التّعفّف، كاد أن يكون ملكاً كريماً. قال تعالى فيما اقتصّ عن امرأة عزيز مصر: «ماهٰذا بشراً إن هٰذا إلاّ ملكٌ كريْم». (١): أي يوسف عليه السّلام بلغ من عفّته مبلغ الملائكة. وقد قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: «كاد العفيف أن يكون مَلَكاً من الملائكة». (٢) حتّىٰ أنّ العادة قاضيةٌ مَنْ أكثر من شيء تجسّد فيه ذلك الشّيء، حتّىٰ كأنّه هو، والّذي يعدل في كلّ شيء يقال له: العدل وأنّه عينه.

فالخصال سواء فيها الفضائل والرّذائل، تجعل أصحابها إذا استحكمت فيهم، وصدرت آثارها بكثرة، كأنّهم هي، توسّعاً أوحقيقةً، وتجري عليهم أسماؤها اليوم، وحقائقها في المحشر.

وإنّ من عبادالله قوماً استنارت أبصارهم وبصائرهم بأنوارالله ومعرفته، يعرفونهم بسيماهم وفي لحن القول و«إنّ في ذٰلك لأٰيتٍ للمتوسّمين». (٣)

وتفسير المتوسّم بالمعصوم عليه السّلام تفسير بأجلىٰ مظاهره، وإلاّ فقد جاء: «اتّقوا فراسة المؤمن، فإنّه ينظر بنورالله». (٤) وهم الأقلّون عدداً.

---

(١) يوسف: ٣١.

(٢) النّهج: ٢٠/٢٣٣، الحكمة: ٣٨٢.

(٣) الحِجْر: ٧٥.

(٤) الوسائل: ٨/٤٢٤، الأمثال النّبويّة: ١/٤٩ رقم المَثَل: ٢٥، حرف الهمزة مع التّاء.

حرف الضّاد

٧٨ـ ضاق المخرج، وعَمِي المصدر

من خطبة سبق التّكلّم عليها حول المَثَل: «اختلف النّجر، وتشتّت الأمر»، (١)أوّلها:

«أحمده استتماماً لنعمه، واستسلاماً لعزّته، واستعصاماً من معصيته... وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالدّين المشهور ... والنّاس في فتنٍ، انجذم فيها حبل الدّين، وتزعزعت سواري اليقين، واختلف النّجر، وتشتّت الأمر، وضاق المخرج، وعَمِي المصدر...».(٢)

مثل من أمثال سائرة، يضرب للشّدّة، أو هو صالح لذلك. بيان منه عليه السّلام لما عليه النّاس قبل ظهور الدّين، ومجيء الرّسول الأمين، والقرآن النّور السّاطع، والضّياء اللاّمع، أضاء العالم بنوره، وأزاح الفتن الدّامسة، وظلمة الجهالة الجاهليّة، ظلّلتهم الضّلالات.

قالت فاطمة الزّهراء عليها السّلام في خطبتها:

«وكُنتُمْ على شفا حُفرةٍ مِن النّار».(٣) مذقة الشّارب، (٤)ونهزة

---

(١) حرف الهمزة مع الخاء.

(٢) النّهج: ١٣٢/١ - ١٣٦.

(٣) آل عمران: ١٠٣.

(٤) أي شَرْبَتُهُ.

الطّامع، (١) وقبسة العجلان،وموطئ الأقدام. (٢) تشربون الطّرق، (٣) وتقتاتون القدّ، (٤)تخافون أن يتخطّفكم النّاس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بعد اللّتيا والّتي، (٥) وبعد أن مُني ببُهم(٦) الرّجال، وذؤبان العرب، ومَرَدة أهل الكتاب «كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله». (٧) أو نَجَم قرن الشّيطان، (٨) أو فغرت فاغرة من المشركين، (٩) قَذَفَ أخاه في لهواتها.(١٠) فلا ينكفئ حتّى يطأ جناحها بأخمصه، (١١) ويخمد لهيبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله...». (١٢)

ونظير المَثَل المَثَل القرآني: «حتّى إذا ضاقت عليهم الأرض بما

---

(١) بالضّم: الفرصة: أي محل نهزته.

(٢) قبسة العجلان مَثَلٌ في العجلة. والثّاني مَثَلٌ في المغلوبيّة.

(٣) ماء تبول به الإبل.

(٤) القِدّ: سير يقدّ من جلد غير مدبوغ.

(٥) مَثَل علويّ، وغيره.

(٦) بُهَم الرّجال: شجعانهم.

(٧) المائدة: ٦٤.

(٨) نجم: ظهر.

(٩) فَغَرفاه: أي فتحه. والفاغرة من المشركين: الطّائفة منهم.

(١٠) اللّهوات جمع لهات: وهي اللّحمة في أقصى شفة الفم. هكذا في هامش الاحتجاج: ١/١٣٦، ومجمع البحرين: في (لها). وتقتضي القاعدة أن تكون لهاة كحصاة.

(١١) مالا يصيب من باطن القدم.

(١٢)الاحتجاج: ١/١٣٥ ـ ١٣٦، وهامشه.

رحبت»، (١) «وضاقت عليهم أنفسهم». (٢)

قال الفيض الكاشانيّ عند صدرالآية: أي مع سعتها، وهو مَثَلٌ لحيرتهم في أمرهم، كأنّهم لايجدون في الأرض موضع قرار. وعند بعضها الآخر: أي قلوبهم من فرط الوحشة والغمّ. (٣)

وتخصّ الآية، الثّلاثة الّذين خلّفوا في الأرض، وهم: كعب بن مالك، ومرارةبن الرّبيع، وهلال بن أميّة؛ تخلّفوا عن غزوة تبوك عن أمرالرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، حتّىٰ هجرهم المسلمون، حتّىٰ أزواجهم، فتابوا، فتاب الله عليهم.

والحاصل أنّ كلام الإمام عليه‌السّلام يتبع المَثَل القرآنيّ في ضربه للشّدّة والحيرة.

والمراد بقوله عليه‌السّلام: (عَمِي المصدر)، يتجلّىٰ بما بعده: «فالهدى خاملٌ، والعمى شاملٌ، عُصي الرّحمٰن، ونُصر الشّيطان، وخُذل الإيمان، فانهارت دعائمُهُ، وتنكّرت معالِمُهُ».

---

(١) التّوبة: ١١٨.

(٢) التّوبة: ١١٨.

(٣) تفسير الصّافي: ١/٧٣٧.

٧٩ـ ضَحِّ رُوَيْداً

من أمثال سائرة يستعمل للرّفق، وترك العجلة، جاء في كلام له عليه السّلام لابن عبّاس:

«... وأقسم بالله ربِّ العالمين، ما يسرّني أنّ ما أخذته من أموالهم حلال لي، أتركه ميراثاً لِمَنْ بعدي، فَضحِّ رُوَيْداً، فكأنك قد بلغت المَدى، ودُفنت تحت الثّرى، وعُرضت عليك أعمالك بالمحلّ الّذي ينادي الظّالم فيه بالحسرة...».(١)

قال الشّارح: (فضحِّ رُوَيْداً) كلمة تقال لِمَنْ يؤمر بالتُّؤَدة والأناة والسّكون. وأصلها، الرّجل يُطعم إبله ضحىً، ويسيّرها مُسرعاً ليسير، فلا يشبعها، فيقال له: (ضَحِّ رُوَيْداً).(٢)

قال الزّمخشريّ: (ضَحِّ رُوَيْداً): أي ترفّق ولا تعجل، وأصله أنّ الأعراب في باديتها تسير بالظّعن، فإذا عثرت على لَمع من العشب قالت ذلك، وغرضها أن يرعى الإبل الضُّحى قليلاً قليلاً، وهي سائرة حتّى

---

(١) النّهج: ١٦٨/١٦، ك ٤١.

(٢) شرح النّهج: ١٦٩/١٦.

إذا بلغت مقصدها شبعت. فلمّا كان من التّرفّق في هذا توسّعوا، فقالوا: في كلّ موضع (ضحّ)، بمعنى: ارفق، والأصل ذاك. قال زيد الخيل:

فلو أنّ نصراً أصلحت ذات بينها لضحّت رويداً عن مطالبها عمرو(١)

وغرض الإمام عليه السّلام من الأمر بالتّرفّق، أن ينبّه ابن عبّاس مغبّة الخيانة، ولابدّ من الدّخول في القبر، والحشر والعرض على الله بالأعمال، يوم ينادي الظّالم بالحسرة، ويعضّ على يديه، وينادي بالويل والثّبور. والأمر أفظع من ذلك؛ «فَمَنْ يَعْمل مثقال ذرّةٍ خيراً يره * ومَنْ يَعْمل مثقال ذَرّةٍ شرّاً يره» (٢).

---

(١) المُستقصىٰ: ٢/١٤٥ ـ: أي يا عمرو!.

(٢) الزّلزلة: ٧ ـ ٨.

حرف الظّاء

٨٠ـ الطّريق الوُسطىٰ هي الجادّة

في خطبةٍ خطبها أميرالمؤمنين عليه السّلام بالمدينة، لمّا بويع بالخلافة:
«اليمين والشّمال مَضَلّة، والطّريق الوسطىٰ هي الجادّة».(١)

قد تكلّمنا على «اليمين والشّمال مَضَلّة» (٢)المَثَل السّائر، أوصالح لأن يكون مثلاً سائراً،

ومنه يعلم قوله عليه السّلام: «الطّريق الوسطىٰ هي الجادّة» بالمقابلة معه.

وقد كرّر التّرغيب على الأخذ بالوسط، ومنه الحديث النّبويّ: «خير الأمور أوسطها».(٣)

الأمور جمع الأمر بمعنى: الشّيء؛ وأمّا بمعنى الطّلب فجمعه الأوامر.
وقبل كلّ شيءٍ القرآن الكريم، قال تعالى: «وكذٰلكِ جعلنٰكم أمّةً وسطاً لتكونوا شهداء على النّاس ويكون الرّسول عَلَيْكم شهيداً».(٤)

---

(١) النّهج: ٢٧٣/١، ط ١٦. و٢٧٥/١.

(٢) حرف الياء مع الميم.

(٣) الأمثال النّبويّة: ٣٩٣/١، رقم المَثَل: ٢٤٩، حرف الخاء مع الياء.

(٤) البقرة: ١٤٣.

قيل: أي خياراً، وقيل للخيار: وسط؛ لأنّ الأطراف يتسارع إليها الخلل، والأعوار والأوساط محميّة محوّطة. ومنه قول الطّائي:

كانت هي الوسط المحمّي فاكتنفت بها الحوادث حتّى أصبحت طرفاً(١)

عن الصّادق عليه السّلام قال:

«ظننتَ أنّ الله -تعالىٰ- عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحّدين؛ أفترى انّ من لاتجوز شهادته في الدّنيا على صاعٍ من تمرٍ، يطلب الله شهادته يوم القيامة، ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟ كلاّ لم يَعنِ الله مثل هذا من خلقه، يعني الأمّة الّتي وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السّلام:

«كنتم خير أمّة أُخرِجت للنّاس».(٢)

وهم الأمّة الوسطىٰ، وهم خير أمّةٍ أُخرِجَتَ للنّاس .(٣)

والأخبار كثيرة أنها نزلت في الأئمّة عليهم السّلام، والجمهور فسّروها بغير ذلك. ففي الكشّاف:

أنّ الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء، فيطالب الله الأنبياء بالبيّنة على أنّهم قد بلّغوا، وهو أعلم، فيؤتى بأمّة محمّد -صلّى الله عليه وآله وسلّم- فيشهدون، فتقول الأمم: من أين عرفتم؟ فيقولون: علمنا

---

(١) تفسير الكشّاف: ١٩٨/١.

(٢) آل عمران: ١١٠.

(٣) تفسير الصّافي: ١٤٧/١ - ١٤٨. وفيه كلمة: «أئمّة»، بدل «أُمّة».

ذلك بإخبارالله في كتابه النّاطق على نبيّه الصّادق، فيؤتىٰ بمحمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فيسأل عن حال أمّته، فيزكّيهم ويشهد بعدالتهم؛ وذلك قوله تعالى: «فكيف إذا جئنا من كلّ أُمّةٍ بشهيدٍ وجئنابك على هٰؤلاء شهيداً». (١) (٢)

أقول: كيف يشهد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بعدالة أمّةٍ قَتَلَتْ ابن بنته الحسين بن عليّ عليهم السّلام مع وُلدِهِ وأصحابه في أرض كربلاء، وقد صنعت ما صنعت قبل حادثة كربلاء وبعدها. وعليه فالحديث كما ترىٰ لايصلح لتفسير الآية به، ولا بغيره لمطلق الأمّة، بل المراد بها: الأئمّة المعصومون ـ عليهم السّلام ـ الجائزة شهادتهم على الإطلاق، لا الأمّة الّتي يقع منها الخطأ.

وعن الباقر عليه السّلام:

«نحن الأمّة الوسط، ونحن شهداء اللّه على خلقه، وحججه في أرضه وسمائه». (٣)

وعبّر عنهم عليهم السّلام في أحاديثهم بالنُّمرقة الوُسْطىٰ، ونمط الحجاز، فمن الحِكَم العلويّة: «نحن النُّمرقة الوُسطىٰ الّتي يلحق بها التّالي، وإليها يرجع الغالي». (٤)

وعن الباقر عليه السّلام: «نحن نمط الحجاز. قيل: وما نمط الحجاز؟

---

(١) النّساء: ٤١.

(٢) تفسير الكشّاف: ١/١٩٩.

(٣) تفسير الصّافي: ١/١٤٧.

(٤) النّهج: ١٨/٢٧٣.

قال: أوسط الأنماط،

إنّ الله يقول: «وكذٰلك جعلنٰكم أمّةً وسطاً». (١)

قال: إلينا يرجع الغالي، وبنا يلحق المُقصّر». (٢)

إنّ كلّ فضيلة مجنّحة بطرفين معدودين من الرّذائل، قاله المعتزليّ في كلام له:

النُّمرق والنُّمرقة بالضّم فيهما: وسادةٌ صغيرةٌ ويجوز النِّمرقة بالكسر فيهما؛ ويقال لِلطّنفسة فوق الرّحل: نُمْرقة. والمعنى: أنّ كلّ فضيلة فإنّها مجنّحة بطرفين معدودين من الرّذائل، كما أوضحناه آنفاً.

والمراد أنّ آل محمّد عليه وعليهم السّلام هم الأمر المتوسّط بين الطّرفين المَذْمومَينَ، فكلّ من جاوزهم فالواجب أن يرجع إليهم، وكلّ من قصرّ عنهم فالواجب أن يلحق بهم. (٣)

وللوسطى مصاديق أُخر

ومنها: «حفظوا على الصّلوٰت والصّلوٰة الوسطىٰ». (٤)

وهي الظّهر. وقيل: غيره. (٥)

---

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) تفسير الصّافي: ١٤٧/١.

(٣) شرح النّهج: ٢٧٣/١٨. قوله: (فيهما) الأخير يعود إلى النّمرقة والنّمرق المحذوف ظاهراً.

(٤) البقرة: ٢٣٨.

(٥) الوسائل: ٦/٣، حديث ١، باب٢ من أعداد الفرائض ونوافلها من كتاب الصّلاة.

والوسط محبوب، وسواه ضلال، ومنه: «اليمين والشّمال مَضَلّة» (١).

---

(١) الياء مع الميم.

حرف الظّاء

٨١ـ ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه

من حِكمه عليه السّلام:

«ما أضمر أحدٌ شيئاً إلاّ ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه». (١)

قال الشّارح المعتزليّ: قال زهير بن أبي سلمىٰ:

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ   وإن خالها تخفى على النّاس تُعلَمِ

وقال آخر:

وفي عَيْنَيْك ترجمةٌ أراها   تدلّ على الضّغائن والحقود
وأخلاق عَهِدْتُ اللّين فيها   غَدَتْ وكأنّها زُبَرُ الحديد
وقد عاهدتني بخلاف هذا   وقال الله: «أَوْفُوا بالعقود»(٢)

وكان يقال: العين والوجه واللّسان أصحاب أخبارٍ على القلب.

---

(١) النهج: ١٣٧/١٨، الحكمة: ٢٦.

(٢) المائدة: ١.

وقالوا: القلوب كالمرايا المتقابلة، إذا ارتسمَتْ في إحداهـنّ صورةٌ ظَهرتْ في الأخرى، (١)

إشارةٌ إلى أوّل آية من سورة المائدة.

ومن المَثَل السّائر المولّد: (غِشّ القلوب يَظْهر في فلتات الألسن وصفحات الوجوه). (٢)

إنّ الّذين يَتَفَرّسُونَ الحقائقَ من صَفَحات الوُجوه وفَلَتاتِ الأَلْسن، على قسمين:

الأوّل: هم المؤمنون يَنْظرُون بنور الإيمان؛ يُشير إليه الحديث النّبويّ: «اتّقوا فراسة المُؤمِن، فإنّه يَنْظُر بِنُورالله». (٣) وفي مقدّمتهم الأئمّة المعصومون عليهم السّلام.

فسّرت الآية: «إنّ في ذٰلك لأَيٰتٍ للمتوسّمين» (٤)بهم كما في صحيح محمّدبن مسلم، عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «هم الأئمّة،قال رسول الله صلّى الله عليه وآله ـوسلّمـ: اتقوا...».(٥) إلى آخرالحديث المتقدّم.

تطبيق المؤمن عليهم عليهم السّلام من باب أظهر أفراد المؤمنين، بل

---

(١) شرح النّهج: ١٨/١٣٧.

(٢) مجمع الأمثال: ٢/٦٧، حرف الغين.

(٣) الوسائل: ٨/٤٢٤، الأمثال النّبويّة: ١/٤٩رقم المَثَل:٢٥، حرف الهمزة مع التّاء.

(٤) الحجر: ٧٥.

(٥) الاختصاص: ٣٠٦ - ٣٠٧.

هم أئمّتهم، وعلومهم مشتقّة من علم النّبيّ الأعظم صلّى الله عليهم وسلّم، وهو من الله عزّ وجلّ، كما أنشده السّيّد الأمين طاب ثراه:

هم أبحرالعلم الّتي ماشانها ... كدر ومجراها من الرّحمٰن (١)

والقسم الثّاني: هو فنٌّ حاصلٌ عند أرباب التّجارب والذّكاء، يستدلّون على أمورٍ تخفىٰ بما في الوجوه والأعضاء. رُبّ طَرْفٍ أفصح من لسانٍ.

إن كاتمونا القلى نمّت عيونُهمُ ... والعينُ تُظهرما في القلب أوتصف (٢).

---

(١) المجالس السّنيّة: ٥/٣٦٨.

(٢) الأمثال النّبويّة: ١/٥٠، تحت رقم المَثَل ٢٥.

حرف العين

٨٢ـ العالم مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ

في خطبة له عليه السّلام:

«العالم من عرف قدره، وكفىٰ بالمرء جهلاً ألاّ يعرف قدره... ...». (١)

تقدّم البحث المُشبع حول المَثَل: «كفىٰ بالمرء جهلاً ألاّ يعرف قدره». (٢)

قال المعتزليّ:

قوله عليه السّلام: «العالم مَنْ عَرَف قَدْرَهُ»، من الأمثال المشهورة عنه عليه السّلام، وقد قال النّاس بعده في ذلك، فأكثروا، نحو قولهم: إذا جَهلتَ قَدْر نَفْسكَ، فأَنْتَ لِقَدْر غيرك أَجْهلُ. ونحو قولهم: مَنْ لم يَعرِف قَدْرَ نَفْسهِ، فَالنّاس أَعذر منه إذا لم يَعْرِفوه، ونحو قول الشّاعر أبي الطّيّب:

ومَنْ جَهِلَتْ نَفْسُه قَدْرَه ... رَأىٰ غَيْره منه مالا يرىٰ

---

(١) النّهج: ١٠٧/٧، ط ١٠٢.

(٢) حرف الكاف مع الفاء.

ثمّ عبّر عن هذا المعنىٰ بعبارةٍ أُخرى، فصارت مَثَلاً أيضاً: وهي قوله ـ عليه السّلام ـ : «كفىٰ بالمرء جهلاً ألاّ يَعرِف قَدْرَه». (١)

ومن الكلام المرويّ عن أبي عبدالله الصّادق عليه السّلام مرفوعاً: «ما هلك امروءٌ عَرَف قَدْرَه». رواه أبوالعبّاس المبرّد في الكامل، قال: ثمّ قال أبو عبدالله عليه السّلام: «وما أخال رجلاً يرفع نَفْسَه فَوْقَ قَدْرِها إلاّ مِنْ خَلَلٍ في عَقْلِه». (٢)

قد عرفت أنّ عامر الشّعبيّ عدّ المَثَل: «ما هَلَك امروٌء عَرَف قَدْره». (٣) من كلمات أميرالمؤمنين عليه السّلام التّسع.

قال الشّارح إثر ما تقدّم: وروى صاحب الكامل أيضاً عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام قال:

«لمّا حضرت الوفاة عليّ بن الحسين ـ عليهما السّلام ـ أبي، ضمّني إلى صدره، ثمّ قال: يا بنيّ! أوصيك بما أوصاني به أبي يوم قُتِلَ، وبما ذكر لي: أنّ أباه عليّاً عليه السّلام أوصاه يا بُنيّ: عليك ببذل نَفْسك؛ فإنّه لا يسرّ أباك بذلّ نَفْسِه حُمر النّعم. وكان يقال: مَنْ عَرَف قَدْره استراح».

وفي الحديث المرفوع: «ما رفع أمروءٌ نَفْسَه في الدّنيا درجة، إلاّ حطّه الله تعالىٰ في الآخرة درجات». وكان يقال: مَنْ رَضِيَ عن نَفْسه كَثُر السّاخطون عليه (٤)

---

(١) حرف الكاف مع الفاء.

(٢) شرح النّهج: ١٠٨/٧

(٣) حرف الكاف مع الفاء.

(٤) شرح النّهج: ١٠٨/٧ ـ ١٠٩.

ونحن قلنا في تفسير معرفة قَدْر المرء بالقياس إلى الفراغ الموجود في وجوده الّذي لا يسدّه شيءٌ إلاّ الله عزّ وجلّ، وهذه منزلةٌ رفيعةٌ لا أرفع منها.(١) نعم إذا أخذنا بالاعتبار الاجتماعي جاء التّفسير المنقول والأَوْلى القول بكلا التّفسيرين.

٨٣ـ عالمها مُلجَمٌ وجاهلها مُكرَمٌ

قوله عليه السّلام: «عالمها مُلجَمٌ وجاهلها مُكرَمٌ» من خطبة أوّلها: «أحمد استتماماً لنعمته» مترسّلة إلى قوله عليه السّلام:

«أطاعوا الشّيطان فسلكوا مسالكه، ووردوا مناهله؛ بهم سادت أعلامه وقام لواؤه. في فتنٍ داستهم بأخفافها، و وَطِئَتْهم بأظلافها، وقامت على سنابكها، فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون، في خير دارٍ، وشرّ جيرانٍ، نومهم سُهودٌ وكحلهم دموعٌ، بأرضٍ عالمها مُلجَم، وجاهلها مُكرَم».(٢)

إنّما كرّرناه هنا وقد ذكرناه مرّةً عند المَثَلِ: «خير دارٍ وشرّ جيرانٍ»،(٣) وأخرىٰ عند أمثال مأخوذة من نفس الخطبة، فراجع.(٤)لتربط آخر قوله عليه السّلام المبحوث في المقام بأوّله.

---

(١) حرف الكاف مع الفاء، و الغين مع الرّاء.
(٢) النّهج: ١/١٣٦، خ ٢.
(٣) حرف الخاء، مع الياء.
(٤) الضّاد مع الألف.

اللّجام: مايوضع في فم الفرس، يقال: ألجمت الفرس إلجاماً: أي جعلت اللّجام في فمه، قيل: هو عربيّ، وقيل: معرّب، والجمع لُجْم. (١)

«من سئل عمّا يعلمه فكتمه، ألجمه اللّه بلجامٍ من نارٍ يوم القيامه».
والمُمْسك عن الكلام ممثّل بِمَنْ ألجم نفسه بلجام. والمراد بالعلم: ما يلزمه تعليمه، ويتعيّن عليه إظهاره، كمن يرى رجلاً حديث عهدٍ بالإسلام، ولا يُحسن الصّلاة وقد حضر وقتها، فيقول: علّموني كيف أصلّي، وكمن جاء مستفتياً في حلالٍ أوحرامٍ، فإنّه يلزم في هذا وأمثاله تعريف الجواب، ومَنْ منعه استحقّ الوعيد. (٢)

وأمّا المراد من قول الإمام عليه السّلام: «بأرضٍ عالمها مُلجَمٌ، وجاهلها مُكْرَمٌ»، فحالة التّقيّة والخوف من إظهار الحقّ، وهذا بخلاف الحديث المتقدّم، حيث المانع من قِبَل الكاتم مع وجود القابل لو أظهر الحقّ، فلولم يُظهره ألجم بلجام من النّار. نعم إنّ المؤمن مُلجَمٌ لا يستطيع إظهار كلّ شيءٍ، بل الأحكام الخمسة جاريةٌ فيه من وجوب الإظهار وحرامه ومكروهه وندبه وإباحته، وهي في كلّ أمرٍ قابلٍ للقسمة إليها.

وأمّا قوله عليه السّلام: «وجاهلها مُكْرَمٌ»، فهذا إذا ضاع العالم بين النّاس، وقد تغلّب الجهل عليهم وسادَ، فلا يُقيمون للعلم وَزْناً، ومِنْ ثَمّ يموت العلم بموت حامله؛ كما قال أميرالمؤمنين عليه السّلام في كلامٍ له: «كذلك يموت العلم بموت حامليه...». (٣) وتظهر البدع؛ فوجب على

---

(١) مجمع البحرين، في (لجم).

(٢) النّهاية: في (لجم).

(٣) النّهج: ٣٤٧/١٨.

العالم إظهار علمه على ما نصّ في النّبويّ: «إذا ظهرت البدع في أمّتي، فليظهر العالم علمه، فمَنْ لم يفعل فعليه لعنة اللّه». (١) إلاّ أن يلجمه صاحبه، كما في فرض كلام الإمام عليه السّلام.

ثمّ الكلام العلويّ صالح للتّمثّل به فيما يناسبه، وإن لم يكن مَثلاً.

٨٤ـ العفافُ زينةُ الفقر

قال عليه السّلام:

«العفاف زينة الفقر، والشّكر زينة الغنى». (٢)

العفاف هنا: التّعفّف عن السّؤال بإظهار الغنى.

وآية: «يحسبهم الجاهل أغنيآء مِن التّعفّف»، (٣) وإن نزلت في أصحاب الصُّفة، وهم نحو أربعمائة رجلٍ من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر، (٤) إلاّ أنّها تعمّ غيرهم أيضاً.

قال بعضهم: وقفتُ على كنيفٍ، وفي أسفله كنّاف، وهو ينشد:

---

(١) الوسائل: ١١/٥١٠.

(٢) النّهج: ١٨/٢١٣، الحكمة: ٦٦.

(٣) البقرة: ٢٧٣.

(٤) الكشّاف: ١/٣١٨.

وأُكـرمُ نـفسي عـن أمـورٍ كثـيرةٍ ألا إنّ إكرام الـنّفوس مـن العقل
وأبخل بالفضـل المبين على الأُلى رأيتهم لايـكـرمـون ذوي الـفضل
وما شاني كنس الكـنيف وإنّما يشين الفتى أن يجتدي نائل النّذل
وأقبـح مـمّـابي وقـوفي مـؤمّلاً نوالَ فَتًى مثلي وأيّ فتًى مثلي (١)

ومن أمثالهم المشهورة: (تجوع الحرّة، ولا تأكل بثديَيْها): أي لا تكون ظئراً، وإن آذاها الجوع. (٢)

عن الصّادق عليه‌السّلام قال: «شيعتنا من لايسأل النّاس، ولومات جوعاً». وعنه عليه‌السّلام أيضاً: «لو يعلم السّائل ما عليه من الوزر ماسأل أحدٌ أحداً، ولو يعلم المسؤول ما عليه إذا منع ما منع أحدٌ أحداً». (٣)و حديث باقريّ: «اليأس ممّا في أيدي النّاس عزّ للمؤمن في دينه. أوَ ما سمعت قول حاتم:

إذا ما عزمت اليأس ألفيته الغنى إذا عرفته النّفس والطّمع الفقر».

وصادقيّ: «ثلا ثة هنّ فخرالمؤمن، وزينة في الدّنيا والآخرة: الصّلاة

(١) شرح النّهج: ١٨/٢١٣ - ٢١٤.
(٢) مجمع الأمثال: ١/١٢٢، حرف التّاء.
(٣) الوسائل: ٦/٣٠٩.

في آخر اللّيل، ويأسه ممّا في أيدي النّاس، و ولاية الإمام من آل محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ». ونبويّ: «ازْهد في الدّنيا يحبّك الله، وازهد فيما أيدي النّاس يحبّك النّاس».(١) وأنشد الأصمعيّ لبعضهم:

أقسم بـاللّـه لمصّ الـنّـوىٰ | وشرب ماء القُـلُب المالحهْ
أحسن بالإنسان من ذلّه | ومن سؤال الأوجه الكالحهْ
فاستغن بالله تكن ذا غنًى | مغتبطاً بالصّفقة الرّابحهْ
طوبىٰ لمن تصبح ميزانه | يوم يلاقي ربّه راجحهْ(٢)

العفاف سبب القناعة بالقليل، وتعويد النّفس به، وقد قيل: أبرع بيتٍ قالته العرب بيت أبي ذؤَيْب الهذليّ:

والنّفس راغبةٌ إذا رغّبتها | وإذا تُردّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ

وكان يقال: أنت أخوالعزّ ماالتحفتَ القناعة، ويقال: اليأس حرّ، والرّجاء عبد. وقال بعض المفسّرين في قول الله عزّ وجل: «فلنحيينّه حيٰوةً طيّبةً». (٣) قال: بالقناعة. وقال أبو العَتاهية:

---

(١) الوسائل: ٦/٣١٤ ـ ٣١٥.

(٢) شرح النّهج: ١٨/٢١٣.

(٣) النحل: ٩٧.

إن كان لايغنيك ما يكفيكا فكلّ ما في الأرض لا يغنيكا (١).

٨٥ـ على أثرالماضي ما يمضي الباقي

من خطبة له عليه السّلام:

«... أولم تروا إلى الماضين منكم لايرجعون، وإلى الخلف الباقين لايبقون! أولستم ترون أهل الدّنيا يُمسون ويُصبحون على أحوالٍ شتّى: فميّت يُبكى، وآخر يُعزّى، وصريع مُبتلى، وعائد يعود، وآخر بنفسه يجود، وطالب للدّنيا والموت يطلبه، وغافلٌ وليس بمغفولٍ عنه؛ وعلى أثر الماضي ما يمضي الباقي!». (٢)

كالقطار يتبع بعضه بعضاً في السّير.

قيل: (ما) في (ما يمضي الباقي) زائدة: أي على أثر الماضي يمضي الباقي؛ وهو صالحٌ للمَثَل، إن لم يكن مَثَلاً.

---

(١) عيون ابن قتيبة: ٣/١٨٥.

من المَثَل السّائر: (إنّه لخفيف الشّفة) يريدون: قليل المسألة للنّاس تعفّفاً. مجمع الأمثال: ١/٢١، حرف الهمزة.

(٢) النّهج: ٧/٨١، الخطبة ٩٨.

ولنعم من قال:

أمسٌ تَقضّى وغدٌ لم يجئ والـيـوم يمضي لمحة الباصر

فذلك العمر كما ينقضي ما أشبه الماضي بالغابر

قسّم عليه السّلام النّاس إلى سبعة أقسام: ميّتٍ يبكي عليه أهله، ومعزّىً يسلّيه أصحابه، ومريضٍ يعالج مرضه، وعائدِ المرضى، ومحتضرٍ يجود بنفسه، وفي حين ما يطلبون الدّنيا ولذّاتها، الموت في طلبهم، واللّه عزّ وجلّ يرقب الغافل وهو له بالمرصاد. مطبّق ولا حرج على نفسك، إنّهم لا يخلون منك وأنت منهم لامحالة.

وربّما مات ميّتٌ ولا باكٍ له، إمّا لانقراض ذويه، أومات في دار غربة، إذْ: «وماتَدْرى نفسٌ بأىّ أرضٍ تَمُوت». (١) أو لا أَحدٌ له فيعزّى بموته.

وأمّا سكرة الموت فالكلّ لها ذائقون، كائناً مَنْ كان لايحيدون عنها: «وجاءَتْ سَكرةُ الموت بالحقّ ذٰلك ما كنتَ منه تَحيدُ». (٢) ومَنْ استطاع أن يفرّ مِن الموت فليفرّ: «قل لن ينفعكم الفِرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تُمتّعون إلاّ قليلاً». (٣) واقع في قبضته كغيره، كما قال عزّ وجلّ مخاطباً لنبيّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: «إنّك ميّتٌ وإنّهم ميّتون». (٤) وماضٍ على أثر الماضين: «سنّة اللّه في الّذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة اللّه تبديلاً». (٥)

---

(١) لقمان: ٣٤.

(٢) ق: ١٩.

(٣) الأحزاب: ١٦.

(٤) الزّمر: ٣٠.

(٥) الأحزاب: ٦٢.

وهنّ المنايا أيّ وادٍ سلكته — عليها طريقي أو عليّ طريقها
فقد آذنتْني بانقطاعٍ وفرقةٍ — وأَوْمَضَ لي من كلّ أُفقٍ بروقها
وترمي قساوات القلوب بأسهُمٍ — وجَمْر فراقٍ لايبوخ حريقها

ثمّ قال السّجاد عليه السّلام: «فانظر بعين قلبك إلى مصارع أهل البذخ، وتأمّل معاقل الملوك ومصانع الجبّارين، وكيف عركتهم الدّنيا بكلاكل الفناء». (١) ٤٠

(النّاس نقائع الموت). النّقيعة من الإبل: ما يجزر من النّهب قبل القسم. يعني أنّ الموت يجزر الخلق. (٢)

وفي أبيات الإمام الهادي عليه السّلام في مجلس المتوكّل العباسيّ من العظة البالغة للمؤمنين وغيرهم، ممّن كان له قلبٌ، أومَنْ رام التّجافي عن دار الغرور.

«... كان المتوكّل جالساً في مجلس الشّرب، فدخل -الإمام عليه السّلام- عليه، والكأس في يدالمتوكّل، فلمّا رآه هابه وعظّمه، وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكأس التّي كانت في يده، فقال: والله ما يخامر لحمي ودمي قطّ، فَاعْفني، فأعفاه، فقال: أنشدني شعراً، فقال

---

(١) البحار: ١٥٤/٧٨ ـ ١٥٥، حديث طويل. البذخ: التّرفّع و التّكبّر.
(٢) مجمع الأمثال: ٣٤١/٢، حرف النّون، آخره: كما يجزر الجزّار نقيعته.
«قد اعتبر بالباقي مَنْ اعتبر بالماضي». غُرَرالحكم: ٢٣٢.

عليه السّلام: إنّي قليل الرّواية للشّعر، فقال: لابدّ، فأنشده عليه السّلام وهو جالسٌ عنده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غُلْبُ الرّجال فلم تنفعهم القُلَلُ
واستنزلوا بعد عزٍّ من معاقلهم وأُسكنوا حُفراً يا بئسما نَزلوا
ناداهم صارخٌ مِنْ بَعْد دَفْنِهم أَيْن الأساورُ والتّيجانُ والحُلَلُ
أَيْن الوُجوه الّتي كانَتْ مُنعّمَةً مِنْ دُونها تُضْرب الأستارُ والكِلَلُ
فَأَفْصح القَبرُ عنهم حين ساءَلَهُمْ تِلْكَ الوُجوهُ عَليْها الدُّودتَقْتَتِلُ
قد طال ما أَكلُوا دَهْراً وَقَدْ شَربوا وأَصْبحوا اليَوْمَ بَعْدَ الأَكْل قَدْ أُكِلُوا

...»(١).

٨٦ـ على ذلك نسلت القرون

كلمةٌ مقولةٌ لاستدامة الشّيء واستمراره، وقد طبّقها الإمام أميرالمؤمنين عليه السّلام على تواتر الرّسل، وإنزال الكتب والشّرائع السّماويّة لهداية الخلق، منذ البدء إلى أن اتّصلت بشريعة المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم. حيث قال عليه السّلام:

«واصطفى سبحانه من وَلَده أنبياء، أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرّسالة أمانَتَهم...ـ إلى أن قال عليه السّلام: ـ على ذلك نسلت

---

(١) البحار: ٥٠/٢١١ ـ ٢١٢. وبهج الصّباغة: ٨/٣٣٥، نقلاً عن المُروج.

القرون، ومضت الدّهور، وسلفت الآباء، وخلفت الأبناء، إلى أن بعث الله سبحانه محمّداً رسول الله صلّى الله عليه ـ وآله وسلّم ـ لإنجاز عدته، وتمام نبوّته، مأخوذاً على النّبيّين ميثاقه، مشهورةً سماته، كريماً ميلاده... ...».(١)

قال ابن فارس: النّسل: الولد؛ لأنّه ينسل من والدته، ومنه النّسلان: مشية الذّئب إذا أعنق وأسرع. والماشي ينسل إذا أسرع. قال الله عزّوعلا: «وهم من كلّ حدبٍ ينسلون». (٢)وقد أنسلتِ الإبل، حان لها أن تُنْسِلَ وَبَرها. ونسل الثّوب عن الرّجل: سقط.(٣)

أقول: من معنى الإسراع قوله تعالى: «إلى ربّهم ينسلون».(٤)

قال الشّيخ الطّريحيّ: قوله عزّ وجلّ: «فما بال القرون الأولى» [٢٠/٥١]: أي ما حال الأمم الماضية وشأنهم في السّعادة والشّقاوة؟ والقَرْن: أهل زمان واحد. قال شاعرهم:

إذا ذهب القرن الّذي أنت فيهم وخلّفت في قرنٍ فأنت غريبُ

وقيل: هو مدّة أغلب أعمار النّاس، وهو سبعون سنة.(٥)

---

(١) النّهج: ١/١١٣ ـ ١١٦، الخطبة: ١. (٢) الأنبياء: ٩٦.

(٣) مقاييس اللّغة: ٥/٤٢٠ ـ ٤٢١، في (نسل). (٤) يس: ٥١.

(٥) مجمع البحرين: في (قرن).

وقال ابن الأثير: القَرْن: أهل كلّ زمان، وهو مقدار التّوسّط في أعمار أهل كلّ زمان، مأخوذ من الاقتران، وكأنّه المقدار الّذي يقترن فيه أهل ذلك الزّمان في أعمارهم وأحوالهم.

وقيل: القَرْن: أربعون سنة، وقيل: ثمانون، وقيل: مائة، ومنه الحديث: «أنه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ مَسَحَ على رأس غلامٍ، وقال: عِشْ قرناً»، فعاش مائة سنة.(١) إن صحّ الحديث، فالقرن مائة سنة.

وكيف كان، فمراد الإمام عليه السّلام من «على ذلك نسلت القرون»: أنَّهم توالدوا وتناسلوا على ذلك المِنْوال، من مجيء كلّ نبيّ إلى أمّته، إلى أن انتهى الأمر إلى عصر النّبوّة المحمّديّة البيضاء وأمّته، فأدّى ما حمّل صلّى الله عليه وآله وسلّم من تبليغ الرّساله، مبشّراً ونذيراً، ولكنّ الأمّة افترقت بعده إلى ثلاث وسبعين فرقةً، واحدة منها ناجية، والبقيّة الباقية في النّار.(٢)

وقد كثر التّمثيل للدّهر والزمان، ومنه قولهم: (أبادالأمم والقرون تعاقب الحركة والسّكون).

الدّهر لايبقى على حالةٍ　　لكنّه يُقبل أويُدبر
فإن تلقّاك بمكروهه　　فاصبر فإنّ الدّهر لايصبر (٣)

---

(١) النّهاية: في (قرن).

(٢) خصال الصّدوق: ٢/٥٨٤ ـ ٥٨٥.

(٣) التّمثيل والمحاضرة: ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

٨٧ - علىٰ وَضَرٍ مِنْ ذا الإناءِ قليلِ

تمثّل به عليه السّلام، وهو شطر بيتٍ أوّله:

*لعمرِ أبيك الخير يا عمرو إنّني *

كما في خطبة له عليه السّلام، وقد تواتر عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد، وقدم عليه عاملاه على اليَمَن، وهما: عُبيد اللّه بن عبّاس، وسعيد بن نمران، لمّا غلب عليهما بُسربن أرطاة، فقام على المنبر ضجراً بتثاقل أصحابه عن الجهاد، ومخالفتهم له في الرّأي، فقال عليه السّلام:

«ما هي إلاّ الكوفة، أقبضها وأبسطها، إن لم يكن إلاّ أنتِ تهبّ أعاصيركِ، فقبّحك الله، وتمثّل بقول الشّاعر:

لعمر أبيك الخير يا عمرُو إنّني على وَضَرٍ من ذاالإناءِ قليلِ

...»(١)

---

(١) النّهج: ١/٣٣٢، ط ٢٥. قال الميداني: (على وضرٍ مِنْ ذا الإناء)، الوضَر: الدّرن والدّسم. و(على) من صلة فعل محذوف: أي، أرجى الدّهر على كذا. يضرب لمن يتبلّغ اليسير. مجمع الأمثال: ٢/٣٤، حرف العين.

والبيت من ـ الطّويل ـ.

والغرض من التمثّل به يعرف من كلامه عليه السّلام قبله: أي قبل البيت: «ماهي إلاّ الكوفة...». إنّها لديه عليه السّلام كالوَضَر القليل في الإناء، وهو غسالة الشّيء، وبقيّة الدّسم: أي لم يبق من البلاد والعباد له سوى الكوفة، وهي مهدّدة بجيش الشّام، لخذلان أصحابه بنهوضهم للجهاد مع العدوّ، واستيلاء ابن أرطاة من قبل معاوية على اليمن، وقتل أهلها، وهي من الحوادث الممضّة. وهكذا كان ـ أرواحنا فداه ـ أيّام خلافته ممتحناً بالفتن، وخذلان صحبه، وأهل الكوفة أهل الغدر والتّخذيل، وكثيراً ماكان يستنهضهم لجهاد العدوّ، فلم ينهضوا. بالحرّ والقرّ كانوا يقولون: حتّى تنقضي حمارّة الحرّ، أو قَرْص البرد. وهو يخوّفهم نار جهنّم وغيرها من ألوان عذاب الله الأكبر، فلم يتخوّفوا.

فهو عليه السّلام أوّل مظلوم في العالم، قبل خلافته، وبعدها، وقبل وفاة النّبيّ الكريم صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، وبعدها، وفي كلّ حالاته صلوات اللّه وسلامه عليه.

٨٨ـ عند الصّباح يحمد القوم السُّرىٰ

من خطبة آخرها:

«واللّهِ لقد رقّعت مِدرعتي هذه، حتّى استحَييْتُ من راقعها، ولقد قال لي قائلٌ: ألا تنبذها عنك؟ فقلتُ: اعزب عنّي؛ فعند الصّباح يحمد القَوْمُ السُّرىٰ». (١)

قال المفضّل: أوّل من قال ذلك خالدبن الوليد... :

للّه درّ رافع أنّى اهتدى ... فوّز من قراقر إلى سوى
عندالصّباح يَحْمد ٱلْقَوْمُ السُّرىٰ ... وتنجلي عنهم غيابات الكرى(٢)

قال الزّمخشريّ: أي إذا أصبح الّذين قاسوا كدّ السُّرىٰ وقد خلّفوا، تبجّحوا بذلك، وحمدوا مافعلوا. يضرب في الحثّ على مزاولة الأمر بالصبّر، وتوطين النّفس حتّىٰ تحمد عاقبته، قال الجليح:

إنّى إذا الجبس على الكور انثنى ... لوسئل الماء فداء لافتدى
وقال: كم أتعبت؟ قلت: قد أرى ... عندالصّباح يحمد القوم السُّرى

---

(١) النّهج: ٩/٢٣٣، ط ١٦١.

(٢) الفاخر: ١٩٣ ـ ١٩٤.

وتنجلي عنه عمايات الكَرى(١)

يضرب للرّجل يحتمل المشقّة رجاء الرّاحة.(٢)

مَثَلٌ يضرب لمحتمل المشقّة العاجلة رجاء الرّاحة الآجلة.(٣) اختلف في قائله، قد عرفت نسبته إلى خالد، وقيل: هو للجليح، وقيل: للأغلب العجليّ، أوغيرهم. وكيف كان، فقدبان معنى المَثَل في مورده الأوّل.

وأمّا تمثّل الإمام عليه السّلام به عند ترقيع مِدرعته الّتي تعدل جبب السّلاطين، وألبستهم المزيّفة، بل لاقياس بينها وبين جميع ما في الدّنيا والعالم، فلوهن المادّة، وصغرها في عينه، ولاقتداء الفقراء به. قيل له: لِمَ ترقّع قميصك؟ قال عليه السّلام: ليخشع القلب، ويقتدي بي المؤمنون.(٤)

قيل: كان راقعها ابنه الحسن عليه السّلام، أو أهله، ومِنْ هنا قال عليه السّلام: «حتّى استَحيْيتُ من رافعها».

لا يستطيع واصفٌ أن يصف زهده عليه السّلام، فعلى شيعته الاقتداء به، والاستضاءة بنور علمه، وتقوى اللّه عزّ وجلّ، كما كان هو كذلك، روحي فداه. وكيف وهو إمام المتّقين.

ويضاهي المقام المَثَل السّائر: (التّمرُ في البِسُر، وعلى ظهر الجَمَل): أي من سَقىٰ وَجَدَ عاقبة سقيه (٥).

---

(١) المستقصىٰ: ٢/١٦٨.
(٢) مجمع الأمثال: ٢/٣، حرف العين.
(٣) شرح النّهج: ٩/٢٣٤.
(٤) شرح النّهج: ٩/٢٣٥.
(٥) مجمع الأمثال: ١/١٣٧، حرف التّاء.

حرف الغين

٨٩ ـ غرض لنابلٍ، وأُكلة لآكلٍ، وفريسة لصائلٍ

من كلام له عليه السّلام:

«أرضكم قريبةٌ من الماء، بعيدةٌ من السّماء، خفّت عقولكم، وسفهت حلومكم؛ فأنتم غرضٌ لنابلٍ، وأُكلةٌ لآكلٍ، وفريسةٌ لصائلٍ». (١)

قال البحرانيّ: قرب أرضهم ـ: أي أهل البصرة ـ إشارة إلى أنّها ـ: أي البصرة ـ موضع هابط مستفل مِن الأرض، وقريب مِن البحر، فهو ـ: أي البحر ـ بصدد أن يعلوها بملاقاة دجلة، وذلك مشاهد في دخول الماء حدائقهم، وسقيه بساتينهم، في كلّ يوم مرّة أو مرّتين.

أمّا كونها بعيدة من السّماء، فبحسب استفالها عن غيرها من الأرض وقيل: إنّ مِن أبعد موضع في الأرض عن السّماء الأبلّة، وأنّ ذلك ممّا دلّت عليه الأرصاد، وبرهن عليه أصحاب علم الهيئة.

وقال بعضهم: إنّ كون ذلك في معرض الذّم يصرفه عن مظاهره، وإنّما الإشارة إلى أنّهم لمّا كانوا بالأوصاف المذمومة الّتي عدّدها فيهم،

---

(١) النّهج: ١/٢٦٧، كلام ١٤.

كانوا بُعداء عن نزول الرّحمة عليهم من سماء الجود الإلٰهيّ، مستعدّين لنزول العذاب. ويصدق في العرف أن يقال: فلان بعيدٌ من السّماء، إذا كان كما ذكرناه.

قوله: «خفّت عقولكم» إشارة إلى قلّة استعدادهم لدرك وجوه المصالح، وضعف عقولهم عن تدبير أحوالهم، وتسرّعهم إلى مالا ينبغي لغفلتهم عمّا ينبغي، وهو وصف لهم برذيلة الغباوة.

قوله: «سفهت حلومكم» إشارة إلى وصفهم برذيلة السّفه، والخفّة المقابلة للحلم.

قوله: «فأنتم غرض لنابل، وأكلة لآكل، وفريسة لصائل»، هذه الأوصاف الثّلاثة لازمةٌ عن خفّة عقولهم، وسفه حلومهم؛ ولذلك عَقَّبَها بها؛ لأنّ طمع القاصد لهم بأنواع الأذى إنّما ينشأ من العلم بقلّة عقليّتهم لوجوه المصالح، وسفههم، فيقصدهم بحسن تدبيره.

والأوّل من هذه الأوصاف كنايةٌ عن كونهم مقصداً لمن يريد أذاهم.

والثّاني كنايةٌ عن كونهم في معرض أن يطمع في أموالهم ونعمتهم، ويأكلها من يقصد أكلها.

والثّالث عن كونهم بصدد أن يفترسهم من يقصد قتلهم وإهلاكهم.

واستعار لفظ الغرض ـ: أي المرمى ـ والأكلة والفريسة لهم، ووجوه المشابهة فيها ظاهرة. وقد راعى في القرائن السّجع، ففي الأوّلين السّجع

المطرّف، وفي الآخرين بعدهما والثّلاث السّجع المتوازي.(١)

جئنا عن آخر كلامه ـ رحمه الله ـ لكونه وافياً بالمقصود، ولكن مانقله عن البغض من صَرْف ظاهر كلام الإمام عليه السّلام إلى المراد من بُعد أرضهم من السّماء، بُعْدهم عن نزول الرّحمة، وقُرْبهم إلى العذاب، يردّه التّعليل والتّرتّب بين قُرْب الأرض من الماء، وبُعْدها عن السّماء، وخفّة عقولهم، وسفه حلومهم. فالأولى الإبقاء على ظاهر الكلام، ولا وجه لتأويل ما كان فيه للحقيقة سبيل.

ثمّ الأمثال الثّلاثة لها نظائر من المَثَل السّائر، ومنه الدّعاء: «لا تجعلني للبلاء غرضاً».(٢) و(أُكلة الشّيطان). (٣)

ولايقال الفريسة إلاّ في الأسد: وهو كسر العظم للأكل، وكذا الصّول.

---

(١) شرح النّهج: ١/٢٩٦، كلام ١٣.

لايخفى أن السّجع في النّثر بمثابة القافية في النّظم، وهو ثلاثة أقسام: المتوازن: ما تساوت فيه الكلمات في الوزن فقط. والمتوازي: ما اتّحد آخر جملتين في الوزن، والحرف، والرّويّ، وهو الحرف الآخر الأصليّ من الكلمة: كقوله عليه السّلام: «وأُكلة لآكل، وفريسة لصائل».

والمطرّف: ما اتّحد آخر الحرف الأصليّ من آخر كلمة الجملتين فقط، المعبّر عنه بـ (الرّويّ)، دون الوزن والحرف، كالماء، والسّماء، وعقولكم، وحلومكم؛ في الجملتين الأُوْلَيَيْن من كلام الإمام عليه السّلام ـ فتفطّن ـ.

(٢) مجمع البحرين: في (غرض).

(٣) مجمع الأمثال: ١/٤٩، حرف الهمزة.

٩٠ـ الغريب مَنْ لم يكن له حبيبٌ

في كلام له عليه السّلام:

«الغريب مَنْ لم يكُنْ له حبيبٌ». (١)

قال ابن أبي الحديد: يريد بالحبيب هٰهنا: المحبُّ، لا المحبوب.

قال الشّاعر:

أسـرة المـرء والـداه وفيما ... بين جنبيهما الحياة تطيبُ
وإذا ولّيا عن المرء يوماً ... فهو في النّاس أجنبيّ غريبُ(٢)

ويماثله من وجهٍ المَثَل السّائر: (إنّ الذّليل الّذي ليس له عضد). (٣)

أقول: قد يكون الحبيب بمعنى المحبوب؛ إذا كان الحبّ حبّاً حقيقيّاً، متبادلاً بين الجانبين. والأصل في الحبّ حبّ الله عزّ و جلّ

---

(١) النّهج: ١٦/١١٣، الوصيّة: ٣١. البحار: ٧٧/٢١٣ ـ ٢٣٢.

(٢) شرح النّهج: ١٦/١١٨.

(٣) مجمع الأمثال: ١/٢١، حرف الهمزة.

لولاه لما كان حبّ، والدّليل عليه قوله تعالىٰ:

يُحبّهُم ويُحبّونَهُ (١)

حيث قدّم حبّه تعالىٰ علىٰ حبّهم في الذّكر (٢) وفقاً لتقديم العلّة على المعلول، وهو تعالى على الإطلاق محبوب محبّ. وكذا رسوله، وأهل بيته عليهم السّلام.

ومن هنا جاء في زيارة الإمام المهديّ عجّل اللّه فرجه الشّريف المبدوءة بـ: «سلام على آل يس»، «وأنّ محمّداً عبده ورسوله،لا حبيب إلاّ هو وأهله» (٣) بعد حبّ اللّه عزّ وجلّ.

فالمؤمن وإن كان بحسب بعض الأحاديث غريباً، ليس بغريب؛ لأنّ اللّه ورسوله والأئمّة الهادين أحبّاؤه، وكذا بالقياس إلى مؤمنٍ مثله والكافر غريب، وإن كان له حبيب، أو المؤمن الكائن في دار الشّرك، أوغيره، كما يشهد لذلك ما عن الصّادق عليه السّلام، قال: «يقول أحدكم: إنّي غريب، إنّما الغريب الّذي يكون في دار الشّرك». (٤) ومنه الحديث النّبويّ: «الإسلام بدأ غريباً، وسيعود كما بدأ، وطوبىٰ للغرباء». (٥)

---

(١) المائدة: ٥٤.

(٢) وإن كان واوالعطف لا يدلّ إلاّ على الجمع فتاً، ولكن فيه إشعارعرفي بالتّرتيب.

(٣) مفاتيح الجنان: ٥٢٤.

(٤) الوسائل: ١١/٧٦.

(٥) الإكمال: ٦٤.

والوجه فيه أنّ الغربة والأنس أمران إضافيّان، فالغربة في شيء بالقياس إلى شخص، أنس بالقياس إلى آخر، أوحالة بالإضافة إلى حالة ثانية، وهكذا، ولا بدّ من لحاظ الواجد لمن يأنس به والفاقد له.

وامّا كلام الإمام عليه السّلام، فَربّما يُزعم أنّه يريد معنًى متعارفاً هو أضيق دائرة من المعنى المتقدّم الذّكر، إلاّ أنّه زعم لا دليل عليه بعد إطلاق الكلام الشّامل للمعنى الأوسع، فاختر ما تحبّ.

حبيب الإنسان: الّذي هو موضع سرّه الصّادق في حبّه، وألف خصلة أخرى تحقّق أخوّته وخلّته؛ (إنّ الصّديق من صَدَقَكَ لا من صدّقك)، (أخوك من صدقك النّصيحة)، يعني: النّصيحة في أمر الدّين والدّنيا.(١) (لايكون الصّديق صديقاً حتّى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته، وغيبته، و وفاته.) (٢)

وصادقيّ: «إنّ الّذين تراهم لك أصدقاء، إذا بلوتهم وجدتهم على طبقات شتّى: فمنهم كالأسد في عظم الأكل، وشدّة الصّولة، ومنهم كالذّئب في المضرّة، ومنهم كالكلب في البصبصة، ومنهم كالثّعلب في الرّوغان و السّرقة؛ صُوَرُهم مختلفة، والحرفة واحدة. ما تصنع غداً إذا تركت فرداً وحيداً لا أهل لك ولا ولد، إلاّ اللّه ربّ العالمين؟!».

و عن الصّادق عليه السّلام:

---

(١) مجمع الأمثال: ١/٢٣، حرف الهمزة.

(٢) السّفينة: ٢/٢٥، في (صدق).

أخوك الّذي لوجئت بالسّيف عامداً لتضربه لم يستغشّك في الودّ
ولو جئته تدعوه للموت لم يكن يردّك إبقاءً عليك من الرّدّ

... (١) .

(١) السّفينة: ٢/٢٦، في (صدق).

حرف الفاء

٩١ـ فاز... بالسّهم الأخيب

في خطبة له عليه السّلام، أوّلها:

«أيّها النّاس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم ـ إلى فقرة: ـ ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسّهم الأخيب...».(١)

ونقلها الشّيخ المجلسيّ مع تفاوت ألفاظ منها: «إنّ مَنْ فاز بكم فقد فاز بالخيبة».(٢) والشّيخ المحموديّ في باب الخطب: «مَنْ فاز بكم فاز بالسّهم الأخيب».(٣)

وهو من الأمثال السّائرة، ذكره الميدانيّ، قال: (مَنْ فاز بفلان فقد فاز بالسّهم الأخيب). وفي كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ـ عليه السّلام ـ أنّه قال: «مَنْ فاز بكم فقد فاز بالسّهم الأخيب»، يضرب في خيبة الرّجل في مطلوبه.(٤)

---

(١) النّهج: ١١١/٢، ط: ٢٩.

(٢) البحار: ٣٤٠/٧٧.

(٣) نهج السّعادة: ٤٧٠/٢ و ٥٤٢ و ٥٧٠.

(٤) مجمع الأمثال: ٣٠٨/٢، حرف الميم.

والزّمخشريّ قال: قاله عليّ رضي الله عنه -عليه السّلام- في بعض من استبطأ من أصحابه!. يضرب في ذمّ الرّجل النّكد.(١)

النِّكد بكسر النّون: قليل الخير العَسِر، وجمعه أنكاد.

وقال ابن الأثير: في حديث عليّ -عليه السّلام- : «من فاز بكم فقد فاز بالقِدْح الأخيب»: أي بالسّهم الخائب الّذي لا نصيب له من قِداح الميسر، وهي ثلاثة: المَنيح، والسّفيح، والوغْد. والخيبة: الحرمان والخسران، وقد خاب يخيب ويخوب.(٢)

وقال: السّهم في الأصل واحد السّهام الّتي يضرب بها في الميسر، وهي القِداح، ثمّ سُمّي به مايفوز به الفالج سهمه، ثمّ كثر حتّى سُمّي كلّ نصيب سهماً. ويجمع السّهم علىٰ أسهم وسهام وسُهمان.(٣)ومنه قوله تعالى: «فساهم فكان من المُدْحضين».(٤)

قال الباقر عليه السّلام: «لمّا ركب -: أي يونس - مع القوم، فوقفت السّفينة في اللّجّة، واستهموا، فوقع السّهم على يونس ثلاث مرّات، فمضىٰ يونس الى صدر السّفينة، فإذا الحوت فاتح فاه، فرمىٰ بنفسه».(٥)

---

(١) المُستقصىٰ: ٢/٣٥٨.

(٢) النّهاية: ٢/٩٠، في (خيب).

(٣) النّهاية: ٢/ ٤٢٩، في (سهم).

(٤) الصّافّات: ١٤١.

(٥) تفسير الصّافي: ٢/٤٣٣.

سمّيت القرعة بالمساهمة لكتابة الاسم على السّهم. ومنه الصّادقيّ: «إنّ اللّه عزّ وجلّ وضع الإيمان على سبعة أسهم: على البرّ، والصّدق، واليقين، والرّضا، والوفاء، والعلم، والحلم؛ ثمّ قسّم ذلك بين النّاس. فمن جعل فيه هذه السّبعة الأسهم فهو كامل محتمل؛ وقسّم لبعض السّهم، ولبعض السّهمين، ولبعضٍ الثّلاثة، حتّى انتهوا إلى السّبعة، ثمّ قال: لا تحملوا على صاحب السّهم سهمين، ولا على صاحب السّهمين ثلاثة، فتبهضوهم...».(١)

وليس أميرالمؤمنين عليه السّلام لأوّل مرّةٍ يشكو من أصحابه المتمرّدين، لقد جاء في كلماته: «إن كانت الرّعايا قبلي لتشكو حيف رُعاتها، فإنّني اليوم لأشكو حيف رعيّتي، كأنّني المَقُود وهم القادة، أو المَوْزُوع وهم الوَزَعة».(٢)

«قاتلكم اللّه، لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرعتموني نغب التّهمام أنفاساً، وأفسدتم عليّ رأبي بالعصيان والخذلان».(٣)

النُّغَبُ جمع نَغْبة: وهي الجرعة. والتّهمام بفتح التّاء: الهمّ (٤): أي في كلّ نَفَس أتجرّع الهمّ منكم. ساعداللّه قلبك يا أميرالمؤمنين!.

ومنها قوله عليه السّلام: «اللّهمّ إنّي قد مللتهم وملّوني، وسئمتهم

(١) أصول الكافي: ٢/٤٢.

(٢) النّهج: ١٩/١٤٥، الحكمة: ٢٦٧.

(٣) النّهج: ٢/٧٥، الخطبة: ٢٧.

(٤) شرح النّهج: ٢/٨٠.

وسئموني، فأَبْدِلْني بهم خيراً منهم، وأَبْدِلهم بي شرّاً منّي! اللّهمّ مث قلوبهم، كما يماث الملح في الماء، أما وَاللّهِ لوددت أنّ لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غَنْم:

هنالك لو دعوت أتاك منهم فوارس مثل أرمية الحميم

ثمّ نزل عليه السّلام من المنبر». (١)

وما أقلّ أهل الوفاء من أصحابه، يشار بهم بالبنان، كعمّار بن ياسر، والأشتر، وذي الشّهادتين؛ و أضرابهم.

٩٢ـ فاعل الخير خيرٌ منه، وفاعل الشّرّ شرٌّ منه

من الكلمات المعدودة من الأمثال، قوله عليه السّلام:

«فاعل الخير خيرٌ منه، وفاعل الشّرّ شرٌّ منه». (٢)

ويماثل المَثَل الّذي ضربه عليه السّلام، أو هو هو بتغيير مّا، ماذكره الميدانيّ: (إنّ خيراً من الخير فاعله، وإنّ شرّاً من الشّرّ فاعله). وقال: هذا المثل لأخٍ للنّعمان بن المنذر، يقال له: علقمة،قاله لعمرو بن هند في

(١) النّهج: ١/٣٣٢، ط: ٢٥.

(٢) النّهج: ١٨/١٤٩، ح ٣٢.

مواعظ كثيرة، كذا ذكره أبوعبيد في كتابه.(١)

و للشّارح شرح وبيان قال: قد نظمت أنا هذا اللّفظ والمعنىٰ، فقلت في جملة أبيات لي:

خير البضائع للإنسان مكرمة   تنْمي وتزكو إذا بارت بضائعه
فالخير خيرٌ وخير منه فاعله   والشّرّ شرٌّ وشرٌّ منه صانعه

فإن قلت: كيف يكون فاعل الخير خيراً من الخير، وفاعل الشّرّ شرّاً من الشّرّ، مع أنّ فاعل الخير إنّما كان ممدوحاً لأجل الخير، وفاعل الشّرّ إنّما كان مذموماً لأجل الشّرّ، فإذا كان الخير والشّرّ هما سببا المدح والذّم، وهما الأصل في ذلك، فكيف يكون فاعلاهما خيراً وشرّاً منهما؟.

قلت: لأنّ الخير والشّرّ ليسا عبارة عن ذات حيّة قادرة، وإنّما هما فعلان، أو فعل وعدم فعل، أو عدمان، فلو قطع النّظر عن الذّات الحيّة القادرة الّتي يصدران عنها لما انتفع أحد بهما، ولا استضرّ، فالنّفع والضّرّ إنّما حصلا من الحيّ الموصوف بهما لا منهما على انفرادهما، فلذلك كان فاعل الخير خيراً من الخير، وفاعل الشّرّ شرّاً من الشّرّ.(٢)

ويؤيّده من بعض الوجوه أنّ العلم إنّما يقوم بأهله، وكذا الجهل لا يكون إلاّ بالجاهل، فالعلم والجهل بما هما لا وجود لهما، وهكذا الصّدق

---

(١) مجمع الأمثال: ١/٥٨، حرف الهمزة.

(٢) شرح النّهج: ١٨/١٤٩.

والكذب. وقد جاء: «أحسن من الصّدق قائله، وخير من الخير فاعله». (١) وهل الخير قبل الشّرّ كما في الخبر؟(٢) وفيهما بحوث لا تسع المقام.

٩٣- الفضل للبادي

قال عليه السّلام:

«إذا حيّيت بتحيّة فحيّي بأحسن منها، وإذا أسديت إليك يدٌ فكافئها بما يُربي عليها، والفضل مع ذلك للبادي». (٣)

دلّ على ردّ التّحيّة بالأحسن قوله تعالى: «وإذا حيّيتم بتحيّة فحيّوا بأحسن منها أو ردّوها». (٤)

ولعلّ السّرّ فيه هو مكافأة البادي الّذي له الفضل بابتدائه بالتّحيّة؛ ومن أجله قدّم الرّدّ بالأحسن على ردّها بالمثل في الآية الكريمة؛ لأنّ الرّدّ بالمثل إنّما هو جزاء أصل التّحيّة دون الفضل المسبّب عن ابتدائها.

والتّحيّة تعمّ التّحيّة القوليّة وغيرها، ومنه إسداء اليد ومكافأتها المذكور في كلام الإمام عليه السّلام في الفقرة الثّانية.

وفي أحاديث أهل البيت عليهم السّلام دلالة على هذا التّعميم:

---

(١) السّفينة: ١/٤٣٣، في (خير).

(٢) مصابيح الأنوار: ١/١١١. فيه إشارة إليه.

(٣) النّهج: ١٨/٢٠١، الحكمة: ٦.

(٤) النّساء: ٨٦.

«جاءت جارية للحسن عليه السّلام بطاق ريحان فقال لها: أنت حرّة لوجه اللّه، فقيل له في ذلك، فقال عليه السّلام: أدّبنا اللّه تعالىٰ، فقال: «وإذا حيّيتم بتحيّة فحيّوا بأحسن منها أو ردّوها»، وكان أحسن منها إعتاقها». (١)

كما وإنّ من تمام التّحيّة المصافحة والمعانقة، عن الصّادق عليه السّلام: «إنّ من تمام التّحيّة للمقيم المصافحة، وتمام التّسليم للمسافر المعانقة». (٢)

والتّحيّة القوليّة: هي السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، على اختلاف الصّيغ الّتي يقتضيها المقام.

جاء القرآن الكريم بسلام من الله تعالى ورسله وملائكته: «ينوح اهبط بسلٰمٍ منّا وبركٰتٍ عليك». (٣) «فقل سلٰم عليكم». (٤) «الّذين تتوفّهم الملٰئكة طيّبين يقولون سلٰمٌ عليكم». (٥) «تحيّتهم فيها سلٰمٌ». (٦)

وهو تحيّة الإسلام، وإن كان لكلّ ملّة تحيّة تخصّهم هي دونها، لدلالة السّلام على سلامة نفس المسلّم مع أخيه المسلم وعدم حربه، وهو اسم من اسماء الله الحسنىٰ: «هو اللّه الّذي لا إلٰه إلاّ هو الملك القدّوس

---

(١) تفسير الميزان: ٣٥/٥، النّساء: ٨٦.

(٢) تفسير الميزان: ٣٥/٥.

(٣) هود: ٤٨.

(٤) الأنعام: ٥٤.

(٥) النّحل: ٣٢.

(٦) إبراهيم: ٢٣.

السّلٰم». (١) «اللّهم أنت السّلام، ومنك السّلام، وإليك يعود السّلام، ودارك دارالسّلام، حيّنا ربّنا منك بالسّلام». (٢)

ثمّ البادي بالتّحيّة الّذي له الفضل لا يخصّها فحسب، بل له ذلك إطلاقاً في كلّ خير، ومن هنا امتدح السّابقون إلى الخيرات، المسارعون إلى المغفرة في آية الاستباق والمسارعة، (٣)وأنّهم المقرّبون في آية: «والسّٰبقون السّٰبقون أُولٰئك المقرّبون». (٤)

ومن قياس الضّدّ يعلم حال البادي بالشّرّ والظّلم، وأنّ له زيادة العذاب. قال عليه السّلام: «للظّالم البادي غداً بكفّه عضّة». (٥) «لا تَدعُونَّ إلى مبارزة، وإن دعيت إليها فأجب، فإنّ الدّاعي باغٍ، والباغي مصروع». (٦) فالبادي بالحرب الّتي هي من أجلٰى مظاهر الشّرور باغٍ هالك، جئنا بذلك لأدنى صلة تمسّ الموضوع.

ثمّ المَثَل الجاري يماثله ما عن المولّدين: (الفضل للمبتدي، وإن أحسن المقتدي). (٧) فيكون مَثَلنا من الأمثال السّائرة بالذّات، يقال للحثّ على فعل الخير المقدم عليه قبل كلّ أحد.

---

(١) الحشر: ٢٣.

(٢) مفاتيح الجنان: ٣٩٠، دعاء وسط مسجد الكوفة.

(٣) البقرة: ١٤٨.

(٤) الواقعة: ١٠ ـ ١١.

(٥) النّهج: ١٨/٣٦٩، الحكمة: ١٥٣.

(٦) النّهج: ١٩/٦٠، الحكمة: ٢٣٠.

(٧) مجمع الأمثال: ٢/٩١، حرف الفاء.

٩٤- فَعَلَ فِعْلَ السّادة، وفَرّ فِرارَ العبيد

من كلام له عليه السّلام لمّا هرب مصقلة بن هبيرة الشّيبانيّ إلىٰ معاوية، وكان قد ابتاع سَبْي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السّلام وأعتقه، فلمّا طالبه بالمال خاس به، وهرب إلى الشّام، فقال عليه السّلام:

«قَبّحَ اللّه مصقلة، فَعَلَ فِعلَ السّادة، وفَرّ فِرار العبيد فما أنطق مادحَه حتّىٰ أسكته، ولا صدق واصفه حتّىٰ بكّته، ولو أقام لأخذنا ميسوره، وانتظرنا بماله وفوره».(١)

قال المعتزليّ: خاس به يخيس ويخوس: أي غدر به، خاس فلانٌ بالعهد: أي نكث. وقبّح الله فلاناً: أي نحّاه عن الخير، فهو مقبوح. والتّبكيت: كالتّقريع والتّعنيف. والوفور مصدر وفر المال: أي تمّ.(٢)

مَنْ هو مصقلة؟ وكيف كان ابتياع سَبْي بني ناجية من عامل الإمام عليه السّلام؟ ومَنْ بنو ناجية؟ وناجية نفسها؟

---

(١) النّهج: ١١٩/٣، كلام: ٤٤.

(٢) شرح النّهج: ١١٩/٣.

فهنا أمور أربعة:

الأوّل، قال السّيّد الخوئي: عدّه الشّيخ في رجاله من أصحاب عليّ عليه السّلام.(١) ومثله الأردبيليّ.(٢)

وكلّ مَنْ ترجمه عرّفه بهربه من عليّ عليه السّلام إلى معاوية(٣)، وهو عامله عليه السّلام على (أرد شير خُرّة)، كورة من بلاد فارس.(٤) مكنّى بأبي الفضل.

الأمر الثّاني، لابدّ أوّلاً من بيان جهة سبْي بني ناجية، ثمّ كيفيّة ابتياعهم:

لمّا بايع أهل البصرة عليّاً عليه السّلام بعد الهزيمة، دخلوا في الطّاعة غير بني ناجية، فإنّهم عسكروا، فبعث عليّ عليه السّلام رجلاً من أصحابه (٥)في خيل ليقاتلهم، فأتاهم، فقال: ما بالكم عسكرتم، وقد دخل النّاس في الطّاعة غيركم؟ فافترقوا ثلاث فرقٍ:

فرقة قالوا: كنّا نصارى، فأسلمنا، ودخلنا فيما دخل فيه النّاس من الفتنة، ونحن نبايع كما بايع النّاس، فأمرهم، فاعتزلوا.

وفرقة قالوا: كنّا نصارى، ولم نسلم، فخرجنا مع القوم الّذين كانوا

---

(١) معجم الرّجال: ١٧٥/١٨.

(٢) جامع الرّواة: ٢٣٣/٢.

(٣) مجمع الرّجال: ٩٤/٦.

(٤) نهج السّعادة: باب الكتب: ١٨٨/٢، مصادرالنّهج: ٣٤٧/٣.

(٥) يقال له: زيادبن حفصة، وأتبعه معقل بن قيس.

خرجوا، قهرونا، فأخرجونا كرهاً، فخرجنا معهم، فهزموا فنحن ندخل فيما دخل فيه النّاس، ونعطيكم الجزية، كما أعطيناهم. فقال لهم: اعتزلوا.

وفرقة قالوا: إنّا نصارىٰ، فأسلمنا، فلم يعجبنا الإسلام، فرجعنا. فنعطيكم الجزية كالنّصارىٰ، فقال لهم: تُوبوا وارجعوا إلى الإسلام، فأبوا. فقاتل مقاتلتهم، وسبىٰ ذراريهم، فقدم بهم على أميرالمؤمنين عليه‌السّلام.

وقيل: إنّ الأمير من قبل عليّ عليه‌السّلام كان معقل بن قيس، ولمّا انقضىٰ أمر الحرب لم يقتل من المرتدّين من بني ناجيه إلاّ رجلاً واحداً، ورجع الباقون إلى الإسلام، واسترقّ من النّصارىٰ منهم الّذين ساعدوا في الحرب، وشهروا السّيف على جيش الإمام عليه‌السّلام.

ثمّ أقبل بالأسارىٰ حتّىٰ مرّ على مصقلة بن هبيرة الشّيبانيّ، وهو عامل عليّ عليه‌السّلام على أردشير خرّة وهم خمسمائة إنسان، فبكت إليه النّساء والصّبيان، وتصايح الرّجال، وسألوه أن يشتريهم ويعتقهم، فابتاعهم بخمسمائة ألف درهم، فأرسل إليه أميرالمؤمنين أباحرّة الحنفيّ، ليأخذ منه المال، فادّى إليه مائتي ألف درهم، وعجز عن الباقي، فهرب إلى معاوية.(١)

قال السّيّد الأستاذ الخوئي: وروى الشّيخ بإسناده عن الحسين بن

(١) الغارات: ٢/٧٧٠ ـ ٧٧١. لعلّ الصّحيح: (فقاتل مقاتليهم). على ماذكره الشّيخ الطّوسيّ، كما في معجم رجال الحديث: ١٧٥/١٨، من ترجمة مصقلة بن هبيرة.

سعيد عن حمّاد وصفوان عن معاوية بن عمّار عن أبيه عن أبي الطّفيل:

أنّ بني ناجية قوم كانوا يسكنون الأسياف، وكانوا قوماً يدعون في قريش نسباً، وكانوا نصارىٰ، فأسلموا، ثمّ رجعوا عن الإسلام، فبعث أميرالمؤمنين عليه السّلام معقل بن قيس التّميميّ، فخرجنا معه(...).

فدعاهم إلى الإسلام ثلاث مرّات، فأبوا. فوضع يده علىٰ رأسه. قال: فقتل مقاتليهم، وسبى ذراريهم. قال: فأتي بهم عليّاً عليه السّلام، فاشتراهم مصقلة بن هبيرة بمائة ألف درهم، فأعتقهم، وحمل إلىٰ أميرالمؤمنين خمسين ألفاً، فأبىٰ أن يقبلها. قال: فخرج بها فدفنها في داره، وأجاز عتقهم.(١)

ونقلها العسكريّ في جمهرة الأمثال تحت عنوان: (وأهل الكوفة يقولون: حتّىٰ يرجع مصقلة من طبرستان). وهو نقل يخالف الرّواية الأولىٰ. قال: وهو مصقلة بن هبيرة، وكان سبب هربه من الكوفة أنّه كان على أرد شير خُرّة من قبل عليّ عليه السّلام، فجاء معقل بن قيس بسبي بني ناجية، وكانوا قد ارتدّوا عن الإسلام، فصاحوا إلى مصقلة يا أباالفضل! امنن علينا، فاشتراهم بثلاثمائة ألف درهم، فأعتقهم، وخرج إلى عليّ عليه السّلام، فدفع إليه مائة درهم، وهرب إلى معاوية.

فقال عليّ عليه السّلام: «قبّح اللّه مصقلة، فَعَلَ فِعلَ السّيّد، وفَرّ فِرار العبد، ولو أقام ورأيناه قد عجز لم نأخذه بشيء». وأجاز عتق من أعتق ففتّش عليّ ـ عليه السّلام ـ دار مصقلة، فوجد فيها سلاحاً، فقال:

---

(١) معجم رجال الحديث: ١٨/١٧٥.

أرى حرباً مفرّقة وسلماً وعهداً ليس بالعهد الوثيق

ثمّ هدمها، فقال يحيى بن منصور:

قضى وطراً منها عليّ فأصبحت إمارته فيها أحاديث كاذب

فبناها له معاوية بعد. وقال مصقلة حين لحق بمعاوية:

تركت نساء الحيّ بكر بن وائل وأعتقت سبياً من لؤيّ بن غالب
وفارقت خير النّاس بعد محمّدٍ لمالٍ قليلٍ لامحالة ذاهب(١)

الأمر الثّالث والرّابع مَنْ بنوناجية، وناجية نفسها؟

قال الشّارح المعتزليّ: فأمّا القول في نسب بني ناجية، فإنّهم ينسبون أنفسهم إلى سامة بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان.

وقريش تدفعهم عن هذا النّسب، ويسمّونهم بني ناجية -وهي أُمّهم- وهي امرأة سامة بن لؤيّ بن غالب. ويقولون: إنّ سامة خرج إلى ناحية البحرين مغاضباً لأخيه كعب بن لؤيّ بن غالب في مماظّةٍ (٢) كانت بينهما، فطأطأت ناقته رأسها لتأخذ العشب، فعلق بمشفرها

(١) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ١/٢٤٢.

(٢) المماظّة: المخاصمة والمنازعة.

أفعىٰ، عطفت على قَتَبها، فحكّته به، فدبّ الأفعىٰ على القَتَب حتّىٰ نهش ساق سامة فقتله ، فقال أخوه كعب بن لؤيّ يرثيه:

عين جـودي لسـامـة بـن لـؤيّ   علـقـت سـاق سـامـة الـعـلاقـهْ
رُبّ كـأسٍ هَـرَقْتَـهـا ابـن لـؤيٍّ   حـذرالموت لم تـكـن مـهـراقـهْ

قالوا: وكانت معه امرأتهُ ناجية، فلمّامات، تزوّجت رجلاً في البحرين، فولدت منه الحارث، ومات أبوه وهو صغير، فلمّا ترعرع طمعت أمّه أن تلحقه بقريش، فأخبرته أنّه ابن سامة بن لؤيّ بن غالب، فرحل من البحرين إلىٰ مكّة، ومعه أمّه.

فأخبر كعب بن لؤيّ أنّه ابن أخيه سامة، فعرف كعب أمّه ناجية، فظنّ أنّه صادق في دعواه، فقبله، ومكث عنده مدّة حتّىٰ قدم مكّة ركبٌ من البحرين، فرأوا الحارث، فسلّموا عليه، وحادثوه، فسألهم كعب بن لؤيّ: من أين يعرفونه؟

فقالوا: هذا ابن رجل من بلدنا، يعرف بفلان، وشرحوا له خبره، فنفاه كعب عن مكّة ، ونفى أمّه ، فرجعا إلى البحرين، فكانا هناك ، وتزوّج الحارث، فأعقب هذا العقب.(١)

قوله عليه السّلام: «فَعَلَ فِعلَ السّادة، وفَرّ فِرار العبيد» ، يقال لمن له حالة حسنة، وأخرىٰ سيّئة، فهو مَثَلٌ بالصّميم، وإن لم يرسله عليه السّلام مَثَلاً، على أنّه (حتّىٰ يرجع مصقلة من طبرستان) مَثَلٌ سائرٌ.

---

(١) شرح النّهج: ٣/١٢٠.

٩٥- فقد الأحبّة غربةٌ

قال عليه السّلام:
«فقد الأحبّة غربةٌ». (١)

هذا من المَثَل السّائر ذكره أرباب كتب الأمثال، منها المستقصىٰ، وفيه: فقد الأحبّة غربة.(٢)ومجمع الأمثال بلفظ: فقد الإخوان غربة.
(قال مؤلّفه): قريب من هذا قول الشّيخ أبي سليمان:

وإنّي غريب بين بُست وأهلها ... وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي
وما غربة الإنسان في غربة النّوىٰ ... ولكنّها واللّه في عدم الشّكل(٣)

وقال زيادة بن زيد:

---

(١) النّهج: ١٨/٢١٠، الحكمة: ٦٣.
(٢) ٢/١٨١، حرف الفاء مع القاف.
(٣) ٢/٨٣، حرف الفاء.

هل الدّهر والأيّام إلاّ كما ترىٰ   رزيّة مالٍ أوفراق حبيب (١)

وقال الشّارح المعتزليّ: ومثله قوله عليه السّلام: «الغريب مَنْ لم يكُن له حبيبٌ»

وقال الشّاعر:

أسـرة المـرء والـداه وفيما   بين حِضْنَيْهما الحيـاة تطيبُ
وإذا وَلّيَا عـن المرءِ يـوماً   فهو في النّاس أجنبيّ غريبُ

وقال آخر:

إذا مامضى القرن الّذي كنت فيهم   وخُلّفتَ في قرنٍ فأنت غريبُ (٢)

الأحبّة والأحبّاء جمع الحبيب، مصدرها المحبّة: وهي المودّة. و«المودّة قرابة مستفادة». (٣)

وعند فقد الأحبّة يحُسّ الإنسان بالاغتراب، حتّى يرى الرّاحة في الموت، ويتمنّاه من هنا تجد الإمام عليه السّلام عند فقد عمّار بن ياسر حبيبه تمنّاه قائلاً:

ألا أيّها الموت الّذي ليس تاركي   أرحني فقد أفنيت كلّ خليل

---

(١) التّمثيل والمحاضرة: ص:٦٦.

(٢) شرح النّهج: ٢١٠/١٨، في شرح المـَثَل: «الغريب مَنْ لم يكـن له حبيب» بدل (حِضْنَيْهما): (جَنْبَيْـهما)، فراجع المصدرين تجد لفظ الـحِضْن، في شرح النّهج: ٢١٠/١٨، والجَنْب، في شرح النّهج: ١١٨/١٦.

(٣) النّهج: ٣١/١٩، الحكمة ٢٠٧، وحرف الميم مع الواو.

أراك بصيراً بالّذين أحبّهم كأنّك تسعى نحوهم بدليل(١)

والفرقة بين الخليلين كغيرهما بالهجران أو الموت ، لابدّ ولا مناص عنها، حتّى الأنبياء والأئمّة الهداة عليهم السّلام الّذين هم من أصدق الأحبّة وأعزّهم لابدّ من فقدهم بالموت، كما قال تعالى لأشرف خلقه محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّك ميّت وإنّهم ميّتون». (٢)

والإمام عليه السّلام عند موت سيّدة نساء العالمين فاطمة عليها السّلام يتمثّل بأبياتٍ تدلّ على فرقة الموت والغربة:

لكلّ اجتماعٍ من خليلين فرقةٌ وكلّ الّذي دون الوفاة قليل
وإنّ افتقادي واحداً بعد واحدٍ دليل على أن لايدوم خليل(٣)

وفي بعض النّسخ:

* وإنّ افتقادي فاطماً بعد أحمد *

على ما ببالي. وإنّ الإنسان كثير بحبيبه،يسكن إليه، ويرفع وحدته، لاسيّما إذا كان الحبّ في الله.

---

(١) البحار: ٨٨/٧٨.

(٢) الزّمر: ٣٠.

(٣) البحار: ٨٥/٧٨.

عن السّجّاد عليه السّلام: «إذا جمع الله الأوّلين والآخرين، قام منادٍ فنادىٰ يسمع النّاس، فيقول: أين المتحابّون في الله؟ قال: فيقوم عنقٌ من النّاس، فيقال: اذهبوا إلى الجنّة بغير حساب». (١)

وباقريّ: «ودّ المؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان».(٢) ونبويّ: «يا عليّ من أوثق عرى الإيمان الحبّ في الله، والبغض في الله».(٣) وصادقيّ: «طوبىٰ للمتحابّين في الله» (٤).

٩٦- فَلَقَ لَكُم الأَمْرَ فَلْقَ الخَرْزَةِ

كلمة تمثيليّة من خطبةٍ له عليه السّلام، منها:

«... فاستمعوا من ربّانيّكم، وأحضروه قلوبكم، واستيقظوا إن هتف بكم، وليصدق رائد أهله، وليجمع شمله، وليحضر ذهنه، فلقد فلق لكم الأمر فلق الخرزة، وقرفه قرف الصّمغة ...».(٥)

---

(١) الوسائل: ١١/٤٣٢.

(٢) الوسائل: ١١/٤٣١.

(٣) الوسائل: ١١/٤٣٣.

(٤) الوسائل: ١١/٤٣٥.

(٥) النّهج: ٧/١٩٠ - ١٩١، الخطبة: ١٠٧.

قوله عليه السّلام: «ليصدق رائدٌ أهله» من أمثال سائرة أثبتناه.(١)

و(الفلق) بالتّحريك: الصّبح وضوؤه، ومنه: «كان صلّى اللّه عليه وآله ـ وسلّم ـ يرى الرّؤيا، فتأتي مثل فلق الصّبح». وبالسّكون: الشّقّ ومنه: «يا فالق الحبّ والنّوى»، وحديثه عليه السّلام: «والّذي فَلَقَ الحبّة، وبرأ النّسمة»، وكثيراً ما كان يقسم بها.(٢)

الخرزة: أصلها الخاء والرّاء و الزّاي، يدلّ على جمع الشّيء إلى الشّيء وضمّه إليه، فمنه خَرزُ الخِلْدِ، ومنه الخَرَزُ، وهو معروف؛ لأنّه ينظم، وينضد بعضه إلى بعض، وفقار الظّهر خرزٌ لانتظامه، وخرزات الملك، كان الملك منهم كلّما مَلَكَ عاماً زيدت في تاجه خرزة؛ ليعلم بذلك عدد سنيّ ملكه، قال:

رَعى خَرَزات المُلكِ عشرين حِجّةً   وعشرين حتّى فادَ والشّيبُ شاملُ(٣)

ولنعد إلى كلام الإمام عليه السّلام، قال شارحه: الرّبّانيّ الّذي أمرهم الاستماع منه، إنّما يعني به نفسه عليه السّلام. ويقال: رجل ربّانيّ: أي متألّهٌ عارفٌ بالرّبّ سبحانه، وفي وصف الحسن لأمير المؤمنين عليه السّلام: «كان واللّهِ ربّانيّ هذه الأمّة، وذا فضلها،

---

(١) في حرف الّلام مع الياء.

(٢) النّهاية: في (فلق).

(٣) معجم مقاييس اللّغة: في (خرز).

وذا قرابتها، وذا سابقتها».

ثمّ قال: «وأحضروه قلوبكم»: أي اجعلوا قلوبكم حاضرة عنده: أي لا تقنعوا لأنفسكم بحضور الأجساد وغيبة القلوب؛ فإنّكم لا تنتفعون بذلك.

والرّائد: الّذي يتقدّم المنتجعين، لينظر لهم الماء والكلأ، وفي المَثَل «الرّائد لا يكذب أهله». (١)

«وليجمع شمله»: أي وليجمع عزائمه وأفكاره لينظر. فقد فلق هذا الرّبّانيّ لكم الأمر: أي شَقّ ماكان مبهماً، وفتح ماكان مغلقاً، كما تفلق الخرزة، فيعرف باطنها، وكما تقشّر الصّمغة عن عود الشّجرة وتقلع؛ (٢)لأنّ قوله عليه السّلام: «قرفهُ قرف الصّمغة» من القرف بمعنى القشر.

والكلمة تصلح مثلاً لوضوح الشّيء وظهوره. وكلمته هذه متّجهة كبقيّة كلماته عليه السّلام إلىٰ كلّ من بلغته، سواء في ذلك من حضر عند إلقائها، أولم يحضر، وإلىٰ شيعته خاصّة إلىٰ يوم القيامة.

---

(١) هو المثَل السّائر في جمهرة الأمثال على هامش مجمع الأمثال: ٣٠٨/١. والأمثال النّبويّة: ٤٣٣/١، حرف الرّاء مع الألف، رقم المَثَل: ٢٧٦.

(٢) شرح النّهج: ١٩٠/٧ - ١٩١.

٩٧ ـ فوت الحاجة أهون من طلبها إلىٰ غير أهلها

قال عليه السّلام:

«فوت الحاجة أهون من طلبها إلىٰ غير أهلها».(١)

هذا من أمثال المولّدين، أثبته الميدانيّ.(٢) وفي كتاب التّمثيل والمحاضرة بلفظ: «أشدّ من فوت الحاجة طلبها من غير أهلها».(٣)

يقال: لا تطلبوا الحوائج إلى ثلاثة: إلىٰ عبد يقول: الأمر إلىٰ غيري، وإلىٰ رجل حديث الغنىٰ، وإلىٰ تاجر همّته أن يستربح في كلّ عشرين ديناراً حبّة واحدة،(٤)

ففي نبويّ: «يا عليّ! لأن أُدخل يدي في فم التّنّين إلى المرفق أحبّ إليّ من أن أسأل مَنْ لم يكن ثمّ كان».(٥) وباقريّ: «مَثَل الحاجة إلى

(١) النّهج: ٢١١/١٨، الحكمة: ٦٤.

(٢) مجمع الأمثال: ٩٠/٢، حرف الفاء.

(٣) ص: ٤٦٦.

(٤) شرح النّهج: ٢١١/١٨.

(٥) الوسائل: ٣٠٨/٦. الأمثال النّبويّة: ٨٣/٢، حرف اللاّم مع الهمزة، رقم المَثَل: ٤٠٣.

من أصاب ماله حديثاً كمَثَل الدّرهم في فم الأفعىٰ، أنت إليه محوج، وأنت منها على خطر». (١) تكلّمنا على الحديثين في كتابنا (الأمثال النّبويّة). (٢)

وعن إعلام الدّين، عن أميرالمؤمنين عليه السّلام، أنّه قال لولده الحسن عليه السّلام:

« يا بنيّ! إذا نزل بك كَلَب الزّمان، وقحط الدّهر، فعليك بذوي الأصول الثّابتة، والفروع النّابتة، من أهل الرّحمة والإيثار والشّفقة؛ فإنّهم أقضىٰ للحاجات، وأمضىٰ لدفع الملمّات، و إيّاك وطلب الفضل، واكتساب الطّسايج والقراريط من ذوي الأكفّ اليابسة، والوجوه العابسة؛ فإنّهم إن أعطوا منّوا، وإن منعوا كدّوا، ثمّ أنشأ يقول:

وآسأل العرف إن سألت كريماً ... لم يزل يعرف الغنىٰ واليسارا
فسؤال الكريم يورث عزّاً ... وسؤال اللّئيم يورث عارا
وإذا لم تجد من الذّلّ بُدّاً ... فالق بالذّلّ إن لقيت كبارا
ليس إجلالك الكبير بعارٍ ... إنّما العار أن تجلّ الصّغارا

...» (٣)

كلام أهل البيت عليهم السّلام نور في درب الحياة المادّيّة والرّوحيّة، ولربّما يوجّهون الخطاب إلى أنفسهم عليهم السّلام، وإن لم يبتلوا به تعليماً

---

(١) تحف العقول: ٢٩٤.

(٢) ج: ٢/٨٣، حرف اللاّم مع الهمزة، كما تقدّم.

(٣) السّفينة: ١/٥٨٥، في (سأل).

لمن ابتلى، على حدّ قول القائل: (إيّاكِ أعني واسمعي يا جارهْ!).(١) كماجاء ذلك في كثير من خطابات القرآن الكريم، على ما نصّ به الحديث الصّادقيّ:

«نزل القرآن بإيّاكِ أعني واسمعي يا جارهْ!».(٢)

ثمّ السّؤال ذلٌّ، لا يرضى الحرّ ذلك، خاصّة ممّن وصف بصفات دنيئة. في صادقيّ:

«إنّما شيعتنا من لا يهرّ هرير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب، ولايسأل النّاس بكفّه، وإن مات جوعاً، واتّخذ اللّه عزّ وجلّ إبراهيم خليلاً؛ لأنّه لم يردّ أحداً، ولم يسأل أحداً غيراللّه عزّ وجلّ».(٣)

قال عليّ عليه السّلام: «المنيّة ولا الدّنيّة، والتّقلّل ولا التّوسّل». (٤) قال الشّاعر:

أقسم باللّه لمصّ النّوى ... وشرب ماء القُلُب المالحهْ
أحسن بالإنسان من ذلّه ... ومن سؤال الأوجه الكالحهْ
واستغن باللّه تكن ذا غنىً ... مغتبطاً بالصّفقة الرّابحهْ(٥)

ومن النّاس طوائف لايسوغ عرض الحاجة عليهم، منهم المذكور في حديثنا الجاري، ومنهم من لايخفون على العارف الحرّ اللّبيب.

---

(١) مجمع الأمثال: ٤٩/١، حرف الهمزة.
(٢) أصول الكافي: ٦٣١/٢.
(٣) السّفينة: ٥٨٤/١، في (سأل).
(٤) حرف الميم مع النّون.
(٥) شرح النّهج: ٣٦٢/١٩.

حرف القاف

٩٨ـ قد أضاء الصّبح لذي عينين

من كلماته عليه السّلام الحكميّة قوله:
«قد أضاء الصّبح لذي عينين».(١)

قال المعتزليّ: هذا الكلام جارٍ مجرى المَثَل، ومثله:

* والشّمس لا تخفىٰ عن الأبصار *

ومثله:

* إنّ الغزالة لا تخفىٰ عن البصر *

وقال ابن هانئ يمدح المعتزّ:

فاستيقظوا من رقدة وتنبّهوا ... ما بالصّباح عن العيون خفاء
ليست سماء الله ما ترونّها ... لكنّ أرضاً تحتويه سماء(٢)

قال الميدانيّ: (قد بيّنَ الصُّبح لذي عينين)، بيّن بمعنىٰ: تبيّن،

(١) النّهج: ١٨/٣٩٥، ح ١٧١.
(٢) شرح المصدر.

يضرب للأمر يظهر كلّ الظهور،(١) وذكره العسكريّ أيضاً، وقال: يضرب مَثَلاً للأمر ينكشف ويظهر.(٢)

فالمَثَل الجاري الّذي ضَرَبه الإمام عليه‌السّلام متّحد مع المَثَل السّائر مع تغيير مّا في لفظه.

وهل المقصود من الانكشاف للجميع خلافته الكبرىٰ المنصوص عليها بنصّ الغدير؟ حيث جمع الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم النّاس عند الوصول إلىٰ هدا المكان، وقد نزل عليه جبرائيل عليه‌السّلام بقوله تعالى: «يٰأيّها الرّسول بلّغ مٰا أُنزل إليك من ربّك وإنّ لم تفعل فما بلّغت رسالته واللّه يعصمك من النّاس».(٣) «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً».(٤)

وهكذا وُلْدُه الأحد عشر الأوصياء المعصومون، نصّت على وصايتهم النّصوص المعتبرة، كما ذكرها علماؤنا في مجامعهم، والجمهور: «أنّ الأئمّة من قريش يملكها اثنا عشر منهم».(٥)

وحديث الثّقلين الدّالّ على أنّ من لم يتمسّك بالكتاب وعترته ـ أهل بيته ـ ضالّ، والمتمسّك غير ضالّ؛ ذلك بأنّ أهل البيت عليهم‌السّلام معهم الشّرائع من الحلال والحرام، بل وجميع أحكام الإسلام، وبعد ذلك على الأمّة الرّجوع إليهم، والأخذ عنهم عليهم‌السّلام في كلّ شيء.

---

(١) مجمع الأمثال: ٩٩/٢، حرف القاف.

(٢) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ١٢٥/٢، حرف القاف.

(٣) المائدة: ٦٧.

(٤) النّمل: ١٤.

(٥) مسند أحمد: ٨٦/٥ ـ ٨٨.

٩٩ـ قدَّمَ للوثبة يداً، وأخَّرَ للنّكوص رِجْلاً

من كلام له عليه السّلام، كان يقوله لأصحابه في بعض أيّام صفّين:
«... ... ... وعليكم بهذا السّواد الأعظم، والرّواق المطنّب، فاضربوا ثَبَجَه؛ فإنّ الشّيطان كامنٌ في كِسْرِه، وقد قَدَّمَ للوثبة يداً، وأَخَّرَ للنّكوص رِجْلاً». (١)

هذا بعض خطبته عليه السّلام في يوم صفّين، يحرّض جيوشه فيها على قتال أهل الشّام، جيش معاوية عموماً، ورأس الفتنة معاوية بالخصوص.

قال المعتزليّ: «والرّواق المطنّب»، يريد به: مضرب معاوية، ذا الأطناب، وكان معاوية في مضرب عليه قبّة عالية، وحوله صناديد أهل الشّام. و(ثَبَجَه): وسطه، وثبج الإنسان: ما بين كاهله إلى ظهره. و(الكِسْر): جانب الخباء.

وقوله ـ عليه السّلام ـ: «فإنّ الشّيطان كامنٌ في كِسره» يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يعني به الشّيطان الحقيقيّ: وهو إبليس.

---

(١) النّهج: ١٦٨/٥، كلام ٦٥.

والثّاني: أن يعني به: معاوية.

والثّاني هو الأظهر؛ للقرينة الّتي تؤيّده وهي قوله: «قدّم للوثبة يداً، وأخّر للنكوص رِجلاً»: أي إن جبنتم وثب، وإن شجعتم نكص: أي تأخّر.

ومَنْ حَمَله على الوجه الأوّل جعله من باب المجاز: أي أنّ إبليس كالإنسان الّذي يعتوره دواعٍ مختلفة بحسب التّجدّدات، فإن أنتم صدقتم عدوّكم القتال فرّعنكم بفرار عدوّكم، وإن تخاذلتم وتواكلتم طمع فيكم بطمعه، وأقدم عليكم بإقدامه.(١)

قال ابن الأثير: وفي حديث عليّ عليه السّلام يوم صفّين: «قدّم للوثبة يداً، وأخّر للنّكوص رِجلا»: أي إن أصاب فرصة نهض إليها، وإلّا رجع وترك .(٢)

ليس الكلام المذكور: أي

«قدّم للوثبة يداً، وأخّر للتّكوص رِجلاً»

مقصوراً على معاوية، بل هو مَثَلٌ بالصّميم، يقال على كلّ من شاكله في الجبن. إن جاء الجدّ والإقبال على الدّنيا ما وجد إليها سبيلاً، وهو من صفات الأنذال ، يصفرون إذا خلا لهم الجوّ، ويفرّون عند الهيجاء حرصاً على البقاء.

ومن أجله: أي الحرص على البقاء في الدّنيا يثيرون الفتن،

---

(١) شرح النّهج: ٥/١٧٤.

(٢) النّهاية: في (وَثَبَ).

ويحرّضون الآخرين على القتال، حتّىٰ يستقرّ لهم المُلك والسّلطة، ولا يرعون جانب الحقّ.

وذلك لم يخلُ منه كلّ إنسان على وجه البسيطة من معتركه الدّاخليّ بين العقل والشّهوة ومشتهياتها، فهو دائماً بين الوثبة والنّكوص، فإمّا ينخرط في جيش علويّ، أو ملحق بمعاوية.

١٠٠ـ قديرى الحُوّلُ القُلّبُ وجه الحيلة ودونها مانع

من خطبة له عليه السّلام:

«إنّ الوفا توأم الصّدق، ولا أعلم جُنّة أوقىٰ منه، وما يغدر مَنْ علم كيف المَرْجِعُ. ولقد أصبحنا في زمانٍ قد اتّخذ أكثر أهله الغَدْر كَيْساً، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة. مالهم؟! قاتلهم اللّه! قديرى الحُوّل القُلّبُ وجهَ الحيلة ودونها مانع من أمراللّه ونهيه، فيدعها رأي العين بعد القدرة عليها، وينتهز فرصتها مَن لا حريجة له في الدّين».(١)

علّل توأميّة الوفاء للصّدق بأنّ الوفاء صدق في الحقيقة؛ ألا ترى أنّه قد عاهد على أمرٍ، وصدق فيه ولم يخلف؛ وكأنّهما أعمّ وأخصّ، وكلّ وفاء صدق، وليس كلّ صدق وفاء. فإن امتنع من حيث الاصطلاح تسمية الوفاء صدقاً، فلأمر آخر، وهو أنّ الوفاء قد يكون بالفعل دون

---

(١) النّهج: ٢/٣١٢، الخطبة: ٤١.

القول، ولا يكون الصّدق إلاّ في القول؛(١) لأنّه نوع من أنواع الخبر، والخبر قول. ثمّ قال ـ عليه السّلام ـ: «ولا أعلم جنّة»: أي درعاً. «أوقى منه»: أي أشدّ وقايةً وحفظاً؛ لأنّ الوفيّ محفوظ من الله، مشكور بين النّاس.

ثمّ قال ـ عليه السّلام ـ: «وما يغدر مَن علم كيف المرجع»: أي من علم الآخرة، وطوى عليها عقيدته، منعه ذلك أن يغدر؛ لأنّ الغدر يحبط الإيمان.

ثمّ ذكر ـ عليه السّلام ـ: أنَّ النّاس في هذا الزّمان ينسبون أصحاب الغدر إلى الكَيْس: وهو الفطنة والذّكاء، فيقولون لمَنْ يخدع ويغدر ولأرباب الجريرة والمكر: هؤلاء أذكياء أكياس، كما كانوا يقولون في عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، وينسبون أرباب ذلك إلى حسن الحيلة وصحّة التّدبير.

ثمّ قال ـ عليه السّلام ـ: «مالهم؟! قاتلهم الله!»، دعاء عليهم.

ثمّ قال ـ عليه السّلام ـ: «قد يرى الحُوّل القُلّبُ وجه الحيلة»، ويمنعه عنها نهي الله تعالى عنها وتحريمه بعد أن قدر عليها وأمكنه. والحُوّل القُلّب: الّذي قد تحوّل وتقلّب في الأمور وجرّب، وحنّكته الخطوب والحوادث.

ثمّ قال ـ عليه السّلام ـ: «وينتهز فرصتها»: أي يبادر إلى افتراصها ويغتنمها «مَنْ لا حريجة له في الدّين»: أي ليس بذي حرج، والتّحرّج:

---

(١) لا يختصّ بالقول، وكذا الكذب، والدّليل عليه الزّمر: ٣٣ «والّذى جاء بالصّدق وصدّق به أُوْلٰئِك هم المتّقون». حيث جاء جلّ جلاله بـ«جاء بالصّدق» فتدبّر جيداً.

التّأثّم، والحريجة: التّقوىٰ.

وهذه كانت سجيّته عليه السّلام وشيمته، مَلَكَ أهل الشّام الماء عليه والشّريعة بِصفّين، وأرادوا قتله وقتل أهل العراق عطشاً؛ فضاربهم على الشّريعة حتّى ملكها عليهم، وطردهم عنها فقال له أهل العراق: اقتلهم بسيوف العطش، وامنعهم الماء، وخذهم قبضاً بالأيدي. فقال -عليه السّلام-: إنّ في حدّ السّيف لغنىً عن ذلك، وإنّي لا أستحلّ منعهم الماء. فَأَفرجَ لهم عن الماء فوردوه، ثمّ قاسمهم الشّريعة شطْرَين بينهم وبينه. وكان الأشتر يستأذنه أن يبيّت معاوية، فيقول: إنّ رسول الله صلّى الله عليه -وآله وسلّم- نهىٰ أن يُبيّت المشركون. وتوارث بنوه عليه السّلام هذا الخُلق الأبيّ.(١)

قد جاءت الكلمة العلويّة التّمثيليّة في زيارة الغدير:

«ثمّ لِحَزمك المشهور، وبصيرتك في الأمور، أمَّرَك في المواطن، ولم يكن عليك أمير وكم من أمرٍ صدّك عن إمضاء عزمك فيه التّقىٰ، واتّبع غيرك في مثله الهوى، فظنّ الجاهلون أنّك عجزت عمّا إليه انتهىٰ، ضلّ واللّهِ الظّانّ لذلك وما اهتدىٰ، ولقد أوضحت ما أشكل من ذلك لمن توهّم وامترى بقولك صلّى الله عليك: قديرى الحُوّلُ القُلّبُ وجهَ الحيلة ودونها حاجزٌ من تقوى، فيدعها رأي العين، وينتهز فرصتها مَنْ لاحريجة له في الدّين».(٢)

---

(١) شرح النّهج: ٢/٣١٢-٣١٤.

(٢) مفاتيح الجنان: ٣٧٠.

(الحُوّل): ذو التّصرّف والاحتيال في الأمور.(١) (القُلّب): الّذي يقلّب الأمور، ويحتال لها (٢): أي المجرّب المدرّب العارف لها.

١٠١ـ قد يرمي الرّامي، وتخطئ السّهام

قال عليه السّلام:

«أيّها النّاس! مَنْ عَرَفَ مِنْ أخيه وثيقة دين وسداد طريق، فلا يسمعنّ فيه أقاويل الرّجال، أما إنّه قد يرمي الرّامي، وتخطئ السّهام، ويحيل الكلام، وباطل ذلك يبور. واللّه سميع و شهيد».(٣)

وللكلام باقية ذكرناها عند المَثَل: «لَيْس بين الحقّ والباطل إلّا أربع أصابع».(٤)

يريد عليه السّلام: أن ليس من الأخوّه الموثوقة بها الّذي عرفت الاستقامة منه، تحكيم الأقاويل فيه؛ في حديث علويّ: «ضَعْ أمرأخيك على أحسنه حتّى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظنّنّ بكلمةٍ خرجت من

---

(١) النّهاية: في (حول).

(٢) معجم مقاييس اللّغة: ١٨/٥، في (قلب).

أقول: ومنه آية: «وقلّبوا لك الأمور». التّوبة: ٤٨، وفي مجمع الأمثال: ٥٧/١، حرف الهمزة: (إنّه لحوّلٌ قلّبٌ) مايربط المقام، فراجع.

(٣) النّهج: ٧٢/٩، كلام: ١٤١.

(٤) حرف اللاّم مع الياء.

أخيك سوءاً، وأنت تجدها في الخير محملاً».(١)

قال ابن أبي الحديد: ثمّ ضرب عليه السّلام مَثَلاً، فقال: قديرمي الرّامي فلا يصيب الغرض، وكذلك قد يطعن الطّاعن فلا يكون طعنه صحيحاً، وربّما كان لغرض فاسد أوسمعه ممّن له غرض فاسد كالعدوّ والحسود. وقد يشتبه الأمر فيظنّ المعروف منكراً، فيعجّل الإنسان بقولٍ لايتحقّقه، كمَنْ يرى غلام زيد يحمل في إناء مستور مغطّى خَلّاً فيظنّه خمراً.(٢)

قال الشّيخ التّستريّ: ومن أمثالهم: (قرينك سهمك يخطئ و يصيب)، ومنها أيضاً: (رماه بنبلة الصّائب). قال لبيد:

فرميت القوم نبلاً صائباً ليس بالعضل ولا بالمفتعل

والمراد: أنّ أقاويل الرّجال ليست دائماً حقّاً عن علم و عرفان، بل تصدر كثيراً عن حدس وتخمين وسماع أخبار أراجيف، والغالب فيها الخطأ والاشتباه، فلا يجوز أن يدع عرفانه لأقاويل هكذا.(٣)

(ويحيل الكلام): أي يكون باطلاً. أحال الرّجل في منطقه، إذا تكلّم الّذي لا حقيقة له، ومِن النّاس مَنْ يرويه: (ويحيك الكلام)

---

(١) الوسائل: ٨/٦١٤.

(٢) شرح النّهج: ٩/٧٢ ـ ٧٣.

(٣) بهج الصّباغة: ١٢/٧٧.

بالكاف، مِنْ قولك: ما حاك السّيف، ويجوز أحاك: أي ما أثّر. يعني: أنّ القول يؤثّر في العِرض، وإن كان باطلاً. والرّواية الأولى أشهر وأظهر.(١)

وأورد عليه التّستريّ بما رام إثبات رواية الكاف، والاستشهاد لها بقضيّة يجلّ الكلام عنها فراجع. (٢)

والظّاهر ماذهب إليه المعتزليّ.

ثمّ الكلام وإن كان في مورد سماع قول السّوء في الأخ المؤمن وصرفه إلى محمل جميل إلاّ أنّ المَثَل: «قديرمي الرّامي و تخطئ السّهام» عامّ يشمل أيضاً الفُتيا في الأحكام الخاطئة في بعض الأحيان، والمجتهد وإن أفرغ الوُسع والجهد في إصابة الواقع إلاّ أنه قد يخطئ؛ لأنّ العصمة لأهلها، ولا بأس في ذلك عليه؛ لماجاء: «للمُصيب أجران وللمُخطئ أجرٌ واحدٌ». (٣)

ويشمل أيضاً سلوك طريق تهذيب النّفس والتّحلّي بالأخلاق المرضيّة، إذا مانوى المؤمن الحقيقة، وعَمَل بما وظّف له في الشّرع، فالخطأ مغفورٌ له،نعم يمكن القول بعدم الخطأ؛ للنّبويّ:

«اتّقوا فراسة المؤمن؛ فإنّه ينظر بنور اللّه». (٤)إن صدق إيمانه،

---

(١) شرح النّهج: ٧٣/٩.

(٢) بهج الصّباغة: ٧٧/١٢ - ٧٨.

(٣) الجامع الصّغير: ٢٥/١.

(٤) الأمثال النّبويّة: ٤٩/١، رقم المَثَل:٢٥، حرف الهمزة مع التّاء. الوسائل: ٤٢٤/٨.

وارتضاه اللّه عزّ وجلّ «وقليلٌ ماهم».(١)

فلوكان شيء لم يقصّرالعبد في عمله من خطأ فيه، شمله قول الإمام: «قد يرمي الرّامي وتخطئ السّهام». أوكان الأمر من غير هذه الفروض: أي لامن سماع الأقوال، ولا من الفتاوىٰ، ولا من قبيل آداب السّلوك ، شمله المَثَلَ أيضاً، لانطلاق الأمثال عن أيّ قيد وتضييق.

١٠٢ـ قَلَبْتَ لابن عمّك ظهرالمِجنّ

من كتاب له عليه السّلام إلـى بعض عُمّاله، والظّاهر أنّه ابن عبّاس الوالي من قبله على البصرة. أوّله:

«أمّا بعد، فإنّي كنتُ أشركتك في أمانتي... ... فلمّا رأيتَ الزّمان على ابن عمّك قد كَلِب، والعدوّ قد حَرِب، وأمانة النّاس قد خزيَتْ، وهذه الأمّة قد فَتَكَتْ وشَغرَتْ، قلبتَ لابن عمّك ظهرالمِجنّ، ففارقته مع المفارقين، وخذلته مع الخاذلين... ...». (٢)

(المِجنّ) بالكسروالتّشديد: التُّرس، لأنّ صاحبه يتستّر به، والجمع

---

(١) ص: ٢٤.

(٢) النّهج: ١٦٧/١٦، كتـاب: ٤١. نهج السّعادة: باب الـكتب: ٣٢٨/٢، كتاب: ١٦٨.

المجانّ بالفتح.(١) هذا مَثَلٌ لمَنْ كان لصاحبه على مودّةٍ أورعايةٍ، ثمّ حال عن ذلك (٢): أي تغيّر عليه وساء رأيه فيه، قال معن بن اوس:

من (الطّويل)

قلبت له ظهر المِجنّ فلم أَدُم على ذاك إلاّ ريثما أتحوّل

وقال عديّ: من (الرّمل)

بينما يغبطه أشياعه قلب الدّهر له ظهر المِجنّ

وقال آخر: من (الكامل)

وقلبتم ظهر المجنّ لنا إنّ اللّيئم العاجز الخَبّ

وقال روبة: من (الرّجز)

أخشى عليك الوارثين بعدي إذا رأوني جَدفاً في اللّحد
أن يعضهوك بالدّواهي الزُّبد أو يقلب المِجنّ مَنْ يفدّي.(٣)

:أي ينقلب عمّا كان مِنْ ودّه، يخلجه خالج، فيرجع إلى خلاف ما كان عليه، كما قال الشّاعر:

بينماالفتى يَسْعى ويُسْعىله تاح له من أمره خالج(٤)

---

(١) مجمع البحرين: في (جنن).
(٢) غريب الحديث لابن قتيبة: ١٣٦/٢.
(٣) المستقصى: ١٩٨/٢ - ١٩٩.
قوله: جدفاً: أي قطعاً مرمياً. قوله: أن يعضهوك. العضهة: الرّمي بالزّود.
(٤) جمهرة الأمثال على هامش مجمع الأمثال: ١٢٤/٢، حرف القاف.

وممّن نقل كتاب الإمام عليه السّلام الميدانيّ في مجمع الأمثال بعد المَثَل: (قلب له ظهر المِجنّ). (١)

يريد عليه السّلام: يابن عبّاس! حينما رأيت إعراض الأمّة عنّي، ومفارقتهم إيّاي تركتني، وفارقتني، وأنت ابن عمّي وشريكي في أداء الرّسالة، وردّ الأمانة إلى أهلها، كَمَثَل مَنْ يدافع عن صاحبه في الحرب بالتّستّر بالتّرس. كيلا يلوحه العدوّ، ليصان هو وصاحبه، فيترك الدّفاع بقلب التّرس، بتحويل باطنه إلى العدوّ، وظهره إلى نفسه، ليتمكّن العدوّ منه ومن صاحبه؛ فتصيبهما الإصابة بدون حائلٍ يحول بينه وما يريد من قتلٍ أوفتكٍ، فحالك حال هذا المدافع، وكذا حال كلّ مَنْ يخذل صاحبه بعد الذّبّ عنه.

---

(١) مجمع الأمثال: ١٠١/٢، حرف القاف.

حرف الكاف

١٠٣ـ كأنّ بين أعينهم رُكَبَ المِعْزىٰ

قال عليه السّلام في كلام له:

«لقد رأيت أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه ـوآله وسلّم ـ فما أرىٰ أحداً يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شُعْثاً غُبْراً، وقد باتوا سجّداً و قياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويَقفوُن على مِثْل الجَمْر من معادهم، كأنّ بين أعينهم رُكَبَ المعزىٰ من طول سجودهم؛ إذا ذكراللّه هملت اعينهم حتّىٰ تبلّ جيوبهم، ومادوا كما يميد الشّجرُ يوم الرّيح العاصف خوفاً من العقاب، ورجاءً للثّواب». (١)

قال الشّارح المعتزليّ: «يصبحون شعثاً غُبْراً» من قشف العبادة، وقيام اللّيل، وصوم النّهار، وهجر الملاذّ. فيراوحون بين جباههم وخدودهم، تارةً يسجدون على الجباه، وتارةً يضعون خدودهم على الأرض بعد الصّلاة، تذ لّلاً وخضوعاً. والمراوحة بين العمل: أن يعمل هذا مرّةً وهذا مرّة. ويراوح بين رجليه، إذا قام على هذه تارة، وعلى هذه أخرى. (٢)

---

(١) النّهج: ٧٧/٧، كلام ٦٦.

(٢) شرح المصدر.

(رُكَب) جمع رُكْبة: موصل السّاق من الرِّجل بالفخذ، وإنّما خصّ رُكَب المِعْزىٰ ليبوستها واضطرابها من كثرة الحركة(١). واحد المعز ماعز، كصحب وصاحب. ويقال: مِعزى لهذا الجنس من الغنم.

المعز خلاف الضّأن، وهو من ذوات الشّعر، والذّكر منها يسمّىٰ تيساً والأنثى عنزاً. والضّأن اسم لذوات الأصواف، الذّكر منها الكبش، والأنثىٰ النّعجة. وأمّا الغَنَم فاسم جنس يعمّ الضّأن والمَعْز جميعاً.(٢) فاتّضح تمثيل ما في جباههم بُرُكَب المِعزىٰ وهي السّجّادة، من طول سجودهم المعنيّة بقوله عزّ وجلّ: «سيماهم في وجوههم من أثر السّجود».(٣)والآية برمّتها تصف من وصفهم أميرالمؤمنين عليه السّلام:

«محمّد رسول اللّه والّذين معه أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم تريٰهم رُكّعاً سُجّداً يبتغون فضلاً من اللّه و رضوٰناً سيماهم في وجوههم من أثر السّجود».(٤)رهبانٌ باللّيل، ليوثٌ بالنّهار.

وكان السّجاد عليه السّلام يسمّى به؛ لكثرة سجوده. وذوالثّفنات، جمع ثَفِنَة، بكسر الفاء: وهي من الإنسان الرّكبة، ومجتمع السّاق والفخذ؛ لأنّ طول السّجود أثّر في ثفناته.(٥)

والكاظم عليه السّلام حليف السّجدة الطّويلة، والدّموع الغزيرة،

---

(١) هامش مصادرالنّهج: ١٩١/٢.

(٢) منتهى الأرب في لغة العَرَب: في ـ م ع ز ـ.

(٣) الفتح: ٢٩.

(٤) الفتح: ٢٩.

(٥) السّفينة: ١١٤/٢، في (عبد).

والضّراعات المتّصلة، وكان له غلام أسود بيده مِقصٌّ يأخذ اللّحم من جبينه، وعرنين أنفه من كثرة سجوده.(١)

وهذه سيرة العُبّاد فضلاً عن أئمّة العباد عليهم السّلام.

١٠٤- كأنّه قَلْعُ داريٍّ عَنَجَه نُوتيّهُ

من خطبة له عليه السّلام يصف فيها ذَنَبَ الطّاوُس وجناحه:

«بجناحٍ أشْرَج قَصَبه، وذَنَبٍ أطال مَسْحَبَه، إذا دَرَجَ إلى الأنثى نَشَره مِنْ طَيّه، وسمابه مطلاً على رأسه، كأنّه قَلْعُ داريٍّ عَنَجَه نُوتِيُّهُ». (٢)

قال ابن أبي الحديد: ثمّ ذكر ذنب الطّاوُس، وأنّه طويل المسحب، وأنّ الطّاوس إذا دَرَجَ إلى الأنثى للسفاد، نشَرَ ذنَبَه من طَيّه، وعلابه مرتفعاً على رأسه.

والقلع: شراع السّفينة، وجمعه قلاع. والدّاريّ: جالب العطر في البحر من دارين، وهي فُرضةٌ بالبحرين فيها سوق يحمل إليها المسك من

---

(١) السّفينة: ١/٥٩٩، في (سجد).

تنبيه: قال البحرانيّ: وجه المشابهة أنّ محالّ سجودهم كانت قد اسودّت، وماتت جلودها وقست، كما أنّ رُكَب المِعْزى كذلك. شرح النّهج: ٢/٤٠٨.

(٢) النّهج: ٩/٢٦٨، الخطبة: ١٦٦.

الهند. وفي الحديث: «الجليس الصّالح كالدّاريّ، إن لم يحذك من عطره علقك من ريحه».

قال الشّاعر:

إذا التّاجر الدّاريّ جاء بفأرةٍ   من المسك راحت في مفارقهم تجري

والنُّوتيّ: الملاّح، وجمعه نواتيّ. وعَنَجه: عطفه، وعَنَجْتُ خطام البعير: رددتُه على رجلَيْه، أعنُجُه بالضّم، والاسم العَنَج بالتّحريك. وفي المَثَل: (عَوْدٌ يُعَلَّمُ العَنَج). يضرب مَثَلاً لتعليم الحاذق.(١)

قال الميدانيّ: العنْج بتسكين النّون: ضربٌ من رياضة البعير، وهو أن يجذب الرّاكب خطامه، فيردّه على رجليه. ومعنى المَثَل: أنّه جلّ عن الرّياضة كما جلّ ذلك عن التّلقيح، وذلك أنّ العنج إنّما يكون للبكارة، فأمّا العِوَدَة (: أي المسنّة) فلا تحتاج إليه.(٢)

قال ابن الأثير: وفيه: (مَثَلُ الجليس الصّالح مَثَلُ الدّاريّ)، الدّاريّ بتشديد الياء: العطّار، قالوا: لأنّه نُسب إلى دارين، وهو موضع في البحر، يؤتى منه بالطّيب. ومنه كلام عليّ رضي الله عنه ـ عليه السّلام ـ: «كأنّه قلْعٌ داريٌّ»: أي شراع منسوب إلى هذا الموضع البحريّ.(٣)

---

(١) شرح النّهج: ٩/٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(٢) مجمع الأمثال: ٢/١٢، في حرف العين.

(٣) النّهاية: ٢/١٤٠، في (دور). الأمثال النّبويّة: ٢/١٨٥، رقم المَثَل: ٤٩٣، حرف الميم مع الثّاء يعطي معناه.

والمعنى: أنّ مَثَلَ الطّاوُس إذا نَشَرَ جناحه، ورفع ذنبه مَثَلُ الملاّح الّذي يرفع شراع السّفينة، لإجراء الرّياح في عَلَمه، حتّى تسرع في سيرها، وتصل إلى المقصد. وكذلك الطّاوُس عندما أراد السّفاد نشر الجناح، و رفع الذّنب ليصل إلى مقصوده. فانظر كيف صوّر الإمام عليه السّلام حالة الطّاوُس عندما أراد إبقاء نوعه بما يمثّل حالة الملاّح، للوصول إلى المقصد المنظور.

قيل: ممّا خصّ اللّه به بلاد الهند الطّاوُس. قال الجاحظ: والفيل والببْر والطّاوُس و الببْغا والدّجاج السّنديّ والكركدنّ ممّا خصّ اللّه به الهند.(١) وفي القول: بأنّه من طيرالجّنة، قال: فما كان كالخيل والظّباء والطّواويس والتّدارج؛ فإنّ تلك في الجنّة ويلذّ أولياء اللّه عزّ وجلّ بمناظرها.(٢) وممّا يونق بِمنظره ويمتّع الأبصار حسنه كالطّواويس والتّدارج.(٣) وإنّما حسنه في تعاريج ريشه وجمال منظره.

وممّا جاء: «أنّه ذكر عند أبـي الحسن عليه السّلام حسن الطّاوُس: فقال: لايزيدك على حسن الدّيك الأبيض بشي ءٍ».

وعن الرّضا عليه السّلام «قال: الطّاوُس مسخ، كان رجلاً جميلاً، فكابر امرأة رجل مؤمن تحبّه، فوقع بها، ثمّ راسلته بعدُ فمسخهما اللّه تعالى طاوُسَيْن، أنثى وذكراً، فلا تأكل لحمه ولابيضه».(٤)

وأعجب الأمور أنّه مع حسنه يتشأّم.

---

(١) الحيوان: ١٧٠/٧.

(٢) الحيوان: ٣٦٥/٣.

(٣) الحيوان: ١٩٤/١.

(٤) السّفينة: ٩٣/٢، في (طوس).

١٠٥ـ كادالعفيف أن يكون مَلَكاً من الملائكة

قال عليه السّلام: «ما المجاهد الشّهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممّن قَدَرَ فعفّ؛ لكاد العفيف أن يكون مَلَكاً من الملائكة».(١)

نفي أعظميّة الأجر يلازم إمّا المساواة مع أجرالعفيف، أويكون الشّهيد أقلّ؛ والوجه في ذلك أنّ العفّة بما لهذه الكلمة من معنى هي الجهاد الأكبر، والقتل في سبيل الله الجهاد الأصغر، والأكبر أعظم أجراً من الأصغر لامحالة.

وبيانه: بأنّ مَنْ يَقدُرُ على ارتكاب الشّهوات والمحرّمات، فيعفّ عنها ويقدّم رضا الله عزّ وجلّ على رضا نفسه وهواها، هو بمنزلة من يقتل في كلّ يوم سبعين مرّةً، والمجاهد بالسّيف مرّةً واحدةً.

وقد روى الشّيخ الصّدوق بالسند الصّحيح عن أميرالمؤمنين عليه السّلام قال: «إنّ رسول الله ـصلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بعث سريّةً، فلمّا رجعوا، قال: مرحباً بقوم قضواالجهاد الأصغر، وبقي عليهم

(١) النّهج: ٢٠/٢٣٣. الحكمة: ٣٨٢.

الجهاد الأكبر: قيل: يا رسول اللّه! وما الجهاد الأكبر؟ فقال: جهادالنّفس».(١) «وإنّ أفضل الجهاد من جاهد نفسه الّتي بين جنبيه».(٢)

ثمّ العفّة صنوف: عفّة اليد عن جنايات تخصّها، وعفّة اللّسان كذلك، وعفـّة الفرج، وهي العظمىٰ ، وعفّة البطن، وعفّة سائرالأعضاء، كلٌّ بحسبه، فمَثَلاً عفّة البصر عن النّظر إلى مالا يحلّ، وهكذا.

وفي حديث: «مَنْ عَشِقَ فَكَتَم، وعَفّ، وصبر، فمات؛ مات شهيداً، ودخل الجنّة».(٣)

وفي حِكمة سليمان: «إنّ الغالب لهواه أشدّ مِن الذّي يفتح المديـنة وحده».(٤)

وفي القرآن من مشتقّات العفّة منها، ماجاء في العفّة عن السّؤال كما في وصف أهل الصُفّة: «يحسبهمُ الجاهلُ أغنياءَ من التّعفّف».(٥)ومنها العفّة في الأكل، وهي: «ومَنْ كان غنيّاً فليستعفف، ومَنْ كان فقيراً فليأكُلْ بالمعروف»، (٦) وآيتان في العفّة العظمىٰ، هما: «وليستعفف الّذين لايجدون نكاحاً»، (٧) و«أن يستعففن خيرٌ لهنّ واللّه سميعٌ عليم».(٨) فالمجموعة أربع آيات.

---

(١) الوسائل: ١١/١٢٤.
(٢) المصدر.
(٣) شرح النّهج: ٢٠/٢٣٣.
(٤) المصدر.
(٥) البقرة: ٢٧٣.
(٦) النّساء: ٦.
(٧) النّور: ٣٣.
(٨) النّور: ٦٠.

وفي العفّة العظمىٰ حكايات ذكرها بعض الشّرّاح، ملخّصها فيما يلي: نزل خارجيّ علىٰ بعض إخوانه مستتراً عن الحجّاج، فشخص المنزول عليه لبعض حاجاته، وقال لزوجته: ياظَمْياءُ! أوصيكِ بضيفي هذا خيراً، وكانت من أحسن النّاس. فلمّا عاد بعد شهرٍ، قال لها: كيف كان ضيفك؟ قالت: ما أشغله بالعمىٰ من كلّ شيءٍ، وكان الضّيف أَطبَقَ جَفنَيْه، فلم ينظر إلى المرأة، ولا إلىٰ منزلها، إلى أن عادزوجها.

وقال الشّاعر:

إن أكـن طـامح الـلّحـاظ فـإنّي | والذي يملك الـقلوب عفيف (١)

وقال بعضهم:

وإنّي لعفّ عـن فـكاهـة جارتي | وإنّـي لمشـنـوءٌ إلـيّ اغـتـيـابـهـا
إذاغاب عنهابعلـهـا لم أكـن لهـا | صـديـقـاً ولم تـأنس إلـيّ كـلابها
ولم أك طـالـبـاً أحـاديـث سـرّها | ولا عـالمـاً مِـنْ أيّ حـوك ثـيـابها

وقال أبوسهل السّاعديّ: دخلت على جميل في مرض موته، فقال: يا أباسهل! رجل يلقى اللّه ولم يسفك دماً حراماً، ولم يشرب خمراً، ولم يأتِ فاحشةً، أترجو له الجنّة؟ قلت: إي واللّه، فمَنْ هو؟ قال: إنّي لأرجو أن أكون أناذلك، فذكرتُ له بُثَيْنة، فقال: إنّي لفي آخر يومٍ مِنْ أيّام الدّنيا،

---

(١) شرح النّهج: ٢٠/٢٣٣ - ٢٣٤.

وأوّل يومٍ مِنْ أيّام الآخرة، لانالتني شفاعة محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ إن كنت حدّثتُ نفسي بريبةٍ معها، أومع غيرها قطّ.

قال الشّاعر:

ثنتان لا أصبو لوصلهما　　　عرس الصّديق وجارة الجنب
أمّا الصّديق فلست خائنه　　　والجار أوصاني به ربّي (١)

يريد: قوله تعالى: «والجارذى القربىٰ والجارالجنب».(٢)

يقال: إنّ امرأة ذات جمال دعت عبداللّه بن عبدالمطلب إلى نفسها، لما كانت ترىٰ على وجهه من النّور، فأبىٰ وقال:

أمّا الحرام فالممات دونه　　　والحلّ لاحلّ فأستبينه
فكيف بالأمر الذى تبغينه　　　يحمي الكريم عرضه ودينه

خرجت أمرأةٌ من صالحات نساء قريش إلى بابها لتغلقه، ورأسها مكشوف، فرآها رجلٌ أجنبيٌّ، فرجعت وحلقت شعرها، وكانت من أحسن النّساء شَعْراً. فقيل لها في ذلك، قالت: ما كنت لأدع على رأسي شعراً رآه مَنْ ليس لي بمحرم.

في الحديث المرفوع: «لا تكونَنّ حديدالنّظر إلى ماليس لك، فإنّه لايزني فرجك ما حفظت عينيك، وإن استطعت ألّا تنظر إلى ثوب المرأة

---

(١) شرح النّهج: ٢٠/٢٣٤ ـ ٢٣٥.　　　(٢) النّساء: ٣٦.

الّتي لا تحلّ لك فافعل،ولن تستطيع ذلك إلاّ بإذن اللّه». (١) قال الشّاعر:

ما إن دعاني الهوى لفاحشةٍ إلاّ نهاني الحياء والكرم
ولا إلى محرم مددت يدي ولا مَشَتْ بي لريبةٍ قدم

قال بعض الحكماء: إذا شئت أن تعرف ربّك معرفة يقينيّة فاجعل بينك وبين المحارم حائطاً من حديد، فسوف يفتح عليك أبواب معرفته.(٢)

كان في عصر الدّولة الصّفويّة في إصبهان رجل، قد لجأت إليه فتاة تائهة، وطلبت منه المبيت ليلتها، فقبلها، وبات تحدّثه النّفس والشّيطان بالنّيل منها، فعمد إلى إصبع من أصابعه، فأحرقه بسراج كان هناك، فأصبح وقد أحرقها كلّها، وقال: اذهبي إلى أهلك، ثمّ وجدوها فَحَدَّثَتْهُمْ بالإحراق، وبالنّتيجة زوّجوها منه جزاء عفّته. وهي حقيقة التّقوى الّتي تكفّ النّفس عن ركوب المحرّمات. في باقريّ: «ما عبادةٌ أفضل عند اللّه من عفّة بطن وفرج». (٣)

ونبويّ: «أكثر ما تلج به أُمّتي النّار الأجوفان: البطن، والفرج». (٤)و علويّ: «أفضل العبادة العفاف». (٥) وصادقيّ: «إنّما شيعة جعفر من عفّ بطنه وفرجه...» (٦).

---

(١) شرح النّهج: ٢٠/٢٣٥ - ٢٤٢.
(٢) المصدر: ص ٢٣٦ - ٢٣٧.
(٣) الوسائل: ١١/١٩٧.
(٤) الوسائل: ١١/١٩٨.
(٥) المصدر.
(٦) الوسائل: ١١/١٩٩ - ٢٠٠.

١٠٦- كجؤجؤ سفينةٍ، أونعامةٍ جاثمةٍ

من كلام له عليه السّلام في ذمّ أهل البصرة.

قوله عليه السّلام فيه: «كأنّي بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث اللّه عليها العذاب، مِنْ فوقها ومِنْ تحتها، وغَرِقَ مَنْ في ضمنها».

وفي روايةٍ : وأيم اللّه لتغرقنّ بلدتكم، حتّىٰ كأنّي أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينةٍ، أونعامةٍ جاثمةٍ.

وفي رواية: «كجؤجؤ في لجّة بحرٍ».

وفي رواية: «... كأنّي أنظر إلىٰ قريتكم هذه قد طبّقها الماء حتّىٰ مايُرىٰ منها إلاّ شُرَف المسجد كأنّه جؤجؤ طيرٍ في لجّة بحرٍ».(١)

قال المعتزليّ:

والجؤجؤ: عظم الصّدر؛ وجؤجؤ السّفينة: صدرها.

فأمّا إخباره عليه السّلام: أنّ البصرة تغرق عدا المسجد الجامع بها، فقد رأيت مَنْ يذكر: أنّ كُتب الملاحم تدلّ على أنّ البصرة تهلك بالماء الأسود، ينفجر من أرضها، فتغرق ويبقىٰ مسجدها.

---

(١) النّهج: ٢٥١/١، الكلام: ١٣.

والصّحيح: أنّ المُخبر به قد وقع؛ فإنّ البصرة غرقت مرّتين، مرّة في أيّام القادر بالله،ومرّة في أيّام القائم بأمرالله، غرقت بأجمعها ولم يبق منها إلاّ مسجدها الجامع بارزاً بعضه كجؤجؤ الطّائر حسب ما أخبر به أميرالمؤمنين عليه السّلام، جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف الآن بجزيرة الفُرْس، ومِنْ جهة الجبل المعروف بجبل السّنام، وخربت دورها، وغرق كلّ ما في ضمنها، وهلك كثير من أهلها.

وأخبار هذين الغرقين معروفة عند أهل البصرة، يتناقلها خلفهم عن سلفهم.(١)

وقال الشّيخ الطّريحيّ في الحديث «:ينبغي لِمَنْ سَجَدَ سَجْدَةَ الشّكر أن يلصق جؤجؤه بالأرض». الجؤجؤ بضمّ المعجمتين من الطّائر والسّفينة: صدرهما. وقيل: الجؤجؤ: عظام الصّدر، ومنه حديث سفينة نوح عليه السّلام: «فضربت بجؤجؤها حول الجبل». والمراد بالجبل: ما قرب من نجف الكوفة.(٢)

وقال البحرانيّ: وأمّا تشبيه ما يخرج من الماء من شرفات المسجد بصدر السّفينة، وفي الرّواية الأخرى بالنّعامة الجاثمة، وفي الرّواية الثّالثة بالطّائر في لجّة البحر فتشبيهات ظاهرة، (٣)يضرب به لقدر قليل بارز من الشّيء، أولبيان كيفيّة القلّة الباقية.

---

(١) شرح النّهج: ١/٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٢) مجمع البحرين: في (جأجأ).

(٣) شرح النّهج: ١/٢٩٣.

أمّا النّعامة، فقال الجاحظ: والفُرْسُ تسمّي الأشياء بالاشتقاقات، كما تقول للنّعامة: (أُشتُر مُرغ)، وكأنّهم في التّقدير قالوا هوطائر وجمل، فلم نَجِدْ هذا الاسم أوجب أن تكون النعامة نتاج ما بين الإبل والطّير، ولكن القوم لمّا شبّهوها بشيْئيْن متقاربيْن، سمّوها بذَيْنك الشّيئَيْن. وهم يسمّون الشّيء المرّالحلو: (تُرْش شِرين) ، وهو في التّفسيرحلو حامض. (١)والنّعامة ذات ريش ومنقار وبيض وجناحين وليست من الطّير.(٢) ومن المَثَل قولهم: (إنما أَنْتَ نعامة، إذا قيل لها: احملي، قالت: أنا طائرٌ وإذا قيل لها: طيري، قالت: أنا بعيرٌ). (٣)

ثمّ التّمثيل بجُثُوِّ النّعامة لبروز بقيتّها شيئاً قليلاً منها بعد الجُثُوّ.

١٠٧ـ كالجبل لا تحرّكه القواصف، ولا تزيله العواصف

من كلام له عليه السّلام، يجري مجرى الخطبة:

فقمت بالأمر حين فشلوا، وتطلّعتُ حين تقبّعوا، ونطقتُ حين تَعْتَعوا، ومضيتُ بنورالله حين وقفوا، وكنتُ أخفضهم صوتاً،وأعلاهم

---

(١) الحيوان: ١٤٣/١.

(٢) الحيوان: ٣٠/١.

(٣) الحيوان: ٣٢٣/٤.

وإذا أردت التّفصيل فانظر ٧ـ الفهرس الأوّل منه ص: ٣٥٧- نعامة كما وقد ذكر ابن الأثير في النّهاية، في (جؤجؤ) حديث خلق آدم عليه السّلام، قال: «خلق جؤجؤ آدم من كثيب ضرّية» ٢٣٣/١. ونهج السّعادة: باب الخطب: ٤١٤/١. و ٤٧٩/٢.

فوتاً، فطِرتُ بعنانها، واستبددتُ بِرِهانها، كالجبل لا تُحرّكه القواصف، ولا تُزيله العواصف... ...».(١)

للخطبة الشّريفة تتمّة مرهونة بوقتها، ومجموعها فصول يمتاز بعضها عن بعض، ويجمعها بيان ماكان عليه السّلام عليه، ومن هنا قال المعتزليّ وكلّ كلام منها ينحو به أميرالمؤمنين عليه السّلام نحواً غير ما ينحوه بالآخر.

والرّضيّ رحمه الله تعالى التقطها من كلام لأميرالمؤمنين عليه السّلام طويل منتشر، قاله بعد وقعة النّهروان، ذكر فيه حاله منذ توفّي رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وإلى آخر وقت، فجعل الرّضيّ رحمه الله تعالى ما التقطه منه سرداً، وصار عند السّامع كأنّه يقصد به مقصداً واحداً. (٢)

أقول: ينظر الشّريف الرّضيّ عليه من الله الرّضا والرّضوان إلى ما يجمع كلامه عليه السّلام من بيان ما كان عليه، والامتياز وضده أمر نسبيّ.

ولنعد إلى الشّرح، يشير عليه السّلام بـ«فقمت بالأمر..» إلى قيامه بالخلافة بعد قتل عثمان وفشله، وفشل مَنْ قبله؛ حيث أنّهم لم يقوموا بما عليهم من حقوق وعدل. فإنّ أوّل الحقّ تسليم الحقّ إلى مَنْ هو أولى

---

(١) النّهج: ٢٨٤/٢، الخطبة:٣٧.

(٢) شرح النّهج: ٢٨٤/٢ ـ ٢٨٥.

منهم بالحقّ. وبـ: « وتطلّعت حين تقبّعوا» إلى طلوع جمال الولاية الكبرىٰ ومحيّاها، لولاها لساخت الأرض بأهلها، بطلوع بدره التّامّ بعد ما غطّى الظّلام الجزيرة، بل العالم بأسره، باغتصاب الخلافة الرّبّانيّة عن أهلها وهو التّقبّع الحقيقيّ المأخوذ من (قبع القنفذ) إذا أدخل راسه في جلده، وقد تقبّع الرّجل: أي اختبأ، وضدّه تطلّع.(١)

وإلى نطق الحقائق والمعارف والشّرائع بقوله عليه السّلام : «ونطقت حين تعتعوا» بعد مضيّ مدّة العيّ والحصر والتّردّد في الأوهام والجهالة الّتي كانت سائدة ومخيّمة على النّاس، مأخوذ من التّعتعة.

قال الشّيخ الطّريحيّ رحمه اللّه في وصف عليّ عليه السّلام: «ونَطَقْتَ بالأمر حين تَتَعْتَعُوا» هو من التّعتعة في الكلام: التّردّد فيه من حصرٍ أوعيٍّ: أي حين عجزوا عن القيام به. وفي الحديث: «ما قدّست أمّةٌ لم تأخذ ضعيفها من قويّها بحقّه غير متعتع».(٢)

وإلى خضوعه الذّاتيّ أمام اللّه جلّ جلاله بـ: «كنت أخفضهم صوتاً» وإلى علوّ نفسه الشّريفة، واستباقها إلى العُلىٰ من غيره بـ: «و أعلاهم فوتاً». وإلى طيرانه بأعنّة الحقائق، وانفراده بالخطر في ميدان السّباق بـ: «فطِرتُ بعنانها واستبددتُ برهانها».

وإلى يقينه باللّه، وبما جاء به الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم في جميع المقامات، وبشؤون الخالق عزّ وجلّ، والخلق لا يشوبه ريبٌ، و جهاده المتواصل في حياة النّبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، ومماته لايزيله

---

(١) شرح النّهج ٢/٢٨٥، مع زيادة مّا.

(٢) مجمع البحرين: في (تعتع).

شيءٌ بقوله عليه السّلام: «كالجبل لا تحرّكه القواصف، ولا تزيله العواصف».

والقواصف واحدها القاصفة: أي الكاسرة من القصف بمعنى: الكسر أو الصّوت الشّديد، كما في آية: «قاصفاً من الرّيح فيغرقكم»، (١) هي الّتي لها قَصْفٌ: أي صوت شديد، كأنّها تقصف؛ لأنّها لا تمرّ بشيءٍ إلاّ قصفته. (٢)

والعواصف جمع العاصفة، ومنها آية: «فالعٰصفٰت عَصْفاً»، (٣) وهي الرّياح الشّداد. «ولسُليمٰن الرّيح عاصفةً»، (٤): أي إن أراد أن تعصف عصفت، وأن ترخىٰ رخت. (٥)

ثمّ إنّ هذا التّمثيل جاء في زيارة يوم توفّي فيه عليه السّلام، زاره بها الخضر عليه السّلام، (٦) عرّف النّاس بعض ماله من خصائص خصّه اللّه عزّ وجلّ بها، وبعدُ ما عَرَفُوه، ولا دَرَوْا ما هُو؟ ومَنْ هُو؟...

إنّ لِلّهِ في معاليك سرّاً أكثر العالمين ما عَلِمُوهُ(٧)

فسلام اللّه عَلَيْكَ غاديةً ورائحةً.

---

(١) الإسراء: ٦٩. (٧) السّفينة: ٢/٢٣١، في (علا) نقلاً عن عبدالباقي الأفنديّ.

(٢) مجمع البحرين: في (قصف).

(٣) المرسلات: ٢.

(٤) الأنبياء: ٨١.

(٥) مجمع البحرين: في (عصف).

(٦) البحار: ١٠٠/٣٥٥.

١٠٨- كرّ بيضة الغنم

في خطبة الإمام عليه السّلام الشّقشقيّة:

«... مجتمعين حولي كَر بيضة الغنم، فلّما نهضتُ بالأمر نَكَثَتْ طائفة، ومَرَقَتْ أُخرى، وفَسَق آخرونَ...».(١)

قال المعتزليّ:

قوله: «كرّ بيضة الغنم»: أي كالقطعة الرّابضة من الغنم، يصف شدّة ازدحامهم حوله، وجثومهم بين يديه.

وقال القطب الرّاونديّ: يصف بلادتهم ونقصان عقولهم؛ لأنّ الغنم تُوصَف بقلّة الفطنة. وهذا التّفسير بعيدٌ، وغير مناسب للحال.(٢)

أقول: لوكانوا ذوي فطنةٍ لما تمرّدوا على الإمام المعصوم عليه السّلام مِنْ قَبْل انتهاء الخلافة إليه بطاعة مَنْ لاطاعة له مِنْ قِبَل اللّه عزّ وجلّ ولا رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولما افترقوا عليه إلى طوائفٍ ناكثةٍ، ومارقةٍ وفاسقةٍ؛ الّذين صرّح عليه السّلام بهم في هذه الخطبة، وعليه فما قاله القطب الرّاونديّ حقّ ولا ينافي وصف شدّة الزّحام والكثرة به.

---

(١) النّهج: ١/٢٠٠، ط ٣.

(٢) شرح النّهج: ١/٢٠١.

والرّبيضة، كما تقدّم: القطعة من البقر والفَرَس والكَلْب والغَنَم، كَبُرُوك الإبل وجثوم الطّير. ومنه الحديث: «إنّه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بعث ضحّاك بن سفيان إلى قومه وقال: إذا أتيتَهم فا ربض في دارهم ظَبْياً»: أي أَقِمْ فيها آمناً لا تبرح، كأنّك ظبيٌ في كناسة قد اَمِنَ حيث لايرى إنسيّاً. ومنها المَثَل: (مِنْك رَبَضُكَ، وإن كان سَماراً): أي منك أهلك وخدمك وإن كانوا مقصّرين. وهذا كقولهم: (أَنْفُكَ مِنْكَ وإن كان أَجْدَعَ).(١)

قال الشيخ الطّريحيّ: في الحديث: «أقلّ ما يكون بينك وبين القبلة مَرْبض غَنَم، وأكثر مايكون مَرْبط فَرَس». مرابض الغنم جمع مربض بفتح الميم وكسرالباء: وهو موضع ربض الغنم، وهو كالجلوس للإنسان، وقيل: كالاضطجاع له. وفي حديث عليّ عليه السّلام: «والنّاس حولي كربيضة الغنم»: أي البارك .(٢)يريد بالحديث: الخطبة المبحوثة.

ولعلّ الغرض من التّمثيل العلويّ بيان عدم المعارضة، وتسليم القوم له عليه السّلام من غير خلاف في بداية الأمر، وإن اختلفوا عليه بعد ذلك، لقوله عليه السّلام: «فلمّا نهضتُ بالأمر نكثتْ طائفة...» ويمكن أن يريد عليه السّلام به الكثرة المؤكّدة، لقوله: «مجتمعين حولي». لذكره المَثَل له، كما يقال: (مِثْل ربيعة ومضر). تمثيلاً للكثرة. أو: (كالجراد) أو غير ذلك ممّا يدلّ على التّكثير.

---

(١) منتهى الأرب: في (ربض). ومجمع الامثال: ٢١/١، حرف الهمزة وج :٤٢١/٢، حرف الياء.

(٢) مجمع البحرين: في (ربض).

ولا شكّ أنّ الطّوائف الثّلاث هي من المجتمعين حوله عليه السّلام وهم من الكثرة الكاثرة يعني: أنَّهم الآن مقبلون عليّ بكثرتهم، ولكن بعد مضيّ فترة من الزّمان، يخرجون عن طاعتي، ناكثين، مارقين، فاسقين.

فسلام الله عليك من مظلومٍ ما أصبرك يا أمير المؤمنين!!.

١٠٩ـ كعُرف الضَّبع

قال عليه السّلام في خطبته الشّقشقيّة:

«فما راعني إلاّ والنّاس إليّ كعُرف الضَّبع، ينثالون عليّ من كلّ جانبٍ حتّىٰ لقد وُطئ الحسنان، وشُقّ عطفاي، مجتمعين حولي كربيضة الغَنَم... ...».(١)

إنّما لم نستوفِ الخطبة كلّها إلاّ ما اشتمل على المَثَل للمَثَل المعروف: (لكلّ مقامٍ مقالٌ). (٢)

قوله عليه السّلام: «كعُرْف الضَّبع». قال ابن فارس: العين والرّاء والفاء أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما على تتابع الشّيء متّصلاً بعضه ببعضٍ، والآخر على السّكون والطّمأنينة. فالأوّل: العُرْف عُرْف

---

(١) النّهج: ١/ ٢٠٠، ط ٣.

(٢) الفاخر: ٣١٤.

الفَرَس. وسمّي بذلك لتتابع الشّعرعليه، ويقال: جاءت القَطاعُرْفاً عُرْفاً: أي بعضها خلف بعض. والأصل الآخر: المعرفة والعِرفان، تقول: عرف فلانٌ فلاناً عرفاناً ومعرفةً. وهذا أمر معروف. وهذا يدلّ علىٰ ما قلناه من سكونه إليه؛ لأنّ من أنكر شيئاً توحَّشَ منه، ونبأعنه. (١)

والشّاهد للأوّل من الأصلين، قيل في: «والمُرْسَلٰتِ عُرْفاً» يعني: الملائكة أرسلوا للمعروف والإحسان. والعرف ضدّ النُكر. وقيل: أراد أنّها أرسلت مَتتابعةً كعُرْفَ الفَرَس.(٢)

أقول: وللضّبع شَعْرٌ متَتابع يسْمىٰ عُرفه كالفَرَس.

قال المعتزليّ: عُرف الضّبع ثخين، ويضرب به المَثَل في الازدحام. وينثالون: يتتابعون مزدحمين. والحَسَنان: الحسن والحسين عليهما السّلام. والعطفان: من المنكب إلى الورك، ويروىٰ: (عطافي). والعطاف: الرّداء وهو أشبه بالحال، إلّا أنّ الرّواية الأولى أشهر، والمعنىٰ: خدش جانباي لشدّة الاصطكاك منهم والزّحام.

وقال القطب الرّاوندي: الحَسَنان: إبها ما الرِّجل، وهذا لاأعرفه.(٣)

وقال السّيد الخطيب: عُرف الضّبع: شبّه كثرتهم بكثرته، والعُرف: الشّعر النّابت على عنق الفَرَس فاستعار للضّبع.(٤)وعليه فلا عُرْف له،

---

(١) معجم مقاييس اللّغة: ٢٨١/٤، في (عرف).

(٢) التهاية: ٢١٧/٣، في (عرف). المرسلات: ١.

(٣) شرح النّهج: ٢٠٠/١.

(٤) مصادر النّهج: ٣٠٦/١، الهامش.

نعم عدّ من ذوات الشّعر كالماعز.(١)واسم الضَّبع الفارسيّ: (كفتار).(٢)ومن المَثَل السّائر: (عَزَلْتَ السِّباع ووليّتَ الضِّباعَ).(٣)

وكيف كان فالمراد كما تقدّم: زحام النّاس عليه عليه السلام للبيعة (بعد اللّتُيا والّتي).(٤)

ولم تفتح إمارته إلاّ بالحروب الطّاحنة، مِنْ حرب الجمل وصفّيْن والنّهروان، وقد ملأوا قلبه الشّريف قيحاً. كما قال عليه السّلام: «لقد ملأتم قلبي قيحًا، وشَحَنْتُم صدري غيظاً، وجرّعتموني نُغَب التّهام أنفاساً، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان... ...»(٥) إلاّ القليل مِمَّنْ وفى لرعاية الحقّ، وأطاع إمامه المعصوم عليه السّلام.

والنُغَب جمع نَغْبة وهي: الجرعة. والتّهام: الهمّ (٦).

---

(١) حيوان الجاحظ: ٥/٤٨٤.

(٢) المصدر: ٦/٤٥٢، وفيه قصّة معاوية مع الخراسانيّة.

(٣) المصدر.

(٤) مجمع الأمثال: ١/٩٢، حرف الباء.

(٥) النّهج: ٢/٧٥، الخطبة: ٢٧.

(٦) شرح النّهج: ٢/٨٠.

١١٠- كفىٰ بالمرء جهلاً ألّا يعرف قدره

في خطبة له عليه السّلام حاوية لعدّة أمثال منها:

«وكفى بالمرء جهلاً ألّا يعرف قدره».(١)

ونظيره في خطبة أُخرىٰ: «العالِم مَنْ عرف قدره، وكفى بالمرء جهلاً ألّا يعرف قدره، وإنّ مِنْ أبْغض الرّجال إلى اللّه تعالى لعبداً وَكَلَهُ اللّه إلى نفسه... ...».(٢)

ذكرناه بعنوان: «العالِم مَنْ عرف قدره».(٣)من الأمثال المشهورة صرّح به المعتزليّ.(٤)وفي معناه: «وما هلك امرؤ عرف قدره».

وفيما رواه الشّيخ الصّدوق طاب ثراه بسنده عن عامر الشّعبيّ قال:

تكلّم أميرالمؤمنين -عليه السّلام- بتسع كلمات، ارتجلهنّ ارتجالاً، فَقأْنَ عيون البلاغة، وأَيْتَمْنَ جواهرالحكمة، وقطّعن جميع الأنام عن اللّحاق بواحدة منهنّ: ثلاث منها في المناجاة، وثلاث منها في الحكمة، وثلاث منها في الأدب. فأمّا اللاّتي في المناجاة، فقال: «إلٰهي كفىٰ لي

---

(١) النّهج: ٢٧٣/١، ط: ١٦.

(٢) النّهج: ١٠٧/٧، ط: ١٠٢.

(٣) حرف العين مع الألف.

(٤) شرح النّهج: ١٠٨/٧.

عزّاً أن أكون لك عبداً، وكفىٰ بي فخراً أن تكون لي ربّاً، أنت كما أحبّ، فاجعلني كما تحبّ». وأمّا اللاّتي في الحكمة، فقال: «قيمة كلّ امرئ ما يحسنه، وما هلك امرؤ عرف قدره، والمرء مخبوّ تحت لسانه». وأمّا اللاّتي في الأدب، فقال: «اُمْنُن على مَنْ شئت تكن أميره، واحتج إلى مَنْ شئت تكن أسيره، واستغن عَمّن شئت تكن نظيره».(١)

يضرب في الحثّ على معرفة النّفس. وقد ذكرنا حديث الشّعبيّ عند التّكلّم على ما هو الصّالح للمَثَل: «غَرّكَ عِزُّكَ، فصار قصارُ ذٰلكَ ذُلّكَ».(٢)وقلنا: إنّ كلماته عليه‌السّلام لاتقصر على التّسع، فراجع.(٣)

ماهو قدر المرء الّذي ذمّ الجهل به؟ نقول: للإنسان فراغ لايسدّه إلّا اللّه وحده، ولا تكفيه الكوافي، مهما كان نوعها وشكلها من مناصب وملاذّ وغيرها. ومن هنا قال عليه‌السّلام: «ما لِعَليٍّ وَلنَعيمٍ يفنى، ولَذّةٍ لا تبقىٰ، نعوذ باللّه من سبات العقل، وقبح الزّلل، وبه نستعين».(٤)

يلقي أضواءً ودروساً مِن المعرفة يعرفها العارف، تصديقاً لقوله عزّ وجلّ: «اَليس اللّه بكافٍ عبده».(٥)

بلىٰ واللّه هوالكافي لاسواه، نجد في أنفسنا طلباً لايقف على حدّ إلّا

---

(١) الخصال: ٢/٤٢٠.

(٢) حرف الغين مع الرّاء من (الأمثال العلويّة).

(٣) المصدر.

(٤) النّهج: ١١/٢٤٦، كلام: ٢١٩.

(٥) الزّمر: ٣٦.

ونشبع منه إذا أوتيناه، ثمّ نطلب شيئاً بعد شيىءٍ حتّىٰ نترفّع عنه، وذلك لرفعة النّفس عن العالم كلّه إلى أن تنتهي إلى اللّه، فتسكن وتطمئنّ، وهو قوله تعالى: «ألا بذكراللّه تطمئِنُّ القلوْبُ».(١) وهي الّتي جعلت همومها همّاً واحداً انفردت به، ألا وهو همّ اللّه تعالى فحسب:

الله ربّ النّاس فارفع همّكا لا شيء غير الله أن يهمّكا (٢)

١١١- كلابٌ عاويةٌ وسباعٌ ضاريةٌ

هذا أحد أمثال ضربها في وصيّةٍ له لابنه الحسن عليهما السّلام:

«وإيّاك أن تغترّ بماترىٰ من إخلاد أهل الدّنيا إليها، وتكالبهم عليها، فقد نبّأك اللّه عنها، ونعتت لك نفسها، وتكشّفت لك عن مساويها. فإنّما أهلها كلابٌ عاويةٌ، وسباعٌ ضاريةٌ، يهرّ بعضها على بعض، ويأكل عزيزها ذليلها، ويقهر كبيرها صغيرها».(٣)

تكلّمنا على بعض الأمثال المذكورة فيها بعنوان: «سروح عاهةٍ بوادٍ وعثٍ» (٤) بمايربط الموضوع فراجع.

---

(١) الرّعد: ٢٨.

(٢) سيرة الأمين: ٩٠، لعليّ عليه السّلام، مع تغييرمّا.

(٣) النّهج: ١٦/٨٩، الوصيّة: ٣١.

(٤) حرف السّين مع الرّاء.

قال الشّيخ المحدّث القميّ طاب ثراه:

وساق عليه السّلام الكلام في زهد الأنبياء عليهم السّلام، وتنزّههم عنها، وأنّهم أنزلوا الدّنيا من أنفسهم، كالميتة الّتي لايحلّ لأحدٍ أن يأكل منها، إلاّ في حال الضّرورة إليها، وأنّهم أكلوا منها بقدر ما أبقى لهم النّفس، وأمسك الرّوح، وجعلوها بمنزلة الجيفة الّتي اشتدّ نتنها، فكلّ مَنْ مَرَّبها أَمْسَكَ على فيه.(١) وفي نسخة:على فمه.

قال الباقر عليه السّلام: «ما الدّنيا؟ وما عسى أن تكون الدّنيا؟ هل هي إلاّ طعامٌ أكلته، أو ثوبٌ لبسته؟ -إلى أن قال: -فأَنْزل الدّنيا كمنزلٍ نزلته، ثمّ ارتحلت عنه، أو كمالٍ وجدته في منامك، واستيقظت وليس معك منه شيءٌ، إنّي إنّما ضربت لك هذا مَثَلاً؛ لأنّها عند أهل اللّبّ والعلم باللّه كفيء الضّلال». (٢)

والنّبويّ: «إذا تخلّى المؤمن من الدّنيا سَما، ووَجَدَ حلاوة حبّ اللّه، وكان عند أهل الدّنيا كأنّه قد خولط، وإنّما خالط القوم حلاوة حبّ اللّه، فلم يشتغلوا بغيره. وقال: إنّ القلب إذا صفا ضاقت به الأرض حتّى يسمو». (٣)

وإنّما أميرالمؤمنين عليه السّلام يكرّر في خطبه ووصاياه من ضرب الأمثال للدّنيا، تحذيراً لمن يحبّها ويعتنقها، فإنّ حبّها رأس كلّ خطيئة،

---

(١) السّفينة: ٤٦٦/١، في (دنا).

(٢) السّفينة: ٤٦٤/١.

(٣) المصدر.

كما نصّ عليه الحديث، (١) ولعلمه عليه السّلام بحقيقتها، وما يعقب حبّها من آثارٍ سيّئة.

فتجده عليه السّلام في هذه الوصيّة الشّريفة يمثّل لك الدّنيا بجيفة، لايطلبها سوى الكلاب العاوية والسّباع الضّارية الهارّة بعضها على بعض مخافة الاستباق إليها، فيقلّ سهمه من الجيفة، وكذلك أهل الدّنيا يتكالبون في حطامها، فيقهر قويّهم ضعيفهم للحصول على الأكثر منها، وأمّا العارفون بحقيقة الدّنيا يتعجّبون من تكالبهم، وعلى رأسهم الأئمّة الهداة عليهم السّلام.

١١٢ـ كلعقة لاعق

من كتاب له عليه السّلام إلىٰ أهل البصرة، أوّله:

«وقد كان من انتشار حبلكم وشقاقكم مالم تغبوا عنه، فعفوت عن مجرمكم... ... ولئن ألجأتموني إلى المسير إليكم لأُوقعنّ بكم وقعةً، لايكون يوم الجمل إليها إلاّ كلعقة لاعق...». (٢)

شقاق أهل البصرة مع أميرالمؤمنين عليه السّلام معروف. وجاء

---

(١) الوسائل: ٣٠٨/١١، عن الصّادق والسّجاد عليهما السّلام، رقم الحديث: ١، ٢ على التّرتيب، باب ٦١ من أبواب جهاد النّفس.

(٢) النّهج: ١٦/٣، ك ٢٩.

ذمّهم على لسانه عليه السّلام غير مرّة، وكفىٰ شقاقاً يوم الجمل، والكلام تهديد لتكرير الشّقاق والخلاف منهم، وأنّه عليه السّلام يوقع وقعةً هي أمرّ وأدهىٰ من يوم الجمل، بل لايكون القياس إلى الوقعة المتوقّعة إلاّ بمثل لعقة لاعق.

قال الشّارح: «كلعقة لاعق»، مَثَلٌ يضرب للشّيء الحقير التّافه، ويروى بضمّ اللاّم: وهي ما تأخذه الملعقة.(١)

قال الشّيخ الطّريحيّ: في الحديث: «الويل لِمَنْ باع معاده بلعقةٍ لم تبق». اللّعقة بالفتح: المرّة من لعقت الشّيء بالكسر، ألعقه لعقاً: أي لحستهُ، ومنه لعق الأصابع.

ومن كلام له عليه السّلام في أمر الخلافة وتأخيره عنها:

«وهل هي إلاّ كلعقة الآكل، ومذقة الشّارب، وخفقة الوسنان، ثمّ تلزمكم المعرّات».

ومثله قوله عليه السّلام: «مصادرين أحدكم لعقة على لسانه صنيع مَنْ قد فرغ من عمله، وأَحْرَزَ رضى سيّده».

ومثله قوله عليه السّلام في خلافة مروان: «إنّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه»، لأنّ خلافته كانت ستة أشهر.(٢)

مِنْ ذلك كلّه عُرف أنّ المَثَل المذكور يضرب للأمر التّافه وللقلّة.

---

(١) شرح النّهج: ٤/١٦.

(٢) مجمع البحرين: في (لعق)، النّهج: ١٤٦/٦. قوله عليه السّلام: «كلعقة الكلب أنفه». مَثَلٌ يضرب لقصر المدّة.

وقد يأتي من لفظه لما لم يكن له حقيقة ثابتة، كقول الإمام الحسين عليه السّلام في كلام له: «الدّين لَعق على ألسنتهم، يحوطونه مادرّت معائشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الدّيّانون».(١)

١١٣- كلّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ

من كلام له عليه السّلام:

«واللّه ما معاوية بأدهى منّي، ولكنّه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى النّاس، ولكن كلّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ، وكلّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ، ولكلّ غادرٍ لواء يعرف به يوم القيامة، واللّهِ ما أُستَغْفلُ بالمكيدة، ولا أُستَغْمزُ بالشّديدة».(٢)

قال المعتزليّ: الغُدَرة على (فُعَلة): الكثير الغَدْر، والفُجَرة والكُفَرة: الكثير الفجور والكفر، وكلّ ما كان على هذا البناء فهو للفاعل، فإن سكّنت العين فهو للمفعول، تقول: رجل ضُحَكة: أي يَضحكُ، وضُحْكة: يُضْحكُ منه... يقول عليه السّلام: كلّ غادرٍ فاجرٌ، وكلّ فاجرٍ كافرٌ.

وقوله: «لكلّ غادرٍ لواء يعرف به يوم القيامة»، حديث صحيح مرويّ عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله ـ وسلّم ـ ثمّ أقسم عليه السّلام أنّه

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السّلام: ٣/٩٧. البحار: ٤٤/٣٨٣.

(٢) النّهج: ١٠/٢١١، كلام: ١٩٣.

لا يُستغفل بالمكيدة: أي لاتجوز المكيدة عليّ، كما تجوز على ذوي الغفلة، وأنّه لا يستغمز بالشّديدة: أي لا أهين ولا ألين للخَطْب الشّديد.(١)

وقال: وأمّا الرّأي والتّدبير، فكان من أسدّ النّاس رأياً، وأصحّهم تدبيراً، وهوالّذي أشار على عثمان بأمورٍ، كان صلاحه فيها، ولو قبلها لم يحدث عليه ماحدث وإنّما قال أعداؤه: لا رأي له؛ لأنّه كان متقيّداً بالشّريعة، لايرىٰ خلافها، ولا يعمل بما يقتضي الدّين تحريمه. وقد قال عليه السّلام: «لولا التّقىٰ لكنتُ أدهى العرب». وغيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضىٰ مايستصلحه ويستوفقه، سواء أكان مطابقاً للشّرع أم لم يكن؛ ولا ريب أنّ مَنْ يعمل بما يؤدّي إليه اجتهاده، ولا يقف مع ضوابط وقيود يمتنع لأجلها ممّا يرى الصّلاح فيه تكون أحواله الدّنيويّة إلى الانتظام أقرب، ومَنْ كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدّنيويّة إلى الانتثار أقرب.

وأمّا السّياسة، فإنّه كان شديد السّياسة خشناً في ذات اللّه، لم يراقب ابن عمّه في عمل كان ولّاه إيّاه، ولا راقب أخاه عقيلاً في كلام جبهه به، وأحرق قوماً بالنّار، ونقض دار مصقلة بن هبيرة، ودار جرير بن عبداللّه البَجَليّ، وقطع جماعةً، وصلب آخرين؛(٢) إجراءً لحدوداللّه

---

(١) النّهج: ٢١١/١٠، كلام: ١٩٣.

(٢) شرح النّهج: ٢٨/١ وفي كلام المعتزليّ هذا تصريح أنّ غيره من الخلفاء لم يتقيّدوا بشريعة اللّه جلّ جلاله، بل يعملون على وفق مايرون من المصلحة، وأمّا أميرالمؤمنين عليه السّلام فلا يتخطّى الشّريعة قيد شعرة، وقد جرى الحقّ على لسانه، كما قلناه في المتن لولا اعتذاره بما لا يصلح عذراً.

تعالى عليهم، غير مداهن، ولا متوانٍ، ولا تأخذه في اللّه لومة لائمٍ، ولا أخوّة أخ أو قرابة؛ كما يصنع غيره من الخلفاء من تعطيل حدوده عزّ وجلّ، بل تجاوزهم الموجب لها وغدرهم الّذي عدّوابه من دهاة النّاس.

وقال أيضاً: أي المعتزليّ: اعلم أنّ السّائس لايتمكّن من السّياسة البالغة إلاّ إذا كان يعمل برأيه، وبما يرىٰ فيه صلاح ملكه، وتمهيد أمره، وتوطيد قاعدته، سواءً وافق الشّريعة أولم يوافقها. ومتىٰ لم يعمل في السّياسة والتّدبير بموجب ما قلناه، فبعيدٌ أن ينتظم أمره، أو يستوثق حاله، وأميرالمؤمنين كان مقيّداً بقيود الشّريعة، مدفوعاً إلى اتّباعها، ورفض ما يصلح اعتماده من آراء الحرب والكيد والتّدبير، إذا لم يكن للشّرع موافقاً، فلم تكن قاعدته في خلافته قاعدة غيره ممّن لم يلتزم بذلك.

ولسنا بهذا القول زارين على عمربن الخطّاب، ولا ناسبين إليه ما هو منزّهٌ عنه، ولكنّه كان مجتهداً، يعمل بالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة.(١) إلى آخر ما لفّقه لتبرير أعماله.

ونقول له: هل الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم كان يعمل بالقياس، حتّىٰ يتبعه الخليفة؟ أم يرى ما لايراه؟ والحديث ذوشجون. وقدجاء من روايات أهل بيت النّبوّة عليهم السّلام مايقرب من مائة وثلاثين حديثاً في منع القياس، منها الباقريّ: «قال لأبي حنيفة: اتّقِ اللّه، ولا تقس في الدّين برأيك، فإنّ أوّل من قاس إبليس...».(٢)

---

(١) شرح النّهج: ١٠/٢١٢.

(٢) الوسائل: ١٨/٢٩، باب ٦ عدم جوازالقضاء والحكم بالرّأي والاجتهاد والمقاييس...من أبواب صفات القاضي، الحديث: ٢٥.

وقد جرىٰ الحقّ على لسان المعتزليّ، إلاّ أنّه منعه من القبول مااللّه يعلمه. ومِنْ هوان الأمور مقارنة أميرالمؤمنين عليه السّلام مع غيره في ذلك. مع أنّ الفتك والغدر لايقدم عليه مَن له أدنى مرتبة من الإيمان؛ لأنّ الإيمان قيد الفتك. (١) كيف وهو أميرالمؤمنين، وسيّد العارفين.

١١٤ـ كلّ متوقّع آتٍ، وكلّ آتٍ قريبٌ دانٍ

قال عليه السّلام:

«كلّ معدود منقضٍ وكلّ متوقّع آتٍ،(٢) وكلّ آتٍ قريبٌ دانٍ». (٣)

تكلّمنا على الكلمة الأولى. (٤)

قال ابن أبي الحديد: فأمّا قوله: «وكلّ متوقّعٍ آتٍ» فيماثله قول العامّة في أمثالها: (لو انتظرت القيامة لقامت). والقول في نفسه حقٌّ؛ لأنّ العقلاء لاينتظرون مايستحيل وقوعه، وإنّما ينتظرون مايمكن وقوعه، وما لابدّ من

---

(١) جامع الأصول لأحاديث الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: ٢٠٩/١٠. مجمع الأمثال: ١٠٧/٢، حرف القاف. المستقصىٰ: ٢٠٠/٢.

ولا يخفى أنّ المَثَل: «كلّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ» ذكره جمع، منهم: الشّيخ المحموديّ في نهج السّعادة: الخطب: ٣١٧/٢.

(٢) النّهج: ٢٢٢/١٨، الحكمة: ٧٣.

(٣) النّهج: ١٠٥/٧، الخطبة: ١٠٢.

(٤) حرف الكاف مع اللّام.

وقوعه، فقد صحّ أنّ كلّ منتظر سيأتي.(١)

وردّه الشّيخ التّستريّ، بأنّ المراد بالمتوقّع: الموت، والموت حتم آتٍ، وإنّما أتىٰ عليه‌السّلام بلفظة (كلّ)؛ لأنّ المتوقّعَ كلّ حتميٍّ لايعلم ساعة وقوعه لا ما يمكن وقوعه، فانّه لايجب وقوعه، كالمطر في الشّتاء، وبالجملة، كلامه عليه‌السّلام استدلال بالعلّة والمعلول حتى يلتزم بالقبول. وهو (يعني المعتزليّ) جعله ككلام عاميّ مرذول.(٢)

أقول: يراد بالمتوقّع الآتي: الأعمّ من الموت والقيامة، وكلّ أمرٍ واقعٍ عقلاً أوعادةً والشّمول أقْرب إلى ظاهر الكلام أنّ كلّ ما يتوقّع لابدّ أن يأتي وكلّ ماسيأتي فهو قريب وكأنّه قد أتىٰ.

قال الشّارح المعتزليّ: وهذا مثْل قول قُسّ بن ساعدة الإياديّ: (مالي أرى النّاس يذهبون ثمّ لايرجعون! أَرَضوا بالمقام فأقاموا؟ أم تُركوا هناك فناموا؟أقسمَ قُسٌّ قسماً، إنّ في السّماء لخبراً، وإنّ في الأرض لعبراً، سقفٌ مرفوعٌ، ومهادٌ موضوعٌ، ونجومٌ تمور، وبحارٌ لا تغور. اسمعوا أيّها النّاس وعوا، من عاش مات، ومَنْ مات فات، وكلّ ماهو آتٍ آت).(٣)

أقول: مَنْ مات لم يفت، نعم فاتت منه أمور لزمته تبعتها في البرزخ والقيامة، لا ماقالته الدّهريّة، كما حكاه اللّه عزّ وجلّ عنهم: «وقالوا

---

(١) شرح النّهج: ٢٢٢/١٨.

(٢) بهج الصّباغة: ١٧٠/٨.

(٣) شرح النّهج: ١٠٧/٧.

ماهيَ إلاّ حياتنا الدّنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلاّ الدّهر».(١) بل بعد الموت حياة ومساءلة ونعيم ونار وعقبات لا تأتي في حسبان إنسان، ولا تخطر على قلب، إلّا كما وصف في القرآن الكريم، وكتب السّماء، وأخبر بها أنبياء اللّه تعالى «يٰقوم إنّما هٰذه الحيٰوة الدّنيا متع وإنّ الأخرة هيَ دارالقرار».(٢)و ما بين أحدكم وبين الجنّة والنّار إلاّ الموت أن ينزل به.(٣) «فأمّا إن كان من المقرّبين* فَروْحٌ وريحانٌ وجنّتُ نعيم* وأمّا إن كان من أصحب اليمين* فسلمٌ لك من أصحٰب اليَمين* وأمّا إن كان من المكذّبين الضّالّين* فنزُلٌ من حميمٍ* وتصلية جحيم* إنّ هٰذا لهو الحقّ اليقين».(٤)

«وإنّ غاية تنقصها اللّحظة وتهدمها السّاعة لجديرة بقصر المدّة».

الغاية: مَدىٰ الشّيء، والجمع غاي مثل ساعة و ساع. والسّاعة: الوقت الحاضر. والجمع السّاعات. قال القطاميّ:

وكنّا كالحريق لدى كفاحٍ فيخبُو ساعةً وَيهبُّ ساعا

وفي المصباح: السّاعة: الوقت من ليل أونهار، والعرب تطلقها وتريد بها: الوقت والحين، وإن قلّ، وعليه قوله تعالى: «لايستأخرون

---

(١) الجاثية: ٢٤.

(٢) غافر: ٣٩.

(٣) النّهج: ١٤٥/٥، الخطبة: ٦٣.

(٤) الواقعة: ٨٨ ـ ٩٥.

ساعةً ولايستقدمون». (١) «وإنّ غائباً يحدوه الجديدان، اللّيل والنهار، لحريٌّ بسرعة الأوبة».

وكلّ يوم مضى أوليلة سلفت فيها النّفوس إلى الآجال تزدلف (٢)

١١٥ـ كلّ معدودٍ منقضٍ

قال عليه السّلام:

«كلّ معدودٍ منقضٍ، وكلّ متوقعٍ آتٍ». (٣)

هذا تنبيه بطريق الاستدلال النّظريّ، على انّ الدّنيا زائلة ومنصرفة، وقد استدلّ المتكلّمون بهذا على أنّ حركات الفلك يستحيل ألّا يكون لها أوّل؛ فقالوا: لأنّها داخلة تحت العدد، وكلّ معدود يستحيل أن يكون غير متناهٍ. (٤) قاله الشّارح المعتزليّ، وهو الحقّ، فلا مجال للتّشكيك في حدوث المعدود وانتهائه، كما في قول له في شرح الكلمة في موضوع آخر، قال:

الكلمة الأولى تؤكّدمذهب جمهور المتكلّمين، في أنّ العالم كلّه لابدّ أن

---

(١) النّهج: ١٤٥/٥، الخطبة: ٦٣.الأعراف: ٣٤. وبهج الصّباغة: ١٣/٨.

(٢) النّهج: ١٤٥/٥، الخطبة: ٦٣.بهج الصّباغة: ١٣/٨.

(٣) النّهج: ١٠٥/٧، من الخطبة ١٠٢ و٢٢٢/١٨، الحكمة: ٧٣.

(٤) شرح النّهج: ١٠٧/٧.

ينقضي ويفنىٰ، ولكنّ المتكلّمين الذّاهبين إلى هذا القول لا يقولون: يجب آن يكون فانياً ومنقضياً؛ لأنّه معدود. فإنّ ذلك لايلزم، ومن الجائز أن يكون معدوداً، ولا يجب فناؤه؛ ولهذا قال أصحابنا: إنّما علمنا أنّ العالم يفنىٰ عن طريق السّمع، لا من طريق العقل.

فيجب أن يحمل كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام على ما يطابق ذلك، وهو أنّه ليس يعني أنّ العدد علّة في وجوب الانقضاء، كما يشعر به ظاهر لفظه، وهوالّذي يسمّيه أصحاب أصول الفقه إيماءً، وإنّما مراده كلّ معدود فاعلموا أنّه فانٍ ومنقضٍ، فقد حكم على كلّ معدود بالانقضاء حكماً مجرّداً عن العلّة. كما لوقيل: زيد قائم. ليس يعني أنّه قائم، لأنّه يسمّى زيداً.(١)

أقول: مالا آخر له لاأوّل له: وكان أزليّاً، فلو فرض أنّ المعدود لا يجب فناؤه، فلا آخر له، وعليه فلا أوّل له، وقد أبطله الإمام عليه السّلام في خطبة له: «... ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزله...».(٢)

قال المعتزليّ في شرح (فقد عدّه): أي جعله من جملة الجثّة المعدودة فيما بيننا، كسائرالبشر والحيوانات. ومن قال بذلك فقد أبطل أزله؛ لأنّ كلّ ذات مماثلة لهذه الذّوات المحدثة فإنّها محدثة مثلها، والمُحْدَث لايكون أزليّاً.(٣)

---

(١) شرح النّهج: ٢٢٢/١٨.
(٢) النّهج: ١٤٧/٩، الخطبة: ١٥٢.
(٣) شرح النّهج: ١٥١/٩.

وفي (غررالحكم): «كلّ معدود منتقص ، كلّ سرور منقض، كلّ جمع إلى شتات، كلّ متوقّع آتٍ». والرّواية بهذه الصّورة تفيد أنّ الرّضيّ انتزع هذه الكلمة من جملة كلام له عليه السّلام، قاله السّيّد عبدالزّهراء. (١)

وعلى ثبوت النّسخة أنّ لازم النّقص الانقضاء وهو يلازم الفناء، والفاني: ماله آخر، وماله آخر له أوّل. وقد أشار الإمام عليه السّلام إلى هذه القاعدة: أي نفي الأزليّة والأبديّة عن المعدود.

في الحديث: «أنّ أعرابيّاً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السّلام، فقال: يا أميرالمؤمنين! أتقول أنّ اللّه واحد؟ قال: فحمل النّاس عليه، وقالوا: يا أعرابيّ! أما ترى ما فيه أميرالمؤمنين من تقسّم القلب؟ فقال أميرالمؤمنين عليه السّلام: دعوه، فإنّ الّذي يريده الأعرابيّ هوالّذي نريده من القوم، ثمّ قال: يا أعرابيّ! إنّ القول في أنّ اللّه واحد على أربعة أقسام: فوجهان منها لايجوزان على اللّه عزّ وجلّ، و وجهان يثبتان فيه، فأمّا اللّذان لايجوزان عليه فقول القائل: واحد، يقصد به باب الأعداد، فهذا مالا يجوز؛ لأنّ مالا ثاني له لايدخل في باب الأعداد...». (٢) اقتصرنا عليه، وهو واضح.

وقد أجاب عن الإشكال بعض الشّرّاح بقوله: ما طوّله نفخٌ في غير ضرام، فإنّ مراده عليه السّلام: أنّ سنيّ عيش الإنسان وشهوره وأيّامه وساعاته وآناته و أنفاسه في الدّنيا معدودة، فلا بدّ أن تنقضي (٣).

---

(١) مصادر النّهج: ٤/٥٨ - ٥٩. (٢) الخصال: ٢/١.

(٣) بهج الصّباغة: ١٧٠/٨.

١١٦- كما تَدين تُدان

من خطبة له عليه السّلام، أوّلها:

«وهو في مهلة من الله يهوى مع الغافلين... ... وَضَعْ فَخْرَكَ، وَٱحْطُطْ كبرك، واذكر قبرك؛ فإنّ عليه ممرَّكَ، وكما تَدين تُدان، وكما تزرع تحصد... ...». (١)

عن الإمام الصّادق عليه السّلام قال: «كانت امرأة على عهد داوُد، يأتيها رجل يستكرهها على نفسها، فألقى الله عزّ وجلّ في قلبها، فقالت له: إنّك لا تأتيني مرّةً إلّا وعند أهلك من يأتيهم. قال: فذهب إلى أهله، فَوَجَدَ عند أهله رجلاً، فأتى به داوُد عليه السّلام، فقال: يا نبيّ الله! وجدتُ هذا الرّجل عند أهلي، فأوحى الله إلى داوُد قل له: كما تَدين تُدان». (٢)

وعنه عليه السّلام: «أنّ الله أوحى إلى موسى عليه السّلام: لا تزنوا، فتُزنى نساؤكم، ومن وطئ فراش امرىءٍ وُطئ فراشه، كما تَدين تُدان». (٣)

---

(١) النهج: ٩/١٥٨، ط ١٥٣.

(٢) الوسائل: ١٤/٢٦٩.

(٣) الوسائل: ١٤/٢٣٦ و ٢٧١.

من هنا يعلم أنّه مَثَلٌ سماويٌّ، أثبتناه في الأمثال النّبويّة. (١)

وأثبته الأدباء عن ابن دُريد عن أبي حاتمٍ عن أبي عبيدة، قال: كان ملَكٍ من ملوك غسّان ينقدر النّساء، لا يبلغه عن امرأة جمال إلاّ أخذها. فأخذ ابنة يزيد بن الصّعق، وكان أبوها غائباً، فلمّا قدم أُخبر، فوفد على المَلِك، فصادفه متبدّياً، وكان الملك إذا تبدّى لم يحجب عنه أحد. فوقف منذ تحيّته يسمع كلامه، فقال:

يا أيّها الملك الـمُقيتُ أمـاترىٰ ... ليـلاً وَصُبْحاً كَيْفَ يَخْتَلِفانِ

هل تَسْتَطيعُ الشَّمْس أن تـأْتِيْ بها ... لـيلاً وهـل لـك بالمليـكِ يَدانِ

فاعلـم وأيـقِنْ أنّ مُلكَـكَ زائلٌ ... واعـلَـمْ بـأَنَّ كما تَـديـن تُـدانِ

فأجابه الملك:

إنّ الّتي سلبـت فـؤادك خطّةٌ ... مرفـوضـةٌ فـاصبر لها ابـن كلاب

فـارجع بحاجتـك الّتي طـالبتها ... وَالْحق بقومك في هضاب إراب

ثمّ نادى: إنّ هذه سنة مرفوضة. قال أبوعبيدة: ماأنشدت هذه الأبيات ملكاً ظالماً إلاّ كَفَتْه عن غَرْبه. ومعنى المَثَل: كما تَفْعل يُفْعل بك (٢).

---

(١) في ج :٥٣/٢ حرف الكاف مع الميم، رقم المَثَل: ٣٧٦.

(٢) المستقصىٰ: ٢٣١/٢ - ٢٣٢، وهامشه.

قوله: ينقدر النّساء، في هامش المصدر: لعلّه يقذّر النّساء. أقول: لعلّه يغدر بالنساء، بالغين. كمافي الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ١٥٤/٢ - ١٥٥.

١١٧- كما يميدالشّجر يوم الرّيح العاصف

في كلام له عليه السّلام يصف أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: «كأنّ بين أعينهم رُكبَ المِعْزى من طول سجودهم؛ إذا ذكرالله هملت أعينهم حتّى تبُلّ جُيوُبَهم، ومادوا كما يميد الشّجر يوم الرّيح العاصف، خوفاً من العقاب، ورجاءً للثّواب».(١)

اطلب المَثَل الأوّل من حروفه.(٢)

الجيوب جمع الجيب: وهو القميص، ويروى: «حتّى تُبَلّ جِباهُهُمْ»: أي يبلّ موضع السّجود، فتبتلّ الجبهة بملاقاته، (ومادوا): تحرّكوا واضطربوا، إمّا خوفاً من العقاب، كما يتحرّك الرّجل ويضطرب، أو رجاءً للثّواب، كما يتحرّك النّشوان من الطّرب، وكما يتحرّك الجَذِل المسرور من الفرح. (٣)

العين الباكية من خشية الله عزّ وجلّ آمنةٌ قريرةٌ يوم الفزع الأكبر، وإنّها من الأعين الثّلاث، كما نصّ عليها الحديث النّبويّ: «كلّ عين

(١) النّهج: ٧/٧٧، كلام ٩٦.

(٢) الكاف مع الهمزة.

(٣) شرح النّهج للمعتزليّ: ٧/٧٧.

باكية إلاّ ثلاثة أعين: عين بكت من خشية الله، وعين غضّت من محارم الله، وعين باتت ساهرة في سبيل الله». (١)

عند الصّلاة كان المعصومون عليهم السّلام إذا قاموا إليها تصفرّ وجوههم، وترتعد فرائصهم من خشية الله عزّ وجلّ، بل من اشتداد الخوف في جوف اللّيل. كان عليّ بن أبي طالب عليه السّلام يغشى عليه حتّى يصير كالخشبة اليابسة في حديقة بني النّجار، وإذا قام في المحراب تململ تَملمُل السّليم، وبكى بكاء الواله الحزين. والحسن عليه السّلام يصفرّ وجهه إذا اتّجه القبلة وارتعد. وقد عدّ السّجاد من البكّائين الخمسة، ولكثرة العبادة لقّب بزين العابدين. ولم يوجد في خلائق الأوّلين والآخرين كأهل البيت عليهم السّلام بعد الرّسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم أحد يضاهيهم في العبادة والبكاء من خشية الله عزّ وجلّ، وارتعاد فرائصهم من خوفه تعالى. ثمّ الأمثل فالأمثل منهم من وصفهم عليه السّلام في هذه الخطبة وفي غيرها قال: «وبقي رجال غضّ أبصارهم ذكر المرجع، وأراق دموعهم خوف المحشر». (٢)

وقوله عليه السّلام: «مادوا كما يميد الشّجر يوم الرّيح العاصف». المَيدان: الحَركة مع الاضطراب. والتّمثيل باضطراب الشّجر لعاصفة

---

(١) الوسائل: ١١٢٣/٤.

(٢) النّهج: ١٧٥/٢، ط: ٣٢.

ولا يخفى أنّ من راجع السّفينة في (خوف وعبد) عرف ما قلناه. والأمثال النّبويّة: ٤٥٧/١، الزّاي مع الهاء، رقم المَثَل: ٢٩١، يمثّل قيام فاطمة الزّهراء عليها السّلام في صلاتها.

الرّيح لعلّه ناظر إلى هيئة قيامهم للصّلاة، وانتصابهم كانتصاب الشّجر، أويراد: الارتعاد والاضطراب نفسه دون التّمثيل بالهيئة، ويمكن إرادتهما معاً، والشّجر إذا اضطرب سمع منه تصافق الغصون بعضها ببعض من شدّة الرّيح العاصف؛ وكلمة: (يوم الرّيح العاصف) تحكي عن هول الحال.

١١٨- كم مِنْ أَكْلةٍ تمنع أَكلاتٍ

من كلمات الإمام عليه السّلام المعدودة من الأمثال قوله:
«كم مِنْ أكلةٍ تمنع أكلاتٍ».(١)

قال المفضّل: أوّل مَنْ قال ذلك عامر بن الظّرب العدوانيّ، وكان مِنْ حديثه أنّه كان يدفع النّاس في الحجّ، فرآه مَلِكٌ مِنْ ملوك غسّان، فقال: لا أترك هذا العدوانيّ حتّى أُذلّه، فلمّا رجع ذلك المَلِكُ إلى منزله أرسل إليه: أُحبّ أنّ تزورني، فأحبوك وأكرمك وأتّخذك خليلاً، فأتاه قومه، فقالوا: تَفدُ ويفدُ معك قومك، فيصيبون في جنبك، ويتّجهون بجاهك، فخرج، وأخرج معه نفراً من قومه، فلمّا قدم بلاد المَلِك أكرمه، وأكرم قومه، ثمّ انكشف له رأي المَلِك، فجمع أصحابه، وقال: الرّأي نائم، والهوى يقظان، ومِنْ أجل ذلك يغلب

---

(١) النّهج: ١٨/٣٩٧، ح ١٧٣.

الهوىَ الرّأي، عجلت حين عجلتم، ولن أعود بعدها، إنّا قد تورّطنا بلاد هذا المَلِك، فلا تسبقوني بريث أمرٍ أقيم عليه ولا بعجلة رأيٍ أخِفُّ معه، فإنّ رأيي لكم. فقال قومه: قد أكرمنا كما ترى، وبعد هذا ماهو خيرٌ منه، فقال: لا تعجلوا، فإنّ لكلّ عامٍ طعاماً ورُبَّ أَكلةٍ تَمْنع أَكلاتٍ... ...(١)

نعم بين اللّفظين: أي (كَمْ مِنْ أكلةٍ،وربّ أَكلةٍ)فرق غيرمضرّ.

قال الميدانيّ: يضرب في ذمّ حرص الطّعام، وسَرَدَ القصّة. (٢)والعسكريّ: يضرب مثلاً للخصلة مِن الخير، تُنال على غيرِ وجه الصّواب، فتكون سبباً لمنع أمثالها، ثمّ أشار إلىٰ ماتقدّم من المفضّل.(٣)

من العلل المانعة للأكلات عدم مضغها كما ينبغي، والمضغ ممّا يمري الطّعام الّذي لايجرّ مرضاً معه، إذا أَكَلَ الطّاعم عند الجوع، ورَفَعَ اليَدَ عنه وهو يشتهي، وأجادَ المَضْغَ لم يشتكِ وجعاً. ومنها كِبرُ اللّقمة. ومنها العجلة في الأكل وسرعة الابتلاع. ومنها عدم التّعهّد لما يأكل؛ (ربّ أكلة هاضت الآكل، ومنعته مآكل).

كَمْ أكلةٍ خامرت حشاشَرِهِ فأَخْرَجَتْ رُوحه من الجسد(٤).

---

(١) الفاخر: ١٧٤.

(٢) مجمع الأمثال: ٢٩٧/١، حرف الرّاء.

(٣) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ٣١٩/١.

(٤) شرح النّهج: ٣٩٧/١٨.

١١٩ـ كناقش الشّوكه بالشّوكة

من كلام له عليه السّلام، وقد قام إليه رجل من أصحابه فقال: نهيتنا عن الحكومة، ثمّ أمرتنا بها، فما ندري أيّ الأمرين أرشد. فصفق عليه السّلام إحدى يديه على الأخرى، ثمّ قال:

«هذا جزاء من ترك العقدة، أما واللّهِ لو أنّي حين أمرتكم بما أمرتكم، حملتكم على المكروه الّذي يجعل اللّه فيه خيراً، فإن استقمتم هديتكم، وإن اعوججتم قوّمتكم، وإن أَبَيْتُم تداركتكم لكانت الوثقىٰ، ولكن بمَنْ؟ وإلى مَنْ؟! أريد أن أداوي بكم، وأنتم دائي، كناقش الشّوكة بالشّوكة، وهو يعلم أن ضلعها معها».(١)

أثبتنا صدر الكلام لربط التّمثيل.

قال المعتزليّ: وهذا مَثَلٌ مشهورٌ: (لا تنقش الشّوكة بالشّوكة؛ فإنّ ضلعها معها). والضّلع: الميل، يقول: لا تستخرج الشّوكة النّاشبة في رجلك بشوكةٍ مِثْلها؛ فإنّ إحداهما في القوّة والضّعف كالأخرىٰ، فكما أنّ الأولىٰ انكسرت لمّا وطئتها، فدخلت في لحمك، فالثّانية إذا حاولت

---

(١) النّهج: ٢٩١/٧، كلام١٢٠.

استخراج الأولى بها تنكسر، وتلج في لحمك.(١)

قال الزّمخشريّ بعد المَثَل: ويروى: فإنّ (إلبها)، والمعنى: ميلها. يضرب في النّهي عن الاستعانة بَمنْ هو للمطلوب منه الحاجة أنصح منه للطّالب.(٢)

أوردناه في الأمثال النّبويّة.(٣) والغرض من التّمثيل به هنا يعرف من قبله، حيث قال عليه السّلام: «أريد أداوي بكم، وأنتم دائي». فأصحابه يزيدون في علّته بدل أن يرفعوها؛ لأنّ حادثة التّحكيم لم تحدث إلاّ من قِبلهم، فكيف يُعمل في رفعها بسبب هؤلاء، وهم قدأوجدوها؟ فحالهم وحال الإمام عليه السّلام كمعالجة إخراج الشّوكة بشوكةٍ أخرى، لا تزيدها إلاّ ولوجاً.

١٢٠- كناقل التّمر إلى هَجَرَ

من الأمثال السّائرة، تمثّل به عليه السّلام في كتاب له جواباً إلى معاوية، وهو من محاسن الكتب، أوّله:

«أمّا بعد، فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء اللّه محمّداً...-إلى أن قال عليه السّلام:- فلقد خبأ لنا الدّهر منك عجباً، إذ طفقت تخبرنا

---

(١) شرح النّهج: ٢٩٤/٧.

(٢) المستقصى: ٢٦٠/٢.

(٣) في حرف اللاّم مع الألف، ج:١٠١/٢، رقم المَثَل: ٤١٨.

ببلاء اللّه عندنا، ونعمته علينا في نبيّنا، فكنت في ذلك كناقل التّمر إلى هَجَرَ، أو داعي مسدّده إلى النّضال ...».(١)

يعني عليه السّلام: ما قيمتك يا معاوية؟!وما أنت وتعديد نعم اللّه عزّ وجلّ علينا أهل البيت؟! و (أهل البيت أدرى بما في البيت).(٢) وأنّ أهل مكّة أعرف من غيرهم بشعابها. وليس مَثَلُك يا معاوية وتعديد نعمه تعالى علينا إلاّ كمستبضع التّمر إلى بلدة هَجَرَ من بلدة أخرى الّتي ينقل منها إلى غيرها التّمر لا إليها، فحالك حاله.

وتناول ذكر المَثَل جمعٌ من الكتّاب:

قال ابن ميثم: وأصل هذا المَثَل، أنّ رجلاً قَدِمَ من هجر إلى البصرة بمالٍ اشترى به شيئاً للرّبح، فلم يجد فيها أكسد من التّمر، فاشترى بماله تمراً، وحمله إلى هجر، وادّخره في البيوت منتظراً به السّعر، فلم يزده إلاّ رخصاً حتّى أنّه ربّما يبلغ سعر خمسين جلّة بدينار، و وزن الجلّة مائة رطل، فذلك خمسة آلاف رطل.(٣)

قال النّيسابوريّ بعد المَثَل: قال أبوعبيد: هذا من الأمثال المبتذلة ومن قديمها، وذلك أنّ هَجَرَ معدن التّمر، والمستبضع إليه مخطئ. قال النّابغة الجعديّ:

---

(١) النّهج: ١٥/١٨١، كتاب: ٢٨.

(٢) أمثال وحكم دهخدا: ١/٣١٧.

(٣) شرح النّهج للبحرانيّ: ٤/٤٣٦.

وإنّ امرأً أهدىٰ إليك قصيدةً كمستبضعٍ تمراً إلى أرض خَيْبرا(١)

قال المعتزليّ: مَثَلٌ قديم. و(هَجَر): اسم مدينة لا ينصرف للتّعريف والتّأنيث، وقيل: هو اسم مذكّر مصروف، والنسبة إليه هاجريّ على غير قياس، وهي بلدة كثيرة النّخل، يحمل منها التّمر إلى غيرها، قال الشّاعر في هذا المعنىٰ:

أُهدِي له طُرَف الكلام كما يُهدَى لوالي البصرة التّمر

قوله: «أوداعي مسدّده إلى النّضال»: أي معلّمه الرّمي، وهذا إشارة إلى قول القائل الأوّل:

أُعلّمه الرّماية كلّ يوم فلمّا استدّساعده رماني (٢)

قوله: (استدّ) هو من السّديد بالمهملة، وفي نسخة: (فلمّا اشتدّ ساعده رماني)بالشّين المعجمة. ومآل اللّفظين واحد، فتدبّر.

والمَثَل كما تقدّم يجري في كلّ مَنْ ينقل الشّيء إلى معدنه، ومنه نقل كلام أو علم إلى معلّمه وأستاذه، وهذا شأن كلّ مَثَلٍ مطبّق على مواضعه الّتي بينها وبينه مناسبة وارتباط يدعو المتكلّم على التّمثّل به من أجلها.

---

(١) مجمع الأمثال: ١٥٢/٢، حرف الكاف.

(٢) شرح النّهج: ١٨١/١٥ - ١٨٩.

١٢١- كَيْتَ وكَيْتَ

في خطبة له عليه السّلام: يصف فيها النّاس:

«أيّها النّاس! المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يُوهي الصّمّ الصّلاب، وفعلكم يُطمع فيكم الأعداء؛ تقولون في المجالس: كَيْتَ وكَيْتَ، فإذا جاء القتال قلتم: حيدي حيادِ...».(١)

وفي لفظ: «كلامكم يُوهن الصّمَ الصّلاب، وتثاقلكم عن طاعتي يُطمع فيكم عدوّكم، إذا أمرتكم، قلتم: كَيْتَ وكَيْتَ وعسا، أعاليل أباطيل...»(٢)

انظر قوله عليه السّلام: «يُوهى الصّمّ الصّلاب»(٣) و«حيدي حيادِ».(٤) قال ابن الأثير: في الحديث: «بئس مالأحدكم أن يقول: نسيت آية كَيْتَ وكَيْتَ» هي كناية عن الأمر، نحو: كذا وكذا. قال أهل العربيّة: إنّ أصلها (كيّة) بالتّشديد، والتّاء فيها بدل من إحدى

(١) النّهج: ١١١/٢. ط :٢٩.

(٢) نهج السّعادة: ٥٤١/٢، الخطب. ـظ: عسى، لاعسا ـ.

(٣) حرف الياء مع الواو.

(٤) حرف الحاء مع الياء.

الياءين، والهاء الّتي في الأصل محذوفة، وقد تضمّ التّاء وتُكسر.(١)

وقال في تفسير: (كذا): «نجيء أنا وأُمّتي يوم القيامة على كذا وكذا». كأنّ الرّاوي شكّ في اللّفظ، فكنّى عنه بكذا وكذا وهي من ألفاظ الكنايات مثل: كَيْتَ وكَيْتَ. ومعناه: مثل ذا.ويكنّى بها عن المجهول، وعمّا لايراد التّصريح به.

قال أبوموسى المحفوظ في هذا الحديث: «نجيء أنا وأمّتي على كوم». أولفظ يؤدّي هذاالمعنىٰ.(٢)

وقال ابن فارس: يقولون: التّكييت: تيسير الجهاز. قال:

كَيّت جهازك إمّا كنت مرتحلاً إنّي أَخاف على إذوادِكَ السَّبُعا (٣)

وهو معنىٰ ثانٍ لكَيْتَ لايرتبط بما نحن فيه.

والمراد من قوله عليه السّلام: «تقولون في المجالس: كَيْتَ وَكَيْتَ»: ذمٌّ لهم؛ لأنّ قولاً لايعقبه عَمَلٌ لغوٌ ونفاقٌ، فلو صدقوا لقاموا للعمل؛ ومِنْ ثَمّ ذمّ العلم الفاقد للعمل، بل ليس العلم إلاّ العمل. فانظر قوله تعالى: «أمّن هوقٰنِتٌ ءَاناَء الَّيْلِ ساجداً وقائماً يحذر الأخرة ويرجوا رحمة ربّه قل هل يستوى الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون إنّما يتذكّر أُولُوا الأَلبٰب».(٤)

---

(١) النّهاية: ٤/٢١٦، في (كيت).

(٢) النّهاية: ٤/١٦٠،في (كذا).

(٣) معجم المقاييس: في (كيت).

(٤) الزّمر: ٩.

كيف عقّب جلّ جلاله العلم، وطبّقه على القانت السّاجد القائم الحذر الرّاجي رحمته: أي الّذي هذه صفته: هو من العلماء، والفاقد لها: هو من غيرهم، ولا يتذكّر المقصود منه إلاّ العاقل، فيالها من آية لوعرفها مَنْ تلاها حقّ تلاوتها؛ «وقليلٌ ما هُمْ» (١).

١٢٢- كيف يُراعي النّبأة مَنْ أصمّته الصّيحة

مَثَلٌ مِنْ أمثالٍ جاء بها أميرالمؤمنين عليه السّلام في خطبةٍ له:
«كيف يُراعي النّبأة مَن أصمّته الصّيحة». (٢)

قال الشّارح المعتزليّ: هذا مَثَلٌ آخر، يقول: كيف يلاحظ ويراعي العِبَر الضّعيفة مَنْ لم ينتفع بالعِبَر الجليّة الظّاهرة بل فسدعندها؟وشبّه ذلك بمن أصمّته الصّيحة القويّة؛ فإنّه محال أن يُراعي بعد ذلك الصّوت الضّعيف.

والنّبأة: هي الصّوت الخفيّ .قوله: (أصمّته الصّيحة)، ليس معناه: أنّ الصّيحة كانت علّة لصممه، بل معناه: صادفته أصمّ، وبهذا تأوّل أصحابنا قوله تعالى: «وأضلّه اللّه على علم».(٣) (٤)

---

(١) ص: ٢٤.
(٢) النّهج: ١/٢٠٧، ط ٤.
(٣) الجاثية: ٢٣.
(٤) شرح النّهج: ١/٢٠٩.

وهذا المَثَل يضاهيه على بعض التّقادير. قوله عليه السّلام: «هيهات إنّ مَنْ يعجز عن صفات ذي الهَيْئة والأدوات؛ فهو عن صفات خالقه أعجز».(١) ومنه قوله تعالى: «ومَنْ كان في هٰذه أعمىٰ فهو فى الآخرة أعمىٰ وأضلّ سبيلاً». (٢) مَنْ لم يرحم نفسه كيف يرحم غيره.

والسّرّ في عدم رعاية العظات ضعيفتها وجليّتها كدورة النّفس، وعدم صفائها؛ لكثرة الذّنوب، والتّمرّد على المولى جلّ وعلا، وقسوة القلب المتولّدة عن مخالفة أوامره وارتكاب نواهيه، فلا تنجع المواعظ فيه، كما قال تعالى: «ثمّ قست قلوبكم من بعد ذٰلك فهي كالحجارة أَو أشدّ قسوة». (٣) و «لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم ءاذان لا يسمعون بها أُولٰئِك كالأنعٰم بل هم أضلّ أُولٰئِك هم الغٰفلون» (٤).

وكيف يسمع قول أميرالمؤمنين عليه السّلام مَنْ مَلَكَ قَلْبَه حبُّ الرّئاسة على الأُمّة مع المعرفة بخلوّه عن الفضائل المؤهّلة للمنصب الرّبّانيّ؟ نعم الّذي يؤهّل غير الأهل له هم النّاس، لايردّون عليه لما عرفوه من الحقّ. اللّهمّ إنّ خوف السّيف أسكتهم عن الرّدّ، وهذه سنّة جارية في كلّ الأعصار، إنّها السّياط تَقرع رؤوس الشّعوب.

يقول عليه السّلام: «فواللّه مازلتُ مدفوعاً عن حقّي مستأثراً عليّ،

---

(١) النّهج: ٢٥٧/٩، ط: ١٦٤.

(٢) الإسراء: ٧٢.

(٣) البقرة: ٧٤.

(٤) الأعراف: ١٧٩.

منذقبض اللّه نبيّه صلّى اللّه عليه ـ وآله وسلّم ـ حتّى يوم النّاس، هذا».(١) لولا مداهنة النّاس لما أُضيعَ حقّه، فهم شركاء في إحياء الباطل وإماتة الحقّ، وكذا المؤمنون في الأَدوار بعد عصور الأَئمّة الأطهار عليهم السّلام، وقال القائل فيهم صلوات اللّه عليهم أجمعين:

مشرّدون نُفُوا عَنْ عُقر دارِهِمْ كأنّهم قد جَنُوْا ماليس يُغتفُر (٢).

(١) النّهج: ١/٢٢٣، الخطبة: ٦.

(٢) المجالس السّنيّة: ١/٦٧. وقبله:

لاأضحَكَ اللهُ سِنّ الدّهرإنْ ضحكَتْ وآل أحْمَدَ مظلومون قدقُهِروا

١٢٣- كيلاً بغير ثمن لوكان له وعاء

في كلام له عليه السّلام: في ذمّ أهل العراق:

«... ...ولقد بلغني أنّكم تقولون: عليٌّ يكذب، قاتلكم اللّه! فَعلى مَنْ أكذب؟ أعلى اللّه؟ فأنا أوّل مَنْ آمن به، أم على نبيّه؟ فأنا أوّل مَنْ صدّق به، كلّا واللّه؛ لكنّها لهجةٌ غِبْتُمْ عنها، ولم تكونوا مِن أهلها، ويل أُمّه، كيلاً بغير ثمن لوكان له وعاء، « ولتعلمنّ نبأه بعد حين ».(١) (٢)

تكلّمنا حول المَثَل: «ويل أُمّه».(٣) وذكرنا الآية المباركة في التّمهيد في الآي المعدودة من الأمثال القرآنيّة.

قال المعتزليّ يقول -عليه السّلام-: أنا أكيل لكم العلم والحكمة كيلاً، ولا أطلب لذلك ثمناً، لو وجدتُ وعاءً!: أي حاملاً للعلم؛ وهذا

---

(١) ص :٨٨.

(٢) النّهج: ١٢٧/٦، كلام: ٧٠.

(٣) حرف الواو مع الياء.

مثل قوله عليه السّلام: «ها إنّ بين جنبيّ علماً جمّاً لوأجدله حملة!». (١)

نعم الأنبياء وأوصياؤهم عليهم السّلام يكيلون للنّاس العلوم والمعارف الرّبّانيّة للهداية، لا لأجرٍ يؤخذ منهم؛ وإنّما أجرهم على الله عزّ وجلّ، وليس عليهم إلاّ المودّة في القربى الّتي لا يصحّ الإيمان إلاّ بها، وإلاّ الذّكرى، واتّخاذ سبيل الرّبّ مَنْ شاء منهم. نطق بذلك كلّه القرآن الكريم:

«قل ما سألتكم مِنْ أجرٍ فهو لكم إن أجريَ إلّا على الله». (٢) «و ما أسئلكم عليه مِنْ أجرٍ إن أجريَ إلّا على ربّ العٰلمين». (٣)

«قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربىٰ». (٤) «قل لا أسئلكم عليه أجراً إنْ هو إلّا ذكرىٰ للعٰلمين». (٥) «قل ما أسئلكم عليه مِنْ أجرٍ إلّا مَنْ شاء أن يتّخذ إلىٰ ربّه سبيلاً». (٦)

والمراد بالوعاء: القلب؛ لأنّ القلوب أوعية، كما قال عليه السّلام: «يا كميل بن زياد! إنّ هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها». (٧)

---

(١) شرح النّهج: ١٣٤/٦.

(٢) سبأ: ٤٧.

(٣) الشّعراء: ١٤٥.

(٤) الشّورىٰ: ٢٣.

(٥) الأنعام: ٩٠.

(٦) الفرقان: ٥٧.

(٧) النّهج: ٣٤٦/١٨، الحكمة: ١٤٣.

وللإمام صلوات الله عليه وآله بيان لطوائف النّاس في قبولهم العلم، واستعمالهم له لغايات ذكرها، قال عليه السّلام:

«ها إنّ هاهنا لعلماً جمّاً -وأشار إلىٰ صدره- لوأصبتُ له حملةً! بلىٰ أُصيبُ ١-لقناً غير مأمونٍ عليه، مُستعملاً آلة الدّين للدّنيا، ومُستظهراً بنعم الله على عباده، وبحججه على أوليائه، ٢-أومنقاداً لحملة الحقّ، لا بصيرة له في أحنائه؛ ينقدح الشّكّ في قلبه لأوّل عارضٍ من شبهةٍ. ألالاذا، ولاذاك، ٣-أومنهوماً باللّذّة، سلس القياد للشّهوة، ٤-أو مُغْرماً بالجمع والادّخار، ليسا من رعاة الدّين في شيءٍ، أقرب شيءٍ شَبَهاً بهما الأنعام السّائمة؛ كذلك يموت العلم بمَوْت حامليه.

٥-اللّهمّ بلىٰ؛ لاتخلو الأرض من قائم لله بحجّة، إمّا ظاهراً مشهوراً، وإمّا خائفاً مغموراً، لئلّا تبطل حجج الله وبيّناته».(١)

قال الشّارح: ثمّ قسّم -عليه السّلام- الذي يصيبهم خمسة أقسام:

الأوّل: أهل الرّياء والسّمعة، الّذين يجعلون النّاموس الدّينيّ شبكة لاقتناص الدّنيا.

الثّاني: قومٌ منْ أهل الخير ليسوا بذوي بصيرةٍ في الأمور الغامضة، تنقدح في قلوبهم الشّبهة بأدنىٰ خاطرٍ، وذلك لايثبت تحت العلم إلّا المؤيّد بالتّوفيق.

الثالث: صاحب لذّاتٍ وطربٍ ليس من رجال الّدين.

الرّابع: الحريص على جمع المال لاينفقه في الشّهوة، ولا في غيرها.(٢)

---

(١) النهج: ١٨/٣٤٦-٣٤٧، الحكمة: ١٤٣. (٢) شرح النّهج: ١٨/ ٣٥٠-٣٥١.

الخامس: علماء الشّيعة الرّبّانيّون العاملون المُخلصون للّه تعالى، وصفهم عليه السّلام بما لايسع المقام لذكره. والمعتزليّ فسرّهم بالأبدال السّائحين في الأرض خشية التّطبيق على مذهب الإماميّة، انظر كلامه.

حرف اللاّم

١٢٤ـ لا أطور به ما سَمَرَ سَميرٌ، وما أَمّ نجمٌ في السّماء نَجْماً

من كلام له عليه السّلام لمّا عوتب على التّسوية في العطاء، وتصييره النّاس أسوةً في العطاء، مِنْ غير تفضيل أولي السّابقات والشَّرَف:

«أتأمرونّي أن أطلب النّصر بالجور فيمَنْ وُلّيت عليه؟! واللّه لا أطور به ماسَمَر سميرٌ، وما أمّ نجمٌ في السّماء نَجْماً، ولوكان المال لي لسوّيتُ بينهُم، فكيف وإنّما المال مال اللّه!».(١)

للكلام العلويّ بقيّةٌ مرهونةٌ بمقام يناسبها.

قال الشّارح المعتزليّ: (لا أَطورُبه): لا أقربه، (ولا تَطُرحولنا):أي لا تقرب ماحولنا، وأصله من طوار الدّار وهوماكان ممتدّاً معها من الفناء. وقوله ـعليه السّلام ـ: (ما سَمَر سميرٌ) يعني: الدّهر: أي ما أقام الدّهر ومابقي، والأشهر في المَثَل: (ما سَمَرَ ابنا سَميرٍ)، قالوا: السّمير: الدّهر، وابناه اللّيل والنّهار. وقيل: ابناسميرٍ: اللّيل والنّهار؛ لأنّه يُسْمر فيها، ويقولون: (لا أفعله السَمَر والقَمَر): أي ما دام النّاس يسمرون في ليلةٍ قمراء، ولا أفعله سَمير اللّيالي: أي أبداً. قال الشّنفريّ:

---

(١) النّهج: ٨/١٠٩، كلام: ١٢٦.

هنا لك لا أرجو حياة تسرّني سَمير اللّيالي مُبسلاً بالجرائر

قوله ـ عليه السّلام ـ: «و ما أَمّ نجمٌ في السّماء نَجْماً»: أي قَصَدَ وَتَقَدّمَ؛ لأَنّ النّجوم يتبع بعضها بعضاً، فلا بدّ من تَقَدّمٍ وتأَخّرٍ؛ فلا يزال النّجم يقصد نجماً غيره، ولا يزال النّجم يتقدّم نجماً غيره.(١)

وقال آخر في شرحه: (لا أَفعله ما طَلع النّجم في الخضراء، ونَجم الطّلع في الغبراء). وقال زُهير:

ولولا ظلمةٌ مازلتُ أبكي سجيس الدّهر ما طَلَع النّجوم

والجملتان في كلامه عليه السّلام: «ما سَمَرَ سَميرٌ، وما أَمّ نجمٌ نجماً»، كنايتان عن الدّوام. ونظيرهما في الكناية عنه قولهم: (سَجيس عَجيس)، وقولهم: (ما غبا غبيس).(٢)

أقول جاء في القرآن الكريم من السَّمَر بمعنى التّحدّث باللّيل قوله تعالى: «مستكبرين به سِمراً تهجرون».(٣): أي بالقرآن أوالبيت العتيق. كانوا يقصّون باللّيل في مجالسهم حول البيت.(٤) من المسامرة: وهي التّحادث ليلاً. ولا يناسب المقام من معاني السّمر إلاّ ما تقَدّم بيانه.

(١) شرح النّهج: ٨/١١٠.

(٢) بهج الصّباغة: ١٢/٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(٣) المؤمنون: ٦٧.

(٤) تفسير الصّافي: ٢/١٤٤.

والكلام العلويّ مَسُوق لإحقاق الحقوق ما بقي الدّهر، لايعدل عنه مهما كلّف الأَمر، والقيام بالعدل والقسط في الأموال، كما جاء في حديث الصّادق عليه السّلام، قال: «العدل أحلىٰ من الشّهد، وألين من الزّبد، وأطيب ريحاً من المسك». (١)

وقد ذكرنا حول المَثَل المماثل للمقام: «ما سَمَرالسَّمير، وما رأيت في السّماء نَجْماً» ممّا يرتبط به، فراجع (٢).

١٢٥ـ لا تَجْتَمعُ عَزيمةٌ وَوَليمةٌ

من كلام له عليه السّلام يَحثّ فيه أصحابه على الجهاد:

«واللّه مُستأديكم شُكْرَهُ، ومورّثكم أَمرَهُ، ومُمْهِلُكُم في مضمارٍ ممدودٍ، لتتنازعوا سَبَقَهُ، فشُدّوا عُقَد المآزر، واطْووا فضول الخواصر، لاتجتمع عزيمةٌ و وليمةٌ. ما أنقض النّوْم، لعزائم اليَوْم! وأمْحى الظُّلَم، لتذاكير الهِمَم!». (٣)

---

(١) الوسائل: ١١/٢٣٣.

(٢) حرف الميم مع الألف.

ولايخفى أنّ المَثَل: «لا أطور به ما سَمَر سَمير» في البحار: ٧٨/٩٦ أيضاً.

كما وقد ذكره ابن الأثير في النّهاية: ٣/١٤٢، في (طَورَ) عنه عليه السّلام، ثمّ قال: أي لا أقرب به أبداً.

(٣) النّهج: ١١/١٤٢، كلام: ٢١٥.

قال الشّارح: «مُستأديكم شُكْرَهُ»: أي طالبٌ منكم أداء ذلك والقيام به. وقوله: «مورثكم أمْرَهُ»: أي سيرجع أمر الدّولة إليكم، ويزول أَمْر بني أُميّة. (١)

بقيّة الشّرح مرهونةٌ بمحلّها، ونشير إلى الأمثال الثّلاثة الّتي يشرحها المعتزليّ:

قال: ثمّ أتى عليه السّلام بثلاثة أمثال مخترعة له، لم يسبق بها، وإن كان قد سبق بمعناها، وهي قوله: «لا تجتمع عزيمةٌ ووَليمةٌ»، وقوله: «ما أنقض النَّوْمَ لعزائم اليَوْم!»، وقوله: «وأَمْحى الظُّلَمَ لتذاكير الهِمَم!» (٢)

أقول: نبحث هنا المَثَل الأوّل. أمّا الباقي ففي محلٍّ يخصّه. وإليك ما قال في الأوّل:

فممّا جاء للمحدثين من ذلك ما كتبه بعض الكُتّاب إلى وَلَدِهِ:

خدمة السّلطان والكا ... سات في أيدي الملاح
ليس يلتامان فاطلب ... رفعةً أو شرب راح

ومثله قول آخر لوَلَدِهِ:

ما للمطيع هواه ... من الملام مَلاذ

---

(١) شرح النّهج: ١١/١٤٢.

(٢) شرح النّهج: ١١/١٤٣.

فاختر لنفسك هذا مجدٌ وهذا التذاذ

وقال آخر:

وليس فتى الفتيان مَنْ راح واغتدى لشرب صبوحٍ أولشرب غبوق
ولكن فتى الفتيان مَنْ راح واغتدى لضرّ عدوٍّ أو لنفع صديق(١)

والغرض من الأبيات عدم اجتماع الأمرين، إمّا هذا أو ذاك ؛ ومِنْ ثَمَّ عذاب المنافق أشدّ:«إنّ المنٰفقين في الدّرْك الأسفل من النّار». (٢)

إذ لايجتمع الكفر والإيمان، إمّا الأوّل أو الثّاني، وفيه قال جلّ جلاله: «فَمَنْ شآء فليؤْمِن ومَنْ شآء فليَكْفُر».(٣)

يماثله: أي المَثَل المبحوث المَثَل السّائر من وجهٍ: (لا يجمع سيفان في غِمْدٍ). (٤)

(جَمَع بين الأَرْوىٰ والنّعام)، يريد: أنّه جمع بين كلمتين متناقضتين؛ لأنّ الأروىٰ تسكن شَعف الجبال، والنّعام تسكن الفيافي.(٥)

---

(١) شرح النّهج: ١٤٣/١١.

(٢) النّساء: ١٤٥.

(٣) الكهف: ٢٩.

(٤) مجمع الأمثال: ٢٣٠/٢، حرف اللاّم، وفيه:

* وهل يجمع السّفيان ويحك في غمْدِ *

(٥) النّهاية: ٤٣/١، في (أرا). الحيوان:٣٥٢/٤. المستقصىٰ: ٣٣٥/٢. مجمع الأمثال: ٢٧١/٢، حرف الميم.

ومن أمثال الفرس: (هم خدا را مى خواهد، وهم خرما را).(١): أي يريد اللّه جلّ جلاله والتّمر معاً.

وأمّا المَثَل العلويّ، فالمراد: أنّ العزم على التّعالي لا يجتمع مع كثرة الأكل والرّاحة.

١٢٦- لا تستحِ من إعطاء القليل؛ فإنّ الحرمان أقلّ منه

قال عليه السّلام:

«لا تستحِ من إعطاء القليل؛ فإنّ الحرمان أقلّ منه». (٢)

دلّ على صدر الحديث قوله تعالى: «ولا ينفقون نفقةً صغيرةً ولا كبيرةً ولا يقطعون وادياً إلاّ كُتِب لهم». (٣) والنّبويّ: «كلّ معروف صدقة إلى غنيّ أو فقير، فتصدّقوا ولو بشقّ تمرة؛ فإنّ اللّه يربّيها لصاحبها، كما يُربّي أحدكم فلوه أو فصيله، حتّى يوفّيه إيّاه يوم القيامة، وحتّى يكون أعظم من الجبل العظيم». (٤) والعلويّ: «ما لا يُدرك كلّه لا يُترك

(١) أمثال وحكم-دهخدا: ١٩٩١/٤.

(٢) النّهج: ٢١٢/١٨، الحكمة: ٦٥.

(٣) التّوبة: ١٢١.

(٤) الوسائل: ٢٦٥/٦. الأمثال النّبويّة: ٦٥/٢، رقم المَثَل: ٣٨٦، حرف الكاف مع الميم.

كلّه» و: «المَيْسور لايسقط بالمعسور».(١)

قال الميدانيّ: (مَنْ حَقَر حَرَم): أي من حقر يسيراً مايقدر عليه ولم يقدر على الكثير، ضاعت لديه الحقوق.(٢) يضرب في الحثّ على المعروف، وإن كان يسيراً، إذا رأىَ المرء ماعنده حقيراً استحيا من الإفضال به، فيؤدّي ذلك إلى إطراح الحقوق وحرمان النّاس.(٣) في نبويّ: «لا تردّوا السّائل، ولو بظلفٍ مُحرقٍ».(٤)

أَوْرِق بخيرٍ تُرجّى للنّوال فما ... تُرْجى الثّمار إذا لم يُورق العود
بُثَّ النّوال ولا تمنعك قلّته ... فكلّ ماسدّ فقراً فهو محمود(٥)

وأهل البيت عليهم السّلام هم القُدوة في البذل والعطاء، قد قاسم اللّه الحسن عليه السّلام ماله مرّتين، وفي رواية ثلاث مرّات.(٦) «وَفَد أعرابيّ المدينَة، فسأل عن أكرم النّاس، فدُلّ على الحُسين عليه السّلام. فدخل المسجد فوجده مصلّياً، فوقف بإزائه وأنشأ:

---

(١) القواعد الفقهيّة: ١٢٩/٤. كفاية الأصول: ٧١/٢. عوالي اللّئالي: ٥٨/٤.

(٢) مجمع الأمثال: ٣١٢/٢، حرف الميم.

(٣) المستقصىٰ: ٣٥٥/٢.

(٤) الوسائل: ٢٩١/٦.

(٥) عيون ابن قتيبة: ١٧٨/٣.

(٦) السّفينة: ٢٥٤/١.

لم يخب الآن مَنْ رجاك ومَنْ
حَرَّكَ مِنْ دون بابك الحلقةْ

أنتَ جواد وأنْتَ مُعتَمَد
أبوك قد كان قاتل الفسقةْ

لولا الّذي كان مِنْ أوائلكم
كانت علينا الجحيم منطبقةْ

قال: فسلّم الحُسين، وقال: يا قنبر! هل بقي من مال الحجاز شيءٌ؟ قال: نعم، أربعة آلاف دينار، فقال: هاتها قد جاء مَنْ هو أحقّ بها منّا، ثمّ نزَعَ بُردَيْه، ولفّ الدّنانير فيها، وأخرج يده مِن شقّ الباب حياءً من الأعرابيّ و أنشأ:

خذها فإنّي إليك معتذرٌ
واعلم بأنّي عليك ذوشفقةْ

لوكان في سيرنا الغداة عصاً
أمست سمانا عليك مندفقةْ

لكنّ رَيْبَ الزّمان ذوغِيرٍ
والكفّ منّي قليلة النّفقةْ

قال: فأخذها الأعرابيّ وبكى، فقال له: لعلّكَ استقللتَ ما أعطيناك، قال: لا ولكن كيف يأكل التّراب جودك ؟!»(١)

والإمام الرّضا عليه السّلام عندما سأله السّائل، دخل الحجرة، ثمّ خرج وردّ الباب، وأخرج يده مِنْ أعلى الباب، وقال: «أين

---

(١) البحار: ٤٤/١٩٠. والعصا كناية عن الخلافة.

وقيل: (لَنْ يخب)، وهو الصّحيح ؛ ووجه الصّحة استشهاد النّحويّ به لجزم (لَنْ) لضرورة الشّعر لأنّ (لم) جازم إطلاقاً. ويعلم أنّه ذهب إلى البيت وأعطاه لا في المسجد، بقرينة: «وأخرج يده من شقّ الباب حياء من الأعرابيّ».

الخراسانيّ؟ فقال: ها أنـا ذا، فقال: خذ هذه المائتي دينار.. واخرج فلا أراك ولا تراني، فَسُئِلَ، فقال: مخافة أن أرى ذلّ السّؤال في وجهه لقضائي حاجته...» (١).

١٢٧- لاحانَ حينُكِ

ومن خبر ضِرار بن ضمرة الضّابيّ عند دخوله على معاوية، ومسألته له عن أميرالمؤمنين عليه السّلام، قال: فأَشْهَدُ لقد رأيتُه في مواقفه، وقد أرخى اللّيل سُدوله، وهو قائمٌ في محرابه، قابضٌ على لحيته، يتململ تململ السّليم، ويبكي بكاء الحزين، وهويقول:

«يادنيا، يادنيا! إليك عنّي، أَبِيَ تعرّضتِ، أم إليّ تشوّقتِ؟ لا حان حينُكِ، هيهات، غرّي غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلّقتكِ ثلاثاً لارجعة فيها، فعَيْشكِ قصيرٌ، وخطركِ يسيرٌ، وأمَلُكِ حقيرٌ. آهِ مِنْ قلّة الزّاد، وطول الطّريق، وبُعد السّفر، وعظيم المَوْرد!».(٢)

(لاحان حينُك)

---

(١) الوسائل: ٣١٩/٦.

(٢) النّهج: ٢٢٤/١٨، الحكمة: ٧٥.

ونقله المعتزليّ بلفظ: «قال معاوية لِضرار الضّبابيّ: يا ضِرار! صف لي عليّاً...» شرح النّهج: ٢٢٥/١٨ - ٢٢٦. ولم يتكرّر فيه «يادنيا».

دعاء عليها: أي لا حضر وقتك، كما تقول: لا كنت، (١) وقيل: لا جاء وقت وصولك لقلبي، وتمكّن حبّك منه. (٢) الحين بكسر الحاء: الوقت، و بالفتح: الهلاك. ومنه الحديث: «البغي سائق إلى الحَيْن»: أي أنّ الظّلم يسوق الظّالم إلى الهلاك. (٣)

من الأوّل المَثَل:

* ما أحسن الموت إذا حان الأجل * (٤)

وقالت بُثَيْنَةُ:

وإنّ سلوّي عن جميل لساعةً | من الدّهر ما حانت ولا حان حينُها (٥)

ومن الثّاني المَثَل: (لا يملك الحائن حَيْنه) (٦): أي من قُدّر له الهلاك لا يملك دفعه عن نفسه. ومعنى الأوّل بل الثّاني دعاء على الدّنيا، وقد يكون على النّفس، ومنه ما عن العبّاس بن عليّ عليهما السّلام يوم عاشوراء في حادثة كربلاء المؤلمة للقلوب:

يا نفس من بَعْدِ الحسين هوني | وبعده لا كنتِ أن تكوني

---

(١) شرح النّهج: ١٨/٢٢٤.

(٢) مصادر النّهج: ٤/٥٩، وهامشه.

(٣) مجمع البحرين: في (حين).

(٤) مجمع الأمثال: ٢/٣٢٩، حرف الميم.

(٥) بهج الصّباغة: ١٢/١٣٠.

(٦) مجمع الأمثال: ٢/٢٢٧، حرف اللاّم.

في حديث حسينيّ يقـول «حدّ ثني أميرالمؤمنين عليه السّلام، قال: إنّي كنتُ بِفَدك في بعض حيطانها، وقد صارت لفاطمة (١) عليها السّلام، قال: فإذا أنا بامرأةٍ قد هجمت عليَّ، وفي يدي مسحاة، وأنا أعمل بها... فشبّهتها بِبُثْيْنة بنْت عامر الجمحيّ، وكانت من أجمل نساء قريش، وقالت: يا ابن أبي طالب! إن تزوجني أُغنيك عن هذه المسحاة، وأَدُلّك على خزائن الأرض، ويكون لك المُلك ما بقيتَ. قال لها: فمَن أنتِ؟ قالت: أنا الدّنيا، فقال عليه السّلام: ارجعي فاطلبي زوجاً غيري، فَلسْتِ مِنْ شَأْني، وأقبل على مسحاته، وأنشأ يقول:

لقد خاب من غرّته دنيا دنيّة ... وما هي إن غرّت قروناً بطائل
أَتَتْنا على زيّ العروس بُثَيْنَة ... وزينتها في مثل تلك الشّمائل
فقلت لها غرّي سواي فإنّني ... عزوفٌ عن الدّنيا ولَستُ بجاهل
وما أنا والدّنيا؛ وإنّ محمّداً ... رهينٌ بقَفْرٍ بين تلك الجنادل
وهَبْنا أَتَتْنا بالكنوز ودَرِّها ... وأموالِ قارونَ، وملكِ القبائل
أَلَيس جميعاً للفناء مصيرنا ... ويطلب مِنْ خزّانها بالطّوائل؟»

الأبيات.(٢)

وكيف لايكون كذلك؟! وقد اقتدىٰ بأخيه وابن عمّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم في هَدْيه وهُداه، ونسكه وتقواه، بل هو نفسه.

---

(١) المجالس السّنيّة: ١٣٦/١.

(٢) البحار: ١٩٧/٧٧. ونهج الصّباغة: ١٣٠/١٢، مع اختلاف يسير، منه؛ وإنّ في المصدر الأوّل: «عزيز»، وفي الثّاني: «عروس». والثّاني هو الظّاهر.

١٢٨ ـ لا رأي لِمَن لا يُطاع

من خطبة له عليه السّلام في الجهاد، أوّلها:

«أمّا بعد، فإنّ الجِّهاد بابٌ مِنْ أبواب الجنّة... ... لقد نهضتُ فيها وما بلغتُ العشرين، وها أنا ذا قد ذُرّفتُ على السّتّين، ولكن لا رأي لِمَنْ لايطاع». (١)

أوّل مَنْ قاله عتبة بن ربيعة، حين اجتمعت قريش للمسير إلى بدر، وهو مأخوذ من قول الشّاعر:

أمرتُهم أمري بمنعرج اللّوى ولا أمر للمَعصيّ إلاّ مُضَيّعاً (٢)

والمراد من نفي الرّأي عند عدم الطّاعة: الغرض المترتّب على اتّباعه لانفيه رأساً، وكلمة (لا) النّافية للجنس تقتضي النّفي رأساً، ولكن لأجل القرينة العقليّة أو النّقليّة يصرف ظهورها عن اقتضائها في ذلك، كما

---

(١) النّهج: ٧٥/٢، ط :٢٧.

(٢) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ٢٧٦/٢، حرف اللاّم.

قال الفقهاء في «لاصلاة لِمَنْ جاره المسجد»: أنّ المنفيّ فيها الكمال لا الصّلاة رأساً، حتّىٰ يحكم عليها بالبطلان إذا صلّاها المصلّي في غيرالمسجد.

فكأنّ الّذي لم يتّبع رأيه ولم يطع، فاقدٌ له رأساً، وكان عليه السّلام في طوال خمس وعشرين سنة جليس بيته، لم يطع رأيه، وهو عليه السّلام واجد له بالذّات.

فالمَثَل جاء من باب المبالغة، في عدم تحقّق الأهداف السّامية عند تركهم طاعة الإمام عليه السّلام من أمرهم بجهاد العدوّ الألدّ كمعاوية ابن أبي سفيان، ومَنْ يحذو حذوه.

وفي جميع الأدوار والعصور، لم تحصل للأنبياء عليهم السّلام من أممهم الطّاعة على سبيل العموم، وهكذا، أوصياؤهم عليهم السّلام، و إلاّ لازدَهرَت الأيّام، ولعمّت السّعادة، فقد جرىٰ في هذه الأمّة ماجرىٰ في السّلف القُذّة بالقُذّة، كما جاء الحديث في تفسير قوله تعالى: «لتركبنّ طبقاً عن طبق».(١) (٢)

فلا جرم أنّ صاحب الخلافة الكبرىٰ أميرالمؤمنين عليه السّلام قال هذه المقالة تحسّراً عليهم من قلبٍ ملؤه حبٌّ وحنانٌ، وعن يقين أنّ في الطّاعة نجاتهم، وفي الخلاف هلاكهم، ولا يقول قائلٌ هذا الكلام إلاّ تحسّراً على فوت الهدف الأفضل بالعصيان، وعلماً منه بالعاقبة المحمودة بالطّاعة.

---

(١) الانشقاق: ١٩.

(٢) تفسيرالبرهان: ٤/٤٤٣.

وذكر المَثَل: أي «لا رأي لِمَنْ لايطاع» الميدانيّ، ناسباً له إلى أميرالمؤمنين عليه السّلام معاتباً لأصحابه (١).

١٢٩ـ لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق

قال عليه السّلام:

«لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق». (٢)

ورواه الشّيخ الحرّ من كتاب المعتبر للمحقّق مضمراً، قال: قال عليه السّلام: «لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق». (٣) وقال السّيّد الخطيب: جاءت هذه الحكمة في كتاب أبي الجعد أحمد بن عامر الطّائيّ، ص: ٢٠ بهذه الصّورة: «لادينَ لِمَنْ دان المخلوق في معصية الخالق». وفي كتاب (عيون أخبار الرّضا) ج: ٢، ص: ٤٣، وفي (صحيفة الرّضا) ص: ٣٤ بسندين إلى أميرالمؤمنين عليه السّلام. (٤)

وفي الحديث: «لا طاعة في معصية اللّه»، قال الطّريحيّ: يريد: أنّ

---

(١) مجمع الأمثال: ٢/٢٤١، حرف اللاّم، ونظيره قولهم: (لا أمْر لمَعْصيٍّ). مجمع الأمثال: ٢/٢١٥، حرف اللاّم.

(٢) النّهج: ١٨/٣٨٩.

(٣) الوسائل: ٨/١١١، ح: ٧.

(٤) مصادر النّهج: ٤/١٤٠ ـ ١٤١.

الطّاعة لا تسلم لصاحبها، ولا تخلص إذا كانت مشوبةً بمعصيةٍ، وإنّما تصحّ مع اجتنابها، ومثله: «لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق» كمالو أمر بقتل وقطع ونحوه غير مشروع.

و في الحديث: «مَنْ أطاع رجلاً في معصية فقد عبده»، قال بعض العارفين: لعلّك تظّن أنّ ما تضمّنه مِن أَنَّ الطّاعة عبادةٌ لأهل المعاصي، على ضرب من التّجوّز لا الحقيقة، وليس كذلك، بل هو حقيقة، فإنّ العبادة ليست إلا الخضوع والتّذلّل والطّاعة والانقياد، ولهذا جعل سبحانه اتّباع الهوى والانقياد إليه عبادة للهوى، قال: «أفرءَيت مَن اتّخذ إلٰههُ هَوىٰهُ». (١) وجعل طاعة الشّيطان عبادة له، فقال: «ألم أعهد إليكم يٰبنى ءَادمَ أن لاّ تعبدوا الشّيطٰن». (٢) (٣)

قال ابن الأثير بعد قوله عليه السّلام: «لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق»: يريد: طاعة ولاة الأمر إذا أمروا بما فيه معصية، كالقتل والقطع ونحوه. (٤) وجعله أشبه من معنًى ذكره الطّريحيّ آنفاً.

ثمّ هذاالمَثَل العلويّ يضرب لردع المذنب عن ذنبه. وقد تمثّل به الإمام السّجّاد عليه السّلام في مجلس يزيد لعنه اللّه، مع تبديل في اللّفظ، حيث دعا يزيد الخاطب وأمره أن يصعد المنبر، فيذمّ الحسين و أباه،

---

(١) الجاثية: ٢٣.

(٢) يسٓ: ٦٠.

(٣) مجمع البحرين: في (طوع).

(٤) النّهاية: في (طوع).

صلوات اللّه عليهما، والمدح لمعاوية ويزيد، فصعد وبالغ، فصاح به عليّ بن الحسين عليه السّلام: «ويلك أيها الخاطب! آشتَرَيْتَ مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوّأ مقعدك من النّار».

ولقد أحسن ابن سنان الخفاجيّ في وصف أميرالمؤمنين عليه السّلام بقوله:

أَعَلَى المَنابر تُعْلِنُونَ بِسبّهِ   وَبسَيْفِهِ نُصِبَتْ لَكُمْ أَعْوادُها.(١)

ولا يخفى أنّ قوله تعالى: «وإن جاهداك لتشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما».(٢) وإن كان موردَه الأبوان، إلاّ أنّه يعتبر من المَثَل، كما أنّ الإشراك به تعالى كذلك، فلا يخصّ المنع الوالدين، كما لايقصر على معصيةٍ بخصوصها.

١٣٠- لايُرى الجاهل إلاّ مُفرِطاً أو مُفرَّطاً

قال عليه السّلام:

«لايُرى الجاهل إلاّ مُفرِطاً أو مُفرَّطاً».(٣) وبلفظ: «الجاهل لا يلقى

---

(١) البحار: ٤٥/١٣٧، باب: ٣٩، الوقائع المتأخرة عن قتله عليه السّلام.

(٢) العنكبوت: ٨.

ولا يخفى أنّ المَثَل: «لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق» ذكره الشّيخ الحرّ في الوسائل: ١٨/٩٣، ح :١٧.

(٣) النّهج: ١٨/٢١٦، الحكمة: ٦٨.

أبداً إلاّ مُفرِطاً أومُفرّطاً». (١)

: أي يُسيء عمداً، ويُحسن غلطاً. (٢) وهو بالتّخفيف: المُسرف في العمل، وبالتّشديد: المقصّر فيه. (٣)

ومن قوله تعالى: «أنّ لهم النّار وأنّهم مفرطون». (٤) و «ما فرّطتم في يُوسُفَ». (٥) مع قوله عزّ وجلّ: «ما فعلتم بيُوسُفَ وأخيه إذ أنتم جٰهلون». (٦) يُعلم أنّ الجاهل في النّار، والتّفريط من صفته. كما يفهم من قوله تعالى: «ولا تطعِ مَنْ أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتّبع هوٰه وكان أمره فُرُطاً». (٧) أنّه لا ينفكّ من الإفراط والتّفريط الغافل المتّبع للهوى، وهو الجاهل الأحمق.

وللعرب أمثالٌ سائرةٌ في الجهل والحمق:

(الجهل موت الأحياء). (المشقّة كلّها في تأديب الجهّال). (الجهل في القلب، كالأُكلة في الجسد). (لا مصيبة أعظم من الجهل). (خرّب أرضاً جاهلها). (مَنْ جهل قدر نفسه، كان بقدر غيره أجهل). (لا صاحب أخذل من الجهل). (بئس شعار المرء جهله). (نعمة الجاهل كروضةٍ على مزبلة). (كلّما حسنت نعمة الجاهل ازداد فيها قبحاً). (لسان الجاهل مفتاح حتفه). (الحمق داء لادواء له). (النّظر إلى

---

(١) مصادر النّهج: ٥٦/٤.

(٢) المصدر.

(٣) نهاية ابن الأثير: ٤٣٥/٣، في (فرط).

(٤) النّحل: ٦٢.

(٥) يوسف: ٨٠.

(٦) يوسف: ٨٩.

(٧) الكهف: ٢٨.

الأحمق سخنة عين). (أحمق النّاس مَن اتّبع هواه، و تمنّى على الله الأمانيّ).(١)

والعلويّ: «الجهل مَضَلّة». «الجهل وبال». «الجهل داء عياء». «الجاهل من انْخَدَعتْهُ المطالب». «الجهل أصل كلّ شرّ». «الجاهل مَن انخدع لهواه». «الجاهل مَن استغشّ النّصيح». «الحمق مِنْ ثمار الجهل». «الحمق أضرّ الأصحاب».(٢)

وفي أحاديث أهل البيت عليهم السّلام مقابلة بين العقل وجنوده، والجهل وجنوده. و المحدّثونَ منّا ساروا على هذا الضّوء في مجامع الحديث كالشّيخ الكلينيّ والمجلسيّ(٣) وغيرهما.

ويدلّ على ذلك السّؤال من أميرالمؤمنين عليه السّلام عن صفة العاقل والجاهل: «قيل له عليه السّلام: صف لنا العاقل. فقال: هوالذّي يضع الشّيء مواضعه. فقيل: فصف لنا الجاهل. قال: قدقلتُ».(٤)

وعليه فمَنْ لم يكن عاقلاً بالمعنى المذكور فهو جاهل، وإن كان مِن العلماء. والسّرّ فيه أن العلم مقدّمة للعمل والسّلوك إلى الحقّ، وهو نورٌ في الدّرب الموصل إلى مادعا إليه العقل، وهي المعرفة المثمرة، لا الصّورة

---

(١) التّمثيل والمحاضرة: ٤٣٨ - ٤٣٩.

(٢) غررالحكم: ١٤ - ٣٣.

(٣) أصول الكافي: ١/١٠. البحار: ١/٨١.

(٤) النّهج: ١٩/٦٦، الحكمة: ٢٣٢.

الحاصلة عن الشّيء، وإن لم يكن تطبيق عمليّ فيه. والجهل ضلال يُفضي بصاحبه إلى الهلاك ، والعقل عقال يمنع صاحبه عن أيّ انحراف، ويدعوه إلى الاعتدال المتوسّط أبداً.

فمثلاً: الشّجاعة محفوفة بالتّهوّر والجبن، والذّكاء بالغباوة والجربزة، والجود بالشّحّ والتّبذير، والحلم بالجماديّة والاستشاطة. وعلى كلّ ضّدين من الأخلاق بينهما خُلُق متوّسط، وهو المسمّى بالعدالة، كما ذكره الشّارح، (١)وعلماء الأخلاق في كتبهم الأخلاقيّة. فبقدر تخلّف الإنسان عمّا أمر به العقل السّليم الّذي يحكم به الشّرع دخل في الإفراط والتّفريط، وصاحبه جاهل وإن عُدّ مِنَ العقلاء.

١٣١ـ لايقاس بآل محمّد من هذه الأمّة أحد

من خطبة مطوّلة له عليه السّلام:

«لا يقاس بآل محمّد من هذه الأُمّة أحد، ولايسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً...». (٢)

القياس: تمثيل شيءٍ بشيءٍ في قدرٍ مشتركٍ بينهما، وتنظيره به في

---

(١) شرح النّهج لابن أبي الحديد: ٢١٦/١٨.

(٢) النّهج: ١٣١/١، الخطبة:٢.

في كون الكلمة مَثَلاً غموض إلاّ أنّ القياس هو المَثَل وإن لم يسمّ به.

ذلك، ولابدّ أن يكون بينهما مساواة، وإلاّ لكان القياس باطلاً. وعليه فكيف يقاس بآل محمّد؟ وهم: فاطمة، وأميرالمؤمنين، وأولادهما الأئمّة المعصومون الأحد عشر. أوّلهم الحسن وآخرهم الحجّة بن الحسن عليهم السّلام، أحدٌ من هذه الأمّة، أو سائرالأمم. وبيُمْنِهم رُزِقَ الورىٰ، وبهم ثبَتَت الأَرض والسّماء، ولايقاس بالمُنعِم المُنعَم عليهم؛ إنّ النّبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الغاية من خلق الخلق، وجاء فيه: «لولاك لما خلقت الأفلاك».(١)

وآل محمّد في العلم والطّاعة كمحمّد، كما جاء في دعاء فجر يوم الجمعة: «آمنت بسرّ آل محمّد عليهم السّلام وعلانيتهم، وظاهرهم وباطنهم، وأشهد أنهم في علم الله وطاعته كمحمّد صلّى الله عليه وآله ـ وسلّم ـ». (٢)وهم أسماء الله الحسنىٰ والأمثال العُليا؛ وآية «وله المَثَل الأعلىٰ في السّمٰوٰت و الأرض وهو العزيز الحكيم»(٣) مفسّرة بهم. ففي نبويّ مخاطباً لعليّ عليه السّلام: «وأَنْتَ المَثَل الأعلىٰ».(٤) وفي الزّيارة الجواديّة: «السّلام على أئمّة الهدى ـ إلى قوله:ـ وورثة الأنبياء والمَثَل الأعلىٰ».(٥)

وقد صحّ عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لَتَنْتَهُنَّ يا بني وليعة، أو

---

(١) حديث قدسيّ مشهور.

(٢) مفاتيح الجنان: ٣٤.

(٣) الرّوم: ٢٧.

(٤) تفسير الصّافي: ٢/٢٩٩.

(٥) المصدر.

لأبْعثَنَّ رجلاً كنفسي...».(١) و«فاطمة روحي الّتي بين جنبيّ».(٢)وقول أميرالمؤمنين لابنه الحسن عليهما السّلام: «يا بنيّ! وجدتُك بعضي، بل وجدتُك كلّي».(٣) وعنه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: «حسين منّي، وأنا من حسين».(٤) والوحدة الكائنة بين أوّلهم وآخرهم، كماجاء: «أوّلنا محمّد، وأوسطنا محمّد، وآخرنا محمّد ـصلّى اللّه عليهم وسلّمـ».(٥)

وكما أن النّبيّ يضرب به المَثَل في المكارم والفضائل والخصال الرّفيعة، كذلك أهل بيته المعصومون هم المُثُل، وتضرب بهم الأمثال في المكارم كلّها، لايسبقهم سابق سوى الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، ولايلحق بهم لاحق، فلايقاس بهم أحد.

لمّا أتى بلال من الحبشة أنشد النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم:

أَرَ بَرَه كنگره   كراكرا مَنْدَره

فقال صلّى اللّه عليه وآله وسلّم لحسّان: اجعل معناه عربيّاً، فقال:

---

(١) أمالي الطوسيّ: ١١٨/٢. الأمثال النّبويّة: ١٢٦/٢، رقم المَثَل:٤٤٠، حرف اللاّم مع التّاء.

(٢) البحار: ٥٤/٤٣.

(٣) النّهج: ٥٧/١٦.

(٤) مصابيح الأنوار: ٣٩٩/٢.

(٥) المصدر.

إذ المكارم في آفاقنا ذُكِرَتْ فإنّما بك فينا يُضْرَبُ المَثَلَ(١)

وهم كذلك، بلى و الله هم المحسودون، ففي نبويّ: «وإذا ذكر آل محمّد فكأنّما يُفقأ في وجوهكم حبّ الرّمّان...».(٢)

«قال جابر: قلت لرسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ: ماتقول في عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ؟ فقال: ذاك نفسي، وفي الحسن و الحسين قال: هما روحي» الحديث (٣).

١٣٢ـ لا يهلك على التّقوىٰ سنخ أصل

من خطبة له عليه السّلام لمّا بويع بالمدينة، وهي مطوّلة، موزّعة على عدّة أمثالٍ، منها:

«لا يهلك على التّقوىٰ سنخ أصل، ولا يظمأ عليها زرع قوم».(٤)

السّنخ والأصل بمعنىً، ومن قبيل إضافة سعيد كرز. قال ابن الأثير: وفي حديث عليّ ـ عليه السّلام ـ: «ولا يظمأ على التّقوىٰ سنخ

---

(١) السّفينة: في (بلل).

(٢) أمالي الطّوسيّ: ٣١٤/١. الأمثال النّبويّة: ٣١/٢، رقم المَثَل: ٣٥٨، حرف الكاف مع الهمزة.

(٣) السّفينة: ٣٠٦/١، في (حمد).

(٤) النّهج: ٢٧٣/١، الخطبة: ١٦.

أصل». السّنخ والأصل واحد، فلمّا اختلف اللّفظان أضاف أحدهما إلى الآخر.(١) وقد تقدّم لفظ النّهج المتغاير مع قوله.

قال المعتزليّ: قوله: «سنخ أصل» كقوله:

* إذا حاص عَينَيْه كرى النّوم... *.(٢)

وقال المعلّق:

إذا خاط عَيْنَيْه كرى النّوم لم يزل   له كالِيءٌ من قلب شَيْحانَ فاتِكِ (٣)

يريد عليه السّلام: مَنْ كان قد بَنىٰ أَمْرَه على أصل التّقوى لا يهدم بناؤه، ولا يهلك صاحبه. ويقابله الّذي يبني أمره على الفجور المُفضي به إلى النّار، وإليهما تنظر الآية: «أَفَمَنْ أسّس بنيٰنه على تقوى مِنْ اللّه ورضوانٍ خيرٌ أم مَنْ أسّس بنيٰنه على شفا جُرفٍ هارٍ فانهار به في نار جهنّم».(٤)

ومنه يظهر معنى الفقرة الثّانية: «ولا يظمأ عليها زرع قوم» إذ التّقوىٰ تمنع من ظمائه، وهو مَثَلٌ لإرغاد العيش مع التّقوى، والبوار مع الفجور، والتّمرّد على اللّه تعالى، وشرائعه السّماويّة، وأنبيائه المرسلين، وأوصيائهم عليهم السّلام الّذين هو عليه السّلام أحدهم.

فيقصد بكلامه هذا إرشاد أصحابه وتحذيرهم أن يحيدوا عن التّقوى، وعن طاعة سيّدهم، ويالَيْتَهم دَرَوْا مَنْ هو؟!

وعرفوا مقامهم السّامي الّذي لا يرقىٰ إليه الطّير في علوّ قدره،

---

(١) النّهاية: في (سنخ).

(٢) شرح النّهج: ١/٢٧٤.

(٣) هامش المصدر.

(٤) التوبة: ١٠٩.

وينحدر عنه السّبيل، وكيف وأنّى لهم الوصول إلىٰ منبع علمه الزّخّار المنحدر كالسّيل. ولئن أمرهم بتقوى اللّه، فهو إمام المتّقين، وليث الموحّدين ، وسيّد الزّاهدين.

دخل عديّ بن حاتم على معاوية، فقال: يا عديّ! أين الطّرَفات؟ يعني: بنيه طريفاً وطارفاً وطُرفةً. قال: قُتلوا يوم صفّين بين يدي عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، فقال: ما أنصفك ابن أبي طالب، إذ قدّم بنيك وأخّر بنيه. قال: بل ما انصفتُ أنا عليّاً، إذ قُتل وبَقيتُ قال صِفْ لي عليّاً، فقال: إن رأيْتَ أنْ تعفني، قال: لا أعفيك،

قال: كان واللّه بعيد المدىٰ، شديد القوىٰ، يقول عدلاً، ويحكم فصلاً، تنفجر الحكمة مِن جوانبه، والعلم مِن نواحيه، يستوحش من الدّنيا وزهرتها، ويستأنس باللّيل ووحشته، وكان واللّه غزير الدّمعة، طويل الفكر، يحاسب نفسه إذا خلا، ويقلّب كفّيه على ما مضىٰ، يعجبه من اللّباس القصير، ومِن المعاش الخشن، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويُدْنينا إذا أتيناه، ونحن مع تقريبه لنا وقربه منّا لا نكلّمه هيبته، ولا نرفع أَعْيُنَنا إليه لعظمته، فإن تبسّم فعن اللّؤلؤ المنظوم، يعظّم أهل الدّين، يتحبّب إلى المساكين. ـ إلى أن قال معاوية ـ: كيف صبرك عنه؟ قال: كصَبْر مَنْ ذُبح ولدُها في حِجْرها، فهي لا ترقىٰ دمعها ولا تسكن عبرتها (١).

---

(١) السّفينة: ٢/١٧٠، في (عدا).

١٣٣ـ لبّث قليلاً يلحق الهيجا حَمَل

تمثّل عليه السّلام بالرّجز لكلامٍ له في جواب معاوية من فقرة:

«وَذكرتَ أنّه ليس لي ولأصحابي عندك إلاّ السّيف، فلقد أضحكت بعد استعبارٍ! متىٰ ألفيت بني عبدالمطلب عن الأعداء ناكلين، وبالسّيف مُخوَّفين؟!

فـ * لَبِّث قليلاً يلحق الهَيجا حَمَل *». (١)

والرّجز لحمل بن بدر القشيريّ صاحب الغبراء ـ أغير على إبله في الجاهليّة فاستنقذها، وقال:

لَبِّث قليلاً يلحق الهيجا حَمَل لابأس بالموت إذا الموت نزل(٢)

وفي لفظ:

* ما أحسن الموت إذا حان الأَجَل *

---

(١) النهج: ١٥/١٨٤، ك: ٢٨.

(٢) رسالة الإسلام: عدد: ٧ ـ ٨، ص: ١٢٦.

قالوا في (حَمَل): هو اسم رجل شجاع، كان يستظهر به في الحرب، ولا يبعد أن يراد به: حَمَل بن بدر، صاحب الغبراء، يضرب به من ناصره وراءه.(١) وعدّه العسكريّ من المَثَل السّائر بلفظ:

* لبّث رويداً يلحق الهيجا حَمَل * (٢)

لم يرتب إثنان من البشر في شجاعة أميرالمؤمنين عليه السّلام، تشهد لها حروبه ومواقفه الجبّارة في حياة الرّسول الأعظم صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وبعد مماته، وكيف لا؟! وهو معلّم الشّجعان فنون الحرب.

ومعاوية يقول هٰذه المقالة، وهو يعلم أن لا مقاومة له، ولا لجنوده وعشيرته المقتولين بيد الإمام عليه السّلام، بل ولا العرب كلّها عند ضربة عليّ عليه السّلام، وهو القائل: «واللّه لو تظاهَرَت العرب علىٰ قتالي لما ولّيتُ عنها، ولو أمْكَنَت الفُرَصُ من رقابها لسارعت إليها...» (٣) وإنّما قالها لتخدير أفكار أصحابه المغفّلين.

بل معاوية يدري أنّ صاحب أميرالمؤمنين عليه السّلام مالك الأشتر مُبيدٌ له، وما يمتلك من حثالة أهل الشّام، وكان الأمر كذلك لولا حادثة التّحكيم من جهلة الأصحاب من زهاء عشرين ألف نهروانيّ.

وقد شابَهَتْ محنته عليه السّلام محنة هارون حيث طلب أصحاب موسى عليه السّلام منه أن يجعل العجل لهم إلٰهاً كما لهم آلهة.

---

(١) المستقصى: ٢/٢٧٨.

(٢) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ٢/١٧٧. ـ وقال ـ: أي انتظر حتّى يتلاحق الشّبان. والهيجا، يقصر ويمدّ، وحَمَل: اسم رجل. (٣) النّهج: ١٦/٢٨٩.

١٣٤- لُبس الإسلام لُبس الفَرْو مقلوباً

في خطبة له عليه السّلام أوصاف أهل الأزمنة المتأخّرة عنه منها:

«فعند ذلك أخذ الباطل مآخذه، وركب الجهل مراكبه، وعظمت الطّاغية، وقلّت الدّاعية، وصال الدّهر صيال السّبع العقور، وهدر فنيق الباطل بعد كُظُوم، وتواخى النّاس على الفجور، وتهاجروا على الدّين، وتحابّوا على الكذب، وتباغضوا على الصّدق، فإذا كان ذلك كان الولد غيظاً والمطر قيظاً، وتفيض اللّئام فيضاً، وتغيض الكرام غيضاً، وكان أهل ذلك الزّمان ذئاباً، وسلاطينه سباعاً، وأَوْساطُه أُكّالاً، وفقراؤه أمواتاً، وغار الصّدق، وفاض الكذب، واستُعملت المودّة باللّسان، وتشاجر النّاس بالقلوب، وصار الفسوق نسباً، والعفاف عجباً، ولُبس الإسلام لُبس الفَرو مقلوباً». (١)

اشتملت الخطبة المباركة على عدّة تمثيلات وأمثال: «رَكب الجهل

---

(١) النّهج: ٧/١٩١، الخطبة: ١٠٧.

مراكبه».(١) و«صال الدّهر صيال السّبع العقور».(٢) و«هَدَر فنيق الباطل».(٣) و«أ هْل ذلك الزّمان ذئاب». (٤) وغيرها من تمثيلات صادقة، وفيها من الأخبار الغيبيّة المحقّقة، وهي مطوّلة، أخذنا منها مايربط المَثَل المبحوث المصدّر به، وعلى الباحث النّظر إلى البقيّة، حتّىٰ يتجلّىٰ الغرض بوضوح.

قال المعتزليّ: الطّاغية: الطّغيان، كقوله تعالى: «ليس لوقعتها كٰذبة».(٥): أي تكذيب، والتّواخي على الفجور، والتّهاجر على الدّين، معناه: صاحب الدّين مهجور، وصاحب الفجور جارٍ عندهم مجرىَ الأخ في الحنوّ عليه والحبّ له. و«كان الولد غيظاً»:

أي لكثرة عقوق الأبناء للآباء.«وصار المطر قيضاً» يقال: إنّه من علامات السّاعة وأشراطها.(٦)

واطلب بقيّة معاني الخطبة من مظانّها، والعمدة بيان المَثَل الجاري: «لُبس الإسلام لبس الفَرْومقلوباً».

قال الشّارح المعتزليّ: وللعرب عادة بذلك، وهي: أن تجعل الخَمْل إلى الجسد وتُظهر الجلد، والمراد: معاكسة الأحكام الإ سلاميّة في ذلك الزّمان.(٧)

قال ابن الأثير في حديث عليّ -عليه السّلام-: «اللّهمّ إنّي قد

---

(١) حرف الرّاء مع الكاف.

(٢) حرف الصّاد مع الألف.

(٣) حرف الهاء مع الدّال.

(٤) حرف الهمزة مع الهاء.

(٥) الواقعة: ٢.

(٦) شرح النّهج: ١٩٣/٧.

(٧) المصدر.

مللتُهم وملّوني، وسئمتُهم وسئموني، فسلّط عليهم فتى ثقيف، الذّيال المنّان، يَلبس فَرْوَتها، ويأكل خَضِرَتها»: أي يتمتّع بنعمتها، لُبْساً، وأكْلاً.

وقال الزّمخشريّ: معناه: يلبس الدَّفِئَ اللّيّن من ثيابها، ويأكل الطّريّ النّاعم من طعامها، فضرب الفروة والخضرة لذلك مَثَلاً، والضّمير للدّنيا، وأراد بالفتى الثّقفيّ: الحجّاج بن يوسف، قيل: إنّه وُلد في السّنة الّتي دعافيها عليّ -عليه السّلام- بهذه الدّعوة(١)

والفرو والفري بمعنى: القطع؛ قال ابن فارس: وأفريته، إذا أنت قطعته، ومن الباب الفروة الّتي تُلْبس، وقال قوم: إنّما سمّيت فروة من قياس آخر، وهو التّغطية؛ لذلك سمّيت فروة الرّأس، وهي: جلدته؛ ومنه الفروة وهي: الغنى والثّروة، والفروة: كلّ نبات مجتمع إذا يبس.

وفي الحديث: «إنّ الخِضر جَلَس على فروةٍ مِن الأرض فاخضرّت»؛ فإن صحّ هذا، فالباب على قياسين: أحدهما القطع، والآخر التّغطية و السّتر بشيء ثخين.(٢)

إذا خرج المهديّ عجلّ الله تعالى فرجه الشّريف، كما في الصّادقيّ: «... جاء بأمر غير الّذي كان...». (٣)،وفي الآخر: «إذا خرج القائم -عليه السّلام- جاء بأمرٍ جديدٍ، كما دعا رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلّم- في بدء الإسلام إلى أمرٍ جديد» (٤).

---

(١) النّهاية: في (فرو). (٢) معجم مقاييس اللّغة: ٤/٤٩٧ - ٤٩٨، في (فرى).
(٣) إثبات الهداة: ٣/٤٤٨. (٤) إثبات الهداة: ٣/٥٥٥.

١٣٥ ـ لَبْس الشّبهات في مثل نسج العنكبوت

من تمثيلات الإمام أميرالمؤمنين عليه السّلام، في كلام له يصف من ليس له أهليّة القضاء بين النّاس:

«فإن نزلت به إحدى المُبهمات، هيّأها حشواً رثّاً من رأيه، ثمّ قَطَعَ به، فهو من لَبْس الشّبهات في مِثْل نسج العنكبوت، لايدري أصاب أم أخطأ، فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، وإن أخطأرجا أن يكون قد أصاب». (١)

وزّعنا كلامه عليه السّلام الّذي تقدّم بعضه على عدّة تمثيلات لفاقد أهليّة القضاء، وهي:

«ارتوى مِنْ آجن». (٢) و «خبّاط جهالات». (٣) و «لم يعضّ بضرس قاطع» (٤) وغيرها.

اللّبْس بالفتح من باب (ضرب): الخلط، ومنه «ولا تَلبِسوا الحقّ بالبٰطل». (٥): أي لا تخلطوه به. واللّبْس بالضّم من باب (تعب)،

---

(١) النّهج: ١/٢٨٣، كلام ١٧.

(٢) حرف الهمزة مع الرّاء.

(٣) حرف الخاء مع الباء.

(٤) حرف اللاّم مع الميم.

(٥) البقرة: ٤٢.

مصدر قولك: لبست الثّوب.

والشّبهات جمع الشّبهة. قال عليه السّلام:

«وإنّما سمّيت الشّبهة شبهة؛ لأنّها تشبه الحقّ، فأمّا أولياء اللّه فضياؤهم فيها اليقين، و دليلهم سمت الهُدىٰ، وأمّا أعداء اللّه فدعاؤهم فيها الضّلال، ودليلهم العمىٰ». (١)

وهذا هو محض ما يقوله المتكلّمون؛ ولهذا يسمّون ما يحتجّ به أهل الحقّ دليلاً، ويسمّون ما يحتجّ به أهل الباطل شبهةً. (٢)

نسج العنكبوت من باب (ضرب و نصر): حياكته المتكوّنة من لعابه. ونسج العنكبوت مَثَلٌ يضرب في كلّ واهٍ وضعيفٍ، فيقال: (أَوْهىٰ مِنْ نسج العنكبوت). (٣) و (أَوْهنُ مِنْ بيتَ العنكبوت): كلّ شيء يخرقه حتّىٰ مُرور النّفَس. (٤) ومنه قوله تعالى: «مَثَل الّذين اتّخذوا مِنْ دون اللّه أولياء كَمَثَلِ العنكبوتِ اتّخذت بيتاً وإنّ أَوْهَنَ البُيُوت لبيتُ العنكبوتِ لوكانوا يعلمون». (٥)

وكلام الإمام عليه السّلام راح يجسّد الأوهام الباطلة، وماهيّأه فاقد الأهليّة للقضاء، منها بِرَثّ رأيه، ومِنْ حشو الزّوائد والتّـافهـات، بضرب المَثَل بنسج العنكبوت في الوهي والوهن وعدم الحقيقة وخلط الحقّ

---

(١) النّهج: ٢/٢٩٨، الخطبة:٣٨.

(٢) شرح النّهج: ٢/٢٩٨.

(٣) مجمع البحرين: في (نسج).

(٤) مجمع الأمثال:٢/٣٨٢، حرف الواو. المستقصىٰ: ١/٤٤١.

(٥) العنكبوت: ٤١.

بالباطل، عندما يقضي لرفع الخصومات، فيحكم وهو لايدري أبحقٍّ حَكَمَ أَمْ بباطلٍ، بخطأٍ أم بصوابٍ، وهذا النّوع من القضاة في النّار، على ما في النّصوص ، منها الصّادقيّ:

«القضاة أربعة، ثلاثة في النّار، وواحد في الجنّة: رجلٌ قضى بجورٍ، وهو يعلم، فهو في النّار. ورجلٌ قَضى بجورٍ، وهو لا يعلم، فهو في النّار. ورجلٌ قضى بالحقّ، وهو لايعلم، فهو في النّار. ورجلٌ قضى بالحقّ، وهو يعلم، فهو في الجنّة».(١) فانظر من أيّ الرّجال أنت أيّها القاضي.

١٣٦ ـ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً ولَـتُغرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً

مَثَلٌ سائر على الألسن في خطبة الإمام عليه‌السّلام لمّا بُويع بالمدينة:

«... ألا وإنّ بليّتكم قد عادَتْ كهيئتها يوم بَعَثَ اللّه نبيّه، والّذي بعثه بالحقّ، لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلةً، ولَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً.. ...».(٢)

البليّة والبلوى والبلاء واحد والجمع البلايا.(٣) ولها معنيان: أحدهما: إخلاق الشّيء. والثّاني: نوعٌ من الاختبار، ويحمل عليه

---

(١) وسائل الشّيعة: ١١/١٨.

(٢) النّهج: ٢٧٢/١، الخطبة:١٦.

(٣) مجمع البحرين: في (بلا).

الإخبار أيضاً. قال الخليل: بَلي يَبْلي فهوبـالٍ والبِلى مصدره، وإذا فتح فهو البلاء. وقال قوم: هو لغة، وأنشد:

والمـرء يُبـلـيـه بـلاء السِّربـال مرّ اللّـيـالي واختـلاف الأحوال

والبليّة: الدّابّة الّتي كانت في الجاهليّة تشدّ عند قبر صاحبها، وتشدّ على رأسها وليّةٌ، فلا تعلف ولا تسقىٰ حتّىٰ تموت. قال أبوزيد:

كـالـبـلايـا رؤوسـهـا في الـولايا ما نِعات السّموم حرَّ الخدود (١)

الابتلاء والاختبار والامتحان وكذلك الإبلاء يكون في الشّرّ والخير، ومنه قوله تعالى: «ونبلوكم بالشّرّ والخير فتنة». (٢)

البلبلة: شدّة الهمّ والحزن والوسواس، ومنه بلبلة الصّدر: وسوسته وكذلك البلابل: أي الهموم والأحزان. والتّغربل من الغربال، ومنه الحديث: «لابدّ للنّاس أن يُمحَّصوا ويُغربلوا» قيل: يجوز أن يكون ذلك من الغربال: الّذي يغربل به الدّقيق، ويجوز أن يكون من غربلت اللّحم إذا قطعته، وكأنّه يريد بذلك الامتحان والاختبار، والحديث الآخر: «كيف بكم إذا كنتم في زمانٍ يُغربل فيه النّاس غربلةً»؟: أي يذهب

---

(١) معجم مقاييس اللّغة: في (بلوىٰ).

(٢) الأنبياء: ٣٥.

خيارهم و يبقىٰ أراذلهم. والمُغَرْبل: المُنتقىٰ. كأنّه نُـقّي بالغربال.(١)

يريد الإمام عليه السّلام بعَوْدِ بليّة الأمّة كيوم البعثة النّبويّة عند تسلّمه الخلافة: أنّ موقفهم إيّاه موقف فجر الدّعوة من الإيمان والكفر، إذ هو نفس النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم دون الخلفاء الثّلاثة المتقدّمة، فإنّ الموقف يختلف معهم. وفي الكلام إشارة إلى أنّ دعوته كدعوة النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، أمّا دعوة غيره من الخلفاء فليست كذلك.

ويريد بالتّبلبل والتّغربل في خلافته عليه السّلام: أنّهم كانوا تحت ستارٍ غير مكشوف عَنْ المطيع والعاصي، أو المؤمن والكافر، وهو عليه السّلام ميزان الأعمال، كما في المأثور (٢).

١٣٧ ـ لَتُساطُنَّ سَوطَ القِدْر

كلمة تمثيليّة في خطبة له عليه السّلام. لمّا بويع بالمدينة، أوّلها:

«ذمّتي بما أقول رهينة، وأنا به زعيم، إنّ مَنْ صَرَّحت له العِبَر عمّا بين يديه من المَثُلات، حَجَزَتْه التّقوىٰ عن تقحّم الشّبهات، ألا و إنّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بَعَثَ اللّه نبيّه؛ والّذي بعثه بالحقّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبلةً، ولَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً، ولَتُساطُنَّ سَوْطَ القِدْر، حتّىٰ يعود أسفلكم أعلاكم،

---

(١) التّهاية: في (بلبل، وغربل) ومجمع البحرين: في (بلبل، وغربل).

(٢) في زيارة الحرم العلويّ الرّابعة، المفاتيح: ص: ٣٥٣.

وأعلاكم أسفلكم ... ...». (١)

(السَّوْط) السّين والواو والطّاء فيه أصل يدلّ على مخالطة الشّيء بالشّيء، يقال: (سطتّ الشّيء): خلطتّ بعضه ببعض، سوّط فلان أمره تسويطاً، إذا خلطه. قال الشّاعر:

فَسُطْـهـا ذميم الـرّأي غـيـرَ مـوفّق　　　فلستَ على تسويطـهـا بمـعان (٢)

والسّوط مايضرب به من جلدٍ مضفورٍ، سمّي بذلك؛ لأنّه يخلط الدّم باللّحم. قال الطّريحيّ: ساط القِدر بالمِسوَط، والمِسوط: خشبة يُحرّك بها ما فيها ليختلط، ومنه حديث عليّ عليه السّلام: «لتُساطُنّ سوط القِدْر». قال بعض شرّاح الحديث: «لتُشاطُنّ» بالشّين المعجمة، بمعنى: غليان القِدْر أظهر.(٣)

أقول: بل لعلّ السّين أظهر، وأقرب إلى الغرض من التّمثيل؛ لأنّ المراد به: السّلطة الأمَويّة والجبابرة التّي تَقرع رؤوسهم بالسّوط الخالط لحومهم بدمائهم، لا غليانهم المعبّر عنه بالشّوط، وإن كان صيرورة ما في القِدْر أعلاه أسفله، وأسفله أعلاه، تارةً بالغليان الحاصل من اشتداد

---

(١) النّهج: ٢٧٢/١، الخطبة: ١٦.

(٢) معجم مقاييس اللّغة: في (سوط).

(٣) مجمع البحرين: في (سوط).

حرارة النّار وأُخرىٰ بِمِسْوَط يسوطه، فيصير كذلك. على أنّ السّين رواه الكثير من الشّيعة والسّنّة.

قال ابن الأثير في (سوط): ومنه حديث عليّ رضي اللّه عنه ـعليه السّلام ـ «لتُساطُنّ سوط القِدْر»، وحديثه مع فاطمة ـعليها السّلام ـ

* مسوط لحمها بدمي ولحمي *

: أي مَمْزوج ومَخْلوط، ومنه قصيد (١) كعب بن زهير:

لكنّـها خلّـة قـد سيط من دمـها فَـجْـعٌ ووَلْـعٌ وإخـلافٌ وتـبـديل

: أي كأنّ هذه الأخلاق قد خلطت بدمها. (٢) ثمّ صيرورة أعلا الشّيء أسفله، وأسفله أعلاه أعمّ من ذلك، ومن الانهدام، كما في قصّة قوم لوط، قال تعالى: «فجعلنا عَليَها سافلها». (٣)

يريد أميرالمؤمنين عليه السّلام: الإخبار بما يلحق القوم جرّاء عصيانهم اللّه عزّ وجلّ، و تمرّدهم على إمامهم المفترض الطّاعة من

---

(١) القصيد من الشّعر: ما تمّ شطر أبياته، وليس إلاّ ثلاثة أبيات فصاعداً، أوستّة عشر فصاعداً، والقصيدة من الشّعر: ما جاوز سبعة أبيات، وقيل عشرة. أقرب الموارد: في (قصد).

(٢) النّهاية: في (سوط).

(٣) الحِجْر: ٧٤.

العذاب بأيدي الجبّارين، والدُّول الظّالمة الأمويّة والعبّاسيّة و غيرها، كما عذّب الله الأمم السّالفة العصاة بتسلّط الجبابرة عليهم، أو بنزول عذابٍ سماويٍّ، كما في قوم لوط بقلب المؤتفكات الخائطة، فماتوا بأجمعهم، أو بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ، أبادَتْ قوم عاد و ثمود؛

ويشهد لهذا التّفسير قوله عليه السّلام: «إنّ مَنْ صَرَّحت له العِبَر عمّا بين يديه من المثلات حجزته التّقوىٰ ...» وهي العقوبات الّتي حلّت بالأُمم السّابقين لتمرّدهم على أنبياء الله المبعوثين إليهم، وهي مِنْ أصرح العِبَر وأنجع المواعظ لِمَنْ يعتبر، ولٰكن كما قال عليه السّلام: «ما أكثر العِبَر وأقلّ الاعتبار» (١).

١٣٨ ـ لجَمَلُ أَهْلِكَ، وشِسعُ نَعلِك خيرٌ مِنْكَ

تمثّل الإمام عليه السّلام بهذا المَثَل في كتابٍ له إلى المُنذر بن الجارود العبديّ، وقد كان استعمله على بعض النّواحي، فخان الأمانة في بعض ما ولّاه من أعماله:

«... ولئن كان مابلغني عنك حقّاً، لجَمَلُ أَهلِكَ، وشِسْعُ نَعْلِكَ

(١) النّهج: ١٩/٢٠٣، الحكمة: ٣٠٣.

قال الشّارح المعتزليّ: (ما أوجز هذه الكلمة، وما أعظم فائدتها ...) شرح النّهج: ١٩/٢٠٣.

خيرٌ منك ...».(١)

قال الشّريف الرّضيّ طاب ثراه: المُنذربن الجارود هذا هوالّذي قال فيه أميرالمؤمنين عليه السّلام: «إنّه لنظّار في عطفَيْه. مختال في بُرْدَيه، تفّال في شراكه».(٢)

وقد ترجمه جمع، وهم بين قادحٍ له، وبين مادحٍ، وكفى في قدحه كلام الإمام عليه السّلام، وكلّ مَنْ شاكله شَمَلهُ القدح المذكور.

ونظير المَثَل الجاري المَثَل النّبويّ: «رُبّ مركوبٍ خيرٌ مِنْ راكبه» رواه السّيّد الرّضيّ.(٣)

ولاريب أنّ الخائن لشِسْع نعله وجَمَل أهله الّذي يركبه خير منه، لأنّه لم يخن ماخان. قال الشّارح المعتزليّ: العرب تضربُ بالجَمل المثل في الهوان، قال:

لقد عَظُم البعير بغير لبٍّ	ولم يستغن بالعُظم البعير
يصرّفه الصّبيّ بكلّ وجهٍ	ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوىٰ	فلا غِيَرٌ لديه ولا نكير

فأمّا شِسْع النّعل فضَرْب المَثَل بها في الاستهانة مشهور؛ لا بتذالها و

(١) النّهج: ١٨/٥٤، كتاب: ٧١.

(٢) المجازات النّبويّة: ٣١٥، رقم: ٣٥٥.

(٣) الأمثال النّبويّة: ١/٤٣٨، رقم المَثَل: ٢٨٠، حرف الرّاء مع الباء.

وطئها الأقدام في التّراب.(١)

ثمّ حرمة الخيانة ووجوب ردّ الأمانة مدلولة الأدلّة الأربعة: الكتاب والسّنّة والعقل وإجماع الأُمّة. ولا فرق في ذلك بين القلّة والكثرة، ولو كمِثْل رأس إبْرةٍ، أو أقلّ منه، فالخائن مهما كان نوعه معاقبٌ، كما عاقب ابن العبّاس لمّا بلغه منه، فقال عليه السّلام: «ووالله لو أنّ الحسن والحسين فعلا مثل الّذي فعلت، ما كانت لهما عندي هوادة، ولا ظفرا منّي بإرادة حتّى آخذ الحقّ منهما» (٢).

١٣٩ ـ اللّسان سبعٌ عَقورٌ إن خُلّي عنه عَقَر

قال عليه السّلام:

«اللّسان سبعٌ عقورٌ إن خُلّي عنه عَقَر». (٣)

قال السّيّد الخطيب: هذه الكلمة من وصيّته عليه السّلام لوَلده محمّد ابن الحنفيّة، رواها قبل الشّريف الشّيخ الصّدوق في نوادر (الفقيه)، وفيها: «واعلم أنّ الكلام في وثاقك مالم تتكلّم به، فإن تكلّمت به

---

(١) شرح النّهج: ٥٨/١٨. الهَراوى، والهُري وهِريّ جمع الهِراوة: العصا الضّخمة. كهراوة الفأس والمعول.

(٢) النّهج: ١٦٧/١٦ ـ ١٦٨.

(٣) النّهج: ١٩٦/١٨، الحكمة: ٥٨.

صِرْتَ في وثاقه، فاخزن لسانك، كما تخزن ذهبك وورقك، فإنّ اللّسان كَلْبٌ عقورٌ، فان أنت خلّيته عَقَر...». ورواها أيضاً الشّيخ المُفيد في (الاختصاص) ص: ٢٢٩...وقد أخذ معنى هذه الكلمة قيس بن السّكن، وكان كثير الصّمت، فقيل له: ألا تتكلّم؟ فقال: لِساني سَبعٌ من السّباع، أخاف أن أدعه فيعقرني.(١)

وفي حديث نبويّ: «إنّ كان في شيء شؤم، ففي اللّسان».(٢)

احفظ لسانك أيّها الإنسان　　لايلسعنّك إنّه ثعبان(٣)

ونبويّ آخر. «احفظ لسانك، ويحك وهل يكبّ النّاس على مناخرهم في النّار إلاّ حصائد ألسنتهم».(٤)

وقد تكلّمنا على المَثَل: «ما مِنْ شيءٍ أحقّ بطول السّجن من اللّسان.»(٥)

هنا سؤال: هل الكلام أفضل أم السّكوت؟ عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام، أنّه سئل عن الكلام والسّكوت، أيّهما أفضل؟ فقال عليه السلام:

---

(١) مصادر النّهج: ٤/٥١ ـ ٥٢. الوسائل: ٨/٥٣٥.

(٢) الوسائل: ٨/٥٣٤.

(٣) لا أدري قائله.

(٤) الوسائل: ٨/٥٣٤.

(٥) الوسائل: ٨/٥٣٥، حرف الميم مع الألف من الأمثال العلويّة.

«لكلّ واحدٍ منهما آفات، فإذا سلما مِن الآفات فالكلام أفضل من السّكوت، وقيل: وكيف ذاك يا ابن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ؟ فقال: لأنّ الله عزّ وجلّ ما بَعَثَ الأنبياء والأوصياء بالسّكوت، إنّما بعثهم بالكلام، ولا استحقّت الجنّة بالسّكوت، ولا استوجبت ولاية الله بالسّكوت، ولا وُقيت النّار بالسّكوت، ولا تجنّب سخط الله بالسّكوت، إنّما ذلك كلّه بالكلام، ما كنت لأعدل القمر بالشّمس، إنّك لتصف فضل السّكوت بالكلام، ولستَ تصف فضل الكلام بالسّكوت». (١)

قال ابن أبي الحديد: وكان يقال: إن كان في الكلام دَرَكٌ ففي الصّمت عافية. وقالت الحكماء: النّطق أشرف ما خصّ به الإنسان؛ لأنّه صورته المعقولة الّتي بايَنَ بها سائر الحيوانات، ولذلك قال سبحانه: «خَلَقَ الإنسٰن علّمه البيان». (٢) ولم يقل: (وعلّمه) بالواو؛ لأنّه سبحانه جعل قوله: «علّمه البيان» تفسيراً لقوله: «خلق الإنسٰن» لاعطفاً عليه، تنبيهاً على أنّ خلقه له و تخصيصه بالبيان الّذي لو توهّم مرتفعاً لارتفعت إنسانيّته، ولذلك قيل: ما الإنسان لولا اللّسان إلّا بهيمة مهملة، أو صورة ممثّلة، وقال الشّاعر:

لسان الفتىٰ نصفٌ ونصفٌ فؤاده فلم يبق إلّا صورة اللّحم والدّم

وقالوا: والصّمت مِنْ حيث هو صمتٌ مذمومٌ، وهو مِن صفات

---

(١) الوسائل: ٨/٥٣٢.

(٢) الرّحمٰن: ٣ - ٤.

الجمادات، فضلاً عن الحيوانات. وكلام أميرالمؤمنين عليه السّلام و غيره في مدح الصّمت محمولٌ على مَنْ يسيء الكلام، فيقع منه جنايات عظيمة في أمور الدّين والدّنيا.(١)

في حديث سجّاديّ: «إنّ لسان ابن آدم يُشرف على جميع جوارحه كلّ صباح، فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخيرٍ إن تركتنا، ويقولون: اللّه اللّه فينا، ويناشدونه، ويقولون: إنّما نثاب ونعاقب بك».(٢) فلا بدّ مِن كلّ متكلّمٍ أن يفكّر في كلامه،ويراقب الله تعالى.

١٤٠ - لقلّما أدبر شيءٌ فأقبل

من بعض خطبة له عليه السّلام:

«حقٌّ وباطلٌ، ولكلٍّ أهل، فلئن أَمِرَالباطل لقديماً فَعَل، ولئن قلّ الحقّ لربّما ولَعلَّ؛ ولقلّما أدبر شيءٌ فأقبل».(٣)

قال البحرانيّ: «حقٌّ وباطلٌ» فكأنّه قال: هما: حقّ وهوالتّقوى،

(١) شرح النّهج: ١٨/ ١٩٦- ١٩٧.

(٢) الوسائل: ٥٣٢/٨. أصول الكافي: ١١٥/٢. «اللّسان كَلْبٌ عقورٌ»، ذكر أيضاً في نهج السّعادة: باب الوصايا: ٣١٥/١. وبلفظ: «اللّسان سَبُعٌ إن خُلّي عقَرَ» كما في البحار: ٩٠/٧٨.

(٣) النّهج: ٢٧٢/١، ط :١٦.

وباطل وهو الخطايا ـ لسبق ذكرهما ـ ثمّ قال: «ولكلٍّ أهل»: أي ولكلٍّ من طريقي الحقّ والباطل قومٌ، أعدّهم القدر لسلوكها بحسب ماجرىٰ في اللّوح المحفوظ بقلم القضاء الإلهيّ، كما قال الرّسول ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ: «كلٌّ ميسّرٌ لِما خُلِقَ له».

قوله: «فلئن أَمِرَ الباطلِ لقديماً فعل...» أردف لذلك بما يشبه الاعتذار لنفسه و لأهل الحقّ في قلّته، وذمٌّ و توبيخٌ لأهل الباطل على كثرة الباطل، وقلّة الحقّ في ذلك الوقت ليس بديعاً حتّى أجهد نفسي في الإنكار على أهله، ثمّ لايسمعون ولاينتهون.

وفي قوله: «لربّما ولعلّ» تنبيهٌ على أن الحقّ وإن قلّ فربّما يعود يسيراً ثمّ أردف حرف التّقليل، وهو ربّما بحرف التّمنّي ـ: أي لعلّ ـ وكان في هذه الأحرف الوجيزة إخبار بقلّة الحقّ، ووعد بقوّته، مع نوع تشكيك في ذلك، وتمنٍّ لكثرته.

قوله: «ولقلّما أدبر شيءٌ فأقبل» استبعاد لرجوع الحقّ إلى الكثرة والقوّة بعد قلّته وضعفه على وجهٍ كلّيٍ، فإنّ زوال الاستعداد للأمر مستلزم لزوال صورته وصورة الحقّ، إنّما أُفيضَت على قلوب صَفت واستعدّت لقبوله، فإذا أَخَذَ ذلك الاستعداد في النّقصان بموت أهله أو بموت قلوبهم، و تسوّد ألواح نفوسهم بشُبَه الباطل، فلا بدّ أن ينقص نورالحقّ وتكثر ظلمة الباطل، بسبب قوّة الاستعداد لها؛ وظاهرٌ أنّ عودالحقّ وإضاءة نوره بعد إدباره ، وإقبال ظلمة الباطل أمرٌ بعيدٌ وقلّ ما يعود مِثْل ذلك الاستعداد لقبول مِثْل تلك الصّورة للحقّ، ولعلّه يعود بقوّة، فتُصبح ألواح النّفوس وأرضها مُشرقة بأنوار الحقّ، ويكرّ على

الباطل فيدمغه، فإذا هو زاهقٌ، وما ذلك على اللّه بعزيز، وفي ذلك تنبيهٌ **لهم على لزوم الحقّ**، وبعثٌ على القيام به،كي لا يضمحلّ بتخاذلهم عنه، **فلا يمكنهم تداركه**.(١)

أقول:

نعم الشّرح شرحه لكلام الإمام عليه السّلام، إنّ القرآن الكريم قد **تناول الحقّ** بلفظه في ٢٨٣موضعاً، وأمّا بغيره فكلّ القرآن، وفي كلمات أهل البيت عليهم السّلام ما لا يحصى، ونحن جئنا بنبذةٍ منها في المناسبات، كما ذكرنا من أمثال سائرة بهذا الصّدد عند التّكلّم على المَثَل: «أَخرَجَ الحقّ من خاصرته».(٢) والمَثَل: «لَيْس بين الحقّ والباطل إلاّ أربع أصابع».(٣) ومِنْ الأمثال: «لِلحقّ دولةٌ، وللباطل جولةٌ». (٤)،(الحقّ ظلّ ظليل) .(٥) والمقام صالح للمَثَل.

---

(١) شرح النّهج: ٣٠١/١ - ٣٠٢.

قوله: (لسلوكها)الصّحيح: لسلوكهما.

(٢) حرف الهمزة مع الخاء.

(٣) حرف اللاّم مع الياء.

(٤) أصول الكافي: ٤٤٧/٢.

(٥) التّمثيل والمحاضرة: ٣٢٧.

ولا يخفى أنّ كلام الإمام المبحوث عنه نقله الشّيخ المحموديّ مع إضافةٍ في نهج السّعادة: باب الخطب: ١٧٥/١ - ١٧٧و ١٨٢ و ١٩٢. والمجلسيّ في البحار: ٣/٧٨.

١٤١ ـ لم يعضّ على العلم بضرسٍ قاطعٍ

قال عليه السّلام في صفة مَنْ لا أهليّة له للقضاء بين النّاس في كلام له:

«لم يعضّ على العلم بضرسٍ قاطعٍ، يُذْري الرّوايات إذراء الرّيح الهشيم». (١)

انظر تفسير الجملة الثّانية إلى المَثَل: «يُذْري ... إذراء الرّيح الهشيم». (٢)

قوله عليه السّلام: «لم يعضّ» يريد: أنّه لم يُتْقِنْ ولم يُحْكم الأمور، فيكون بمنزلة مَنْ يعضّ بالنّاجذ، وهو آخر الأضراس. وإنّما يطلع إذا استحكمت شبيبة الإنسان، واشتدّت مِرّته؛ و لذلك يدعوه العوام ضِرس الحِلْم. (٣) كأنّ الحِلْم يأتي مع طلوعه و يذهب نَزَق الصّبا. ويقولون: رجلٌ منجّذٌ، أي مجرّب مُحكم، كأنّه قد عضّ على ناجذه، وكَمل عقله. (٤)

---

(١) النّهج: ٢٨٣/١، كلام ١٧.

(٢) حرف الياء مع الذّال.

(٣) بكسر الحاء: الاناة والعقل.

(٤) شرح النّهج: ٢٨٤/١ ـ ٢٨٥.

وهو كنايةٌ عن عدم نفوذ بصيرته في العلوم وعدم إتقانه للقوانين الشّرعيّة، لينتفع بها انتفاعاً تامّاً. يقال: (فلان لم يعضّ على العلم بضرسٍ قاطعٍ) إذا لم يحكمه ولم يُتقنه، وأصله أنّ الإنسان يمضغ الطّعام الّذي هو غذاؤه، ثمّ لا يُجيد مضغه لينتفع به البدن انتفاعاً تامًّا. فمثّل به مَن لم يُحكم ولم يُتقن مايدخل فيه من المعقولات الّتي هي غذاء الرّوح لينتفع به انتفاعاً كاملاً.(١)

قال ابن الأثير: ومنه الحديث في صفة عليّ عليه السّلام: «فإذا فُزِعَ فُزِعَ إلى ضرسٍ حديدٍ»: أي صعب العريكة قويّ.

ومن رواه بكسر الضّاد وسكون الرّاء فهو أحد الضُّروس، وهي الآكام الخشنة: أي إلى جبلٍ من حديد.

ومعنى قوله: «إذا فُزِع»: أي فُزِع إليه والتجئ، فحذف الجارّ، واستترالضّمير. ومنه الحديث الآخر: «كان مانشاء من ضِرْسٍ قاطعٍ»: أي ماضٍ في الأمور، نافذ العزيمة، يقال: (فلانٌ ضِرْسٌ من الأضراس): أي داهيةٌ. وهو في الأصل أحد الأسنان، فاستعار لذلك. ومنه حديثه الآخر: «لايعضّ في العلم بِضرسٍ قاطعٍ»: أي لم يُتقنه ولم يُحكم الأمور.(٢)

---

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢٥٨/٣.

(٢) النّهاية: في (ضَرَسِ).

وقد ذكر حديث صفة علي عليه السّلام الزّمخشريّ في (لعب) من (الفائق)، تعرّضنا له عندالمَثَل: «اكبر مكيدته أن يمنح القرم سُبّته» في حرف الهمزة مع الكاف، والنّقاش فيه فراجع.

يريد من الحديث الأخير: حديثنا الجاري مع تغيير مّا في لفظه. وحصيلة كلّ ماذكر في معناه: هو أنّ هذا الرّجل الجاعل نفسه قاضياً شاكّ فيما يقضي، ومتحيّر في الحكم، والواجب على القاضي أن يكون قاطعاً غير شاكّ في الواقعة الّتي يقضي فيها، وعاضّاً عليها بضرسٍ قاطعٍ، لا يبقى للتّرديد فيها مساغ، ومنه يعلم اشتراط القطع واليقين عندما يقضي وإلّا فليخلع نفسه عن هذا المنصب، وليذهب إلى غيره من المذاهب فلا يُدخل النّاس فيما دخل.

وقال الزّمخشريّ الضِّرس واحد الأضراس: وهي عشرون ضرساً تلي الأنياب مِن كلّ جانب من الفم، خمسةٌ من أسفل، و خمسةٌ مِن فوق، وهو مذكّر، وربّما أنّث، وهذا مَثَلٌ لعدم إتقانه (١).

١٤٢ ـ لوكان يُطاع لقصيرٍ أمْرٌ

من خطبة له عليه السّلام أوّلها:

«الحمدللّه وإن أتى الدّهر بالخطب الفادح ـ إلى قوله عليه السّلام: ـ وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلت لكم مخزون رأيي، لوكان يُطاع لقصير أمْرٌ...». (٢)

والمَثَل من أَمْثال سائرة ضربت في قصّةٍ مشهورةٍ ذكرها الأدباء

---

(١) الفائق: ٢/١٧، في (ذمم).

(٢) النّهج: ٢/٢٠٤، ط :٣٥.

بتفصيل، منهم صاحب رسالة الإسلام، قال: قاله قصيربن سعد اللّخميّ لِجَذيمة الأَبْرش، عندما أشار عليه ألّا يستجيب إلى الزّباء ملكة الجزيرة، حينما كتبت إليه في أن يُقبل إليها، لتضمّ ملكها إلى ملكه، وكانت تنوي من وراء ذلك الغَدْر به؛ لأنّه كان قد وَتَرَها بقتله أباها، فلم يقبل جذيمة مشورة قصير، وذَهَب إليها، فقال قصيرٌ: (لا يطاع لقصيرٍ أمرٌ). وكانت نهاية الأمر أن قَتَلَتْ الزّباءُ جذيمةَ وأدركت ثأْرَها.(١)

والقصّة هذه من أحفل القصص في الأمثال الّتي قيلت خلال حوادثها، فقد بَلَغَتْ واحداً وعشرين مَثَلاً:

رأي فاتر وغدر حاضر. رأيك في الكنّ لا في الضّحّ. لايطاع لقصيرٍ أمر. ببقّة حلفت الرّأي. القول رادف. خطب يسير. لايشقّ غباره. ويل أمّه. خير ما جاءت به العصا... ...

واستشهد الإمام عليه السّلام بالمَثَل المذكور حيث نصح جماعته بعدم قبول التّحكيم في وقعة صفّين، وأبوا عليه ذلك.(٢)

أثبت المَثَل المحدّث القمّيّ رحمه الله، وماجاء في قصّته من نُصح قصير مولى جَذيمة وبعثة الزّباء ملكة الجزيرة إليه، ليتزوّج بها فخرج

---

(١) مجمع الأمثال: ٢٣٣/١، حرف الخاء.

(٢) العدد: السّابع والثّامن، ص: ١١٤ - ١١٥.

ولا يخفى أنّ فرقاً بين المَثَل العلويّ وبين المَثَل السّائر بحرف (لو) في الأوّل، و(لا) في الثّاني كما في الرّسالة. ومجمع الأمثال: ٢٣٨/٢، حرف (لا)، رقم المَثَل: ٣٦٤٦. وقد جاء ذكر القصّة بتفصيل في ج: ٢٣٣/١، حرف الخاء منه.

جَذيمة في ألف فارس، وخلّف باقي جنوده مع ابن أخيه...(١)

هذا مَثَلٌ يضرب لِمَن خالَفَ نُصْحَ النّاصح، ولقد شوهد حلول الويل على مَنْ خالَف النُّصحَ من ذوي الإشفاق، وهل أحدٌ أشفق من أميرالمؤمنين عليه‌السّلام على الرّعيّة، وأسدّ رأياً منه؟! وإنّ حادثة التّحكيم المفروض على الإمام عليه‌السّلام لَمِنْ أمضّ الحوادث وأشدّها على الإسلام والمسلمين، من جرّاء المعصية والتّمرّد عليه عليه‌السّلام.

١٤٣ ـ ليس بين الحقّ والباطل إلاّ أربع أصابع

من كلام له عليه‌السّلام:

«أيّها النّاس! مَنْ عَرَفَ مِنْ أخيه وثيقة دينٍ وسداد طريقٍ، فلا يَسْمعنّ فيه أقاويل الرّجال. أما إنّه قد يَرْمي الرّامي، وتخطئ السّهام، ويحيل الكلام، وباطل ذلك يبور، واللّه سميعٌ وشهيدٌ. أما إنّه ليس بين الحقّ والباطل إلّا أربع أصابع. فسئل عليه‌السّلام عن معنى قوله هذا. فجمع أصابعه، و وَضَعَها بين أذنه وعينه، ثمّ قال: الباطل أن تقول: سَمعتُ، والحقّ أن تقول: رأيتُ». (٢)

و يفسّره مارواه الشّيخ الصّدوق رحمه‌الله تعالى بسنده إلى الباقر عليه‌السّلام «يقول: سُئل أميرالمؤمنين عليه السّلام: كم بين الحقّ

---

(١) السّفينة: ٤٣١/٢.

(٢) النّهج: ٧٢/٩، كلام: ١٤١.

والباطل؟ فقال: أربع أصابع، وَوَضَعَ أميرالمؤمنين عليه السّلام يده على أذنه وعينيه، فقال: مارأته عيناك فهو الحقّ، وماسمعته أذناك فأكثره باطل». (١)

و روى الأوّل الشّيخ الحرّ رحمه اللّه، (٢) وغيره، وفي ظنّي أنّي رأيت حديثاً عنهم عليهم السّلام، فيه: «وما سمعته أذناك ففيه باطل».

قال ابن أبي الحديد: هذا الكلام هو نهيٌ عن التّسرّع إلى التّصديق بما يقال من العيب والقدح في حقّ الإنسان المستور الظّاهر المشتهر بالصّلاح والخير، وهوْ خلاصة قوله سبحانه: «إن جاءكم فاسق بنبإٍ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهٰلة فتصبحوا على مافعلتم نٰدمين». (٣)

والاصبع مؤنثة، ولذلك قال: أربع أصابع، فحذف الهاء. (٤)

ويقرأ بفتح الهمزة، ومنه الحديث: «قلب المؤمن بين أصبُعين من أصابع اللّه، يقلّبه كيف يشاء». قال ابن الأثير بعد الحديث: الأصابع جمع أصبع: وهي الجارحة، وذلك من صفات الأجسام، تعالى اللّه عزّ وجلّ عن ذلك وتقدّس، وإطلاقها عليه مجازٌ، كإطلاق اليد واليمين والعين والسّمع، وهوجارٍ مجرى التّمثيل، والكناية عن سرعة تقلّب القلوب، وأنّ ذلك أمرٌ معقود بمشيئة اللّه تعالى. (٥) ولفظ الفائق: بكسر «إصبعين من أصابع الرّحمٰن». (٦)

---

(١) الخصال: ١/٢٣٦، باب الأربعة.

(٢) الوسائل: ١١/٥٩٣، مع تغيير.

(٣) الحجرات: ٦.

(٤) شرح النّهج: ٩/٧٣.

(٥) النّهاية: في (صبع).

(٦) ج: ٢/٢٨٢، في (صبع).

وقال الشّيخ الطّريحيّ بعد قوله تعالى: «جعلوا أصٰبعهم في ءاذانهم». [٧/٧١]: والأصابع جمع إصبع، يؤنّث ويذكّر، وبعضهم يقتصر على التّأنيث، وكذلك سائر أسمائها كالخنصر والبنصر. وفي الإصبع كما قيل: عشر لغات، والمشهور كسر الهمزة وفتح الباء، وهي الّتي ارتضاها الفصحاء، وهي تثليث الهمزة مع تثليث الباء والعاشرة أُصبوع كعصفور. (١)

و إنّما اعتبرت في الحقّ الرّؤية لقلّة الخطأ فيها دون السّماع، فإنّه يكثر فيه، ومِنْ ثَمّ شبّه الحقّ بالصُّبح، ومنه: (الحقّ أبلج، والباطل لجلج) يعني: أنّ الحقّ واضح. يقال: صبح أبلج: أي مُشرق، ومنه قوله:

* حتّىٰ بدت أعناق صُبح أبلجا *

وقوله: (لجلج): أي مُلتبس يتردّد فيه صاحبه، ولا يصيب منه مخرجاً. (٢)

فإن قيل: أكثر العلوم من طريق السّماع، كالعلم بمعجزات النّبيّ - صلّى الله عليه وآله وسلّم- وغيرها، فالجواب: الكلام في غير المتواتر، والمعلوم تفصيلاً؛ لأنّ كلام الإمام عليه السّلام في الأقوال الشّاذّة الواردة مِنْ طريق الآحاد الّتي تتضمّن القَدْح فيمَنْ قد غلبت نزاهته، فلا يجوز العدول عن المعلوم بالمشكوك. (٣)

وفي الشّهادة رؤية الحسّ معتبرة شرعاً، كما فيما رواه المحقّق رحمه الله

---

(١) مجمع البحرين: في (صبع).

(٢) مجمع الأمثال: ٢٠٧/١، حرف الحاء.

(٣) شرح النّهج: ٧٣/٩، محصّله.

عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، وقد سئل عن الشّهادة، قال: «هل ترى الشّمس؟ على مثلها فاشهد أَوْدَعْ» (١).

١٤٤ ـ ليصدق رائدٌ أهله

من أمثال سائرة تمثّل به الإمام عليه السّلام في خطبة له:

«... فاستمعوا من ربّانيّكم، وأحضروه قلوبكم، واستيقظوا إنْ هتف بكم وليصدق رائدُ أهله، وليجمع شمله، وليحضر ذهنه». (٢)

المَثَل السّائر قولهم: (الرّائد لايكذب أهله). والرّائد: الّذي يتقدّم القوم لطلب الماء والكلاء لهم، فإن كَذَبهم أَفْسَدَ أَمْرَهُمْ و أَمْر نِفسه معهم؛ لأنّه واحدٌ منهم. يضرب مَثَلاً للنَّصيح غير المتّهم على مَنْ ينصح له و أصله في العربيّة: راد، يرود: إذا جاء وذهب، وضرب يميناً وشمالاً. ومِنْ ثَمّ قيل: (ارتاد الشّيء) إذا طلبه؛ لأَنّ الطّالب يتردّد في حاجته حتّى ينالها. (٣)

الغيث. ومنه الحديث: «إنّ الرّائد لايكذب أهله». يريد: أنّهم ينتقلون

---

(١) الوسائل: ١٨/٢٥٠ ـ ٢٥١. الأمثال النّبويّة: ٢/٣٤٣، رقم المَثَل ٦٣١، حرف الهاء مع اللاّم.

(٢) النّهج: ٧/١٩٠، الخطبة: ١٠٦: البحار: ١/٢٠٩.

(٣) جمهرة الأمثال على هامش مجمع الأمثال: ١/٣٠٨.

عن مواضعهم بخَبـرِه فهو لايكذبهم. وبلغني أنهم كانوا يشِمُون البرق، فإذا لَمَعَتْ سبعون برقةً لم يرسلوا رائداً وانتقلوا؛ كأنّهم يثقون بالغيث.(١)وقد جاء عنه عليه السّلام مثله.(٢)ويريد ابن قُتَيْبة من الحديث: الحديث المرويّ عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم المذكور في كتابنا: (الأمثال النّبوية).(٣)

هنا سؤال: وهو أنّ قول الإمام عليه السّلام: «ليصدق رائد أهله» تختلف صورته مع المَثَل السّائر: أي (الرّائد لايكذب أهله). يجاب عنه: هو كذلك، إلّا أنّ المعنى واحد، ولا فرق بينهما سوى تبديل (لا يكذب) بـ (ليصدق) . وهو خبرٌ أُريد به النّهي: أي لابدّ أن لايكذب، أوالأمر، ومعناه: (ليصدق) فصرّح المعنى بهذا اللّفظ، فهما شيءٌ واحدٌ، وإن أبيت فهو كالمَثَل السّائر لانفسه.

ثمّ المراد بالرّائد: نفسه الشّريفة، وعليه فلا بدّ مِنْ عَوْد الضّمير في (وليجمع شمله، وليحضر ذهنه) إليها، فهو بيان وظيفة الوالي على الرّعيّة، وقد فعل وقام بهذه الوظيفة، وبقي على الرّعيّة إحضار قلوبهم له والتّلبية إن هتف بهم.

ومن الشّرّاح مَنْ يُرجع الضّمير إلى الرّائد، ويقصد به الرّعيّة؛ لأنّ الأمر بجمع الشّمل وإحضار الذّهن لايناسب الإمام عليه السّلام، ولا معنى لأمر الإنسان نفسه،بل لابدّ أن يكون المخاطب بذلك غير الآمر، وهوهنا الأمّة. والشّارحون كلٌّ منهم ذهب إلى مذهب، فاختر لنفسك.

---

(١) غريب الحديث: ٣٤٩/١. (٢) النّهج: ١٦٥/٩، الخطبة: ١٥٤.

(٣) ج: ٤٣٣/١، حرف الرّاء مع الألف، رقم المَثَل: ٢٧٢.

حرف الميم

١٤٥ ـ ما أَنْقَضَ النَّوْم لعزائم اليَوْم

في كلام له عليه السّلام يحثّ فيه أصحابه على الجهاد:

«واللّه مُسْتَأْديكُم شُكْرَهُ، ومُورِّثكُم أَمْرهُ، ومُمْهِلكُم في مضمارٍ مَمْدودٍ، لتتنازعوا سَبَقَه. فشُدُّوا عُقَد المآزر، وَاطوُوا فضول الخواصر، لا تجتمع عزيمةٌ وَوَليمَةٌ. ما أَنْقَضَ النّوم لعزائم اليوم! وأمحى الظّلم لتذاكير الهِمَم!»(١)

قوله عليه السّلام: «ما أَنْقَضَ النّوْم لعزائم اليَوْم» أوّل مَنْ قَاله مع أمثال أُخر في نفس الكلام وتجد شرح «واللّه... ـ إلى ـ أَمْرَهُ» عند المَثَل: «لا تَجْتَمعُ عَزيمةٌ وَوَليمَةٌ».(٢) وقال لما بعد ذلك المعتزليّ: ثمّ شبّه الآجال الّتي ضربت للمكلّفين ليقوموا فيها بالواجبات، ويتسابقون فيه إلى الخيرات بالمِضْمار الممدود لخيلٍ تتنازع فيه السَّبَق. ثمّ قال ـ عليه السّلام ـ: «فشُدّوا عُقَد المآزر»: أي شَمِّرُوا عن ساق الاجتهاد؛ ويقال لِمَنْ يوصى بالجدّ والتّشمير: (أُشْدُدْ عُقدة إزارِكَ)؛ لأَنّه إذا

(١) النهج: ١٤٢/١١، كلام: ٢١٥.

(٢) حرف اللّام مع الألف.

شدّها كان أبْعد عن العِثار وأسرع للمَشْي.(١) ونحن ذكرناه ومابعده عند المَثَل: «شُدُّوا عُقَد المآزر». (٢) وقال الشّارح في: «ما أنْقَضَ النّوم لعزائم اليَوْم»: قال الشّاعر:

فتىً لاينام على عزمه ومن صمّم العزم لم يَرْقدِ (٣)

مَنْ طَلَبَ العُلى سَهِر اللّيالى.(٤) مَنْ يَنْكح الحَسْناء يُعط مَهْراً.(٥)

العازم على العمل من أقْوى النّقض له نَوْمُه عنه، خاصّة عن مقدّماته البعيدة والقريبة؛ حيث لايساعده المجال لإتيانها إذا ضاق، فيفوت المعزوم عليه لامحالة؛ومِنْ ثَمّ جاء الأمر بالمسارعة والتّعجيل في الخير؛وكلّما كان ذلك أهمّ في نظر الشّرع والعقل شُدّد النّهي عن النّواقض الّتي منها النّوم، ويكون محرّماً إذا لزم منه فوتُ واجبٍ، أوركوبُ محرّمٍ، وقدجاء: «عجّلوا بالصّلاة قبل الفوت، وبالتّوبة قبل الموت»(٦)

وقيّد بذلك إطلاق النّبويّ: «الأناة من اللّه والعَجلة من الشيطان». (٧) لأنّه من مواطن «خيرالخير ما كان عاجله».(٨) و إذا طبّق على شرع الهوى فلانوم، فضلاً عن النّقض.

---

(١) شرح النّهج: ١٤٢/١١.

(٢) حرف الشّين مع الدّال.

(٣) شرح النّهج: ١٤٢/١١.

(٤) أمثال وحكم-دهخدا: ١٧٤٤/٤.

(٥) المستقصى ٣٦٤/٢.

(٦) في معناه الوسائل: ٩١/٣.

(٧) الوسائل: ١٢٤/١٨، الأمثال النّبوية: ١٨٨/١، رقم المَثَل: ١١٩ حرف الهمزة مع النّون.

(٨) أمثال وحكم-دهخدا: ٧٦٧/٢.

عجباً للمحبّ كيف ينام كلّ نومٍ على المحبّ حرام (١)
ما قضى الحاجات إلاّ شِمِلٌّ نومه فوق فراشٍ مِنْ نمال (٢)

١٤٦ ـ مازنى غيور قطّ

قال عليه السّلام:

«ما زنى غيور قطّ». (٣)

قال الخطيب: ورواها في (مجمع الأمثال): ج٢، ص: ٢٩٠(٤) هكذا: (ما فجر غيور قطّ)، وعلّق عليه الميدانيّ بقوله: قاله بعض الحكماء من العرب، ثمّ قال: يعني: أنّ الغيور الّذي يغار على كلّ أنثى. وعليّ عليه السّلام سيّد العرب، كما جاء ذلك في الحديث الشّريف، كما في كتاب معاني الأخبار: ١٠٣. وقد رواها أيضاً الآمديّ في

---

(١) أمثال وحكم دهخدا: ١٠٨٩/٢.

(٢) شرح النّهج: ٨٩/٢٠، عند شرح الحكمة المبحوثة، رقم: ٤٥٠.

النّمال: النّمل يريد: عدم القرار؛ إذ المفترش على النّمل لا يمتلكه النّوم، والشِّمِلّ: العِذق القليل الحمل. منتهى الأرب: في (شمل) يكنّى عن الخفيف، كما كنّي عنه بقولهم: (هبّةُ ريح) وهو المَثَل السّائر في العراق أو (هب ريح).

(٣) النّهج: ٢١١/١٩، الحكمة: ٣١١.

(٤) الموجود عندي ج: ٢٩٢/٢، حرف الميم.

(غررالحكم) ص: ٣٠٧ وبعدها: (ما أفحش كريم قطّ).(١)

قال الشّيخ الطّريحيّ: قوله تعالى: «ولا تقربوا الزّنى»[٣٢/١٧] هو بالقصر والمدّ: وطء المرأة حراماً من دون عقدٍ، وعند فقهائنا هو إيلاج فرج البالغ العاقل في فرج امرأة محرّمة من غير عقدٍ ولا ملك ولا شبهةٍ قدر الحشفة عالماً مختاراً. والزّاني: فاعل الزّنا.

وفي الحديث: «لايزني الزّاني، حين يزني، وهو مؤمن». وفي معناه وجوهٌ، (٢) والوجوه خمسة، فراجعها.

والغيور فعول من الغيرة بالكسر: نفرةٌ طبيعةٌ، تكون عن بخل مشاركة الغير في أمرٍ محبوبٍ له. والغيرة: الدّية، وجمعها غِيَر ككسرة و كسر، وجمع الغِيَر أغيار، كضِلع وأضلاع.(٣)

قال ابن أبي الحديد: قدجاء في الأثر: «مَنْ زَنَى زُنِي به، ولوفي عقب عقبه». وهذا قد جرّب، فوجد حقّاً، وقلّ مَنْ كان مقداماً على الزّنا إلّا والقول في حرمه وأهله وذوي محارمه كثيرٌ فاشٍ، والكلمة الّتي قالها عليه السّلام حقّ؛ لأنّ مَن اعتاد الزّنا حتّى صار دُرْبَتَه وعادته، وألِفَته نَفْسُه، لابدّ أن يهون عليه، حتّى يظنّه مباحاً أوكالمباح؛ لأنّ مَنْ تدرّب بشيءٍ ومَرَن عليه زال قبحه من نفسه، وإذا زال قبح الزّنا من نفسه لم يعظم عليه مايقال في أهله، وإذا لم يعظم عليه مايقال في أهله فقد سقطت غيرته.(٤)

---

(١) مصادرالنّهج: ٢٣٩/٤. (٢) مجمع البحرين: في (زنا).

(٣) مجمع البحرين: في (غير). وقوله: وجمع الغير إلخ لايخلومن شيءٍ.

(٤) شرح النّهج: ٢١١/١٩.

والغيرة من صفات اللّه والأنبياء والمؤمنين، يمتازون بها عَمَّنْ سواهم. ففي حديث صادقيّ: «إنّ اللّه غيور، يحبّ كلّ غيور، ومِنْ غيرته حرّم الفواحش ظاهرها وباطنها».(١) ونبويّ: «كان أبي إبراهيم غيوراً، وأنا أغيرمنه، وأَرْغَمَ اللّهُ أَنف من لا يغار من المؤمنين»، ونبويّ آخر: «إنَّ الغيرة من الإيمان». وباقريّ: «إنّ اللّه لم يجعل الغيرة للنّساء، وإنما جعل الغيرة للرّجال؛ لأنّ اللّه عزّ وجلّ قد أحلّ للرّجل أربعة حرائر وماملكت يمينه، ولم يجعل للمرأة إلاّ زوجها وحده، فإن بَغَتْ مع زوجها غيره كانت عند اللّه زانيةً، وإنّما تغار المنكرات منهنّ، فأمّا المؤمنات فلا».(٢)

تقدّم ما كتبنا في جعفربن أبي طالب عليهما السّلام حديث أبي جعفر عليه السّلام، قال: «أوحى اللّه عزّ وجلّ إلى رسوله: إنّي شكرتُ لجعفربن أبي طالب أربع خصال، فدعاه النّبيّ -صلّى اللّه عليه وآله وسلّم- فأخبره. فقال: لولا أنّ اللّه تبارك وتعالى أخْبَرَكَ ما أخبرتُك: ماشربتُ خمراً قطّ؛ لأنّي علمتُ أنيّ إن شربتُها زال عقلي، وماكذبتُ قطّ؛ لأنّ الكذب ينقص المروءة، ومازنيتُ قطّ؛ لأنّي خفتُ أنيّ إذا عملتُ عمل بي، وما عبدتُ صنماً قطّ؛ لأنّي علمتُ أنّه لايضرّ ولاينفع قال: فضرب النّبيّ -صلّى اللّه عليه وآله وسلّم- يده على عاتقه، وقال: حقّ على اللّه عزّ وجلّ أن يجعل لك جناحَيْن تطير بهما مع الملائكة».(٣)

---

(١) الوسائل: ١٤/١٠٨.

(٢) الوسائل: ١٤/١٠٨ - ١٠٩.

(٣) السّفينة: ١/٥٠١، في (ربع). وذكرناه تحت المَثَل: «المَوْتُ عندي بمنزلة الشّربة الباردة...»، حرف الميم مع الواو من الأمثال العلويّة.

في صادقيّ: «أربع خصال لا تكون في مؤمن: لايكون مجنوناً، ولا يسأل عن أبواب النّاس، ولايولد من الزّنا، ولا ينكح في دبره». (١) ذكرناه لأدنىٰ مناسبة البحث عن الزّنا. وعلويّ: «أربعة لا تدخل واحدة منهنّ بيتاً إلّاخرب ولم يعمر: الخيانة، والسّرقة، وشُرْب الخمر، والزّنا». (٢) ونبويّ: «إذا كثر الزّنا مِنْ بعدي كثر موت الفجأة».

عن أبي حمزة قال: «كنت عند عليّ بن الحسين عليهما السّلام، فجاءه رجلٌ فقال: يا أبا محمّد! إني مبتلىً بالنّساء، فأزني يوماً، وأصوم يوماً، فيكون ذاكفّارة لذا. فقال له عليّ بن الحسين عليهما السّلام: إنّه ليس شيءٌ أحبّ إلى الله عزّ وجلّ مِنْ أنْ يطاع فلا يُعصىٰ، فلا تزنِ ولا تصم، فاجتذبه أبوجعفر عليه السّلام إليه، فأخذه بيده، فقال: يا أبازنّة. (٣) تعمل عمل أهل النّار وترجو أنْ تدخل الجنّة». (٤)

وصحيح القدّاح عن الصّادق عليه السّلام، قال: «قال يعقوب لابنه: يا بنيّ! لا تزن فإنّ الطّير لوزنا لتناثر ريشه».

والنّبويّ: «في الزّنا خمس خصال: يذهب بماء الوجه، ويُورث الفقر، وينقص العمر، ويسخط الرّحمٰن، ويخلد في النّار، نعوذ باللّه مِن النّار». (٥)

وأهمّ ما يُورثه بعد سخط اللّه والخلود في النّار خزي الدّنيا من الفعل

---

(١) الخصال: ٢٢٩/١، باب الأربعة. (٢) الخصال: ٢٣٠/١ - ٢٣١.

(٣) أبوزنّة كنية القِرد. فروع الكافي: ٢٣١/٥. (٤) الوسائل: ٢٣١/١٤.

(٥) الوسائل: ٢٣٢/١٤.

بأهله لفعله بِحَرَم النّاس؛ روى البرقي بسنده عن الصادق عليه السّلام: «إنّ الله أَوحى إلى موسى عليه السّلام: لا تزنوا فتُزْنَى نساؤكم، ومَنْ وَطِيء فراش امرىءٍ مسلمٍ وُطِيء فراشُه كما تَدين تُدان».(١)

وصادقيّ: «إنّ عيسى عليه السّلام قال للحواريين: إنّ موسى أمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين، أنا آمركم ان لا تحلفوا بالله كاذبين ولا صادقين، قالوا: زدنا، قال: إنّ موسى أَمَرَكُم أن لا تزنوا، وأنا آمركم أن لا تحدّثوا أنفسكم بالزّنا فضلاً عن أن تزنوا، فإنّ مَنْ حدّث نفسه بالزّنا كان كَمَنْ أوقد في بيتٍ مزوّقٍ، فأفسد التّزاويق الدّخان، وإن لم يحترق البيت».(٢)

وصادقيّ آخر: «كانت امرأة على عهد داود، يأتيها رجل يستكرهها عن نفسها، فألقى الله عزّ وجلّ في قلبها، فقالَتْ له: إنّك لا تأتيني مرّةً إلّا وَعند أهلك مَنْ يأتيهم. قال: فذهب إلى أهله، فَوَجَدَ عند أهله رجلاً، فأتى به داود عليه السّلام، فقال: يا نبيّ الله! وجدتُ هذا الرّجل عند أهلي، فأوحى الله إلى داود: قل له: كما تَدين تُدان». (٣) وعن الباقِرَيْن عليهما السّلام: «ما مِنْ أحدٍ إلاّ وهو يصيب حظّاً مِن الزّنا، فزنا العَينَيْن النّظر، وزنا الفم القُبلة، وزنا اليدين اللّمس، صَدَق الفرج ذلك أم كَذب».(٤)

ومن أجلى مظاهر الشّهوة البشريّة الفَرج، والبَطْن، واللّسان، ومَنْ

---

(١) الوسائل: ١٤/٢٣٦.

(٢) الوسائل: ١٤/٢٤٠.

(٣) الوسائل: ١٤/٢٦٩.

(٤) الوسائل: ١٤/٢٤٦.

وقاها وُقي الشّرّ كلّه، كما جاء ذلك في أحاديث أهل البيت عليهم السّلام، منها: الصّادقيّ: «إنّما شيعة جعفر مَنْ عفّ بَطْنه، وفَرْجه، واشتدّ جهاده...».(١) والنّبويّ: «مَنْ ضَمن لي اثنتَيْن ضمنتُ له على اللّه الجنّة، مَنْ ضَمن لي مابين لِحْيَيْه، ومابين رِجْلَيه، ضمنتُ له على اللّه الجنّة، يعني: ضَمن لي لسانه وفرجه».(٢) ومنها: «مَنْ وقى شرّ لَقْلَقِهِ وقَبْقَبِهِ وذَبْذَبِهِ فقد وَجَبَتْ له الجنَّة».(٣) اللَّقلَق: اللّسان، والقَبقَب: البَطْن، والذَّبذب: الفَرْج. ومنه المَثَل: (مَنْ وقى شرّ لَقْلَقِهِ وَقَبْقَبِهِ وَذَبْذَبِهِ فَقَدْ وُقي) يضرب لِمَنْ يُكثر. (٤) وقد أخذ منه مَنْ قال شِعْراً:

لَقْلَقِيٌّ قَبْقَبِيٌّ ذَبْذَبِيّ عن التذاذ طُرِحَتْ بجانب (٥).

---

(١) الوسائل: ١١/١٩٩ - ٢٠٠.

(٢) الوسائل: ١١/١٩٩.

(٣) السّفينة: ١/٢٤، في (أكل). الأمثال النّبويّة: ٢/٢٨٩، رقم المَثَل: ٥٨٤، حرف الميم مع النّون.

(٤) مجمع الأمثال: ٢/٣٠٠. حرف الميم. الأمثال النّبويّة: ١/٢٢٧ - ٢٢٨، رقم المَثَل: ١٤٦، حرف الهمزة مع النّون. ما يمّس به البحث.

(٥) الأمثال النّبويّة: ١/٢٢٨، رقم المَثَل: ١٤٦، وج: ٢/٢٨٩، رقم المَثَل ٥٨٤، حرف الميم مع النّون.

وممّن ذكر المَثَل الميدانيّ ولكن بلفظ: «ما فَجَرَ غيورٌ قطّ» قاله بعض الحكماء مِن العرب: يعني: أنّ الغَيور الّذي يغار على كلّ أنثى. مجمع الأمثال: ٢/٢٩٢، حرف الميم. لعلّ يريد ببعض الحكماء: الإمام عليه السّلام، كما ذكرنا في أوّل البحث.

١٤٧ ـ ماعَدا مِمّا بَدا

جاء المَثَل في آخر كلام له عليه السّلام، لمّا أَنْفَذَ عبدالله بن عبّاس إلى الزّبير قبل وقوع الحرب يوم الجَمَل، ليستفيئه إلى طاعته:

«لا تَلْقِيَنَّ طلحة، فإنّك إنّ تلقه تجده كالثّور عاقصاً قَرْنه، يركب الصّعب، ويقول: هوالذّلول؛ ولكِن اْلق الزّبير، فإنّه ألين عريكة، فقل له: يقول لك ابن خالك: عَرَفْتَني بالحِجاز، وأنكَرْتَني بالعراق؛ فما عَدا مِمّا بدا».

قال الرّضيّ رحمه الله:

وهو عليه السّلام أوّل مَنْ سُمِعَتْ منه هذه الكلمة، أَعْني: «فما عَدا مِمّا بدا». (١)

كَتَبَها كلّ مِن الميداني.(٢) والمفضّل. (٣) وغيرهما، ناسبين بها إلى أميرالمؤمنين عليه السّلام، وهي صالحة للمَثَل، بل هي هو.

قال القطب الرّاونديّ: قوله: «فما عَدا ممّا بدا» له معنيان:

---

(١) النّهج: ٢/١٦٢، كلام: ٣١.

(٢) المجمع: ٢/٢٩٦ ، خرف الميم.

(٣) الفاخر: ٣٠١.

أحدهما: ما الّذي مَنَعَكَ ممّا كان قدبَدا منك مِن البَيْعة، قبل هذه الحالة؟ الثّاني: ماالّذي عاقَكَ؟ ويكون المفعول الثّاني لـ (عَدا) محذوفاً، يدلّ عليه الكلام: أي ما عَداك؟! يريد: ما شَغَلَكَ، وما مَنَعَكَ مِمّا كان بدا لك من نصرتي؟!(١)

وقيل: المعنى: ما الّذي صدّك عن طاعتي بعد إظهارك لها؟ وحذف الضّمير المفعول المنصوب كثيرٌ جدّاً، كقوله تعالى: «وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا».(٢) أي أرسلناه.(٣)

من كلمات قصارٍ صالحةٍ للمَثَل كما تقدّم. قيل: أجاب الزّبير بعد إبلاغه -: أبلغه سلامي، وقُل له: عَهْدُ خليفةٍ، ودَمُ خَليفةٍ، وإجماعُ ثلاثةٍ، وانفرادُ واحدٍ، وأمٌّ مبرورةٌ، و مُشاورةُ العشيرة-(٤).

١٤٨ ـ ما قلّ منه خيرٌ ممّا كَثُر

من كلام له عليه السّلام في صفة مَنْ يتصدّى للحكم بَيْن الأمّة وليس لذلك بأهلٍ:

«ورجلٌ قَمَشَ جَهْلاً، مُوضِعٌ في جهّال الأمّة، عادٍ في أغباش

---

(١) شرح النّهج: ٢/١٦٤.

(٢) الزّخرف: ٤٥.

(٣) شرح النّهج: ٢/١٦٤.

(٤) الفاخر: ٣٠١.

الفتنة، عَمٍ بما في عقد الهُدْنة، قد سَمّاه أَشْباه النّاس عالماً، وليس بِهِ. بَكَّرَ فاستَكْثَرَ مِنْ جمع ما قَلَّ منه خيرٌ مِمّا كَثُرَ».(١)

هذا بعض كلماته الحكميّة في صفة المتصدّي للحكم القسم الثّاني، وآمّا الأوّل منه فراجع: «حمّال خطايا غيره».(٢)

قوله عليه السّلام: (قَمَش جهلاً) مِن القَمْش بالفتح فالسّكون: وهو جمع الشّيء مِن هنا وهنا، ومِثْله التّقمّش، وقُماش البيت بالضّمّ: متاعه. (٣) «مُوضِعٌ في جهّال الأمّة» مِن أَوْضَعَ البعير: أَسْرَعَ. وأَوْضَعه راكبه: أَسْرَعَ به.(٤) ويحتمل كونه مِن الوَضْع بمعنى: الجَعْل: أي جاعل نفسه في الجهّال بعمله.

«عادٍ في أغباش الفتنة»، الأغباش: بقايا ظلمة اللّيل وهي بعد الفجر عادة: أي يُصْبح مُغبشاً في الفتنة: أي: مجدٌّ دائبٌ، وفي لفظ (غارّ): أي يغرّالنّاس ببقائه في بقاياالفتنة، وآخر مَنْ يخرج منها. (عمٍ) من العمى: أي لا يبصر مصالح الهُدنة أوالحرب، فيخلط أحدهما بالآخر. (أشباه النّاس)، بالصّورة إنسانٌ، وبالسّيرة حيوانٌ، فيزعمونه من العلماء وليس منهم.

«بكّر فاستكثر من جمعٍ»: أي يُصبح وقد هيّأ من مزعبلاته و

---

(١) النّهج: ٢٨٣/١، كلام: ١٧.

(٢) حرف الحاء مع الميم.

(٣) مجمع البحرين: في (قمش).

(٤) النّهاية: في (وضع).

تخيّلاته الباطلة ما يفرح بجمعها؛ يَزْعم أنّها علومٌ ومعارفُ، وليست بها، بل أوهامٌ فاسدةٌ، قليلها خير من كثيرها، والخيريّة لتقليل ضررها، وإلّا فلا خير في الأوهام الباطلة، نظير قول يوسف عليه السّلام: «ربّ السّجن أحبّ إليّ ممّا يدعونني إليه».(١) فالسّجن محبوب بالقياس إلى دعوة نساء مِصْر، وإلّا فلاحبّ في السّجن فضلاً عن أحبّيته.

والمَثَل: «ماقلّ منه خيرٌ مِمّا كثُر» قياسٌ مطّردٌ في الأخذ بأقلّ الشّرّين، وبه يمتاز العاقل عن غيره كما قال عليه السّلام: «وليس العاقل مَنْ يعرف الخير من الشّرّ ولكن العاقل مَنْ يعرف خير الشّرّين». (٢)

ولاريب بأنّ الأقلّ من جهالات الجاهل خيرٌ مِنْ أكثرها عند الدّوران في الأخذ، هذا إذا تساويا في الكيفيّة.

وبين كمّيّة الشّرور وكيفيّتها عمومٌ وخصوصٌ من وجهٍ،فربّ قليلٍ منها شرٌّ مِنْ كثيرها، إذا انضمّت إليه حالة أَوْجَبَتْ ذلك، وربّما انعكس الأمر: أي القليل خيرٌ مِن الكثير، وهو الغالب؛ فالكمّيّة والكيفيّة علّة الخيريّة والشّرّيّة للشّيء، كما لايخفى على المُحاسب الفَطن؛ وهذه قاعدة عقليّة مطّردة في جميع الأشياء عند المقايسة بينها، ثمّ الأخذ بخيرها و شرّها، والمقام من موارد هذه القاعدة، فاعرفها حتّى تطبّقها تماماً. ولعلّ قوله تعالى: «يدعوا لَمَنْ ضَرّه أَقْرب مِنْ نفعه». (٣) من نظائر المقايسة العقليّة عندالدّوران.

---

(١) يوسف: ٣٣.

(٢) بحارالأنوار: ٧٨/٦.

(٣) الحجّ: ١٣.

١٤٩ ـ ما كلّ مفتونٍ يعاتب

قال عليه السّلام:

«ما كلّ مفتونٍ يعاتب».(١)

قال ابن ابي الحديد: هذه الكلمة قالها عليّ عليه السّلام لسعد بن أبي وقّاص، ومحمّد بن مسلمة، وعبدالله بن عمر، لمّا امتنعوا مِن الخروج معه لحرب أصحاب الجَمَل. ونظيرها (: أي نظير الكلمة) أو قريبٌ منها قول أبي الطّيّب:

فما كلّ فعّال يُجازىٰ بفعله ... ولا كلّ قوّالٍ لديّ يجاب

وربّ كلامٍ مَرّ فوق مسامعي ... كما طَنّ في لَفْح الهجير ذباب(٢)

قال عبدالزّهراء: وروى المفيد في كتاب (الجَمَل) عن كتاب (الجَمَل) لأبي مخنف المتوفّىٰ (١٧٥) قال: لمّا همّ عليّ عليه السّلام بالمسير إلى البَصْرة، بلغه عن سعد بن أبي وقّاص، وابن مسلمة،

---

(١) النّهج: ١١٩/١٨، الحكمة: ١٦.

(٢) شرح النّهج: ١١٩/١٨.

وأُسامةبن زيد، وابن عمر تثاقلهم عنه، فَبَعَثَ إليهم، فلمّا حضروا، قال لهـم: بلـغني عنـكم هـناتٌ كرهتُهـا، وأنا لا أُكـرهكـم على المسير معي، أَلَسْتُمْ علىٰ بيعتي؟ قالوا:

بلىٰ، قال: فما الّذي يقعدكم عن صحبتي؟

قـال سعد: إني أكره الخروج في هـذه الحرب فأُصيـب مـؤمناً، فإن أعطيتَني سَيْفاً يعرف المؤمن منِ الكافر، قاتلتُ معك.

وقال له أُسامـة: أَنْتَ أعزّ الخـلق عليّ، ولكنّي عـاهدتُ اللّه أن لا أُقاتل أهل لا إلٰه إلاّ اللّه.

وكـان أُسامة قد أهوىٰ برُمحـه في عهد رسول اللّه صلّـى اللّه عليه وآله وسلّم إلى رجل في الحرب من الـمُشركين، فخافه الرّجل، فـقـال: لا إلٰه إلا اللّـه، فشجره بالرّمـح فَقَتَلَهُ، فبلـغ النّبيّ ـصلّى اللّـه عليه وآله وسلّم ـ خبره، فقال: يا أُسامـة! أَقَتَلْتَ رجلاً يشهد أن لا إلٰه إلاّ اللّه؟ فقال: يا رسـول اللّه! إنّما قالها تعـوّذاً. فـقال: ألا أشفقتَ عن قـتـله؟ فزعم أُسامة أنَّ النّبـيّ ـ صلّى اللّـه عـليه وآله وسـلّـم ـ أَمَـرَه أن يقـاتـل بِسَيْـفه ـ لمُشـركين، فإذا قوتل المسلمون، ضرب بسيفه الحَجَرَ فكَسَرَهُ.

وقال عبداللّه بن عـمر: لستُ أَعرفُ في هذه الحرب شيـئاً، أسألك أن لا تحملني على ما لا أَعْرِفُ.

فقـال لهم أمـيرالمؤمـنين عليه السّـلام: «ليس كلّ مـفتـونٍ يعـاتب، أَلَسْتُمْ على بيعتي؟ قالوا: بلىٰ. قال: انصرفوا، فسيغني اللّه عنكم».

وروى هـذه الـكـلـمة أيضاً أبـوالحسين المـعـتـزليّ في (غررالأدلّة)، والقضاعيّ في (دستور معالم الحكم) ص ٢٠، والآمديّ في (الغرر) ص :

٣٠٧كرواية الشّريف الرّضيّ بنصّها.(١)

أقول: عذر هؤلاء غير مقبول بعد إعطاء البيعة الشّرعيّة له عليه السّلام، وليس معنىٰ قوله: «ما كلّ مفتون يعاتب» على فرض التّطبيق عليهم: قبول عذرهم الشّرعيّ، فإنّ هذه الكلمة كما تقال في عدم توجّه العتاب على كلّ داخلٍ في فتنة، تقال أيضاً عند اليأس من صنع الموعظة، وتأثيرها في قلب المفتون، لاأنّه معذور شرعاً وعقلاً، بل يأساً من التّأثير، وإلّا فكيف يأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم عليّاً عليه السّلام بقتال القاسطين والمارقين والنّاكثين، كما ثبت من صحاحهم، (٢)ثمّ يأمر ابن مسلمة وغيره بالقعُود عن نصرته؟!؟

و هوالّذي قال صلّى اللّه عليه وآله وسلّم فيه: «عليٌّ مع الحق، والحقّ مع عليٍّ، ولَنْ يفترقا حتّىٰ يردا عَلَيَّ الْحَوْض يوم القيامة»؛ (٣) والمعصوم المنصوص عليه بالنّصوص،ولا غرو أنْ يتخلّف مَنْ تخلّف عنه في هذه الحرب، وليس هي أوّل قارورة كسرت (٤) والخلافة من أهمّ الأمور، نُوزعت حتّىٰ قُدّم مَنْ قُدّم!.

---

(١) مصادر النّهج: ١٦/٤ ـ ١٧.

(٢) الغدير: ١٩٢/٣ ـ ١٩٥.

(٣) الغدير: ١٧٧/٣.

(٤) أمثال وحكم ـ دهخدا: ١٣٧٥/٣.

١٥٠ ـ المال مادّة الشّهوات

قال عليه السّلام:

«المال مادّة الشّهوات». (١)

رواه الشّيخ المجلسيّ رحمه الله. (٢) وجمع مِنْ كُتّاب الحديث(٣) ومن كُتّاب الأدب. (٤)

والمال في الأصل: مايُملك مِن الذّهب والفضّة، ثمّ أطلق على كلّ مايقتنى، ويُملك من الأعيان، وأكثر مايُطلق المال عندالعرب على الإبل؛ لأنّها كانت أكثر أموالهم، وقد تكرّر ذكرالمال على اختلاف مسمّياته في الحديث، ويفرق فيها بالقرائن. (٥) فكلّ ما يتموّل مالٌ مادٌّ للشّهوات:

والمادّة: الزيادة المتّصلة، ومنه مادّة الحمّام المتّصلة به. (٦) ومنه

---

(١) النّهج: ١٩٣/١٨، الحكمة: ٥٦. (٢) البحار: ١٤/٧٨.

(٣) مصادر النّهج: ٥٠/٤، نقلاً عن غررالحكم. ومطالب السّؤول: ١٦٤/١.

(٤) مجمع الأمثال: ٤٥٥/٢.

(٥) النّهاية: في (مول).

(٦) مجمع البحرين: في (مدد).

صحيح ابن بزيع عن الرّضا عليه السّلام قال: «ماء البئر واسعٌ لا يُفسده شيء، إلّا أن يتغيّر ريحه أوطعمه، فينزح حتّى يذهب الرّيح، ويطيب طعمه؛ لأنّ له مادّةً». (١)

والشّهوات واحدها الشّهوة، مصدر (شَهِيَ) بكسر الهاء (يَشْهىٰ): الرّغبة والحبّ الشّديد بما يلائم النّفس، وتلتذّبه. وقيل: هي انفعال النّفس بالشّعور بالحاجة إلى ما تستلذّه. (٢) ومنها قوله تعالى «زيّن للنّاس حبّ الشّهوٰت من النّساء والبنين...». (٣)

وَمَنْ أَحبّ شيئاً ولم يزيّن له يوشك أن يرجع عن حبّه يوماً، وأمّا مَنْ زيّن له حبّه لشيءٍ فلا يكاد يرجع عنه؛ لأنّ ذلك منتهى الحبّ، وصاحبه لايكاد يفطن لقبحه، ولايحبّ أن يرجع وإن تأذّى به.

قال المجنون:

وقالوا: لوتشاء سَلَوْتَ عنها فقلتُ لهم: وإنّي لا أشاء (٤)

والنّبويّ: «إنّ أخوف ما أخاف عليكم الرّياء والشّهوة الخفيّة». قيل: هي كلّ شيء من المعاصي، يُضمره صاحبه ويصرّ عليه وإن لم يعمله. وقيل: هو أنْ يَرىٰ جاريةً حَسْناء فيغضّ طَرْفه، ثمّ ينظر بقلبه كما كان ينظر بعينه. (٥)

---

(١) الوسائل: ١/١٢٦ - ١٢٧.

(٢) تفسير المنار: ٣/٢٣٨.

(٣) آل عمران: ١٤.

(٤) تفسير المنار: ٣/٢٣٨.

(٥) النّهاية: في (شها).

والمال أيسر شيءٍ للحصول على المشتهيات والملاذّ الدّنيويّة، يمدّ صاحبه حتّىٰ يظفرها، وقد تناول القرآن الكريم المال في أكثر مِنْ ثمانين مَوْضِعاً، قَدْحاً أومَدْحاً مِنْ جهة صرفه في الخير أوالشّرّ؛ من الخير قوله عزّ وجلّ: «الّذين يُنفقون أموالهم باللّيل والنّهار سرّاً وعلانيةً فلهم أجرهم عند ربّهم».(١) ومن الثّاني: «ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالبٰطل».(٢)

وكلّ ماجاء مِنْ ذمّ أو مَدْحٍ فيُ المال، في الكتاب والسّنّة، أوفي نظمٍ أونثرٍ، عن الحكماء والشّعراء وغيرهم إنّما هو عن هاتين الجهتين، وإلاّ فالمال بنفسه لاقَدْح فيه ولا مَدْح، والأغلب صرفه فيما يضرّ بدين الإنسان مِن الشّهوات وغيرها، إذْ أكثر النّاس إلاّ مَنْ وفّقه اللّه عزّ وجلّ تابع للنفس، والمخالف لها قليلٌ جدّاً.

ومِنْ هنا قال الإمام عليه السّلام: «المال مادّة الشّهوات» وإلاّ فهو مادّةٌ لغيرها مِنْ أمور الخير أيضاً، ومع ذلك جاء في مدح الفقر: (حَسْبك مِنْ شرف الفقر أنّك لاترى أحداً يعصي اللّه ليفتقر، والعاصي لتحصيل الغنىٰ كثيرٌ). وقال محمود الورّاق:

يا عائب الفقر ألا تزدجر ... عيب الغنى أكثر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله ... على الغنىٰ إن صحّ منك النّظر
إنّك تعصي الله تبغي الغنىٰ ... ولستَ تعصي الله كي تفتقر(٣).

---

(١) البقرة: ٢٧٤.

(٢) البقرة: ١٨٨.

(٣) التّمثيل والمحاضرة: ٣٩٤.

١٥١ ـ المتعلّق بها كالواغل المُدفَّع والنّوط المُذَبْذَب

من كتاب له عليه السّلام إلى زياد بن أبيه، وقد بلغه أنّ معاوية كتب إليه، يريد خديعته باستخلافه:

«...وقد كان من أبي سفيان في زَمن عمر بن الخطّاب فَلْتةٌ من حديث النّفس، ونَزْعةٌ من نزعات الشّيطان، لايثبت بها نَسَبٌ، ولا يستحقّ بها إرثٌ، والمُتعلّق بها كالواغل المُدَفَّع، والنَّوط المُذَبْذَب». (١)

قال الرّضيّ رحمه الله: قوله عليه السّلام: (الواغل): هو الّذي يهجم على الشّرب ليشرب معهم، وليس منهم، فلايزال مدفّعاً محاجزاً. (والنَّوط المُذَبْذَب): هو ماينـاط برحل الرّاكب من قَعبٍ أو قدحٍ أو ما أشبه ذلك، فهو أبداً يتقلقل إذا حثّ ظهره، و استعجل سيره. وقيل: (الواغل): غير المدعوّ إلى وليمةٍ، المعبّر عنه بالطّفيل، لايزال يُدفع بإخراجه عن ذلك. (٢)

---

(١) النّهج: ١٦/١٧٧، ك ٤٤.

(٢) هامش بعض نسخ النّهج.

قوله عليه السّلام: (فلتة)، الفلتة: وقوع الأمر من غير تدبّرٍ ولا رويّةٍ، وكلّ شيء يفعله الإنسان فجأةً من غير تدبّرٍ ولا رويّةٍ، ومنه قول عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة، وقى اللّه شرّها.(١)

ومراده عليه السّلام من فلتة أبي سفيان: قَوْلَتُهُ في تبنّي زياد وأنّه وَلده، لايثبت بهذا القول بنوّةٌ في ظاهر الشّرع يتوارث عليها، فشبّه عليه السّلام المتعلّق بها بمَنْ يهجم على وِرْد ماء ليس من أصحابه، فيدفع عنه، ويمنع عن ورود الوِرْدِ أشدّ المنع، أو بمَنْ علّق على دابّته قعباً أو قَدَحاً متقلقلاً أبداً. وكلا التّمثيلين لمدّعي بنوّة مَنْ لايكون له.

١٥٢ ـ مَثَل آل محمّد كمَثَل نجوم السّماء

في آخر خطبة له عليه السّلام:

«... ... ألا إنّ مَثَل آل محمّد كَمَثَل نجوم السّماء، إذا خَوىٰ نجمٌ طلع نجمٌ».(٢)

تمثيلهم عليهم السّلام بالنّجوم متكرّر في أحاديثهم، كما جاء عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ما يطابق ذلك. روى الشّيخ الصّدوق

---

(١) مجمع البحرين: في (فلت).

(٢) النّهج: ٨٤/٧، ط ٩٩.

بسنده إلى ابن عبّاس في حديث، قال: قال رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ: «... .. ومَثَلكم مَثَلُ النّجوم، كلّما غاب نجمٌ طلع نجمٌ إلى يوم القيامة». (١)

إذا جهل السّالكون الطّريق في اللّيل المظلم اهتدوا بنجوم السّماء، كما قال تعالى: «وبالنّجم هم يهتدون». (٢) بإضاءتها وانتظام السّاكنة والسّائرة منها، حيث يستدلّ بوضعها على قطاع الأرض المُتقسّمة إلى أقاليمها السّبعة، وعلى أبعاض اللّيل وساعاته.

والنّاس إذا جهلوا ـ والجهل أصلهم، حيث أُخْرِجُوا مِنْ بطون أُمّهاتهم لا يَعْلمونَ شيئاً، كما في الآية: «واللّه اخرجكم من بطون امّهٰتكم لا تعلمون شيئاً». (٣) ـ افتقروا إلى الاضاءة في السّلوك إلى اللّه تعالى إلى هداةٍ يهدونهم سُبُل السّلام؛ من هنا جاء تمثيلهم عليهم السّلام بالنّجوم، وَوَقع في محلّه!

والمشابهة بين أهل البيت عليهم السّلام والنّجوم من وجوهٍ هي: الإضاءة، وامتدادها، بقيام إمامٍ عند موت إمامٍ، كطلوع نجمٍ إذا خوى نجمٌ، والرّفعة المختصّة بهم عليهم السّلام الّتي اختارها اللّه تعالى لهم، لا يشاركهم غيرهم فيها، وسرور النّاظر إلى نجوم الولاية كما يسرّه إذا نظر

---

(١) الأمالي: ٢٣٨. الأمثال النّبويّة: ٢/٢٠٤، رقم المَثَل: ٥٠٩، حرف الميم مع التّاء.

(٢) النّحل: ١٦.

(٣) النّحل: ٧٨.

إلى نجوم السّماء. وغيرها من وجوهٍ لا تحصل بتمثيل الشّمس والقمر، وإن جاء في دعاء النّدبة: «أين الشّموس الطّالعة، والأقمار المُنيرة». (١) وغير الدّعاء لاختلاف وجهة الأهداف من التّمثيل.

وإن شئت الوصول إلى واقع التّمثيل فابحث عن لزوم الحجّة في الأرض واستحالة خلوّها عند العقول والفطرة السّليمة الّتي تؤيّدها صحاح الأخبار، أنّه لوخلت عن الحجّة لساخت بأهلها (٢).

١٥٣ ـ مَثَل الدّنيا كَمَثَل الحيّة

قال عليه السّلام:

«مَثَلُ الدّنيا كمَثَل الحيّة، ليّنٌ مسّها، والسُّمّ النّاقع في جوفها، يهوي إليها الغِرّ الجاهل، ويحذرها ذواللّبّ العاقل». (٣)

يشابه المَثَل المَثَل الآخر منه عليه السّلام، في كتاب له كتبه إلى سلمان الفارسيّ رحمه الله قبل أيّام خلافته:

«أما بعدُ، فإنّما مَثَل الدّنيا مَثَل الحيّة، ليّنٌ مسّها، قاتل سمّها، فأعرض عمّا يعجبك فيها، لقلّة مايصحبك منها، وَضَعْ عنك همومها ... ...». (٤)

---

(١) المفاتيح: ٥٣٥.

(٢) أصول الكافي: ١٧٨/١.

(٣) النّهج: ٢٨٤/١٨، ح ١١٥.

(٤) النّهج: ٣٤/١٨، كتاب ٦٨.

لا يفتقر المَثَلان إلى توضيح بعد القَدَر المشترك بين الحيّة والدّنيا في إهلاك مزاولها، وأنّهما عدوّ الإنسان،والعاقل يكون على حذرٍ دائماً منهما.

يقول أبوالعتاهية:

إنّما الدّهر أرقم ليّن المـ ـسّ وفي نابه السّقام العقام (١)

وتجد الإمام عليه السّلام يمثّل الدّنيا بما يحذّر النّاس من اعتناقها، إلّا بقدر الحاجة، والقرآن الكريم والسّنّة النّبويّة و تمام روايات أهل البيت عليهم السّلام تحذّرهم عنها غاية التّحذير، وقدجاء في الحديث: «حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة». (٢)

وجاءت تمثيلات للدّنيا ببيت العنكبوت، والعجوز، والبحر العميق، وفصول السّنة، والماء النّازل من السّماء، والخُضْرة؛ في الكتاب والسّنّة، وكلّ ذلك يشهد له الواقع، ولولا الإطالة لأنجزنا الحوالة.

وكان عمل الإمام عليه السّلام وزهده في الدّنيا، بل وعمل أهل البيت عليهم السّلام وزهدهم فيها، يجسّد التّحذير عنها أكثر منه من القول؛ لأنّ العمل يترك في النّفوس من الأثر غير الموصوف.

---

(١) شرح النّهج: ١٨/٢٨٤.

(٢) الوسائل: ١١/٣٠٨.

١٥٤ ـ مَثلكم ومَثَلُها كسَفْرٍ سلكوا سبيلاً

من خطبة له عليه السّلام:

«نَحْمَدُه على ما كان،ونستعينُه مِنْ أمرنا على مايكون، ونسأله المعافاة في الأديان، كما نسأله المعافاة في الأبدان.

أوصيكم بالرّفض لهذه الدّنيا التّاركة لكم، وإن لم تحبّوا تركها، والمُبلية لأجسامكم وإن كنتم تحبّون تجديدها؛ فإنّما مَثَلُكم ومَثَلُها كسَفْرٍ سلكوا سبيلاً، فكأنّهم قدقطعوه، وأمّوا عَلَماً، فكأنّهم قدبلغوه، وكم عسى المُجري إلى الغاية أن يجري إليها حتّى يبلغها! وما عسى أن يكون بقاء مَن له يوم لا يعدوه. وطالب حثيث من الموت يحدوه، ومزعج في الدّنيا عن الدّنيا حتّى يفارقها رَغْماً».(١)

وهي مطوّلة، جئنا بقسم منها اشتمل على التّمثيل، ومايمتّ به مِنْ صلة.

قال الشّارح: لقد ظرف وأبدع عليه السّلام في قوله: «ونسأله المعافاة في الأديان، كما نسأله المعافاة في الأبدان»؛ وذلك أنّ للأديان سقماً وطبّاً وشفاءً،كما أن للأبدان سقماً وطبّاً و شفاءً. قال محمود الورّاق:

---

(١) النهج: ٧/٨٠، ط ٩٨.

وإذا مَرضتَ من الذّنوب فداوها   بالذّكر إنّ الذّكر خير دواء
والسُّقم في الأبدان ليس بضائرٍ   والسُّقم في الأديان شرّ بلاء(١)

تكلّمنا عليه على حدة، فراجع.(٢)

قومٌ سَفْرٌ: أي مسافرون. وأمّوا: قصدوا. والعَلَم: الجبل أوالمنار في الطّريق يهتدى به. وكأنّ ـ في هذه المواضع كهي في قوله ـ عليه السّلام ـ: «كأنّك بالدّنيا لم تكن، وكأنّك بالآخرة لم تزل، ما أقرب ذلك و أسرعه!». (٣)

أقول: يشرح ذلك ما بعده: «وكم عسى المُجري إلى الغاية» إلى آخره. والأمر أَوْضح مِنْ ذلك كلّه، وكلامه عليه السّلام هو غاية الإيضاح، خاصّة المَثَل الّذي ضربه لبيان انقضاء مدّة السّفر للمسافر إلى الاخرة بالموت، بمَنْ سلك السّبيل إلى ما يقصده، هي بداية السّلوك كأنّه واصل قد قطع المسافة، لأنّ كلّ ما هو آتٍ كأنه آت، كما أنّ كلّ ما مضىٰ كأنه لم يكن، «هل أتىٰ على الانسٰنِ حينٌ مِن الدّهر لم يكن شيئاً مذكوراً». (٤)على بعض التّفاسير: بيان لمجيئه ومضيّه، كأنّه لم يجيء ولم يمضِ. الماضى ميّت والغد لم يولد والآن محتضر.

ما فات مضى وماسيأتيك فأين   قُم فاغتنم الفرصة بين العدمَين(٥)

---

(١) شرح النّهج: ٨١/٧.
(٢) حرف النّون مع السّين.
(٣) شرح النّهج: ٨٢/٧.
(٤) الإنسان: ١.
(٥) أمثال وحكم ـ دهخدا: ١٣٨٩/٣.

١٥٥ ـ مَثَلُ مَنْ خَبرَالدّنيا كَمَثَل قومٍ سَفْر

في وصيّته لابنه الحسن عليهما السّلام مَثَلان ضربهما لِمَنْ خَبَرالدّنيا، ولِمَنْ اغترّها. قال عليه السّلام:

«إنّما مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدّنيا كَمَثل قومٍ سَفْرٍ، نَبا بهم منزلٌ جديبٌ، فأمّوا منزلاً خصيباً، وجناباً مريعاً، فاحتملوا وعثاء الطّريق، وفراق الصّديق، وخشونة السّفر، وجشوبة المَطْعم؛ ليأتوا سعة دارهم، ومنزل قرارهم، فليس يجدون لشيءٍ مِنْ ذلك ألماً، ولا يَرَوْنَ نفقةً فيه مَغْرَماً، ولا شيء أحبّ إليهم ممّا قرّبهم مِنْ منزلهم، وأدناهُمْ إلى محلّتهم.

ومَثَلُ مَنْ اغترّها كَمَثل قوم كانوا بمنزل خصيب، فنبابهم إلى منزلٍ جديبٍ، فليس شيءٌ أكره إليهم، ولا أفظع عندهم، مِنْ مفارقة ما كانوا فيه إلى مايهجمون عليه، ويصيرون إليه». (١)

للمَثَلَيْن شَرْحٌ كافٍ. وقد كثر ضرب الأمثال للدّنيا وأهلها في الكتاب والسّنّة، تحذيراً عن سوء المغبّة، وترغيباً إلى رفضها، والإقبال

---

(١) النّهج: ٨٢/١٦، الوصيّة: ٣١.

على الله عزّ وجلّ. وفي ضرب المَثَل في التحذير، أوالترغيب بما يجسّد المحذّر منه، أوالمرغّب فيه، ما لا يحصل بغيره، وهكذا سائر الدّواعي والأغراض.

قوله عليه السّلام: (نَبا)، يقال: نَبَا عنه بصره ينبو: أي تجافى، ولم ينظر إليه. ونَبَا به منزله، إذا لم يوافقه.(١)

يقول: مَثَلُ مَنْ عَرفَ الدّنيا، وعَمِل فيها للآخرة، كَمنْ سافر مِنْ منزلٍ جدبٍ إلى منزلٍ خصيبٍ، فلقي في طريقه مشقّةً، فإنّه لا يكترث بذلك في جنب مايطلب. وبالعكس مَنْ عَمِل للدّنيا، وأهْمَلَ أمْرَ الآخرةِ، فإنّه كمَنْ يسافر إلى منزلٍ ضنكٍ، ويهْجَر منزلاً رحيبا طيّباً (٢).

١٥٦ ـ محلّي منها محلّ القطب من الرّحى

من خطبة له عليه السّلام، وهي المعروفة بالشّقشقيّة، أوّلها:

«أما واللّه، لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وإنّه ليَعْلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحا... ...».(٣)

للمعتزليّ كلامٌ مرموقٌ، يشرح به الخطبة النّاصّة على اغتصاب

(١) نهاية ابن الأثير: في (نَبَا).

(٢) شرح النّهج: ٨٣/١٦.

(٣) النّهج: ١٥١/١، الخطبة: ٣.

الخلافة منه عليه السّلام شرحاً يخرجها عن مسيرها الواضح؛ فيشرح أوّلاً بعض لُغاها، ويصدّر الشّرح بقوله: (في هذا الفصل من باب البديع في علم البيان عشرة ألفاظ).

ثمّ أخذ في بيان العشرة عن آخرها. وبعد ذلك قال: فأمّا قوله عليه السّلام: «أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحا»؛ فليس من هذا النّمط الّذي نحن فيه، ولٰكنّه تشبيهٌ محضٌ خارجٌ من باب الاستعارة والتّوسّع.

يقول ـ عليه السّلام ـ: كما أنّ الرّحا لا تدور إلّا على القطب، ودورانها بغير قطب لا ثمرة له، ولافائدة فيه، كذلك نسبتي إلى الخلافة؛ فإنّها لا تقوم إلاّ بي، ولا يدور أمرها إلّا عليّ.(١)

ـثمّ يعلّق عليه بقوله:ـ هكذا فسّروه، وعندي، أنّه أراد أمراً آخر: وهو أنّي من الخلافة في الصّميم، وفي وسطها وبحبوحتها، كما أنّ القطب وسط دائرة الرّحا، قال الرّاجز:

على قلاصٍ مِثْل خيطان السَّلَم　　　إذا قَطَعْنَ عَلَماً بَدا عَلَم

.....　　.....

* في سُرّة المجد وبحبوح الكرم *

وقال أميّة بن أبي الصّلت لعبدالله بن جدعان:

---

(١) شرح النّهج: ١٥١/١ ـ ١٥٣.

فحللت منها بالبطا ح وحلّ غيرك بالظّواهر(١)

وبعد ترجمة أبي بكر قال:

(إن قيل: بيّنوا لنا ماعندكم في هذا الكلام؛ أليس صريحه دالّاً على تظليم القوم، ونسبتهم إلى اغتصاب الأَمْر؟! فما قولكم في ذلك؟ إنْ حكمتم عليهم بذلك فقد طعنتم فيهم، وإن لم تحكموا عليهم بذلك فقد طعنتم في المتظلّم المتكلّم عليهم!

قيل: أمّا الإماميّة من الشّيعة؛ فتُجري هذه الألفاظ على ظواهرها، وتذهب إلى أنّ النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله ـ وسلّم ـ نصّ على أميرالمؤمنين عليه السّلام، وأنّه غُصِبَ حَقُّه.

وأمّا أصحابنا رحمهم اللّه؛ فلهم أن يقولوا: إنّه لمّا كان أميرالمؤمنين عليه السّلام هو الأفضل والأحقّ، وعدل عنه إلى مَن لايساوية في فضلٍ، ولا يوازيه في جهادٍ وعلمٍ، ولا يماثله في سُؤْددٍ وشرفٍ ـ ساغ إطلاق هذه الألفاظ، وإن كان من وُسم بالخلافة قبله عدلاً تقيّاً ... ..). (٢)

هنا سؤال:

هل يوسم مَنْ قبله بالعدالة والتّقوىٰ؟ مع أنّ الإمام عليه السّلام ـ على اعترافك ـ هو الأحقّ بالخلافة مِنْ غيره لكونه الأفضل الأعلم الأسبق جهاداً وسُؤدداً وشرفاً!

---

(١) شرح النّهج: ١/١٥٣ ـ ١٥٤.

(٢) شرح النّهج: ١/١٥٦ ـ ١٥٩.

وهل العدل إلّا وضع الشّيء في موضعه؟

وهل التّقوى إلّا الطّاعة وترك المعصية؟ وأوّل الطّاعة والعدل نفي الهوى عن نفسه؟ وأين هذا مِنْ صرف الخلافة عن الأحقّ بها إلى نفسه؟!

وحاصل الجواب:

أنّ المصلحة في ترك الإمام عليه السّلام الخلافة لأبي بكرٍ، والعدول عنه إليه، وتأويل ماجاء عنه عليه السّلام من تظلّم. بأنّه شيءٌ ربّما يصنعه الخليل بالخليل.

والعجب ممّنْ يتفوّه بذلك، ويُعرف بالفهم والتّضلّع بمعرفة أساليب الكلام، والفرق بين مواضع الظّلامة والظّلم!

ونحن لانقول: ماالّذي حمله على ذلك؟! و لماذا صدّر خطبة الكتاب أى (شرح نهج البلاغة)؟ بقوله: (الحمدللّه الواحد العدل.. -إلى أن قال: -وقدّم المَفْضول على الأفضل لمصلحة اقتضاها التّكليف...).!!!

نعم المقدّم لأبي بكرٍ إنّما هو عمر؛ و تعالى اللّه عن تقديم المفضول على الفاضل، فضلاً عن الأفضل، علوّاً كبيراً؛ لأنّ ذلك ظلم قبيح لايصدر عنه جلّ جلاله، إلّا على مذهب الجبر الباطل في العقول الّذي لانقول به، وعليه بنى المعتزليّ تأويل الخطبة الصّريحة في الاغتصاب. وهل يُجدي الجحود بعد نصّ الغدير الّذي رواه الجمهور، وقد صنع العلامة الأمينيّ طاب ثراه كتاب (الغدير) الّذي ليس فيه إلّا نصوص القوم، فراجع(١)؛ إذ لايجوز للرّسول الإهمال والإرسال، فيختار كلٌّ مَنْ

(١) في أحد عشر جزءاً.

أحبّ، وينتهي الأمْر إلى شورى السّتّة المدبّرة لتعيين المختار لاسواه، و الحاكم القاهر على التّعيين السّيف القائم بيد طلحة الأنصاريّ الشّاهر به على الرّؤوس!!!

يتجلّى ذلك بوضوح لِمَنْ دَرَسَ الحوادث، منذ غمض عين الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم إلى السّقيفة، ومنها إلى الشّورىٰ وإلى اليوم! «فللّه الحجّة البٰلغة». (١)والعقل مِن الحجّة البالغة إذا خرج عن أسْر الهوىٰ، واستنار بنور الهدى.

١٥٧ ـ مَخَضَتْه مَخْضَ السّقاء

من خطبة له عليه السّلام يذكر فيها ابتداء خلق السّماء والأرض وغيرهما:

«... ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء، وشقّ الأرجاء، وسكائك السّماء، فأجرى فيها ماءً متلاطماً تيّارُه، متراكماً زخّارهُ، حَمَلَهُ على متن الرّيح العاصفة، والزّعزع القاصفة، فأَمَرَها بَرِدّه، وَسلّطها على شَدّه، وقَرَنَها إلى حدّه؛ الهواء مِنْ تحتها فتيق، والماء مِنْ فوقها دفيق.

ثمّ أنشأ سبحانه ريحاً اعتقَمَ مهبّها، وأدامَ مُرَبَّها، وأَعصفَ مجراها،

---

(١) الأنعام : ١٤٩.

وأَبْعدَ منشاها، فَأَمَرَها بتصفيق الماء الزّخّار، وإثارة موج البحار، فَمَخَضَته مَخْضَ السّقاء، وعَصفتْ به عَصْفها بالفضاء، تردّ أوّله على آخره، وساجِيْه على مائره، حتّى عَبَّ عُبابه، ورَمى بالزّبد ركامه، فرفعه في هواء منفتقٍ، وجوّ منفهقٍ. فسوّى منه سبع سموات ... ...». (١)

المخض: تحريك السّقاء الّذي فيه اللّبن ليخرج زُبده، ومنه الحديث: «بارك لهم في مَحْضها ومَخْضها»: أي الخالص والممخوض. (٢) والمَخض: هَدْر البعير، وهو على التّشبيه، كأنّه يمخض في شقشقته شيئاً. والماخض: الحامل إذا ضَرَبها الطَّلق، وهذا أيضاً على معنى التّشبيه، كأنّ الّذي في جوفها شيءٌ مائعٌ يتمخّض. (٣) ومنه المَثَل: (مذقتي أحبّ إليّ من مخضة آخر). (٤)

---

(١) النّهج: ٨٣/١، الخطبة: ١

(٢) النّهاية: في (مخض).

ومنه البيت من الشّعر الّذي سمعه النّاس من إنسانٍ من أهل الشّام في سواد اللّيل عند ما رُفعت المصاحف في حرب صفّين، أوّله:

رؤوس العراق أجيبوا الدّعاء فقد بُلغت غاية الشّدّهْ

إلى أن قال:

وحتّى متى مخض هذا السّقا ولا بدّ أن يُخرج الزُّبْدهْ

وقعة صفّين: ٤٨٣ - ٤٨٤، وفي ص: ٥٣٧، قول الأحنف لعليّ عليه السّلام: أخرج أبوموسى، زبدة سقائه في أوّل مخضه.

(٣) مقاييس اللّغة: ٣٠٤/٥، في (مخض).

(٤) مجمع الأمثال: ٣١٥/٢، حرف الميم.

قال الشّارح: اعلم أنّ كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام في هذا الفصل يشتمل على مباحث:

منها: أنّ ظاهر لفظه أنّ الفضاء الّذي هو الفراغ الّذي يحصل فيه الأجسام خلقه اللّه تعالى، ولم يكن مِنْ قبل؛ وهذا يقتضي كون الفضاء شيئاً؛ لأنّ المخلوق لايكون عدماً محضاً.

ومنها: أن البارئ ـ سبحانه ـ خلق في الفضاء الّذي أوجده ماءً جعله على متن الرّيح، فاستقلّ عليها وثَبَتَ وصارت مكاناً له، ثمّ خلق فوق ذلك الماء ريحاً أخرىٰ، سَلّطها عليه فموّجته تمويجاً شديداً حتّى ارتفع، فخلق منه السّماوات. وهذا أيضاً قدقاله قومٌ مِن الحكماء، ومِنْ جملتهم تاليس الإسكندرانيّ، وزعم أنّ الماء أصل كلّ العناصر؛ لأنّه إذا انجمد صار أرضاً، وإذا لَطُف صار هواءً، والهواء يستحيل ناراً؛ لأنّ النّار صفوة الهواء.

ويقال: إنّ في التّوراة في أوّل السِّفر الأوّل كلاماً يناسب هذا؛ وهو أنّ اللّه تعالى خلق جوهراً، فنظر إليه نظر الهيبة، فذابت أجزاؤه، فصارت ماءً، ثمّ ارتفع من ذلك الماء بخارٌ كالدّخان، فخلق منه السّمٰوات؛ وظهر على وجه ذلك الماء زَبَدٌ فَخَلَقَ منه الأرض، ثمّ أرساها بالجبال.(١)

الأجواء جمع الجوّ: وهو الفضاء العالي بين السّماء والأرض. والأرجاء: الجوانب، واحدها رجا مِثْل عصا. والسّكائك جمع سُكاكة:

---

(١) شرح النّهج: ١/٨٤ ـ ٨٥.

وهي أعلى الفضاء، والتّيّار: المَوْج. والمتراكم: الّذي بعضه فوق بعض. والزّخّار: الّذي يَزْخَر: أي يمتدّ ويرتفع. والرّيح الزّعزع: الشّديدة الهبوب، وكذلك القاصفة؛ كأنّها تُهلك النّاس بشدّة هبوبها.

«فأمرها بردّه»: أي بمنعه عن الهبوب؛ لأنّ الماء ثقيل، ومِنْ شأن الثّقيل الهُويّ. «وسَلّطها على شدّه»: أي على وثاقه؛ كأنّه سبحانه لمّا سلّط الرّيح على مَنْعه من الهبوط؛ فكأنّه قد شدّه بها وأوثقه، ومنعه من الحركة. «وقرنها إلى حدّه» : أي جَعَلَها مكاناً له: أي جعل حدّ الماء المذكور ـوهو سطحه الأسفلـ ممّا ساطح الرّيح الّتي تحمله وتُقلّه. والفتيق: المفتوق المنبسط. والدّفيق: المدفوق. «واعتقم مهبّها»: أي جعل هبوبها عقيماً، والرّيح العقيم: الّتي لا تلقح سحاباً ولا شجراً، إنّما خلقها اللّه سبحانه لتمويج الماء فقط. «وأدام مُربَّها»: أي ملازمتها، أربّ بالمكان: أي لازمه. والسّاجي: السّاكن. والمائر: الّذي يذهب ويجيء. «وعبّ عُبابه»: أي ارتفع أعلاه. ورُكامه: ثَبَجُهُ وهِضْبُه (١).

١٥٨ ـ المرأة ريحانة، وليْسَتْ بقهرمانة

جاء المَثَل في وصيّته لابنه الحسن عليهما السّلام:

«ولا تملّك المرأة مِنْ أمرها ما جاوز نفسها؛ فإنّ المرأة ريحانة،

---

(١) شرح النّهج: ١/٨٧ ـ ٧٨.

وليسَتْ بقهرمانة، ولاتَعْدُ بكرامتها نفسها، ولا تطمعها في أن تشفع لغيرها». (١)

ونظير المَثَل قول العرب المولّدين: (الخِلْم ريحانة، وليست بقهرمانة)، الخِلْم: الصّديق والصّاحب. (٢)

ثمّ في الوصيّة عدّة أمور ترتبط بالمرأة:

منها: المَنْع من إدخالها في الشّؤون المعاشيّة الّتي يقوم بها الرّجل، تبتني على الأغلب على صعوبةٍ وخشونةٍ لا تلائم نعومة المرأة وضعفها الذّاتيّ؛ ولأجلها قال عليه السّلام: «فإنّ المرأة ريحانة، وليْسَتْ بقهرمانة».

ومنها: المَنْع عمّا يمسّ كرامتها مِنْ ذهابها إلى اجتماعات رجاليّة، أو نسائيّة؛ فإنّ المرأة تسعى غالباً فيما فيه زينتها وتسويل نفسها.

ومنها: المَنْع عن الشّفاعة لغيرها؛ إذ لاتكون فكرتها ترجع إلى دين المشفوعة.

ومنها: ترك مشاركتها في المشورة.

ومنها: التّشديد في حجابها.

وإلى الأخيرَيْن أشار عليه السّلام في الوصيّة بقوله:

«وإيّاك ومشاورة النّساء؛ فإنّ رأيهنّ إلى أَفْنٍ، وعزمهنّ إلى وَهْنٍ، واكفف عليهنّ من أبصارهنّ لحجابك إيّاهنّ ؛ فإنّ شدّة الحجاب أبقى

---

(١) النّهج: ١٦/١٢٢، الوصيّة: ٣١. (٢) مجمع الأمثال: ١/٢٦٣، حرف الخاء.

عليهنّ، وليس خروجهنّ بأشدّ من إدخالك مَنْ لايوثق به عليهنّ، وإن استطعتَ ألّا يعرفن غيرك فافعل». (١)

ثمّ التمثيل بالرّيحانة يقصد منه: اللّذة والتّمتّع، وسكون الرّجل إليها، وضمان حياته الثّانية بالولد الّذي يبقى الوالد به، وإن كان ميّتاً فلأمرٍ أهمّ خُلِقَتْ: مِنْ أجل تربية الأولاد، وإدارة شؤونٍ داخليّةٍ، وهي: وسائل الثّقة، وفراغ البال لعبادة اللّه تعالى الغاية من الخلق، كما قال عزّ وجلّ: «وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون». (٢)ومن هنا وجبت النّفقة على الرّجل، حتّى لاتهتمّ بشيء سوى ماتقدّم.

١٥٩ ـ المرأة عقرب حُلْوة اللّسْبَة

من الكلمات الحكميّة ، وتمثيلاته عليه السّلام:

«المرأة عقرب حُلْوة اللّسْبة». (٣)

اللّسْبَة: اللّسعة. لَسَبَتْه العقرب، بالفتح: لسعته، ولَسِبْتُ العسل: أي لعقتُه.

---

(١) النّهج: ١٢٢/١٦.

(٢) الذّاريات: ٥٦.

ولايخفى أنّ المَثَل: «المرأة ريحانة، وليست بقهرمانة» يذكره صاحب البحار: ٢١٦/٧٧، و ٢٣٥. والوسائل: ١٢٠/١٤.

(٣) النّهج: ١٩٨/١٨، ح ٥٩.

جاءت عدّة تمثيلات في مَدْح المرأة وقَدْحها.

مِنْ الأوّل: «المرأة ريحانة، ولَيْسَتْ بقهرمانة». (١)«المرأة لُعْبة». (٢) «النّساء شقائق الرّجال». (٣)

ومن الثّاني النّبويّ: «انّما مَثَل المرأة مَثَل الضّلع المعوجّ ،إن تركته انتفعت به...». (٤)

هي الضّلَعُ العَوْجاء لَسْتَ تُقيمها	ألا إنّ تقويم الضّلوع انكسارها
أيجمعن ضَعْفاً واقتداراً على الفتى	أليس عجيباً ضعفها واقتدارها؟!

«المرأة شرّ كلّها، وشرّ ما فيها أنّه لابدّ منها». (٥)

إنّ النّساء كأشجارٍ نَبَتْنَ معاً	هنّ المُرار وبعض المُرّ مأكول
إنّ النّساء متى ينهين عن خُلُقٍ	فإنّه واجبٌ لابدّ مفعول (٦)

قيل: إنّ كيد النّساء أعظم مِنْ كيد الشّيطان؛ لأنّ اللّه تعالى ذكر

---

(١) النّهج: ١٢٢/١٦، الوصيّة: ٣١. وعيون ابن قتيبة: ٧٩/٤.

(٢) الوسائل: ١١٩/١٤. الأمثال النّبويّة: ٢٦٢/٢، رقم المَثَل: ٥٥٧، حرف اللاّم مع العين.

(٣) نهاية ابن الأثير: في (شقق).

(٤) الوسائل: ١٢٣/١٤. الأمثال النّبويّة: ٢٦٣/٢، رقم المَثَل: ٥٥٨، حرف الميم مع الرّاء.

(٥) النّهج: ٦٩/١٩، ح ٢٣٥، و ١٩٩/١٨. (٦) شرح النّهج: ٢٠٠/١٨.

الشّيطان، فقال: «إنّ كيد الشّيطٰن كان ضعيفاً».(١) وذكر النّساء، فقال: «إنّه مِنْ كيدكنّ إنّ كيدَكنّ عظيم».(٢)

والجواب: أنّ ضعف كيد الشّيطان إنّما هو في جنب اللّه تعالى، وعظم كيد النّساء بالقياس إلى الرّجال.

وبعد ذلك كلّه أنّه لولا النّساء لما كان الرّجال، وإن افترقن عنهم بفروق. بل في الصّادقي: «فربّ امرأةٍ أفقه من رجل»، والآخر: «ربّ امرأةٍ خيرٌ من رجل».(٣)

وكفى شرفاً أنّ من النّساء فاطمة الزّهراء بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، وخديجة بنت خويلد، وحوّاء أمّ البشر، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وغيرهنّ من الفُضليات؛ وأفضلهنّ أُولا هنّ في الذكّر. على أنّ الأتقىٰ سواءً أكان مِن الرّجال، أو مِن النّساء، هو الأكرم عنداللّه عزّ وجلّ، كما قال تعالى: «إنّ أكرَمَكُم عِنْداللّه أتقٰكم» (٤).

---

(١) النّساء: ٧٦.

(٢) يوسف: ٢٨.

(٣) الوسائل: ٨/ باب: ٨، جواز استنابة...، ص: ١٢٤-١٢٥، رقم الحديث: ٤و٧.

(٤) الحجرات: ١٣.

١٦٠ ـ مستقبلين رياح الصّيف تضربهم

تمثّل عليه السّلام به في كتابه إلى معاوية جواباً عن كتابه:

«أمّا بعدُ، فإنّا كنّا نحن وأنتم على ماذكرت من الأُلفة والجماعة، ففرّق بيننا وبينكم أمسِ أنّا آمنّا وكفرتم... ...

وذكرتَ أنّك زائري في جمعٍ مِن المهاجرين والأنصار، وقد انقطعت الهجرة يوم أُسِرَ أخوك، فإنْ كان فيك عجلٌ فاسترْفِهْ،فإنّي إن أزرْكَ فذلك جديرٌ أن يكون اللّه إنّما بعثني إليك للنّقمة منك، وإن تزرني فكما قال أخوبني أسد:

مستقبـلين رياح الصّيف تضربهم بحاصبٍ بين أغوارٍ وجلمود».(١)

الحاصب لقوم لوط: وهي ريحٌ عاصفٌ فيها حصباء، والحصباء: صغار الحصىٰ. والأغوار جمع غَوْر، والغَوْر: ما بين ذات عرقٍ إلى البحر غور تهامة، فتهامة أوّلها ذات عرقٍ مِنْ قِبَل نجد إلىٰ مرحلتين مِنْ وراء مكّة، وماوراء ذلك فهو الغَوْر. والجَلْمَد والجُلْمود كجَعْفَر وعُصْفور:

---

(١) النّهج: ١٧/٢٥٠،ك ٦٤.

الصّخر، ميمه زائدة.(١) وقيل: الغور: الغبار.

وحصيلة كلام الإمام عليه السّلام: تكذيب معاوية أن يكون معه مهاجر أوناصر؛ بانقطاع الهجرة بأسر أخيه يزيدبن أبي سفيان في باب الخَنْدَمة، بل الّذين معه هم أبناء الطّلقاء. فإن زرتُك فأنا نقمة اللّه عليك، وإن زرتني فأنت كأرياح الصّيف، لا فائدة فيها سوى ضرب الوجوه بصغار الحصى والغبار، أوبين الصّخور من أراضي تهامة: أي زيارتك شرّ كلّها. والخَنْدَمة: جبل بمكّة.(٢)

قال المعتزليّ: «كنت أسمع قديماً أنّ هذا البيت مِن شعر بُشربن أبي حازم الأسديّ، والآن قد تصفّحت شعره فلم أجده، ولا وقفت على قائله). (٣)

وكيف كان فالمَثَل منطبق على كلّ مَنْ فيه من صفات معاوية، مهما كان نوعه، فزيارة المنافقين كلّها شرٌّ لاخير فيها؛ إذْ لم يُرَدْ بها وَجْهُ اللّه عزّ وجلّ، ولَيْسَتْ هي مِنْ رَوْح اللّه كزيارة المؤمنين ولقائهم، كما في الصّادقيّ: «إنّ مِنْ رَوْح اللّه ثلاثة: التّهجّد باللّيل، وإفطار الصّائم، ولقاء الإخوان» (٤).

---

(١) مجمع البحرين: في (حصب، وغور، وجلمد).

(٢) منتهى الأرب في لغة العَرَب: في (خ ن د م).

(٣) رسالة الإسلام: عدد: ٧ - ٨، ص:١٢٧.

(٤) الوسائل: ١٠/ باب ٩٨ استحباب لقاء إخوان المؤمنين، ص :٤٥٩- ٤٦٠، الحديث: ٤.

١٦١ ـ مصادقة الكذّاب كالسّراب

من كلام له لابنه الحسن عليهما السّلام:

«إيّاك ومصادقة الكذّاب؛ فإنّه كالسّراب يقرّب عليك البعيد، ويبعّد عليك القريب».(١)

المصادقة: العشرة بين الاثنين ومافوق بصدقٍ وصفاءٍ على ما تقتضيه لفظة (المصادقة)، المشتقّة من الصّدق. والكذّاب: مَنْ يكذب كثيراً. والسّراب: مايُرىٰ في الفلاة مِنْ ضوء الشّمس وقت الظّهيرة، يسرب على وجه الأرض كأنّه ماءٌ يجري.(٢) كما في قوله تعالى: «كسراب بقيعةٍ يحسبُه الظَّمْئَان ماءً».(٣) وماهو بماءٍ في الحقيقة، وإنّما هو انعكاس شعاع الشّمس على أُفق الأرض، يخيّل للنّاظر إليه من البعيد أنّه ماءٌ يجري، كذلك الكذّاب بكذبه يخيّل للمصادق له أَنّ مايقوله أويعمله أو أيّ شيءٍ هو فيه هو عين الحقّ واقعاً، وأنّه يراه مِنْ قريب، بينما لا حقيقة له، وبعيدٌ مِن الحقّ غايته.

والكذب يعمّ القول والعمل والقصد وكلّ حركةٍ وسكونٍ مِنْ ظاهر

---

(١) النّهج: ١٥٧/١٨، الحكمة: ٣٨.

(٢) تفسير الكشّاف: ٢٤٣/٣.

(٣) النّور: ٣٩.

الإنسان وباطنه أمام الخالق تعالى أوالخلق، وكذلك الصّدق بلا قصرٍ على هذا أوذاك ، فتتّصف بهما الجوارح والجوانح، كما لا قصر فيهما على كبيرٍ أوصغيرٍ، ولا الجدّ دون الهزل. في الحديث: «كان عليّ بن الحسين -عليهما السّلام- يقول لِوُلْدِه: اتّقوا الكذب، الصّغير منه والكبير، في جدٍّ وهزلٍ؛ فإنّ الرّجل إذا كذب في الصّغير اجترى على الكبير. أما عَلِمْتُمْ أنّ رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلّم- قال: مايزال العبد يصدق حتّى يكتبه الله صدّيقاً. ومايزال العبد يكذب حتّى يكتبه الله كذّاباً».(١) وفي الآخر قال الباقر عليه السّلام: «إنّ أوّل مَنْ يُكذّب الكذّاب الله عزّ وجلّ، ثمّ الملكان اللّذان معه، ثمّ هو يعلم أنّه كاذبٌ».(٢)

والغرض مِنْ نهي مصادقة الكذّاب والتّحذير عنها الابتعاد عن سراية هذه الرّذيلة إلى نَفْس مَنْ يصادقه، فإنّها تكتسب عن كلّ مصادقٍ مِنْ حيث تعلم أو لا تعلم، والخطاب عامّ يشمل غير الإمام الحسن عليه السّلام أوعلى حدّ قول القائل: (إيّاك أَعْني واسمَعي يا جارهْ!) (٣).

---

(١) أصول الكافي: ٢/٣٣٨.

(٢) المصدر: ٢/٣٣٩.

(٣) المصدر: ٢/٦٣١.

١٦٢ ـ معلّم نفسه ومؤدّبـها أحقّ بالإجلال

قال عليه السّلام:

«مَنْ نَصَبَ نَفْسَه للنّاس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرتِهِ قبل تأديبه بلسانه، ومعلّم نفسه، مؤدّبها أحقّ بالإجلال من معلّم النّاس ومؤدّبهم.»(١)

قال ابن أبي الحديد: الفروع تابعةٌ للأُصول، فإذا كان الأصل معوجّاً استحال أن يكون الفرع مستقيماً، كما قال صاحب المَثَل: (وهل يستقيم الظّل والعُودُ أَعْوج)، فَمَنْ نَصَبَ نفسه للنّاس إماماً ولم يكن قد علّم نَفْسَه ما انتصب ليعلّمه النّاس، كان مَثَل مَنْ نَصَبَ نفسه ليعلّم النّاس الصّياغة، والنّجارة، وهو لايُحْسِنُ أن يصوغ خاتماً، ولا ينْجر لَوْحاً، وهذا نوع من السّفه بل هو السّفه كلّه.

ثمّ قال عليه السّلام: وينبغي أن يكون تأديبه لهم بفعله وسيرتِهِ قبل تأديبه لهم بلسانه؛ وذلك لأنّ الفعل أدلّ على حال الإنسان مِن القول.

ثمّ قال: «ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال مِنْ معلّم النّاس

---

(١) النهج: ٢٢٠/١٨، الحكمة: ٧١.

ومؤدّبهم». وهذا حقّ؛لأنّ من علّم نَفْسَه محاسن الأخلاق أعظم قَدْراً مِمَّنْ تعاطىٰ تعليم النّاس ذلك، وهو غير عاملٍ بشيءٍ منه، فأمّا مَنْ علّم نفسه وعلّم النّاس فهو أفضل وأجلّ مِمَّنْ اقتصر على تعليم نَفْسه فقط. لاشبهة في ذلك.(١)

العالم: إمّا مؤدبٌ لنَفسه وغيره، وإمّا لايؤدّ بهما، وثالثةً مؤدّبٌ لنفسه دون غيره، ورابعةً مؤدّبٌ غيره دون نفسه؛ فالأقسام أربعة: والأخيران: أي المؤدّب نفسه، والمؤدّب غيره ينطبق عليهما قوله عليه السّلام: «ومعلّم نَفْسه ومؤدّبها أحقّ» إلى آخره. والقسمان الأوّلان مستفادان مِن أوّل كلامه عليه السّلام إلى قوله عليه السّلام: «قبل تأديبه بلسانه»، مِن مجموع منطوقه ومفهومه، فتدبّر تعرفه إن شاء اللّه.

وفي نبويّ: «مَثَلُ العالم الّذي ينسىٰ نَفْسَه كَمَثَل السّراج يُضيء للنّاس ويُحرق نَفْسه».(٢) وقبل كلّ شيءٍ قوله تعالى: «أتأمرون النّاس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتٰب أفلا تعقلون».(٣)

ولا تخصّ الآية اليهود أوالنّصارىٰ، وإن نَزَلَتْ فيهم، بل هي قياسٌ كلّيٌّ مطبّقٌ على كلّ مختصلٍ بخصالهم المصرّحة في الآية، وقد تكلّمنا على النّبويّ والآية في كتابنا: (الأمثال النّبويّة).(٤) والنّاسي نَفْسه المؤدّب غيره:

---

(١) شرح النّهج: ١٨/٢٢٠.

(٢) الجامع الصّغير: ٢/١٥٤.

(٣) البقرة: ٤٤.

(٤) ج: ٢/١٩٣، رقم المثل: ٤٩٩، حرف الميم مع الثّاء.

* طبيبٌ يداوي النّاس وهو عليلُ *(١)

والآمر بالمعروف التّارك له، والنّاهي عن المنكر العامل به، ملعون على لسان النّبيّ والأئمة صلوات اللّه عليهم أجمعين بعد الخالق عزّ وجلّ، ولا يُقدم على ذلك إلّا فاقد الإيمان المنافق، وفيه قال القائل:

يقول لكم: غدوتُ بلا كساءٍ ... وفي لذّاتها رَهَنَ الكساء
إذا فَعَلَ الفتىٰ ماعنه يَنْهىٰ ... فمِنْ جهتين لاجهةٍ أساءَ(٢)

وكيف يرضي ضميره مَنْ يَنْصِب نَفْسه لتأديب غيره بما يفقده، وكفى له ردعاً قوله تعالى: «يٰأَيّها الّذين ءَامَنُوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون * كَبُر مقتاً عنداللّه أن تقولوا مالا تفعلون».(٣) وقال القائل، ونِعم ماقال:

لا تَنْه عن خُلُقٍ وتأتي مِثْلَه ... عارٌ عليك إذا فَعَلْتَ عظيم(٤)
إذا عِبتَ أمراً فلا تَأْتِهِ ... فذُو اللّبِّ مجتنبٌ مايعيب (٥).

---

(١) التّمثيل والمحاضرة: ١٨٢. (٢) سحرالبلاغة: ١٩٣.

(٣) الصّفّ: ٢ - ٣.

(٤) تفسير روح البيان: ٤٩٤/٩. مجمع الأمثال: ٢١٣/٢، مِنْ أبيات أوّلها:

يا أيّها الرّجل المعلّم غَيْرَه ... ألّا لنفسكَ كان ذا التّعليمُ

مجموعة ورّام: ٢٩٣/٢.

(٥) مجمع الأمثال: ٢٣٨/٢، حرف اللاّم.

١٦٣ ـ مَنْ أَبْدى صفحته للحقّ هلك

من خطبة مطوّلة له عليه‌السّلام مشتملة على نبذة أمثال منها: «مَنْ أَبْدى صفحته للحقّ هَلَكَ عند جهلة النّاس». (١)

قال المعتزليّ: مَنْ كاشف الحقّ مخاصماً له هلك ـ على روايةٍ ليست فيها فقرة «عند جهلة النّاس» ـ وهي كلمة جارية مجرى المَثَل. ومراده على الرّواية الثّانية: «مَنْ أَبْدى صفحته لنصرة الحقّ غلبه أهل الجهل» ـ لأنّهم العامّة وفيهم الكثرة ـ فهَلَكَ. (٢)

وقال السّيّد الخطيب: نقلاً عن المعتزليّ على الرّواية الأولى: كأنّه يقول: هَلَكَ مَن ادّعى الإمامة، ورُدي مَن اقتحمها و ولجها مِنْ غير استحقاقٍ؛ لأَنّ كلامه عليه‌السّلام في هذه الخطبة كلّه كنايات عَن الإمامة لاغيرها. (٣)

أقول: الرّواية الثّانية نقلها السّيّد الخوئيّ في منهاج البراعة(٤) وغيره، فيشبه أنّها الصّحيحة لا الأولى الّتي صحّحها المعتزليّ، وعلى أيّ تقديرٍ، له تفسيره الآنف الذّكر، ونزيد الثّانية بياناً.

---

(١) النّهج: ١/٢٧٣، الخطبة: ١٦.

(٢) شرح النّهج: ١/٢٧٤ ـ ٢٧٥.

(٣) مصادرالنّهج: ١/٣٥٤، هامشه.

(٤) ج: ١/٢٣٢.

قوله عليه السّلام: «هلك عند جهلة النّاس» لعلّ المراد:

ضياع جهاد المُبدي صفحته للحقّ عند الجهّال؛ لأنّ الّذي ينصر الدّين، ويقوم في ميدان الجهاد بقدمِهِ وقلمِهِ وبيانِهِ، ويبذل كلّ طاقاته في سبيل نصرة الحقّ المعبّر عن ذلك كلّه، بإبداء صفحته له، لايقدّر جهاده الجهّال؛ لجهلهم بما للجهاد من مقام عند اللّه تعالى، وما يَمْنح المجتمع من صلاحٍ لدينهم ودنياهم، فيكون المجاهد كالهالك.

أو تفسيره الآخر مِنْ معاداة الجهّال مع مَنْ يجاهد في سبيل الحق، ومقاتلتهم إيّاه، فيَهْلَكَ بسَيْف بغيهم، كما فَعَلت الأُمم بأنبيائها وأوصيائها عليهم السّلام. أليس الإمام الحسين عليه السّلام خَرَجَ مِن المدينة المنوّرة إلى العراق، ليأمر بالمعروف ويَنْهى عن المنكر، ويسير بسيرة جدّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم في إصلاح الأُمّة، فاجتمعت عصابةٌ منهم حتّى قتلوه، وقتلوا وُلدَه وإخوته وأصحابه في حادثة كربلاء العظمى الّتي عمّت رزيّتها الإسلام والمسلمين إلى يوم القيامة.

وتجد كلّ مَنْ قام لنصرة الدّين حاربوه وقاتلوه بكلّ طاقاتهم في كلّ دَوْرٍ مِن الأدوار، خاصّة أرباب المناصب الدّنيويّة والسُّلطة الجائرة، حيث تخشى استلاب كراسيّها وتيجانها، وتحسّ بالخطر، فتثور في وجوه الثّائرين ضدّهم، وليس ذلك إلّا لجهلهم بما يُسعدهم ويُشقيهم.

وهل دعوة الأنبياء عليهم السّلام والمجاهدين في سبيل اللّه عزّ وجلّ إلاّ لسعادة النّاس، لو عقلوها، بلى واللّه عقلوها، ولكنّ الدّنيا حَليَت في أعينهم، ومَلَكتْ قلوبهم شهواتها الفانية ولذائذها المزعومة.

١٦٤ ـ مَن استسلم لهلكة الدّنيا والآخرة هَلَكَ

مِنْ كلام له عليه السّلام في الشّكّ وشُعَبه الأربع: التّماري، والهول، والتّردّد، والاستسلام. قال عليه السّلام:

«ومَن استسلم لهلكة الدّنيا والآخرة هَلَكَ فيها».(١)

الاستسلام لشيءٍ: الانقياد له، فيعقبه الجري عليه عملاً وقولاً على الإطلاق، وهذا لم يسلم الإنسان معه مِن الهلاك، إذا لم تكن المقاييس العقليّة والشّرعيّة تعدّله، ومِنْ هنا نهي الإلقاء بالأيدي إلى التّهلكة بقوله تعالى: «وأنفقوا فى سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التّهلكة وأحسنوا إنّ الله يحبّ المحسنين».(٢) وفيه إشارات:

منها: ترتّب التّهلكة على منع الإنفاق المستفاد مِن الأمر به في دفعها، كما أنّ النّجاة منها مفهومة بنفس الإنفاق، ولم يكتف على مجرّده، حتّى أمر عزّ وجلّ بالإحسان المسبّب لحبّه، ومَنْ أحبّه كان في كنفه وحصنه الحصين عن أن تناله يد السّوء.

---

(١) النّهج: ١٨/١٤٣، الحكمة: ٣١.

(٢) البقرة: ١٩٥.

ومنها: الإشارة إلى الكفّ عمّا يُفضي إلى التّهلكة، فضلاً عنها نفسها، حيث قال: «إلى التّهلكة» ولم يقل عزّ وجلّ: (في التّهلكة). وكلمة (إلى) تقال: فيما ربّما يتحقّق معه مدخولها خارجاً. فالأمر بالإنفاق تحْذير عمّا يوجب الهلاك أحيانا. والمقصود هنا: الإشارة، لابيان جميع ما في الآية من إشارة.

وهلكة الدّنيا: هي الاقتحام في الشّرور والأضرار، وما به فساد البدن، أوما يمتّ به من داخل أوخارج ممّا لايحصى مِنْ مهلكات. وهلكة الآخرة: الكفر بأنواعه الخمسة، (١)ومعاصي الجوارح والجوانح من فساد المعتقدات وغيرها الّتي بيّنها الوحي وشرائع السّماء المنزلة على الأنبياء عليهم السّلام، لاسيّما القرآن الكريم المنزل على الرّسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم، وروايات أهل البيت المعصومين عليهم السّلام، ومنها حديثنا الجاري تشمل الهلكة فيه لكلّ ماذكر، ومالم يذكر.

ثمّ الهلكة قد حكم العقل باجتناب محتملها فضلاً عن معلومها أو مظنونها، والشّرع أَمَرَ بالتّجنّب عن محتملها أمراً إرشاديّاً، كما ذهب إليه الأصوليّ، أو مولويّاً، وعليه الأُخباريّ بروايات الاحتياط الّتي تناولها الفقهاء بالبحث عنها في علم الأصول، وبالطّريق الأَولى في المظنون والمقطوع، ويتفرّع على ذلك فروعٌ فقهيّةٌ كثيرةٌ، مذكورةٌ في علم الفقه.

ومِنْ جعل الإمام عليه السّلام الاستسلام الموجب للهلاك مِنْ شُعَب الشّكّ الأربع الآنفة الذّكر، يتجلّى بوضوحٍ حكمُ معلوم الهلاك

---

(١) تفسير البرهان: ١/٥٧.

ومظنونه. إن أُريد مِن الشّكّ متساوي الطّرفين، فالقسمة ثلاثيّة، وإن أُريد منه ما قابل اليقين، كان الظّنّ داخلاً في الشّكّ، والقسمة ثنائيّة لامحالة.

والمقصود مِن الاستسلام عدم المقاومة في اتّجاه المصاعب والحوادث التّي يختلف حكمها حسب المقامات والظّروف، وعدم الأخذ بالاحتياط فيها، بل ينقاد لأدنى شيءٍ لايرتضيه العقل والشّرع، والإمام عليه السّلام في مقام الذّمّ لذلك.

وللعرب أمثالٌ سائرةٌ، منها قولهم: (بَرْد غداةٍ غَرَّ عبداً مِنْ ظماءٍ)، سافر عبد بكرةً، فلم يستصحب الماء لما رأى مِن البرد، فلمّا حميت الشّمش عليه هَلَكَ عَطَشاً. فقيل: ذلك يضرب في الأمر بالاحتياط.(١) (مَنْ حَدَّثَ نَفْسَهبطول البقاء فليوطّن نَفْسَه على المرازي).(٢) والمرازي، جمع مرزيّة. وفي نسخةٍ: المصائب، (٣) جمع مصيبة. والعاقل أدرى بمواضع الهلاك والنّجاة.

---

(١) المُستقصى: ٢/٨.

(٢) المُستقصى: ٢/٣٥٤.

(٣) هامش المُستقصى: ٢/٣٥٤.

١٦٥ - مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ

من وصاياه لابنه الحسن عليهما السّلام:
«مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ». (١)

ورواها الشّيخ المجلسيّ رحمه‌الله بلفظ: «مَنْ أَكْثَرَ هَجَرَ»، (٢)ونسخة: (أَهْجَرَ). (٣)

ومِنْ كُتُبِ الأدب مجمع الأمثال جاء فيه: (مَنْ أَكْثَر أَهْجَرَ) الإهجار: الإفحاش، وهو أن يأتي في كلامه بالفُحش، الهُجر: الاسم مِنْ الإهجار، كالفُحش مِن الإفحاش، سمّي هُجراً لهَجْر العقلاء إيّاه. يضرب لِمَنْ يأتي في كلامه بما لا يعنيه. (٤) وكتاب المُستقصىٰ: (مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ): أي أتى بالهُجر، وهوالفُحش؛ يضرب في ذمّ المِهْذار. (٥)

قال ابن أبي الحديد: يقال: أَهْجَرَ الرّجل، إذا أَفْحَشَ في المنطق

---

(١) النّهج: ٩٧/١٦، الوصيّة: ٣١.

(٢) البحار: ٢١٨/٧٧.

(٣) البحار: ٢٢٩/٧٧.

(٤) ج: ٢٩٧/٢.

(٥) ج: ٣٥٣/٢.

السّوء والخنا، قال الشّمّاخ:

كما جدةِ الأعراق قال ابن ضرّةٍ عليها كلاماً جارفيه وأهجَرا

وهذا مِثْل قولهم: (مَنْ كَثُرَ كلامه كَثُر سَقَطه)، وقالوا أيضاً: (قلّما سلم مِكْثارٌ، أو أمَنَ مِنْ عثار). (١)

قال الزّمخشريّ: قال صلّى الله عليه وآله وسلّم في مرضه: «ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده أبداً، فقالوا: ماشأنه، أهجَرَ»: أي أهَذى، يقال: هجر يهجر هجراً، إذا أهذى، وأهجر: أفحش. (٢)

وقال ابن الأثير: أي اختلف كلامه بسبب المرض على سبيل الاستفهام: أي هل تغيّر كلامه واختلط لأجل مابه من المرض؟ وهذا أحسن مايقال فيه، ولا يجعل إخباراً، فيكون إمّا من الفُحش، أوالهذيان، والقائل كان عمر! ولايظنّ به ذلك. (٣) نعم لايظنّ به ذلك، بل يقطع، والحديث ذوشجون. (٤)

والهَجر بفتح الهاء: ضدّ الوصل، ومنه: «واهجرهم هَجْراً جميلاً». (٥) والحديث: «لا هَجْرة فوق ثلاث» (٦)

---

(١) شرح النّهج: ٩٩/١٦.

(٢) الفائق: ٩٣/٤، في (هجر).

(٣) النهاية: ٢٤٦/٥، في (هجر).

(٤) مجمع الأمثال: ١٩٧/١.

(٥) المزمّل: ١٠.

(٦) مجمع البحرين: في (هجر). أصول الكافي: ٣٤٤/٢، باب الهجرة الحديث ٢.

والإكثار سبب الإهجار، وقلّ مَنْ يسلم منه إذا كان مكثراً (المكثار كحاطب ليلٍ).(١) «إذا تمّ العقل نقص الكلام».(٢) قيل: (ما شيءٌ أحقّ بطول سجنٍ مِن لسانٍ). قاله ابن مسعود رضي الله عنه، جعل الفم سجناً للّسان يمنعه من الزّلل كما يحبس أهل الدّعارة في السّجون، يضرب في حفظ اللّسان.(٣) أقول: هو مرويّ عن أمير المؤمنين عليه السّلام (٤)

لولم يكن لحفظ اللّسان إلّا «والّذين هم عن اللّغو مُعرضون».(٥) ممّا وصف عزّ وجلّ به المؤمنين لكفى. واللّغو من لغا يلغو، ولغي يلغَى: إذا تكلّم بالمُطَرح من القول وما لا يعنى. (٦) وكذا: «ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد».(٧) الرّقيب: المحافظ، والعتيد: المعدّ المهيّأ للزوم الأمر. والآية تذكر مراقبة الكتبة للإنسان فيما يتكلّم به من كلام.(٨)

والإكثار داء دواؤه الصّمت، من هنا جاء في حسنيّ: «نِعم العون الصّمت في مواطن كثيرة، وإن كنت فصيحاً». (٩) ونبويّ: «فاصمت

---

(١) الفاخر: ٢٦٤.
(٢) النّهج: ٢١٧/١٨.
(٣) المستقصى: ٣٢٤/٢.
(٤) السّفينة: ٥٠٩/٢، في (لسن)، مع تغيير يسير. وكذا الخصال: ١٥/١. والوسائل: ٥٣٥/٨.
(٥) المؤمنون: ٣.
(٦) النّهاية: في (لغا).
(٧) ق: ١٨.
(٨) تفسير الميزان: ٣٤٨/١٨.
(٩) السّفينة: ٥٠/٢، في (صمت).

لسانك إلّا من خير».(١) وفي حديث باقريّ: «كان أبوذرّ يقول: يا مبتغي العلم إنّ هذا اللّسان مفتاح خير، ومفتاح شرّ، فاختم على لسانك، كما تختم على ذهبك وورقك».(٢) وصادقيّ قال: «قال لقمان لابنه: يا بنيّ! إن كنت زعمت أنّ الـكلام من فضّة، فإنّ السّكوت من ذهب».(٣) ونبويّ: «نجاة المؤمن في حفظ لسانه» (٤).

١٦٦ ـ من تردّد في الرّيب وطِئته سنابك الشّياطين

في كلام له عليه السّلام:

«من تردّد في الرّيب وطئته سنابك الشّياطين».(٥)

الفرق بين الشّكّ والرّيب، قال السّيّد الجزائريّ: (الشّكّ): هو تردّد الذّهن بين أمرين على حدٍّ سواء. و أمّا (الرّيب): فهو شكّ مع تهمة.

---

(١) أصول الكافي: ١١٤/٢. (٢) المصدر.

(٣) المصدر.

(٤) المصدر.

ثم لايخفى أنّ المعتزليّ قال عند عدّ الأمثال في أحد فصول الوصيّة: وسابعها، قوله: «مَنْ أكثر أهجر» شرح النّهج: ٩٩/١٦. وهوعندنا ثامنها على خلافٍ بيننا في عدّها. فراجع حرف التّاء مع الألف من الأمثال العلويّة.

(٥) النّهج: ١٤٣/١٨، الحكمة: ٣١.

ويدلّ عليه قوله تعالى: «ذٰلك الكتٰب لاريب فيه». (١) فإنّ المشركين مع شكّهم في القرآن، كانوا يتّهمون النّبيّ -صلّى اللّه عليه وآله وسلّم- بأنّه هوالّذي افتراه، وأعانه عليه قوم آخرون، ويقرب منه المِرية، أوهو بمعناه.

وأمّا قوله -تعالى-: «إن كنتم فى شكّ من دينى». (٢) فيمكن أن يكون الخطاب مع أهل الكتاب أوغيرهم، ممّن كان يعرف النّبيّ -صلّى اللّه عليه وآله وسلّم- بالصّدق والأمانة، ولا ينسبه إلى الكذب والخيانة. (٣)

والرّيب رابع شُعَب الشّكّ الأربع المذكورة قبله: «والشّكّ على أربع شعب: على التّماري، والهول، والتّردّد، والاستسلام». (٤)

وبيان نتاجها السّيّىء يأتي مع كلّ فقرة فقرة في محلّها إن شاء اللّه تعالى، فإنّه عليه السّلام قال: «فمَنْ جعل المراء ديدناً لم يُصبح ليله، ومَنْ هاله مابين يديه نَكَصَ علىٰ عقبيه، ومَنْ تردّد في الرّيب وَطِئَتْه سنابك الشّياطين، ومَن استسلم لهلكة الدّنيا والآخرة هَلَكَ فيهما». (٥) فاطلبها من مظانّها (٦)

---

(١) البقرة: ٢.

(٢) يونس: ١٠٤.

(٣) فروق اللّغات: ١١٠.

(٤) النّهج: ١٨/١٤٣.

(٥) المصدر.

(٦) حرف الميم مع النّون.

والتّردد: انتقاض العزيمة وفسخها ثمّ عودها.(١) قال الشّيخ **الطّريحيّ: السُّنبُك كقُنفُذ:** طرف مقدّم الحافر. وهو معرّب، والجمع سنابك، **ومنه الحديث:** «مَن امترىٰ في الدّين وَطِئَـتْه سنابك الشّياطين»، **وهو** مبنيّ على الاستعارة.(٢) لعلّه يريد بالحديث: كلام الإمام عليه السّلام على نسخة رآها كذلك.

وكيف كان، فالشّكّ والرّيب يتعوّذ منه، في صادقيّ: «كان رسول اللّه ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ يتعوّذ فى كلّ يوم مِنْ ستٍّ: من الشّكّ والشّرك والحميّة والغضب والبغي والحسد».

قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: «إنّ الشّكّ والمعصية في النّار، ليسا منّا ولا إلينا، وإنّ قلوب المؤمنين لمطويّة بالإيمان طيّاً، فإذا أراداللّه إنارة ما فيها فتحها بالوحي، فزرع بالحكمة زارعها وحاصدها».(٣)

ويقابل الشّكّ اليقين، في صادقيّ: «إنّ رسول اللّه ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ صلّى بالنّاس الصّبح، فنظر إلى شابّ في المسجد، و هو يخفق ويهوي برأسه، مصفرّاً لونه، قد نَحفَ جِسْمُه، وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول اللّه ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ كيف أَصْبَحْتَ يا فلان؟ قال: أصبحتُ يا رسول اللّه مُوقناً، فتعجّب رسول اللّه مِنْ قوله وقال: إنّ لكلّ يقينٍ حقيقةً، فما حقيقة يقينك؟ فقال: إنّ يقيني يا رسول اللّه

---

(١) هامش مصادر النّهج: ٤/٢٩.

(٢) مجمع البحرين: في (سبك).

(٣) السّفينة: ١/٧١١، في (شكّ).

هوالذّي أَحْزَنَني، وأَسْهَرَ لَيْلي، وأَظْمَأَ هواجري، فَعزَفَتْ نفسي عن الدّنيا وما فيها ، وحتّىٰ كأنيّ أنظر إلىٰ عرش ربّي، وقد نصب للحساب، وحُشر الخلائق لذلك، وأنافيهم، وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة، يتنعّمون في الجنّة، ويتعارفون وعلى الأرائك متكّئون، وكأنيّ أنظر إلى أهل النّار، وهم فيها معذّبون مصطرخون وكأنّي الآن أسمع زفيرالنّار، يدور في مسامعي، فقال رسول اللّه ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ لأصحابه: هذا عبد نوّراللّه قلبه بالإيمان، ثمّ قال له: ألزم ماأنت عليه» الحديث (١).

١٦٧ ـ مَنْ جعل المراء ديدناً لم يُصْبح ليلُهُ

قال عليه السّلام:

«الشّكّ علىٰ أربع شعب: على التّماري، والهول، والتّردّد، والاستسلام؛ فمَنْ جعل المراء ديدناً لم يُصبح ليلُه ...».(٢)

راجع الفقرات التّالية غيرالمذكورة هنا.(٣)

لعلّ المراد بقوله عليه السّلام: «لم يُصبح ليلُهُ» عدم الخروج مِنْ ظلمة الخصومة النّاجمة مِن المراء، وفقد نورالإيمان الملازم للقلب،والنّفاق،

---

(١) أصول الكافي: ٢/٥٣.

(٢) النّهج: ١٤٣/١٨، الحكمة: ٣١.

(٣) حرف الميم مع النّون.

وكسب الضّغائن، فكأنّ ليله لا صُبحْ له، ولسلب الرّوح والرّاحة منه ليلاً ونهاراً.

في نبويّ: «قال جبرئيل للنّبيّ -صلّى الله عليه وآله وسلّم-: إيّاك وملاحاة الرّجال». ونبويٍّ آخر: «ماكاد جبرئيل يأتيني إلّا قال: يا **محمّد! اتّق شحناء** الرّجال وعداوتهم». ونبويّ آخر: «ما أتاني جبرئيل **قطّ إلاّ وعظني،** فآخر قوله لي: إيّاك ومشارّة النّاس؛ فإنّها تكشف **العورة، وتذهب** بالعزّ». المشارّة: المخاصمة. ونبويّ آخر: «ما عهد إليّ جبرئيل في شيءٍ ما عهد إليّ في معاداة الرّجال». وعلويّ: «إيّاكم والمراء والخصومة، فإنّهما يمرضان القلوب على الإخوان، وينبت عليهما النّفاق». ونبويٌّ: «ثلاث مَن لَقِيَ الله عزّ وجلّ بهنّ دخل الجنّة، مِنْ أيّ باب شاء: مَنْ حَسن خلقه، وخشي الله في المَغيب والمَحضر، وترك المراء، وإن كان محقّاً».

وصادقيٌّ: «لا تمارينّ حليماً ولا سفيهاً؛ فإنّ الحليم يقليك، والسّفيه يؤذيك». (يقليك): أي يبغضك أو يتركك. وصادقيّ آخر: «مَنْ زَرَعَ العداوة حَصَدَ ما بَذَرَ».(١) (ربّ كلمةٍ تقول لصاحبها: دعني)، و (مقتل الرّجل بين فكّيه).(٢) وباقريّ: «إيّاك والخصومات؛ فإنّها تورث الشّكّ، وتحبط العمل، وتُردي صاحبها، وعسىٰ أن يتكلّم بالشّيء فلا يغفر له؛ إنّه كان فيما مضى قوم تركوا علم ما وكّلوا به،

---

(١) أصول الكافي: ٢/٣٠٠ـ ٣٠٢.

(٢) عيون ابن قتيبة: ١/٣٣٠ـ ٣٣١. ليس حديثاً بل من الكلمات الحكميّة.

وطلبوا علم ما كُفُوه، حتّى انتهى كلامهم إلى الله عزّ وجلّ فتحيّروا، فأنْ كان الرّجل ليُدعى مِنْ بين يديه فيُجيب مِنْ خلفه، ويُدعى مِنْ خلفه فيُجيب مِنْ بين يديه». (١)

وأمّا قوله تعالى «فلا تمارِ فيهم إلاّ مراءً ظهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً». (٢) الدّالّ على جواز المراء الظّاهر، فالمراد به: الحكاية بغير مجادلة متعمّقة. قال الفيض: فلا تجادل أهل الكتاب في شأن الفتية، إلاّ جدلاً ظاهراً غير متعمّق فيه، وهو أن تقصّ عليهم بما أوحى إليك، من غير تجهيلٍ لهم والرّدّ عليهم. (٣)

والضّابط الكلّيّ في الاستثناء هو مالم يسبّب الشّحناء والعداوة وضيق الصّدر، بل كان في جوٍّ هادىءٍ، وتبادل بين الجانبين، حتّى إذا تبيّن الحقّ لهما أو أحدهما انتهى كلّ شيء، وعاد كلٌّ إلى ما كان أوّلاً، لاما تقول ويقول، ولا ينتهي القول إلاّ وقد حصل العداء أو الإعراض القلبي والنّزاع. وماتقدّم من الأحاديث إنّما هو النّهي عمّا يسبّب ذلك، فالواجب التّرك، وإن كان محقّاً؛ لأنّ ما يحصل مِن المراء مِن الشّحناء أضرّ مِنْ ترك الجدل، ولعلّ قوله تعالى: «وجدلهم بالّتى هى أحسن». (٤) هو هذا المعنى بدليل ما تقدّمه: «ادعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة» ثم قال: «وجدلهم بالّتى هى أحسن». ومايتوهّم من جعل ذلك ديدناً ممنوعاً لا أصل المراء مِنْ نفس كلام

---

(١) التّوحيد: ٤٥٦.

(٢) الكهف: ٢٢.

(٣) تفسير الصّافي: ٢/١٠.

(٤) النّحل: ١٢٥.

الإمام عليه السّلام حيث قال: «مَنْ جَعَل المراء ديدناً لم يُصبح ليلُهُ»، **جوابه: أنّه مِنْ باب المفهوم غير الحجّة؛** فلا ينافي النّهي عن حالة الشّيء النّهي عن ذلك الشّيء، إلّا على ماتقدّم من استثناء المراء الظّاهر من الآية: «إلّا مراءً ظٰهراً» المفسّر بغير التّعمّق كما عن الكاشاني(١).

١٦٨ ـ مَنْ سَلَكَ الطّريق الواضح وَرَدَ الماء

من كلام له عليه السّلام يجري مجرى الأمثال:

«... ... يا أيّها النّاس! مَنْ سَلَكَ الطّريق الواضح وَرَدَ الماء، ومَنْ خالف وَقَعَ في التّيه».(٢)

والتّيه: المفازة لايهتدي سالكها. ونظير المَثَل المَثَل: (من سلك الجدَدَ أَمن العثار). الجدَدَ: الأرض المستوية: ويروىٰ: (من تجنّب الخبار...) وهي أرض رخوة تتعتع فيها الدّوابّ. يضرب لطالب العافية.(٣)

إرشادٌ منه عليه السّلام، يلمسه كلّ أحد، يرشد به أصحابه، ويحذّرهم عن سلوك ما يعطبون به، وأمره عليه السّلام أوضح من كلّ

---

(١) تفسير الصّافي: ٢/١٠.

(٢) النّهج: ١٠/٢٦١، كلام: ١٩٤.

(٣) المستقصى: ٢/٣٥٦.

واضح، إن تمسّك متمسّك به نجا، ومَنْ خالفه هلك. وقدجاء الحديث النّبويّ: «مَثَلُ أهل بيتي، كمَثَلَ سفينة نوح، مَنْ ركبها نجا، ومَنْ تخلّف عنها غرق». (١)

والمراد بالتّمثيل ليس هو مجردّ الولاء لأهل البيت عليهم السّلام فقط، بل لابدّ من العمل بما يقولون ويحبّون، والاتّباع المورث لحبّ اللّه تعالى، كما قال تعالى: «قل إنّ كنتم تحبّون اللّه فاتّبعونى يحببكم اللّه». (٢) وعليه فالمَثَل واقع موقعه، إذ أنّ سالك الطّريق الواضح يصل إلىٰ مايقصده مِنْ سلوكه، والمنحرف عنه يفوته، وليس له إلّا التّعب، و

وقد أتمّ اللّه الحجّة على النّاس، وبلّغها أنبياؤه، وبلّغ إيّاها الرّسول وأوصياؤه المعصومون صلّى اللّه عليهم وسلّم، وبعد ذلك كلّه إمّا أن يشكروا أويكفروا، كما قال تعالى: «وهدينٰه النّجدَيْن»(٣) هما طريق الشّرّ والخير. وقال تعالىٰ: «إنّا هدينٰه السّبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً». (٤) «قل فللّه الحجّة البٰلغة». (٥) الأنبياء والأوصياء والشّرائع السّماويّة هي الحجج الظّاهرة، والعقول الموهوبة للنّاس، ومافطروا عليه مِن المعرفة به تعالىٰ ودينه الحجج الباطنة، فقد تمّت رسل اللّه من خارج وداخل «لئلّا يكون للنّاس على اللّه حجّة بعد الرّسل» (٦).

---

(١) حرف الميم مع الثّاء من الأمثال النّبويّة: ٢/١٧٩، رقم المَثَل: ٤٨٨.
(٢) آل عمران: ٣١.
(٣) البلد: ١٠.
(٤) الإنسان: ٣.
(٥) الأنعام: ١٤٩.
(٦) النّساء: ١٦٥.

١٦٩ ـ مَنْ صَرَّحَتْ له العِبَر.. حجزته التّقوىٰ

مثل متّخذ من خطبة له عليه السّلام، صورة بعضها:

«ذمّتي بما أقول رَهينةٌ، وأنابه زعيم: إنّ مَنْ صَرَّحَتْ له العِبَر عمّا بين يديه من المَثُلات حجزته التّقوى عن تقحّم الشّبهات ... ...». (١)

وقد تعرّضنا لهٰذه الخطبة المباركة عندالمَثَل: «لتُبلبلُنّ بلبلةً، ولتُغَرْبُلنّ غربلةً». (٢) وهي موزّعة على عدّة أمثال أخرىٰ: «اليمين، والشّمال مَضَلَّةٌ». (٣) «الطّريق الوسطى هي الجادّة». (٤) لايهلك على التّقوى سنخ أصل». (٥)

شرح بعض مفردات المَثَل:

معنى (صرّحت): كشفت. و(العِبر) جمع عِبرة: وهي كلّ ما اعتبر به الإنسان. وأمّا العَبرة بفتح العين: فهي الدّمعة وجمعها العبرات. ومنه ما في زيارة الإمام الحسين الشّهيد أرواح مَنْ في الوجود فداه: «يا عَبرة كلّ مؤمن». و(المَثُلات): العقوبات، ومنها آية: «وقد خَلت مِنْ قبلهم

(١) النّهج: ١/٢٧٢، ط: ١٦.

(٢) حرف اللاّم مع التّاء.

(٣) حرف الياء مع الميم.

(٤) حرف الطّاء مع الرّاء.

(٥) حرف اللاّم مع الألف.

المَثُلٰت». (١) أي العقوبات الّتي حلّت بالأمم السّالفة لتمرّدهم على اللّه تعالى وأنبيائه عليهم السّلام. وأمّا (التّقوىٰ) فأجمع تعريف لها وجدته قوله تعالىٰ: «والّذي جاء بالصّدق وصدّق به أوْلٰئِك همُ المتّقون».(٢) ما أوجزها مِنْ كلمةٍ جامعةٍ لها، دلّل سبحانه بكلمة:«جاء بالصّدق»علىٰ الشّمول من الصّدق في القول، والعمل، والنّيّة، وكلّ حركة وسكون يكون من الإنسان، وهي مرتبة لاينالها إلاّ ذو حظّ عظيم.

ثمّ المراد مِن المَثَل: التّحذير عمّا يسبّب العقوبة، ويحرمه من المثوبة. ونظيره المَثَل العاميّ: (مَنْ لَسعتْه الحيّة حَذر الرَّسن).(٣) قال الميدانيّ:(مَنْ نَهشَتْه الحيّة حَذَرَ الرّسن الأبلق). قال أبو عبيد: هذا مِنْ أمثال العامّة؛ قال الشّاعر:

إنّ اللّسيع لحاذرٌ متوجّسٌ يخشىٰ ويَرْهَبْ كلّ حَبْلٍ أبلق (٤)

١٧٠ـمَنْ ضاق عليه العدل فالجورعليه أَضْيق

مِنْ كلام له عليه السّلام فيما ردّه على المسلمين من قطائع عثمان: «واللّه لو وجدتُه قد تُزوّج به النّساء، ومُلِكَ به الإماء لرَدَدْتُه؛ فإنّ

---

(١) الرّعد: ٦.

(٢) الزّمر: ٣٣.

(٣) المستقصىٰ: ٢/٣٥٩.

(٤) مجمع الأمثال: ٢/٣١٩، حرف الميم.

في العدل سعةً، ومَنْ ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضْيق». (١)

إنّ اللّه جلّ جلاله أمَرَ بالعدل والإحسان في القرآن الكريم: «إنّ اللّه يأمُرُ بالعدل والإحسٰن». (٢)«اعدلواهوأقْربُ للتّقوىٰ». (٣) خطاب للعموم، وخصّص النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بقوله عزّ وجلّ حكايةً عنه: «وأُمِرتُ لأعْدل بينكم»، (٤)تبجيلاً. والعدل محبوب في كلّ شيءٍ، ومِنْ ثَمَّ لم ينصّ على متعلّقه في الآيتين الأُوليين ولئن صرّح بذلك في آية: «فإن خِفتم ألّا تعدلوا فوٰحدة». (٥) وآية: «ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النّسآء». (٦) وغيرهما فإنّما هوبيان لموضع التّطبيق من موارده بدون قصرٍ.

وحقيقة العدل: وضع كلّ شيءٍ موضعه بحسبه الشّرعيّ والعقليّ المؤزّر بالشّرع الأقدس المتـجسّد في النّبيّ وآله الطّاهرين صلّىٰ اللّه عليهم وسلّم وفي صحيحٍ صادقيّ: «العدل أحلى مِن الماء يصيبه الظّمآن، ما أوسع العدل إذا عدل فيه، وإن قلّ». (٧)

قال المعتزليّ: القطائع: ما يقطعه الإمام بعض الرّعية من أرض بيت المال ذات الخراج، ويسقط عنه خراجه، وقد كان عثمان أقطع كثيراً مِنْ بني أميّة وغيرهم من أوليائه وأصحابه قطائع من أرض الخراج،

---

(١) النّهج: ٢٦٩/١، كلام: ١٥.
(٢) النّحل: ٩٠.
(٣) المائدة: ٨.
(٤) الشّورى: ١٥.
(٥) النساء: ٣.
(٦) النّساء: ١٢٩.
(٧) أصول الكافي: ١٤٦/٢. الوسائل: ٢٣٣/١١.

وقد كان عمر أقطع قطائع...

وعن ابن عبّاس: أنّ عليّاً عليه السّلام خطب في اليوم الثّاني مِنْ بيعته بالمدينة، فقال: «ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان، وكلّ مال أعطاه من مال اللّه، فهو مردودٌ في بيت المال؛ فإنّ الحقّ القديم لا يبطله شيءٌ، ولو وجدتُه قد تُزوّج به النّساء، وفُرّق في البلدان، لرددتُه إلىٰ حاله، فإنّ في العدل سعةً، ومَنْ ضاق عنه الحقّ، فالجور عليه أضيق».

وتفسير هذا الكلام أنّ الوالي إذا ضاقت عليه تدبيرات أموره في العدل، فهي في الجور أضيق؛ لأنّ الجائر في مظّنة أن يمنع ويصدّ عن جوره. (١)

قال الوليد بن عقبة، وهو أخو عثمان مِنْ أُمّه، يذكر قبض عليّ عليه السّلام نجائب عثمان وسيفه وسلاحه:

بني هاشم ردّوا سلاح ابن اختكم ... ولا تنهبوه لا تحلّ منا هبُه

-إلى أن قال:-

قتلتم أخي كيما تكونوا مكانَهُ ... كما غَدَرْت يوماً بِكسِرىٰ مَرازبُه

-أجيب بأبياتٍ مِنْ بني عبدالمطّلب:-

فلا تسألونا سَيْفَكُمْ إنّ سَيْفَكُمْ ... أُضيع وألقاه لدى الرّوع صاحبُه

وشبّهته كِسرىٰ وقد كان مثله ... شبيهاً بِكسرىٰ هَدْيُه وضرائبُه. (٢)

---

(١) شرح النّهج: ١/٢٦٩ - ٢٧٠.

(٢) المصدر: ١/٢٧٠ - ٢٧١.

ثمّ لايخفى أنّ المَثَل يماثله المَثَل المولّد: (مَنْ تعدّى الحقّ ضاق مَذْهَبُه) (١).

١٧١ ـ مَنْ ضَيّعه الأقرب أُتيح له الأبعد

قال عليه السّلام:

«مَنْ ضيّعه الأقرب أُتيح له الأبعد». (٢)

قال ابن أبي الحديد: إنّ الإنسان قد ينصره مَنْ لايرجو نصره، وإن أهمله أقربوه وخذلوه، فقد تقوم به الأجانب من النّاس، وقد وجدنا ذلك في حقّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله ـ وسلّم ـ وضيّعه أهله ورهطه مِنْ قريش وخذلوه وتمالؤوا عليه، فقام بنصره الأوس والخزرج، وهم أبعد النّاس نسباً منه؛ لأنّه مِن عدنان، وهم مِن قحطان، وكلّ واحد مِن الفريقين لا يحبّ الآخر حتّى تحبّ الأرض الدّم. وقامت ربيعة بنصر عليّ عليه السّلام في صفّين، وهم أعداء مُضَر الّذين هم أهله ورهطه، وقامت اليمن بنصر معاوية في صفّين، وهم أعداء مُضَر، وقامت

---

(١) مجمع الأمثال: ٢/٣٢٩، حرف الميم.

(٢) النّهج: ١٨/١١٨، الحكمة: ١٥.

الخُراسانيّة وهم عَجَم بنصرالدّولة العباسيّة، وهي دولة العرب. وإذا تأمّلت السّير وجدت هذا كثيراً شائعاً. (١)

ذكره الميدانيّ ناسباً إيّاه إلى أميرالمؤمنين عليه السّلام. (٢) والنّويريّ (٣)وغيرهما. ولا يخفى أنّ الميدانيّ ذكر ماينطبق على المقام قال: (مَنْ ضاق عنه الأقرب أتاح اللّه له الأبعد). (٤)

(مَنْ ضيّعه)، مِنْ ضاع يضيع ضَياعاً بالفتح: ذَهَبَ وهَلَكَ. وأمّا بكسر الضّاد (ضِياع) فهو جمع ضائع، كجِياع في جائع، ومن الضّياع بالفتح شعر ابن الفارض:

ذهب العمر ضَياعاً وانقضى باطلاً إذ لم أفز منكم بشيْ
غير ما أوليتُ مِنْ عقدي ولا عترة المبعوث حقّاً من قصيْ (٥)

القرب والبعد جسميّ ومعنويّ، ويدخل في الأوّل المكانيّ والزّمانيّ؛ وفي الثّاني النّسبيّ والسَّبَبيّ والحَسَبيّ، كعلقة القرابة بجميع طبقاتها، والمصاهرة، والولاء من العتق وضامن الجريرة والإمامة في باب الإرث، ولها الجهة العُليا تفوق الولاءَيْن. وأمّا القرب الحَسَبيّ أو بُعده

---

(١) شرح النّهج: ١١٨/١٨، قوله: «أقربوه»: أي أقرباؤه.

(٢) مجمع الأمثال: ٤٥٣/٢،حرف الميم.

(٣) مصادر النهج: ١٥/٤.

(٤) مجمع الأمثال ٣١٨/٢، حرف الميم.

(٥) الدّيوان: ١١ ـ ١٢.

فهو الرّفعة أو الضّعة البيتيّة، فكلّما كان المنتمى إليه أشرف كالرسول وأهل بيته الطّاهرين صلّى الله عليهم وسلّم كان المُنتمي كالسّادة زادهم اللّه شرفاً أشرف من غيرهم، ويا حبّذا لو اجتمع مع التّقوى، كان هو الأكرم عنداللّه، كما قال تعالى: «إنّ أكرمكم عنداللّه أتقٰكم». (١)

والمراد من الأقرب والأبعد في كلامه عليه السّلام: الجِسمي: أي أقرباء الإنسان، كما عرفت من الشّرح، ولكنّ الأبعد يدخل فيه الأقرب المعنويّ المتاح له، والمُتيح هو اللّه عزّ وجلّ جبراً لما كسره أقرباؤه. وقد جاء الذّمّ فيهم والمدح، من الأوّل: المَثَل السّائر: (مَنْ ضاق عنه الأقرب أتاح الله له الأبعد). (٢) وقول الشّاعر:

لحومهم لحمي وهم يأكلونه ... وما داهيات المرء إلّا أقاربه

الأب ربّ، والأخ فخّ، والعمّ غمّ، والخال وبال، والولد كمد، والأقارب عقارب؛ العداوة في القرابة، كالنّار في الغابة. (٣)

إنّي بلوت النّاس في حالاتهم ... وخبرت ما وصلوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تقرّب قاطعاً ... وإذا المودّة أقرب الأنساب (٤)

---

(١) الحجرات: ١٣.
(٢) مجمع الأمثال: ٣١٨/٢، حرف الميم.
(٣) التمثيل والمحاضرة: ٤٦٠.
(٤) بهج الصباغة: ١٠٢/١٠.

ومن الثّاني: «ومَنْ يقبض يده عن عشيرته؛ فإنّما تقبض منه عنهم يدٌ واحدةٌ، وتقبض منهم عنه أيدٍ كثيرةٌ». (١) و «وأكرم عشيرتك »؛ فإنّهم جناحك الّذي به تطير، وأصلك الّذي إليه تصير، ويدك الّتي بها تصول» (٢).

١٧٢ - مَنْ لاَن عُودُه كثفت أغصانه

قوله صلوات الله عليه:

«مَنْ لاَن عُودُه كثفت أغصانه». (٣)

هو من الكلمات القصار الحكميّة المعدودة من الأمثال الجارية على الألسن؛ ذكروا: أنّ مَنْ حَسُنَ خُلُقُه ولانت كَلِمتُه كثر محبّوه وأعوانه وأتباعه، ونحوه: (مَنْ لانت كلمته وجَبَتْ محبّته). وقال تعالى: «ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك». (٤)

وأصل هذه الكلمة مطابق للقواعد الحكميّة، أعني: الشّجرة ذات الأغصان حقيقة؛ وذلك لأنّ النّبات كالحيوان في القوى النّفسانيّة،

(١) النّهج: ١/٣١٣، الخطبة: ٢٣.

(٢) النّهج: ١٦/١٢٢، الوصيّة: ٣١.

(٣) النّهج: ١٩/٣٥، ح ٢١٠.

(٤) آل عمران: ١٥٩.

أعني: الغاذية والمنمية، وما يخدم الغاذية من القوى الأربع وهي: الجاذبة، والماسكة، والدّافعة، والهاضمة.

فإذا كان اليُبْس غالباً علىٰ شجرةٍ كانت أغصانها أخفّ، وكان عودها أدقّ، وإذا كانت الرّطوبة غالبة كانت أغصانها أكثر، وعودها أغلظ؛ وذلك لاقتضاء اليُبْس الذّبول، واقتضاء الرّطوبة الغلظ والعبالة والضّخامة؛ ألا ترىٰ أنّ الإنسان الّذي غلب اليُبْس علىٰ مزاجه لايزال مهلوساً نحيفاً، والّذي غلبت الرّطوبة عليه لايزال ضخماً عبلاً.(١)

في الصّادقيّ: «يا شيعة آل محمّد! اعلموا أنّه ليس منّا مَنْ لم يملك نَفْسه عند غضبه، ومَنْ لم يُحسن صحبة مَنْ صَحِبَه، ومخالقة مَنْ خالَقَهُ، ومرافقة مَنْ رافَقَه، ومجاورة مَنْ جاوَرَه، ومماحلة مَنْ مالَحهُ. يا شيعة آل محمّد! اتّقوا اللّه ما استطعتم، ولا قوّة إلاّ باللّه». وعنه عليه السّلام في قول اللّه عزّ وجلّ: «إنّا نريٰك من المُحسنين». (٢)قال: «كان يوسّع المجلس، ويستقرض للمحتاج، ويعين الضّعيف».(٣)

والقرآن الكريم يأمر بحسن القول، ويرغّب إلىٰ فضائل ومكارم الأخلاق، قال تعالى: «وقُولوا للنّاسِ حُسْناً»،(٤) «وإنّك لعلىٰ خُلُقٍ عَظيمٍ»، (٥)«لقدكان لكم فى رسول اللّه أسوةٌ حسنةٌ». (٦) وكلام الإمام عليه السّلام ترغيبٌ إلى ذلك مع بيان الوجه فيه، كما تقدّم بتفصيل لسرّ التّمثيل.

---

(١) شرح النّهج: ١٩/٣٥.

(٢) يوسف: ٣٦.

(٣) أصول الكافي: ٢/٦٣٧.

(٤) البقرة: ٨٣.

(٥) القلم: ٤.

(٦) الأحزاب: ٢١.

١٧٣ ـ مَنْ مَلَكَ ٱستأثر

مِنْ كلماته صلوات اللّه عليه الحكميّة قوله:

«مَنْ مَلَكَ ٱستأثر». (١)

من أمثال سائرة جاء به الإمام عليه السّلام لإرشاد ذوي المناصب، أو مَنْ تصدّى أمراً مِن الأمور المخوّلة إليه.

قال الميدانيّ: (مَنْ مَلَكَ استأثر)، يضرب لِمنْ يلي أمراً، فيفضّل على نفسه وأهله، فيعاب عليه فعله. (٢)

قال الشّارح: المعنىٰ: أنّ الأغلب في كلّ مَلِك يستأثر على الرّعيّة بالمال والعزّ والجاه، ونحو هذا المعنىٰ قولهم: (مَنْ غَلَبَ سَلَبَ)، و(مَنْ عزّبزّ)، (٣) ونحوه قول أبي الطّيّب:

والظّلم مِنْ شيم النّفوس فإن تَجد ذا عفّةٍ فلعلّةٍ لا يظلم (٤)

---

(١) النّهج: ١٨/٣٨١، ح ١٦٢.

(٢) مجمع الأمثال: ٢/٣٢٠، حرف الميم.

(٣) المستقصىٰ: ٢/٣٥٧.

(٤) شرح النّهج: ١٨/٣٨١.

ومِنْ ثَمَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام عندما ولي الخلافة، ونصب ولاته على الأقطار والأمصار، كانت كتبه ورسائله تترى عليهم مِنْ حين لآخر، يحذّرهم عن الاستيثار أشدّ تحذيرٍ، ويحاسبهم على الذّرّة والذّرّة، وإذا بلغه عنهم أمر يخالف ما أراد، وما أمرهم به، عزل المخالف مِنْ ساعته، وعاقبه عقاب الله عزّ وجلّ، وأجرى عليه حدوده، ولا تأخذه في الله لومة لائم. ومَنْ طالع سيرته عليه السّلام مع الولاة المنصوبين مِن قِبَله، علم صدق ذلك كلّه، ويكفيك قضيّة واليه ابن عبّاس، وما بَلَغَه مِنْ تصرّفه مِنْ بيت المال:

«والله لو أنّ الحسن والحسين فَعَلا مِثْل الّذي فعلتَ، ما كانت لهما عندي هوادةٌ، ولا ظفرا منّي بإرادةٍ، حتّى آخذ الحقّ منهما، وأزيح الباطل عن مظلمتهما». (١)

ولينظر النّاظر إلى مالك الأشتر، حين ولاّه على مصر، ما شرح له من وظائف الولاة وطبقات الرّعيّة (٢).

---

(١) النّهج: ١٦/١٦٨.

(٢) النّهج: ١٧/٣٠-١١٧، كتاب ٥٣، متناً وشرحاً.

١٧٤ ـ مَنْ هاله ما بَيْن يَدَيْه نكصَ على عَقِبَيْه

من كلام له عليه السّلام في شُعَب الشّكّ الأربع: التّماري، والهول، والتّردّد، والاستسلام؛ قوله عليه السّلام:

«مَنْ هاله ما بَيْن يَدَيْه نَكَصَ على عَقِبَيْه».(١)

بيانٌ لنتاج الهول، وقد تكلّمنا على البقيّة.(٢) وكلام الإمام عليه السّلام مصوغٌ للذّمّ؛ لأنّ النّكوص جاء الذّمّ به في آيتين مِن القرآن الكريم: «فلمّا تراءَتِ الفئتان نَكَصَ على عَقِبَيْه»، (٣)و «فَكُنْتم على أعْقٰبكم تَنْكِصُون».(٤)

في باقريّ: «أنّهم لمّا التقوا كان إبليس في صفّ المُشركين في (حرب بدر) آخذاً بيدالحارث بن هشام، فَنَكَصَ على عَقِبَيْه، فقال له الحارث: يا سراقة! أَتخْذُلنا على هذه الحال؟ فقال: إنّي أرىٰ ما لا ترون، فقال: ماترىٰ إلّا جواسيس يَثْرب، فدفع في صدرالحارث،

---

(١) النّهج: ١٤٣/١٨، الحكمة: ٣١.

(٢) حرف الميم مع النّون.

(٣) الأنفال: ٤٨.

(٤) المؤمنون: ٦٦.

وانطلق، وانهزم النّاس». (١)

وقبل الآية الثّانية: «لا تجئروا اليوم إنّكم منّا لا تنصرون * قد كانت ءايَـتى تُتلىٰ عليكم فكنتم علىٰ أعقٰبكم تنكِصون». تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها. والنّكوص: الرّجوع القهقرى. (٢) كلمة تقال إذا أحجم عن الشّيء خوفاً وجبناً، قال ابن دريد: نكص على عقبيه: رجع عمّا كان عليه مِنْ خير. لايقال ذلك إلّا في الرّجوع عن الخير. (٣). ومنه: «قَدَّمَ للوثبة يداً، وأَخَّرَ للنّكوص رِجلاً». الرّجوع إلىٰ وراء، وهو القهقرى. (٤)

والمَثَل السّائر في منع النّكوص: (مَنْ لم يركب الأهوال لم يَنَلِ الآمال). (٥)إذا هال الإنسان ما بين يديه،ونكص خوفاً على فوات أمرٍ دنيويٍّ، فقد استخفّ بالدّين، إذا كان ممّا يمتّ به. فعليه الرّكوب وإنْ فاته النّفع الدّنيويّ؛ لأنّ ما يظفر به من الآخرة أكثر، وهذا عند التّزاحم بين أمرين، أحدهما دنياً، والآخر آخرةٌ. فلا يكون مِمَّنْ يبيع تلك بهذه فيخسرهما جميعاً ويُصبح مصداقاً لقوله تعالى: «خَسِرالدّنيا والأٰخِرة ذٰلك هو الخُسران المبين». (٦)

---

(١) تفسير الصّافي: ٦٧٢/١.

(٢) تفسير الصّافي: ٢/ ١٤٤.

(٣) معجم مقاييس اللّغة: ٤٧٧/٥، في (نكص).

(٤) النّهاية: في (نكص)، وحرف القاف مع الدّال.

(٥) مجمع الأمثال: ٣٣١/٢، حرف الميم.

(٦) الحج: ١١.

ومِنْ صفات المؤمن أنّه صَلْبٌ في أمر الدّين، لا يهوله شيءٌ، ولا يهتمّ بما فاته مِن الدّنيا، إذ هي صغيرةٌ في عينه، وإذا جاءه ما وافق الهوى خالفه. قال عليه السّلام:

«كان لي فيما مضى أخٌ في الله، وكان يعظّمه في عيني صِغرالدّنيا في عينه، وكان خارجاً مِنْ سلطان بطنه، فلا يتشهّى مالا يجد، ولا يُكثر إذا وَجَدَ، وكان أكثر دهره صامتاً، فإن قال بَذَّ القائلين، ونَقَعَ غليل السّائلين، وكان ضعيفاً مستضعفاً، فإن جاء الجدّ فهو ليثُ عادٍ، وصِلُّ وادٍ، لايُدلي بحجّةٍ حتّى يأتي قاضياً، كان لا يلوم أحداً على مالا يجد العذر في مثله حتّى يسمع اعتذاره، وكان لا يشكو وجعًا إلّا عند بُرئه، وكان يفعل مايقول، ولا يقول مالا يفعل، وكان إن غُلب على الكلام لم يُغَلَبْ على السّكوت، وكان على أن يسمع أحرص منه على أن يَتَكلّم، وكان إذا بَدهَهُ أمران نظر أيّهما أقرب إلى الهوىٰ فخالفه، فعليكم بهذه الخلائق فالزموها وتنافسوا فيها، فإن لم تستطيعوها فاعلموا أنّ أخذ القليل خيرٌ مِنْ ترك الكثير». (١)

وإنّما ذكرنا هنا كلامه عليه السّلام عن آخره؛ لأنّه بُغية المؤمن الّتي لا يَنْفكّ عنها مهما كانت حالته، ولعمر الحقّ أنّها لَبها الكفاية؛

اللّه ربّ النّاس فارفع همّكا   لا شيء غير اللّه أن يهمّكا (٢).

---

(١) النّهج: ١٩/١٨٣، الحكمة: ٢٩٥.

قوله عليه السّلام: «... على مالا يجدالعذر في مثله...»، في بعض النّسخ: «على مايجد...» بدون (لا). (٢) سيرة الرّسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: ٩٠، مع تغييرٍ مّا.

١٧٥ ـ مَنْ وَثِقَ بماءٍ لم يَظْمَأْ

هذا المَثَل مِنْ خطبة نصّها:

«بنا اهتديتم في الظّلماء، وتسنّمتم العَلياء، وبنا انفجرتم عن السِّرار. وُقِر سمعٌ لم يفقه الواعية، وكيف يُراعي النّبأة من أصمّته الصّيحة! رُبط جَنانٌ لم يفارقهُ الخفقان. ما زِلتُ أنتظر بكم عواقب الغدر، وأتوسّمكم بحِلية المغترّين...

اليوم أُنطِق لكم العجماء ذات البيان. عَزَبَ رأيُ امرىءٍ تخلّف عنّي، ما شككتُ في الحقّ مذ أُريتُهُ. لم يُوجس موسى عليه السّلام خيفةً على نفسه؛ أَشْفَقَ مِنْ غلبة الجُهّال ودُوَلِ الضّلاَل. اليوم تواقفنا على سبيل الحقّ والباطل. مَنْ وَثِقَ بماءٍ لم يَظْمأ». (١)

اشتملت الخطبة الشّريفة على عدّة أمثال لا تخفى على الأريب، قيل: إنّ هذه الأمثال ملتقطةٌ مِنْ خطبة طويلة منسوبة إليه عليه السّلام.

قوله عليه السّلام: «بنا انفجرتم عن السِّرار». السِّرار: اللّيلة واللّيلتان يستتر فيهما القمر في آخر الشّهر فلا يظهر. «وُقِر سمعٌ لم يفقه

(١) النّهج: ١/٢٠٧، ط ٤. وفي بعض النّسخ: (بل أشفق...).

الواعية)). دعاءٌ على السّمع الذّي لا يسمع الصّرخة: أي العِبَر والمواعظ. ((كيف يراعي النّبأة مَنْ أصمّته الصّيحة))، مَثَلٌ آخر. النّبأة الصّوت الضّعيف: أي مَن لم ينتفع بالمواعظ الجليّة كيف ينتفع بالخفيّة منها؟. ((رُبط جَنانٌ لم يفارقه الخَفقان))، مَثَل آخر. وهو دعاءٌ لقلبٍ لم يفارقه الخفقان مِنْ خشية اللّه تعالى. ((اليوم أُنطق لكم العجماء ذات البيان))، مَثَلٌ آخر. يريد عليه السّلام: تمثيل الرّموز الخفيّة الغامضة في كلامه وهي مع غموضها جليّةٌ لذوي النّهى بالبُهَم الصّامتة النّاطقة بدلائل الصّنع، ووجود بارئها جلّ جلاله.

نظيره الحديث: ((سَل الأرض: مَنْ شقّ أنهاركِ، وأخرج ثماركِ؟ فإن لم تجبك حواراً، أجابتْكَ اعتباراً)).(١)

قوله عليه السّلام: ((لم يُوجس موسى خيفةً على نفسه)) تمثّلٌ بقوله تعالى: ((فأَوْجس فى نفسه خيفةً موسى)).(٢) يقول عليه السّلام: كما خاف موسى عليه السّلام على ضلال قومه، كذلك أنا خائفٌ على تغلّب الجهالة على قومي، وإحاطة الضّلالة بهم، وهذا مَثَل قرآنيّ.

((اليوم تواقفنا على سبيل الحقّ والباطل)) على قراءة تقديم القاف على الفاء: أي اتّضح الحقّ والباطل، ووافقنا عليهما نحن وأنتم، وعرفناهما حقّ المعرفة. قوله عليه السّلام: ((مَنْ وَثِقَ بماءٍ لم يَظْمَأْ)) لم يُرد عليه السّلام نفي الظّمأ إطلاقاً؛ لأنّ الواثق بالماء قد يظمأ، كالعطشان الواجد للماء، وقد تمثّل لهذا المعنى بقول أبي الطّيّب:

---

(١) شرح النّهج: ٢١١/١. (٢) طٰه: ٦٧.

وما صبابة مشتـاقٍ على أملٍ مِن اللّقاء كمشتاقٍ بلا أمل

والصّائم فى شهراللّه يُصبح جائعاً، تنازعه نفسه إلى الطّعام، وفي أيّام فطره لايجد تلك المنازعة في نفسه؛ ذلك بأنّ النّفس حريصةٌ على ما مُنِعَتْ منه.(١)

وهذا المَثَل مِن الأمثال الرّفيعةالسّائرة. يريد عليهالسّلام بالماء الموثوق به نفسه الشّريفة المقدّسة؛ بلى واللّه إنّه الماء المعين الزّلال للواثقين به عليهالسّلام السّالكين منهجه، والمعوّل في كلّ المعضلات، حتّى قال القائل عندما دهمته معضلةٌ: لا بقيتُ لمعضلةٍ ليس لها أبوالحسن أعوذ باللّه مِنْ معضلةٍ ولا أبوحسن لها.(٢) وإنّه الهداية الّتي لا ضلالة معها، والنّصير الّذي لايخذل مستنصره، والبحر الزّاخر؛ عن أبي هريرة قال: كنت عندالنّبي-صلّى اللّه عليه وآله وسلّم- إذ أقبل عليّ بن أبي طالب، فقال النّبيّ -صلّى اللّه عليه وآله وسلّم-: «هذا البحرالزّاخر، هذا الشّمس الطّالعة، أسخى مِن الفرات كفّاً، وأوسع مِن الدّنيا قلباً، ومَنْ أبغضه فعليه لعنةاللّه».(٣) والوسيلة إلى اللّه عزّ وجلّ في نجح الطّلبات، والفوز بالمهمّات، والثّقة الكاملة في جميع أمور الدّين والدّنيا،

---

(١) شرح النّهج: ١/٢١١ - ٢١٢.

(٢) الغدير: ٣/٩٨، وفيه ألفاظ أخر منها: لا أبقاني اللّه بأرض لَسْتَ فيها أباالحسن، لولا عليٌّ لَهَلَك عُمَرُ. المصدر: ٣/٩٧، وفي المصدر: ٦/١٠١ - ١٠٣.

(٣) السّفينة: ٢/٧١٢، في (هرر).

وكـذا بقيّة الأئمّة الأحــد عشر مِنْ نسله الطّاهر، والصّديقة الطّاهرة، والرّسول النّهر العظيم، صلّى الله تعالىٰ عليهم وسلّم.

روى الشّيخ الكلينيّ عن محمّد بن يحيى، عن عليّ بن النّعمان، رفعه عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قال أبوجعفر عليه السّلام:

«يمصّون الثّماد، ويدعون النّهر العظيم، قيل له: وما النّهر العظيم؟ قال: رسول الله، والعلم الّذي أعطاه الله. إنّ الله عزّ وجلّ جمع لمحمّد سنن النّبيّين، من لدن آدم وهلمّ جرّاً إلى محمّد. قيل له: وما تلك السّنن؟ قال: علم النّبيّين بأسره، وأنّ رسول الله صيّر ذلك كلّه عند أميرالمؤمنين. فقال له رجل: يا ابن رسول الله! فأميرالمؤمنين أعلم أم بعض النّبيّين؟ فقال أبوجعفر: اسمعوا مايقول؛ إنّ الله يفتح مسامع مَنْ يشاء، إنّي حدّثتُه أنّ الله جمع لمحمّدٍ علم النّبيّين، وأنّه جمع ذلك كلّه عند أميرالمؤمنين، وهو يسألني: أَهُوَ أَعْلَمْ أَمْ بعضُ النّبيّين؟!» (١).

---

(١) أصول الكافي: ١/٢٢٢ - ٢٢٣، باب أنّ الأئمّة ورثة العلم، الحديث ٦، قوله عليه السّلام: «وهلّم جرّاً» من الأمثال السّائرة، ذكره الميدانيّ في مجمع الأمثال: ٤٠٢/٢، حرف الهاء، كما سبق في حرف الهمزة مع التّاء، وذكرناه في الأمثال الباقريّة، وهو مَثَلٌ يضرب لأمور متعاقبة.

١٧٦ ـ المنيّة ولا الدّنيّة

قال عليه السّلام:

«المنيّة ولا الدّنيّة، والتّقلّل ولا التّوسّل».(١)

قال الشّاعر:

أقسم باللّه لَمَصّ النّوى وشُرب ماء القُلُب المالحةْ
أَحْسن بالإنسان من ذُلّه ومِنْ سؤال الأوجه الكالحةْ
فاستغن باللّه تكن ذاغنًى مغتبطاً بالصّفقة الرّابحةْ
فالزّهد عزٌّ والتّقىٰ سُؤددٌ وذلّة النّفس لها فاضِحةْ
كم سالم صِيح به بغتةً وقائل عهدي به البارحةْ
أمْسىٰ وأَمسَتْ عنده قَيْنَةٌ وأصبحت تندُبه نائحةْ
طوبىٰ لِمَنْ كانت موازينُه يوم يلاقي ربّه راجحةْ

وقال أيضاً:

لمصّ الثِّماد وخَرْط القَتاد وشُربُ الأُجاج أوان الظَّما
على المرء أهون مِنْ أنْ يُرى ذليلاً لخلقٍ إذا أعدما

---

(١) النّهج: ١٩/٣٦٢، ح ٤٠٤.

وخيرٌ لعينيك مِنْ مَنظرٍ إلى ما بأيدي اللّئام،العَمى (١)

ذكر المَثَل جمعٌ، منهم الميدانيّ، قال: «المنيّة ولا الدّنيّة» : أي أَخْتارُ المنيّةَ على العار، ويجوز الرّفع: أي المنيّةُ أحبّ إليّ. ولا الدّنيّة: أي وليست ممّا أحبّ وأختارُ. قيل: المَثَل لأوس بن حارثة. (٢)

ومِمَّنْ أصدقها قولاً وفعلاً الحسين بن عليّ كأبيه عليهما السّلام، قال عليه السّلام يوم كربلاء: «ألا وإنّ الدّعيّ ابن الدّعيّ قد رَكَزَ بين اثنتين: بين السّلّة والذّلّة، وهيهات منّا الذّلة، يأبى اللّه ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجورٌ طابت وطهرت، وأنوفٌ حميّةٌ، ونفوسٌ أبيّةٌ؛ أن نؤثر طاعة اللّئام على مصارع الكرام». (٣) وقال عليه السّلام أيضاً: «لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظّالمين إلّا برماً». (٤) وإنّ ذلك مِنْ شيم أصحابهم، فضلاً عنهم عليهم السّلام، ولم تكن الدّنيّة توجد إلّا عند أهلها: أهل الأطماع محتملي الضّيم، وأمّا مَنْ لا يحتمل ضيماً ففيه قال القائل:

ويركب حدّ السّيف مَنْ لا يضيمه إذا لم يكن عن شفرة السّيف مرحل (٥).

---

(١) شرح النّهج: ١٩/٣٦٢.

(٢) مجمع الأمثال: ٢/٣٠٣، حرف الميم.

(٣) اللّهوف: ٣٨.

(٤) اللّهوف: ٣٠.

(٥) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ٢/٢١٠.

١٧٧ ـ موجودها كمفقودها

من خطبة له عليه السّلام في التّوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم مالا تجمعه خطبةٌ غيرها، أوّلها: «ما وحّده مَنْ كيّفه، ولا حقيقته أصاب مَنْ مثّله».

ثمّ يُواصل عليه السّلام في الخطبة إلىٰ هذه الفقرة:

«خضعت الأشياءُ له، وذلّت مستكينةً لعظمته، لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره، فتمتنع مِنْ نفعه وضرّه، ولا كُفْء له فيكافئهُ، ولا نظير له فيساويه، هو المُغني لها بعد وجودها، حتّى يصيرَ موجودُها كمفقودها... ... ...».(١)

بما أنّ ألاشياء محكومة بالفناء؛ لإفناء اللّه تعالىٰ لها، صار وجودُها كفقدها، وكأنّها لم تكن في عالم الوجود؛ لأنّ واجب الوجود بالذّات هو اللّه وحده لاسواه جلّ جلاله.

وهل خُلِقَتْ من شيءٍ أو مِنْ لا شيءٍ؟ سؤال أجاب عنه المعصوم عليه السّلام: بأنّها خُلقت لا مِنْ شيءٍ، لامِنْ لا شيءٍ، ولا مِنْ شيءٍ. جاء ذلك في حديث جابر الجعفيّ قال:

---

(١) النّهج: ١٣/٨٩، ط ٢٣٢.

«جاء رجل مِنْ علماء أهل الشّام إلى أبي جعفر عليه السّلام، فقال: جئت أسألك عَنْ مسألةٍ لم أجد أحداً يفسّرها لي، وقد سألتُ ثلاثة أصنافٍ مِنَ النّاس، فقال كلُّ صنفٍ غير ماقال الآخر، فقال أبوجعفر عليه السّلام: وما ذلك؟ فقال: أسألك ما أوّل ماخلق اللّه عزّ وجلّ مِنْ خلقه؟ فإنّ بعض مَنْ سألته قال: القدرة. وقال بعضهم: الرُّوح. فقال أبوجعفر عليه السّلام: ما قالوا شيئاً، أُخبرُك أنّ اللّه علا ذكره كان ولا شيءَ غيرُه، وكان عزيزاً ولا عزَّ؛ لأنّه كان قبل عزّه؛ (١)وذلك قوله: «سُبحٰن ربّك ربّ العزّة عمّا يصِفون». (٢) وكان خالقاً ولا مخلوق، فأوّل شيءٍ خلقه مِنْ خلقه الشّيءُ الّذي جميع الأشياء منه: وهو الماء، فقال السّائل: فالشّيء خلقه مِنْ شيءٍ أو مِنْ لا شيءٍ؟ فقال: خلق الشّيءَ لا مِنْ شيءٍ كان قبله، ولو خلق الشّيءَ من شيء إذاً لم يكن له انقطاع أبداً، ولم يزلِ اللّه إذاً ومعه شيءٌ، ولكِن كان اللّه ولا شيءَ معه، فخلق الشّيء الّذي جميع الأشياء منه: وهوالماء». (٣)

قوله عليه السّلام: «خلق الشّيء لا مِنْ شيء كان قبله» إبطال لشقّي السّؤال: أي مِنْ شيءٍ أو مِن لا شيءٍ؟. وإنّما ذكرنا الحديث الشّريف كلّه لبيان الارتباط.

---

(١) أي كان عزيزاً بذاته، ولم يظهر عزّه على خلقه؛ لأنّه كان قبل ظهور عزّه على خلقه، إذ كان ولا شيءَ غيره. هامش التّوحيد للصّدوق: ٦٧.

(٢) الصّافّات: ١٨٠.

(٣) التّوحيد: ٦٦ - ٦٧.

ثمّ المَثَل يماثله المَثَل السّائر: (وجوده كعدمه).(١) ويضاهيه بعض المضاهاة المَثَل الحَسَنيّ: «مَثَلُكَ مَثَلُ البَعوضة، إذ قالت للنّخلة: استمسكي فإنّي طائرةٌ عنك، فقالت النّخلة: وهل علمتُ بك واقعةً عليّ، فأعلمُ بك طائرةً عنّي» (٢).

(١) جارٍ على الألسن.

(٢) شرح النّهج: ٦/٢٩٣.

١٧٨ ـ المودّة قرابةٌ مستفادةٌ

مِن المَثَل السّائر قوله عليه السّلام:
«المودّة قرابةٌ مستفادةٌ».(١)

ويماثله المَثَل الآخر العلويّ: «المّودة أشبك الأنساب».(٢) وعن بعضٍ: (النّفس بالصّديق آنس منها بالعشيق، وغَزْل المودّة أرقّ مِنْ غَزْل الصّبابة).(٣)والعتاب دليل المودّة.

إذا ذهب العتاب فليس ودٌّ ويبقى الودّ ما بقي العتاب (٤)

والعتاب خيرٌ مِن الفقد؛ قال الميدانيّ: معاتبة الإخوان خيرٌ مِنْ فقدهم، هذا مِثْل قولهم: (وفي العتاب حياةٌ بين أقوام).(٥) هذا إذا لم

(١) النّهج: ٣١/١٩، الحكمة: ٢٠٧. البحار: ٧٧ ٢٨٨، وج: ٨٢/٧٨.
(٢) البحار: ٧٧/ ٤٢١.
(٣) التّمثيل والمحاضرة: ٤٦٢.
(٤) المصدر: ٤٦٥.
(٥) مجمع الأمثال: ٣١٧/٢، حرف الميم.

يُكثر، وإلّا فكما قال القائل:

ولا خير في قربى لغيرك نفعها | ولا في صديقٍ لا تزال تعاتبه
يخونك ذوالقُربى مراراً وربّما | وَفى لك عندالجهل مَنْ لا تُناسبُه(١)

والعتاب يجلب الرّضا، كما جاء في مناجاة التّائبين: «لك العُتبى حتّى تَرْضى».(٢) والمودّة سِلْكٌ خفيٌّ ثابتٌ بين أرواح المتوادّين، بها يتقاربون، وإن كانت ديارهم بعيدة وأبدانهم.

قال الطّائيّ:

ذو الودّ منّي وذوالقربى بمنزلةٍ | وإخوتي أسوةٌ عندي وإخواني
أرواحنا في مكانٍ واحدٍ وغَدَتْ | أبدانُنا بشآمٍ أو خراسان

قال ابن عبّاس: القرابة تُقْطَع، والمعروف يُكْفَر، ولم يُرَ كتقارب القلوب، كَتَبَ بعضٌ لآخر: إن تكن الدّار من الدّار بعيدةً، فإنّ الرّوح مِن الرّوح قريبٌ، وطير السّماء على إلفه مِن الأرض يَقَعُ، وقال أبو العتاهية:

وللقلب على القلب | دليلٌ حين تلقاه
وللشّكل على الشّكل | مقاييسُ وأشباه
وفي العين غِنىً للعيـ | ـن أن تنطق أفواه(٣)

---

(١) عيون ابن قتيبة: ٣/٢٩.
(٢) مفاتيح الجنان: ١١٨.
(٣) العيون: ٣/٧ - ٨.

وللمودّة آداب: خلوصها، ووضعها فيما تليق به، فيودّ الله عزّ وجلّ ومَنْ يريده مِنْ نبيّ ووصيّ، أو مؤمنٍ مِمَّنْ أَمَرَ بمودّته، فلا يودّ مَنْ حادّ الله أو أحداً من هؤلاء، قال تعالى: «لا تجدُ قوماً يؤمنون بالله واليوم الأَخرِ يُوادّون مَنْ حادّ الله ورسوله ولوكانوا ءَاباءَهم أو أبناءَهم أو إخوانهم أو عشيرتَهم».(١)

وقد تناول القرآن الكريم المودّة في سبعة وعشرين موضعاً، مقدوحةً وممدوحةً، لا مجال لذكرها في المقام.

---

(١) المجادلة: ٢٢.

حرف النّون

١٧٩ ـ النّاس أعداءُ ماجَهلوا

قال عليه السّلام:

«النّاس أعداءُ ماجَهلوا».(١)

ولماذا ذكره السّيّد الرّضيّ طاب ثراه مرّتَيْن؟ لا أدري.

قال الشّارح المعتزليّ في الموضع الأوّل: والعلّة في أنّ الإنسان عدوّ ما يجهله، أنّه يخاف مِنْ تقريعه بالنّقص، وبعدم العلم بذلك الشّيء، خصوصاً إذا ضمّه نادٍ أو جمعٌ مِن النّاس، فإنّه تتصاغر نفسه عنده، إذا خاضوا فيما لايعرفه، وينقص في أعين الحاضرين. وكلّ شيءٍ آذاك، ونال منك فهو عدوّك.(٢)

وفي الموضع الثّاني قال: هذه مِن ألفاظه الشّريفة الّتي لا نظير لها، وقد تقدّم ذكر ما يناسبها. وكان يقال: مَنْ جهل شيئاً عاداه. وقال الشّاعر:

جَـهِلتَ أَمْـراً فأَبْدَيْـتَ التّكير له   والجاهِـلونَ لأهـلِ الـعِلـمِ أَعْداءُ

---

(١) النّهج: ٤٠٣/١٨، الحكمة: ١٧٤. وج: ٨٦/٢٠، الحكمة: ٤٤٧.

(٢) شرح النّهج: ٤٠٣/١٨.

وقيل لأفلاطون: لِمَ يبغض الجاهل العالم، ولا يبغض العالم الجاهل؟ فقال: لأنّ الجاهل يستشعر النّقص في نفسه، ويظنّ أنّ العالم يحتقره، ويزدريه فيبغضه، والعالم لا نقص عنده، ولا يظنّ أنّ الجاهل يحتقره، فليس عنده سببٌ لبغض الجاهل.(١)

أقول: المصرع الثّاني مِن الدّيوان المنسوب إلى أميرالمؤمنين عليه السّلام مِنْ قافية الألف، أبياتٌ أوّلها:

النّاس مِنْ جهة التّمثال أكفاء   أبوهم آدم والأمّ حوّاء

إلى قوله عليه السّلام:

وقيمة المرء ماقد كان يُحْسِنُه   والجاهلون لأهل العلم أعداء(٢)

إنّ الجحود يأتي مِنْ قبل الجهل، ولا يخلو الجاحد مِنْ عداوة، وهما يلزمهما الكفر. من هنا جاء في الصّحيح الصّادقيّ: «لو أنّ العباد إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا».(٣)

والكلام العلويّ صالحٌ ليضرب به المَثَل لردع الجاهل، ونفاسة العلم، وفيه الإشارة إلى أنّ طابع الإنسان الأوّليّ هو الجهل، إلاّ مَنْ علّمه اللّه عزّ وجلّ، فيسلم منه؛ وإليه تنظر آية: «واللّه أَخْرجكم مِنْ بطون أمّهٰتكم لا تعلمون شيئاً» (٤).

---

(١) شرح النّهج: ٢/٨٦.

(٢) الدّيوان: ٧.

(٣) الوسائل: ١/٢١، وج: ١٨/١١٥.

(٤) النّحل: ٧٨.

١٨٠ ـ نحن النُّمرقة الوسطٰى

قال سيّدنا و مولانا أميرالمؤمنين عليه السّلام:

«نحن النُّمرقة الوُسطى الّتي يلحق بها التّالي، وإليها يرجع الغالي».(١)

قال البحرانيّ: النُّمرقة: الوسادة الصّغيرة، واستعار لفظها له ولأهل بيته بصفة الوُسطىٰ، باعتبار كونهم أئمّة الحقّ، ومستنداً للخلق في تدبير معاشهم ومعادهم، على وجه العدل المتوسّط بين طرَفَي الإفراط والتّفريط، ومِنْ حقّ الإمام الحقّ المتوسّط في الأمور، أَنْ يلحق به التّالي: أي المفرّط والمقصّر، وأن يرجع إليه الغالي: أي المُفرط المتجاوز لحدّ العدل.(٢)

النُّمرقة ـ بضمّ فسكون ففتح ـ: الوسادة، وآل البيت ـ عليهم السّلام ـ أشبه بها للاستناد إليهم في أمورالدّين، كما يستند إلى الوسادة في راحة الظّهر واطمئنان الأعضاء، ووصفها بالوُسطى لاتّصال سائر النّمارق بها، فكأنَّ الكلّ يعتمد عليها، إمّا مباشرةً أو بواسطة ما بجانبه.

---

(١) النّهج: ١٨/٢٧٣، الحكمة: ١٠٦.

(٢) شرح النّهج: ٥/٢٩٧.

وآل البيت ـعليهم السّلام ـ على الصّراط الوَسَط العَدْل، يلحق بهم مَنْ قصّر، ويَرْجع إليهم مَنْ غَلا وتَجاوز.(١)

قال العسكريّ عند المَثَل: (خيرُ الأمور أوسطها): ولا أعلم فيما رُوي في التّوسّط أحسن مِنْ قول عليّ عليه السّلام: «عليكم بالنُّمرقة الوُسطىٰ،فإليها يرجع الغالي، وبها يلحق التّالي».(٢)

قال السّيّد الخطيب: وهذه الكلمة مِنْ جملة حديث جرىٰ بين أميرالمؤمنين عليه السّلام و بين الحارث الهمدانيّ، ذكره بتمامه الطّبريّ في (بشارة المُصطفىٰ) ص: ٥، فراجعه هناك.(٣)

أقول: نقلنا الحديث المُشار إليه عند المَثَل: «اعرِف الحقَّ، تَعْرف أَهْله»، (٤) و«قصيرةٌ مِنْ طويلةٍ».(٥) فراجعه.

قال المعتزليّ: النُّمرق والنُّمرقة بالضّمّ فيهما: وسادةٌ صغيرةٌ، ويجوز النّمرقة بالكسرفيهما؛ ويقال للطّنفسة فوق الرّحل: نمرقة. والمعنىٰ: أنّ كلّ فضيلةٍ فإنّها مجنَّحةٌ بطرفَيْن معدودَيْن مِن الرّذائل، كما أوضحناه آنفاً، والمراد: أنّ آل محمّد عليه و عليهم السّلام هم الأَمْرُ المتوسّط بين الطّرفَيْن المذمومَيْن، فكلّ مَنْ جاوَزَهُمْ فالواجب أَنْ يرجع إليهم، وكلّ مَنْ قَصَّرَ عنهم فالواجب أَن يلحق بهم.

---

(١) هامش مصادر النّهج: ١٠٢/٤.

(٢) الجمهرة علىٰ هامش مجمع الأمثال: ٢٧٨/١ ـ ٢٧٩.

(٣) مصادر النّهج: ١٠٢/٤.

(٤) الهمزة مع العين من الأمثال العلويّة.

(٥) القاف مع الصّاد من الأمثال العلويّة.

فإن قلت: فَلِمَ استعار لفظ النّمرقة لهذا المعنىٰ؟ قلت: لمّا كانوا يقولون: قد ركب فلانٌ مِن الأمر مُنكراً، وكانت الطّنفسة فوق الرّحل مِمّا يركب، استعار لفظ النّمرقة لما يراه الإنسان مذهباً يرجع إليه، ويكون كالرّاكب له، والجالس عليه، والمتورّك فوقه، ويجوز أيضاً أنّ تكون لفظة (الوُسطىٰ) يراد بها: الفُضلىٰ، يقال: هذه الطّريقة الوُسطىٰ، والخليفة الوسطىٰ، ومنه قوله تعالىٰ: «قَالَ أَوْسَطُهُمْ» (١): أي أفضلهم، ومنه: «جَعَلْنٰكم أمّةً وسَطاً».(٢). (٣)و عليه فالواجب على المعتزليّ الرّجوع إليهم عليهم السّلام.

---

(١) القلم: ٢٨.

(٢) البقرة: ١٤٣، والآية: «وكذٰلك ...».

(٣) شرح النّهج: ١٨/٢٧٣.

١٨١ ـ نسأله المعافاة في الأديان، كما نسأله المعافاة في الأبدان

من خطبة له عليه السّلام أوّلها:

«نَحْمَدُه على ماكان، ونستعينه مِنْ أَمْرنا على مايكون، ونسأله المعافاة في الأديان، كما نسأله المعافاة في الأبدان».(١)

تعرّضنا لبعض الأمثال فيها، وهو: «مَثَلُكم وَمَثَلها كسَفْرسلكوا سبيلاً» والبحث عنه(٢)، ووعدنا التّكلّم على قوله عليه السّلام: «نسأله المعافاة في الأديان»، وهذا محلّ إنجازه.

قال الشّارح المعتزليّ: لمّا كان الماضي معلوماً جعل الحمد بإزائه؛ لأنّ المجهول لايحمد عليه، ولمّا كان المستقبل غير معلوم جعل الاستعانة بإزائه؛ لأنّ الماضي لايستعان عليه.(٣)

إذا لوحظ الشّيء في وقوعه ولا وقوعه إلى الزّمان، جاء التّقطيع، وصار محدوداً، و أمّا لوكان النّظر إلىٰ نفس الشّيء لا بالقياس إلىٰ

---

(١) النّهج: ٨٠/٧، ط :٩٨.

(٢) حرف الميم مع الثّاء.

(٣) شرح النّهج: ٨١/٧.

زمان مّا فلا وجه لما ذكره، فافهم.

ثمّ قال الشّارح: ولقد ظَرَف وأبدَع عليه السّلام في قوله: «و نسأله المعافاة في الأديان، كما نسأله المعافاة في الأبدان»؛ وذلك أنّ للأديان سُقماً وطبّاً وشفاءً؛ كما أنّ للأبدان سُقما، وطبّاً وشفاءً.

قال محمود الورّاق:

وإذا مرضتَ من الذّنوب فداوها ... بالذّكر؛ إنّ الذّكر خير دواء
والسّقم في الأبدان ليس بضائرٍ ... والسّقم في الأديان شرّ بلاء

وقيل لأعرابيّ: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قيل: ما تشتهي؟ قال: الجنّة، قيل: أفلا ندعو لك طبيباً؟قال: الطّبيب أمرضني.(١)

قد ذكرنا البيْتيْن وما قبلهما سابقاً.(٢)

في حديث «إنّ العمل السّيّئ أسرع في صاحبه مِن السّكّين في اللّحم».(٣)وقوله تعالىٰ: «وهوالّذي يتوفّٰكم باللّيل ويعلم ماجرحتم بالنّهار».(٤) شاهدٌ عليه: أي معاصي النّهارتجرح صاحبها.

وقدجاء: «عجبتُ ممّن يحتمي مِن الطّعام مخافة الدّاء، كيف لايحتمي مِن الذّنوب مخافة النّار!». (٥)ومِن الحِكم المنسوبة إليه

---

(١) شرح النّهج: ٨١/٧.

(٢) حرف الميم مع الثّاء.

(٣) السّفينة: ٤٨٨/١، في (ذنب).

(٤) الأنعام: ٦٠.

(٥) شرح النّهج: ٨٢/٧.

عليه السّلام: «دع الذّنوب قبل أن تَدَعَك».(١)وقدجاء في دعاء ليلة النّصف مِنْ شعبان:

«لاتجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدّنيا أكبر همّنا».(٢) وعن الكاظم عليه السّلام: حقٌّ على الله تعالىٰ أن لايعصىٰ في دارٍ إلّا أضحاها للشّمس حتى تطهّرها» (٣).

١٨٢ ـ نَفَس المرء خُطاه إلى أجله

قال عليه السّلام:

«نَفَسُ المرء خُطاه إلى أجله».(٤)

النَّفَسَ بالتّحريك واحد الأنفاس، ومنه الحديث.«يجزى بين الأذان والإقـامـة نَفَسٌ».(٥)ومنه الحديث النّبويّ: «إنّي لأجد نَفَسَ الرّحمٰن مِنْ قِبَل اليمن».

وهو مستعارٌ مِنْ نَفس الهواء الّذي يردّه التّنفّس إلى الجوف، فيُبْرِد مِن حرارته ويعدّلها، أو مِنْ نَفَس الرّيح الّذي يتنسّمه فيستروح إليه،

---

(١) النّهج: ٢٠/٣١٠، رقم الحكمة: ٥٥١.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٦٧.

(٣) السّفينة: ٤٨٨/١، في (ذنب).

(٤) النّهج: ٢٢١/١٨، الحكمة: ٧٢.

(٥) مجمع البحرين، في (نفس).

أومِنْ نَفَس الرّوضة، وهو طيب روائحها، فيتفرّج عنه، يقال: أنت في نَفَسٍ مِنْ أمرك ، واعمل وأنت في نَفَسٍ مِنْ عمرك : أي في سعةٍ وفسحةٍ قَبْل الهرم والمرض.(١) كأنّما المرء في كلّ نَفَسٍ يتنفّسه، قد خطا خطوة إلى موته، المعبّر عنه بأجله، إلى أن تنتهي أَنْفاسه الّتي هي دقائق حياته المصحوبة بدقّات قلبه، كما قال القائل:

دقّات قلب المرء قائلة له إنّ الحياة دقائق وثوان

إنّما المرء أيّام، إذا مضى يوم عليه مضى بعضه، وأطولها يوم وُلد، وكلّما كَبُر قَلّتْ وقصرَتْ؛ قال سيّدنا ومولانا أميرالمؤمنين عليه السّلام:

«فبينا هو يضحك إلى الدّنيا، وتضحك إليه في ظلّ عيشٍ غفولٍ، إذ وطيء الدّهر به حسكه، ونقضت الأيّام قواه، ونظرت إليه الحتوف مِنْ كَثَبٍ، فخالطه بثٌّ لايعرفه، ونجيّ همّ ماكان يجده، وتولّدت فيه فتراتُ عللٍ آنس ماكان بصحّته، ففزع إلى ماكان عوّده الأطبّاء مِنْ تسكين الحارّ بالقارّ، وتحريك البارد بالحارّ، فلم يطفيء ببارد إلّا ثوّرَ حرارةً ولا حرّكَ بحارٍّ إلّا هَيَّجَ بُرودةً حتّى فتر معلّله، وذَهَلَ ممرّضُه...

فبينا هو كذلك على جناحٍ مِنْ فراق الدّنيا، وترك الأحبّة، إذ عرض له عارض من غصصه، فتحيّرت نوافذ فطنته، ويبست رطوبة لسانه...

---

(١) النّهاية: ٥/٩٣، في (نفس).

وإنّ للموت لغمراتٍ هي أفظع مِنْ أن تستغرق بصفةٍ، أو تعتدل على عقول أهل الدّنيا». (١)

«وحتّىٰ متى أتعلّل بالأمانيّ وأسكن إلى الغرور وأعبّد نفسي للدّنيا على غضاضة سوء الاعتداد مِنْ ملكاتها - إلى أن يقول الإمام السّجّاد عليه السّلام: - وقوارع الموت تختلف حكمي في نفسي، ويعتدل حكم الدّنيا.

وهُنّ المنايا أيّ وادٍ سلكتُهُ عليها طَريقي أَوْ عَليّ طريقُها
فقد آذنَتْني بانقطاعٍ وفرقةٍ وأومض لي مِنْ كلّ أُفقٍ بُروقها» (٢)

وقال القائل:

بينا الفتى مَرِحَ الخُطا فرحاً بما يسعىٰ له إذ قيل: قد مرض الفتى
إذ قيل: بات بليلةٍ ماناما إذ قيل: أصبح مُثقلاً ما يُرتجى
إذ قيل: أمسى شاخصاً وموجّهاً إذ قيل: فارقهم وحلّ به الرّدىٰ (٣)

في حديث علويّ: «مَنْ عَدّ غداً مِنْ أجله، فقد أساء صحبة الموت». (٤)

قيل لأمير المؤمنين عليه السّلام: ما الاستعداد للموت؟ قال: «أداء

---

(١) النّهج: ١١/١٥١ - ١٥٢.

(٢) البحار: ٧٨/١٥٤.

(٣) شرح النّهج: ١١/١٦٨.

(٤) الوسائل: ٢/٦٥١.

الفرائض، واجتناب المحارم، والاشتمال على المكارم، ثمّ لايبالي أَوَقَعَ على الموت أم وَقَعَ الموت عليه» (١) .

١٨٣ ـ نفور المِعْزى مِنْ وَعْوَعة الأَسَد

من كلام له عليه السّلام:

«أيّتها النّفوس المختلفة، والقلوب المتشتّتة؛ الشّاهدة أبدانهم، والغائبة عنهم عقولهم، أظأركم على الحقّ وأنتم تنفرون عنه نفور المِعزى مِنْ وَعْوَعة الأَسد! هيهات أن أُطلِع بكم سرَارَالعدل، أوأقيم اعوجاج الحقّ».(٢)

قال المعتزليّ: (أظأركم): أعطفكم، ظأرت النّاقة ظأراً، وهي ناقة مظؤورة إذا عطفتها على ولد غيرها. وفي المَثَل: (الطَّعْن يظأر): أي يعطف على الصّلح. والوَعْوَعة: الصّوت، والوَعْواع مِثْله.

وقوله ـعليه السّلامـ: «هيهات أن أُطلع بكم سرارالعدل». يفسّره النّاس بمعنى: هيهات أن أُطلعكم مُضيئين ومنوّرين لسَرار العدل.

---

(١) السّفينة: ٥٥٤/٢، في (موت).

ونقل المَثَل الثّعالبيّ بلفظ: (أنْفاس المرء خُطاه إلى أجله). التّمثيل والمحاضرة: ٤٠٣، وفيه (حياة المرء ثوبٌ مستعارٌ)، وغيره ممّا يرتبط بالمقام.

(٢) النّهج: ٢٦٣/٨، كلام: ١٣١.

والسَّرار: آخر ليلة في الشّهر وتكون مظلمة، ويمكن عندي أن يفسّر على وجهٍ آخر؛ وهو أن يكون السَّرار بمعنى: السّرور وهي خطوط مضيئة في الجبهة، ويجمع سَرار على أسرّة. قال عنترة:

بـزجـاجـةٍ صـفـراء ذات أسـرّةٍ　　　قُرِنَتْ بأزهر في الشّمال مقدّم(١)

يصف عليه السّلام غير المحمودين مِنْ أصحابه، بأنّهم متفرقو القلوب، مختلفو النّفوس، ذوو الانحراف، أبدانهم حاضرة في مجلسه عليه السّلام، وعقولهم غائبة، إمّا لعدمها باتّباع الشّهوات، أو أنّهم لايستفيدون منها كما هي حقّها؛ ونعمة العقل على الأغلب غير مشكورة، إذ لم تستعمل فيما يُرضي اللّه عزّ وجلّ، بل أصبحت نكراء؛ لأنّ «العقل ما عُبِدَ به الرّحمٰن واكْتُسب به الجِنان، فقيل: وما عند معاوية؟ فقال عليه السّلام: تلك النّكراء والشّيطنة».(٢)

والإمام عليه السّلام لم يعرفه أصحابُه، بل أكثر العالم كذلك، قال عبد الباقي:

إنّ لِـلّـهِ في مـعـالـيـك سـرّاً　　　أكثر الـعـالمين مـا عـلـمـوه

وقبله:

يا أبا الأوصيـاء أنـت لطٰهٰ　　　صـهـره وابـن عـمّـه وأخوه

---

(١) شرح النّهج: ٨/٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٢) أصول الكافي: ١/١١، ح: ٣.

الابيات (١).

قوله عليه السّلام: «تنفرون عنه نفور المِعزى مِنْ وَغْوَعة الأَسد» مَثَلٌ يضرب لغاية التّنفور والفرار، بمحض الصّوت، دون وقوع الواقعة، وربّما مِن شدّة خوف المِعْزىٰ مِن الأسد، لجأ إلى الأَسد بدل الفرار، وإن دلّ علىٰ شيءٍ فإنّما يدلّ على بيان حال أصحابه غير المحمودة.

---

(١) السّفينة: ٢٣١/٢.

حرف الهاء

١٨٤ ـ هَبَلَتْك الهَبُول

«وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفةٍ في وعائها، ومعجونةٍ شنِئتُها؛ كأنّما عُجنَتْ بريق حيّةٍ أو قَيْئها، فقلتُ: أصلةٍ أم زكاةٍ أم صدقةٍ؟ فذلك محرّم علينا أهل البيت، فقال: لاذا، ولا ذاك، ولكنّها هديّة. فقلتُ: هبلتك الهَبُول، أَعَنْ دين اللّه أتيتني لتخدعني،أمختبطٌ أم ذو جنّة أم تَهْجُر؟!...»

هذا جزءٌ من كلامٍ له عليه السّلام أوّله: «واللّهِ لأن أبيت على حسك السّعدان مُسهّداً...».(١)

قال المعتزليّ: «هَبَلَتْكَ الهَبُول»: أي ثكلتك أُمُّك، والهبول: الّتي لها عادةٌ بثكل الولد. (٢)وجاء الهبول في خطبةٍ أخرى: «ومِن العجب بَعثتُهُم إليّ أَنْ أَبْرُزَ للطّعان، وأن أَصْبرَ للجِلاد. هَبلَتْهُم الهبول، لقد كنتُ وما أهدَّد بالحرب ولا أُرَهَّب بالضّرب...». (٣)

---

(١) النّهج: ١١/٢٤٥، كلام: ٢١٩.

(٢) شرح النّهج: ١١/ ٢٤٩.

(٣) النّهج: ١/٣٠٣، الخطبة: ٢٢.

في مصادرالنّهج للسّيّد الخطيب: ج: ١، ص: ٢٧٣، في الخطبة: ٢٢ هكذا: «ومِن العجب بَعْثَهُم إليّ أَنِ ابرز للطّعان، وأَنِ اصبِرْ للجِلاَد».

وما رواه الطّريحيّ، قال: في حديث عليّ عليه‌السّلام: «لأمّك الهَبَل» الهَبَل بالتّحريك مصدر قولك: (هَبَلَتْهُ أمّه): أي ثكلته. هُبَل كصُرَد: اسم صنم رمىٰ به عليّ عليه‌السّلام مِنْ ظهر الكعبة، فأَمَر به، فدُفِن مِن باب بني شيبة.(١) وهو المَثَل السّائر.

قال الميدانيّ: (هبلته أمّه): أي أثكلته، هذا يتكلّم به عند الدّعاء على الإنسان. والهَبَل مثل الثّكل. (٢)وجاء: «ثكلتك الثّواكل يا عقيل!» في نفس الخطبة، وهو عين الدّعاء بلفظ مماثل له ومنه: «ثكلتك أمّك»(٣) فالهَبَل والثّكل يتبادلان في الدّعاء على الإنسان. وقيل: يؤتى بالهَبَل للمدح. قال العسكريّ: ومنه قولهم: (هوت أُمُّه وهَبَلَتْ أُمُّه) يقال: في موضع الحمد والمدح، قال كعب بن سعد الغنويّ:

هَوَتْ أُمُّه ما يبعث الصّبح غادياً   وماذا يؤدّي اللّيل حين يؤوب(٤)

ليس في البيت شاهد على الهَبَل.

ثمّ وَعَدَ الإمام عليه‌السّلام إعطاء عقيل مِنْ عطائه الخاصّ بعد الحصول، فأبى إلّا مِنْ بيت مال المسلمين زيادةً علىٰ سَهْمه منه، فأحمىٰ له الحديدة، بتفصيل في محلّه، فلا يرد عليه عليه‌السّلام، أنّه لم يعطه ما يكفيه.

---

(١) مجمع البحرين: في (هبل).

(٢) مجمع الأمثال: ٢/٤٠٥، حرف الهاء.

(٣) النّهج: ٢/٥٦، الحكمة: ٤٢٥.

(٤) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ٢/٢٥٤.

و أمّا الطّارق ـ وهو الآتي باللّيل ـ الّذي هوأ عجب عنده عليه السّلام من قصّة عقيل، فقد قال المعتزليّ: إنّه الأشعث بن قيس.(١) وعليه فهو المستميح الآخر منه عليه السّلام استماحة مشفوعة بهديّة وصفها بملفوفةٍ في وعائها، ومعجونةٍ بقي ء حيّةٍ أوريقها. تعرّضنا لهذا التّمثيل في: «كأنّما عُجنت بريق حيّةٍ». (٢) فلا نطيل. وفيه عظةٌ بالغةٌ بأنّ الهديّة قد تذهب بالدّين.

١٨٥ ـ هَدَرَ فَنيق الباطل بَعد كُظُوم

أحد تمثيلات أميرالمؤمنين عليه السّلام في خطبةٍ له:
«... هَدَر فنيق الباطل بَعد كُظُوم...». (٣)

قال الشّارح: الفَنيق: فَحْل الإبل. وهَدَرَ: رَدَّدَ صوته في حنجرته، وكذلك هَدَّرَ بالتّشديد تهديراً.

وفي المَثَل: (هو كالمُهدّر في العُنّة). (٤) يضرب للرّجل يصيح ويجلب، وليس وراء ذلك شيء، كالبعير الّذي يحبس في العُنّة ـ وهي

---

(١) شرح النّهج: ٢٤٧/١١.

(٢) الكاف مع الهمزة من كتاب: (الأمثال العلويّة).

(٣) النّهج: ١٩١/٧، الخطبة: ١٠٧.

(٤) منتهى الأرب: في (هدر). وشرح النّهج: ١٩٢/٧. وأقرب الموارد: في (هدر)، وغيرها.

الحظيرة-ويمنع من الضّراب، وهو يهدر. وقال الوليد بن عقبة لمعاوية:

قطعت الدّهر كالسَّدِمِ المعنّىٰ ... تُـهـدّر في دمشـق ولا تَـريمِ

والكُظُوم: الإمساك والسّكوت، كَظَم البَعير يكظم كُظُوماً: إذا أَمْسَكَ الجِرّة، وقوم كُظْم: ساكتون. (١) السَّدِمُ: الّذي يرغب عن فحلته فيحال بينه وبين الأفه، ويُقيّد إذاهاج، فيرعى حوالي الدّار. (٢)

وجاء في خطبة الزّهراء عليها السّلام الّتي خطبتها في مسجد المدينة: «.. ونَبَغَ خامل الأقلّين، وهَدَرَ فَنيق المُبطلين». (٣)

قال ابن الأثير: والهدير: ترديد البعير صوته في حنجرته، والفنيق: هو الفحل المكرم من الإبل الّذي لايركب ولايهان لكرامته عليهم. ومنه حديث الحجّاج لمّا حاصر ابن الزّبير بمكّة ونصب المنجنيق عليها:

* خطّارة كالجمل الفنيق *. (٤)

والمراد بالهادر الخامل في قولها عليها السّلام: هي الأصوات الّتي هدرت حول الخلافة، حتّى صفا لهم الجوّ. وهي من الخطب البليغة عزّ

(١) شرح النّهج: ٧/١٩٢.
(٢) هامش المصدر، لأف الطّعام لأفاً: أي أكله أكلاً جيّداً. اللسّان في (لأف).
(٣) الاحتجاج: ١/١٣٧.
(٤) النّهاية: في (فنق).

قائلها من النّساء، وكيف لا؟! وهي بنت النّبيّ المختار، و زوجة عليّ الكرّار أميرالمؤمنين صلّى اللّه عليهم وسلّم.

كما أنّ المقصود من قوله عليه‌السّلام: «هَدَر فَنيق الباطل بعد كُظُوم» في ذلك الزّمان: هوالهادر بعدالسّكوت النّابغ بعدالخمول، ومَنْ يردّد صوته لأمور باطلة، مهما كان نوعها، ومِنْ أيّ الصّنوف كان الهادر، وهو فاشٍ في الطّامعين في المناصب والرّئاسة الدّنيويّة الزّائلة.

ولم تثبت الخلافة عندنا إلّا بالتّنصيص مِن اللّه تعالىٰ ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم على مَنْ أراده، لا بالشّورىٰ والانتخاب، بل كما سمعت بالانتصاب بنصب سماويّ، لخطورة أمرالخلافة في الأرض للنّاس بل للعالم كلّه، وإنّما الشّورىٰ في الأمور العاديّة لاالدّينيّة، لقوله تعالى «وأمرهم شورىٰ بينهم».(١) لإضافة الأمر إليهم: أي ما كان مِنْ خصائصهم العاديّة، كما هو المراد من آية: «وشاورهم في الأمر».(٢)بعد الفراغ عن كونه نبيّاً، لا أنّ منصب النّبوّة يثبت بها، وكذلك الإمامة، والدّليل عليه قوله تعالى: «وإذ قال ربك للملٰئِكة إني جاعل في الأرض خليفة».(٣)

والبحث مُشْبَعٌ في محلّه المتاح. وقد خرجنا عمّا نحن بصدده من شرح المَثَل العلويّ الّذي قد تحقّق محتواه بعد عصور الأئمّة عليهم‌السّلام، بل في عصورهم عليهم‌السّلام أيضاً. وهو أحد الأمور الغيبيّة، حيث

---

(١) الشّورىٰ: ٣٨.

(٢) آل‌عمران: ١٥٩.

(٣) البقرة: ٣٠.

تجدالنّعرات المُذاعة مِنْ وراء الأجهزة الإعلاميّة العالميّة إلى العالم كلّه.

ولعلّ ما أخبر به الإمام عليه السّلام في هذه الخطبة الشّريفة يأتي زمان يكون التّحقّق فيه أكثر، والله العالم.

ولم تذكر الخطبة حتّى يعلم ما أخبر به عليه السّلام من الأمور الّتي ستقع أو وقعت، فليراجع، إلى ما نقلنا عنه من المصدر.

١٨٦ ـ همجٌ رعاعٌ أتباع كلّ ناعقٍ

من كلام له عليه السّلام لكميل بن زياد النّخعيّ:

قال كميل بن زياد: أخذ بيدي أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، فأخرجني إلى الجبّان، فلمّا أَصْحر تنفّس الصّعداء، ثمّ قال:

«يا كميل بن زياد! إنّ هذه القلوب أوعيةٌ، فخيرها أوعاها، فاحفظ عنّي ما أقول لك: النّاس ثلاثةٌ: فعالمٌ ربّانيّ، ومتعلّمٌ على سبيل نجاة، وهمجٌ رعاعٌ، أتباع كلّ ناعقٍ، يميلون مع كلّ ريحٍ، لم يستضيئوا بنورالعلم، ولم يلجؤوا إلى ركنٍ وثيقٍ...».(١)

قال الشّارح: الجبّان والجبّانة: الصّحراء. وتنفّس الصّعداء: أي

---

(١) النّهج: ١٨/٣٤٦، كلام: ١٤٣.

تنفّس تنفّساً ممدوداً طويلاً.

قوله عليه السّلام: (ثلاثة) قسمةٌ صحيحةٌ؛ وذلك لأنّ البشر باعتبار الأمور الإلٰهية: إمّا عالمٌ على الحقيقة بعرف اللّه تعالى، وإمّا شارعٌ في ذلك فهو بَعدُ في السّفر إلى اللّه يطلبه بالتّعلّم، والاستفادة مِن العالم، و إمّا لاذا ولاذاك، وهوالعامّيّ السّاقط الّذي لا يعبأ اللّه به.

وصدق عليه السّلام في أنّهم همجٌ رعاعٌ، أتباع كلّ ناعقٍ، ألا تراهم ينتقلون مِن التّقليد لشخصٍ إلىٰ تقليد الآخر، لأدنى خيالٍ وأضعف وهمٍ!.(١)

قال ابن الأثير: في حديث عليّ -عليه السّلام-: «وسائر النّاس همجٌ رعاعٌ»، الهمج: رذالة النّاس. والهمج: ذباب صغير يسقط علىٰ وجوه الغَنَم والحمير. وقيل: هوالبَعُوض. فشبّه به رعاع النّاس. يقال: هم همج هامج على التّأكيد. ومنه حديثه أيضاً: «سبحان مَنْ أَدْمَجَ قوائم الذّرّة والهَمَجة» هي واحدة الهمج.(٢)

وقال الطّريحيّ: الهمج بالتّحريك جمع هَمجَة: وهو ذبابٌ صغيرٌ كالبعوضة يسقط علىٰ وجوه الغَنَم والحمير وأعينها، ويستعار للأسقاط مِن النّاس والجهلة، ويقال للرّعاع مِن النّاس: همجٌ. والرّعاع بالمهملات وفتح الأوّل: العوام والسّفلة. وفي الحديث: «نحن العرب، وشيعتنا منّا، وسائرالنّاس همجٌ أو هيجٌ، قال الرّاوي: قلت: وما الهمج؟ قال: الذّباب، قلتُ: وما الهيج؟ قال: البقّ».(٣)

وفسّر رعاع النّاس بسقاطهم وأخلاطهم والواحد رَعاعَة.(٤) رجل

---

(١) الشّرح: ١٨/٣٤٧ - ٣٤٨.

(٢) النّهاية: في (همج).

(٣) مجمع البحرين: في (همج).

(٤) النّهاية: في (رعع).

رعاعة وهجاجة: أي ليس له فؤاد ولا عقل، وهو من الرَّعرَعة، وهي اضطراب الماء على وجه الأرض؛ لأنّ العاقل يوصف بالتثبّت والتّماسك، والأحمق بضدّ ذلك.(١)

بعد معرفة معنى الكلمتين: أي الهمج والرّعاع، يتّضح ما وصفهم أميرالمؤمنين عليه السّلام بقوله: أتباع كل ناعقٍ إلى آخره. وفي الحقيقة، هو تفسيرٌ لهم وبيان مالا ينفكّ عنهم، فيثبت الوصف على كلّ مَنْ لم يكن داخلاً في القسمين: العالم الرّبّانيّ، والمتعلّم على سبيل نجاة. والتّطبيق قهريّ وعقليّ فمَنْ شاء فليدخل إمّا في الصّنف الأوّل أو الثّاني الممدوح، أو يكون من الهمج الرّعاع. ولا يخفىٰ أنّ الخطبة المشتملة على المَثَل المذكور رواها جمعٌ، منهم المجلسيّ طاب ثراه، فراجع (٢).

١٨٧ـ هنالك لو دعوت أتاك منهم

في آخر خطبة له عليه السّلام، وقد تواترتْ عليه الأخبار، باستيلاء معاوية على البلاد، حيث قال عليه السّلام:

«اللّهمّ إنّي قد مللتُهم وملّوني، وسئمتُهم وسئموني، فأبْدلني بهم خيراً منهم، وأبْدلهم بي شرّاً منّي. اللّهم مُثْ قلوبهم كمايماث الملح في الماء، أَما واللّه لوددتُ أنّ لي بكم ألف فارسٍ مِنْ بني فراس بن غَنْم:

---

(١) الفائق: في (رعع).

(٢) البحار: ٧٦/٧٨.

هـنـا لـك لـودعـوت أتـاك منهم فوارس مِـثْـل أرْمِـيـة الحميم»(١)

قال بعض الشّرّاح: نَسَبَه ابن مـنظور في لسان العرب إلى (الهذليّ)، مع مغايرة بسيطة قال: قال الهذليّ:

هـنـا لـك لـودعـوت أتـاك منهم رجـال مِـثْـل أرْمِـيـة الحـميم

ووجه استشهاد الإمام عليه السّلام به، أنّه كان يتمنّىٰ لو أنّ لديه بدل أهل الكوفة مَنْ إذا دُعوا أجابوا مُسرعين، ومَنْ إذا استُغيثَ بهم أغاثوا، فقد جاء قبله: «أما واللّه...».

وبنوفرس بن غَنم أوفراس بـن غنم: حيٌّ عـربيٌّ مشهـورٌ بـالشّجاعة. وأرْمية الحميم: سُحُب الصّيـف. ويضرب بها المَثَل؛ لأنّها أخفّ وأسرع في الانتقال(٢) ووجه الخفّة؛ لأنّها لاماء فيها، والّتي فيها لا تكون إلّا في الشّتاء، يُريد ـ عليه السّلام ـ بذلك: أنّ فوارس بني غنم مسرعون إذا دُعوا، وللإغاثة إذا استُغيثُوا. فلوكان مع الإمام عليه السّلام مَنْ يستنهض بهم ويُستغاث، لما كان لمعاوية وأضرابه الجرأة لتسنّم عرش الرّئاسة، ولكن قد خلا له الجوّ فطفق يصفر ويجول، وتمنّي الإمام عليه السّلام فوارس بني غَنْم وهو أحد تمنّياته، وقد تمنّى استبدال كلّ عشرٍ مِنْ أصحابه بواحدٍ مِنْ أذناب معاوية، حيث أنّ أهل الشّام يثبتون إذا دُعوا، وإن كانوا على أمرٍ باطلٍ، وأمّا أصحابه فهم على الحقّ، ولا ثبات لهم كما جاء في كلام له عليه السّلام (٣).

---

(١) النّهج: ١/٣٣٣، ط: ٢٥.

(٢) رسالة الإسلام: عدد: ٧ ـ ٨، ص: ١٢٢.

(٣) النّهج: ٧/٧٠ ـ ٧١، كلام: ٩٦.

حرف الواو

١٨٨ ـ وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها

تمثّل به الإمام عليه السّلام في جوابه لمعاوية:

«وزعَمْتَ أنّي لكلّ الخلفاء حسدتُ، وعلىٰ كلّهم بغيتُ، فإن يكن ذلك كذلك، فليست الجناية عليك، فيكون العذر إليك.

* وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها *».(١)

من قصيدة لأبي ذؤيب الهذليّ يرثي بها نشيبة بن محرث الهذليّ، أوّلها: -مِنْ الطّويل-

هل الدّهر إلّا ليلة ونهارها　　وإلّا طلوع الشّمس ثمّ غيارها
أبى القلب إلّا أمّ عمرو وأصبحَت　　تحرّق ناري بالشّكاة ونارها
وعيّرها الواشون أنّي أحبّها　　وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها

: أي إن كنتُ حاسداً لهم وباغياً كما زعمتَ، فَليس ذنب ذلك عليك، وأَنْتَ على عذر منه. وفي نفي الجناية عَنْ معاوية إن صدق في

---

(١) النّهج: ١٨٣/١٥، ك : ٢٨. و رسالة الإسلام: عدد: ٧ـ٨، ص: ١٢٤ ـ ١٢٥، وفيها الأبيات الّتي منها المتمثّل به الإمام عليه السّلام.

رمي الحسد والبغي إليه عليه السّلام إبطال لاستمساكه بذلك لرئاسته، وأنّه ليس بكفيلٍ لهم، ولاحقّ له، ولا ولاية عليهم، أو أنّ مَنْ يطلب حقّاً ثابتاً على الآخرين ليس بجناية، وإن أوهمها، وكم مِنْ مَواطن فيها مطالبة الحقوق معدودةٌ من الجناية عند قوم وليْسَتْ كذلك.

ولايرتاب المطّلع على حادثة السّقيفة والشّورى، وما نصّ الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم على إقامة الإمام عليه السّلام مقامه مِنْ بعده يوم غدير خمّ، أنّ الخلافة مِنْ حقّه الثّابت، فمطالبة الحقّ ليسَتْ جناية، ولاحسداً، ولا بغياً منه عليهم. ومِنْ هوان الدّنيا مخاطبة أميرالمؤمنين مِنْ أمثال معاوية، كما نُسِبَ إليه عليه السّلام: «أنّ الدّهر أنزلني حتّى قيل: عليٌّ ومعاوية».

ولعلّ مِنْ أهمّ الغصص وأمضّها مواجهة الأنذال ومكالمتهم، ومِنْ ذلك قول زينب بنت أميرالمؤمنين عليها السّلام، مخاطِبةً ليزيد بن معاوية: «ولئن جرّت عليّ الدّواهي مخاطبتك، إنّي لأَسْتصغُر قدرك، وأَسْتعظمُ تَقْريعك، وأَسْتكثُر تَوبيخك...».(١) عند دخول حرم الحسين عليه السّلام في مجلس يزيد عليه لعنة اللّه.

---

(١) اللّهوف: ٧١.

١٨٩ ـ وحسبك عاراً أن تبيت بِبِطْنة

في كتاب له عليه السّلام الى عمثان بن حُنيف الأنصاريّ، وهو عامله على البصرة، وقد بَلَغه انّه دُعي إلى وليمة قوم مِنْ أهلها، فمضى إليها، أوّله:

«أمّا بعد يا ابن حُنيف! فقد بلغني ـ إلى قوله عليه السّلام: ـ أو أبيتَ مِبْطاناً، وحَوْلي بطونٌ غرثى، وأكبادٌ حرّى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك عاراً أن تبيت بِبِطْنةٍ وحولك أكبادٌ تَحِنُّ إلى القِدِّ

...؟!» (١).

وفي لفظ:

* وحسبك داءً أن تَبيتَ بِبِطْنةٍ * (٢)

قال المعتزليّ: وهذا البيت مِنْ أبيات منسوبة إلى حاتم بن عبدالله الطائي الجواد. و أوّلها:

أيا ابنة عبدالله، وابنة مالك ويا ابنة ذي الجَدّيْن، والفَرَس الوردِ!

---

(١) النّهج: ١٦/٢٠٥، و ٢٨٦، كتاب ٤٥. (٢) مصادر نهج البلاغة: ٣/٣٦٦، ٣٦٩.

إذا ما صنعتِ الزّاد فالتمسي له — أكيلاً فإنّي لستُ آكله وَحْدي
قَصيّاً بعيداً، أو قريباً فإنّني — أخافُ مَذَمّاتِ الأَحاديث من بعدي
كفى بك عاراً أن تبيتَ بِبِطْنةٍ — وحولك أكباد تَحِنُّ إلى القِدِّ
وإنّي لعبدُ الضّيف مادام نازلاً — وما مِنْ خلالي غيرها شمية العبدِ(١)

أقول: قوله:

* كفى بك عاراً أن تبيت بِبِطنةٍ *

يعطي ما نقله المعتزليّ. وما قدمناه المعنى دون اللّفظ.

وكيف كان، ليس أميرالمؤمنين عليه السّلام ليحذّر النّاس عن أمرٍ وهو يأتيه، ككثيرٍ مِنْ وُعّاظٍ، وناهين عن المنكر، أو يأمر به فيتركه! فإذا هو يندّد عن البِطْنة، فلم تكن صفته ذلك. وكيف، وهوالقائل: «أو أَبيتُ مِبْطاناً، وحولي بطونٌ غرثى، وأكبادٌ حرّى»؟!

وكان عليه السّلام يقتات بما قالوا فيه: «إن كان هذا قوت ابن أبي طالب، فقد قعد به الضّعف...»! في نفس الكتاب.

والقائل أيضاً: «فإنّ إمامكم قد اكتفى مِنْ دنياه بِطمْرَيْه، ومِنْ طُعمه بقرْصيه»: أي لا ثالث لهما. والطِّمْر: الثّوب الخلق البالي مِنْ إزار ورداء، يستر بهما جسده الشّريف.

وكان عليه السّلام يطوي اللّيالي بالبكاء والعبادة. وغشيتُه مِنْ

---

(١) شرح نهج المعتزليّ: ١٦/٢٨٦، ٢٨٨.

خشية الله جلّ جلاله في حديقة بني النّجّار معروفة!!

يقول: «آهِ مِنْ قلّة الزّاد، وطول الطّريق، وبُعدالسّفر، وعظيم المورد». (١)

فيامَن نَصَبَ نَفْسَه رأساً!: طأطئ أمام إمامك العظيم.

١٩٠ - ودع عنك نَهْبَاً صِيح في حجراته

تمثّل به أميرالمؤمنين عليه السّلام في كلام له لبعض أصحابه، وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام، وأنتم أحقّ به؟ فقال عليه السّلام.

«يا أخابني أسد! إنّك لقلق الوضين تُرسل في غير سدد، ولك بعدُ ذمامة الصِّهر وحقّ المسألة، وقد استعلمت فاعلم:

أمّا الاستبداد علينا بهذا المقام، ونحن الأعلون نسباً، والأشدّون بالرّسول صلّى الله عليه ـ وآله ـ وسلّم نوْطاً، فإنّها كانت أثرة، شحّت عليها نفوس قومٍ، وسخت عنها نفوس آخرين، والحَكم الله، والمعود إليه يوم القيامة.

ودع عنك نَهْباً صِيح في حجراته ... ولكنْ حديثاً ما حديث الرّواحل

...». (٢)

---

(١) مصادر النّهج: ٤/٥٩، ح ٧٧.

(٢) النّهج: ٩/٢٤١، كلام: ١٦٣.

قال الميدانيّ بلفظ: «دَعْ عنك نَهباً صيح في حجراته»: النّهب: المال المنهوب، وكذلك النُّهبىٰ. والحجرات: النّواحي. يضرب لِمَنْ ذهب مِنْ ماله شيء، ثمّ ذهب بعده ماهو أجلّ منه.

وهذا مِنْ بيت امرئ القيس، قاله حين نزل على خالدبن سدوس بن أصمع النّبهانيّ، فأغار عليه باعث بن حُوَيص، وذهب بإبله، فقال له جاره خالد: أعطني صنائعك ورواحلك، حتّىٰ أطلب عليها مالك، ففعل، فانطوى عليها، ويقال: بل لَحِقَ القوم فقال لهم: أَغَرْتُمْ علىٰ جاري يا بني جَديلة؟! فقالوا: واللّه ما هو لك بجارٍ، قال: بلىٰ واللّه ماهذه الإبل الّتي معكم إلّا كالرّواحل الّتي تحتي، قالوا: كذلك، فأنزلوه وذهبوابها. فقال امرؤالقيس فيماهجاه به:

ودَعْ عنك نَهْباً صِيح في حجراته ولٰكنْ حديثاً ما حديث الرّواحل؟

يقول: دَع النّهب الّذي انتهبه باعث -بن حويص- ولٰكن حدّثني حديثاً عن الرّواحل الّتي ذَهَبْتَ أَنْتَ بها، ما فعلت؟ ثمّ قال في هجائه:

وأعجَبني مشيُ الحُزُقّة خالدٍ كمشيْ أتانٍ حُلِّئت عن مناهل (١)

سردنا مورد ضرب المَثل -صدق أم لا- لمعرفة موضع التّمثّل.

---

(١) مجمع الأمثال: ١/٢٦٧-٢٦٨، حرف الدّال.

يريد عليه السّلام: أنّ نهب هؤلاء القوم لحقوقنا الثّابته كنهب الأموال والرّواحل، بَدَل أن يردّوا الأولى لصاحبها، اغتصبوا الأُخرىٰ. وكذلك معاملة القوم معنا قد غَصَبُونا حَقَّنا الّذي خَصَّصنا اللّه عزّ وجلّ به، وهي الخلافة، وبعدها يَرَوْنَ أَنْ لاحقّ لنابها مذكوراً في الدّهر.

ولاغَرْو في ذلك؛ فإنّ الدّهر مِنْ عاداته المعاداة لأرباب الحقوق.

ثمّ إنّ السّائل مِنْ بني أسَدَ،وكانت مصاهرة منه عليه السّلام معهم، فما أنكره المعتزليّ ردّاً على القطب الرّاونديّ في غير محلّه، فراجع؛ (١) لظهور قوله عليه السّلام: «ولك بعدُ ذمامة الصّهر» فيما ذهب إليه من المصاهرة.

وأما البيت، فقال المعتزليّ: أنّه لامرئ القيس بن حجر الكنديّ، وروي أنّ أميرالمؤمنين عليه السّلام لم يستشهد إلّا بصدره فقط، وأتمّه الرّوّاة.(٢)

وكيف كان، فقد بان الغرض من التّمثّل به، وأنّ الكلام من بدئه إلى ختمه صريحٌ في اغتصاب الخلافة، وأنّه عليه السّلام الأَوْلى بها لشدّة السّبب وعلوّ النّسب، وإنّما استبدّ عليه ظلماً وزوراً،وقد جاء في إحدى زياراته المأثورة: «أَشْهدُ أنّك أوّل مظلومٍ قد غُصِبَ حقّه» (٣).

---

(١) شرح النّهج: ٢٤٢/٩.

(٢) شرح النّهج: ٢٤٣/٩.

وقد ذكر البيت والتّمثّل به ومَنْ قاله،صاحبُ رسالة الإسلام: عدد: ٧ - ٨، ص: ١٢٤.

(٣) البحار: ٢٦٥/١٠٠، ب: ١٤، زيارته صلوات اللّه عليه.

١٩١ ـ وقد يستفيد الظِّنّة المُتنصّح

تمثّل به عليه السّلام في أثناء جوابه لكتاب معاوية:

«وما كنت لأعتذر مِنْ أنّي كنت أنقم عليه أحداثاً، فإن كان الذّنب إليه إرشادي وهدايتي له، فربّ ملومٍ لا ذنب له.

* وقد يستفيد الظِّنّة المُتنصّح *». (١)

وهذه الفقرة ذكرناها عندالمَثل: «ربّ ملومٍ لاذنب له» (٢) والإعادة لأجل ربط المَثَل الجاري وهو من الطّويل. قال بعض: صدره:

* وكم سقتُ في آثاركم مِن نصيحةٍ *

والظِّنّة: التّهمة والمُتنصّح: المُبالغ في النّصح لِمَنْ لا ينتصح، وربّما كان مأخوذاً مِنْ قولهم: سقطت به النّصيحة على

---

(١) النهج: ١٥/١٨٣، ك : ٢٨.

(٢) حرف الرّاء مع الباء.

الظّنّة(١)ومعناها: أنّ المتنصّح قدتأتيه التّهمة بسبب إخلاصه النّصيحة إلى مَنْ لا ينتصح بها. (٢)

أقول: لقد قضى النّاصح ما عليه مِنْ أداء رسالته، ويكون بعده السّامع مخاطباً بقوله تعالى: «ونصحت لكم ولٰكن لاتحبّون النّٰصحين». (٣)

وقد جاء في أمثال نبوّية: «الدّين النّصيحة»(٤)

بتمام معنى الكلمة مِنْ نُصحٍ قوليّ وعمليٍّ للخالق عزّ وجلّ والخَلْق، وأميرالمؤمنين عليه السّلام نَصَحَ الخلائق سواءً أكانوا في زمانه، أو الأزمنة المتأخّرة إلى يوم القيامة، ببلوغ كتابه الّذي بعد كلام الخالق تعالى وفوق كلام المخلوق، وليس هو إلّا شرحاً وتفسيراً له، ثمّ التّعبير باستفاده الظِّنّة، وهي التّهمة لأجل حصولها في سبيل اللّه تعالى.

فكلّ ما أتى المؤمن في طريق أداء الرّسالة عدّ من الفوائد، و إن كان بظاهره مِنْ نوع الأذىٰ والأمر المكروه، ويتحقّق فيه قوله تعالى: «وعَسى أن تكرهوا شَيْئاً وهو خَيْرٌ لَكُم». (٥)وعليه فلا وجه لحمله على المجاز أو التّهكّم.

وقد شرحنا باقي الفقرة فيما تقدّم، فراجع (٦)

---

(١) المستقصىٰ: ١١٩/٢.

(٢) رسالة الإسلام: عدد: ٧ ـ ٨، ص: ١٢٥.

(٣) الأعراف: ٧٩.

(٤) الأمثال النّبوية: ٤٢٣/١، رقم المَثَل: ٢٧٠.

(٥) البقرة: ٢١٦.

(٦) حرف الرّاء مع الباء.

١٩٢ - وُقِرَ سَمْعٌ لم يَفْقَه الواعِيةَ

من خطبة له عليه السّلام:

«بنا اهتديتم في الظّلماء، وتسنّمتم العَلياء، وبنا انفجرتم عن السِّرار، وُقِرَ سَمْعٌ لم يفقه الواعِيةَ... ...».(١)

قوله عليه السّلام: (وُقِر سَمع...) مِن الوقر بالفتح: الثّقل في الأذن، أوذهاب السّمع كلّه، ومنه قوله تعالى: «في ءَ اذانهم وقر».(٢)والثّبات، ومنه الحديث: «الإيمان ما وقر في القلوب».(٣): أي ثبت. والتّعظيم، وفي الحديث: «مَنْ وقّر صاحب بدعةٍ فقد أعان على هدم الإسلام».(٤): أي عظّمه. و «وقّروا كباركم» أي: عظّموهم، يشمل السّنّ والشّأن كالمعلّمين.(٥) والمناسب للمقام الأوّل، وهودعـاء على صاحبه، وأمّا المَثَل: (كانَتْ وقرةٌ في صخرة) يضرب للصّابر في المصيبة (٦)،فمِن

---

(١) النّهج: ١/ ٢٠٧ ط: ٤. وفي بعض النّسخ: «وتسنمتم ذروة العلياء».

(٢) فصّلت: ٤٤.

(٣) مجمع البحرين: في (وقر).

(٤) الوسائل: ١١/٥٠٨، ح: ٣.

(٥) مجمع البحرين: في (وقر).

(٦) منتهى الأرب في لغة العرب: في (وقر).

الثّاني، أي الثّبات.

والمثل: (وَقِّر نَفْسَك تُهَبْ)(١) فمن الثّالث: أيَ تهاب وتعظّم. ومنه قول العلاّمة الطّباطبائي في الدّرّة الباهرة:

لا تجعلنّ مسجداً طريقاً وَقِّرهُ إذ كان به حقيقاً

ومنه: كان عبدالله بن مُسكان ممّن يوقّر الصّادق عليه السّلام، بحيث لايدخل عليه شفقة أن لايوفيه حقّ إجلاله، فكان يسمع من أصحابه.(٢)

فلنعد إلى الموضوع.

قال المعتزليّ: (وُقِرَ سَمْع)، هذا دعاء على السّمع الّذي لم يفقه الواعية بالثّقل والصّمم. وُقِرَتْ أُذُن زيدٍ بضم الواو فهي موقورة، والوَقر بالفتح: الثّقل في الأذن. والواعية: الصّارخة من الوُعاء وهي الجَلَبة والأصوات، والمراد: العبر والمواعظ. (٣)

وإنّما عددناه من الأمثال لتصريح المعتزليّ عند شرح الخطبة، قال: هذه الكلمات والأمثال ملتقطة مِن خطبة طويلة منسوبة إليه...(٤) يريد بالأمثال منها قوله عليه السّلام: «انفجرتم عن البِيرار».(٥) و«وُقِرَ سَمْع لم يفقه الواعية»

---

(١) مجمع الأمثال: ٢/٣٨٢، المولّدون، حرف الواو.

(٢) السّفينة: ٢/٦٧٦، في (وقر).

(٣) شرح النّهج: ١/ ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٤) المصدر.

(٥) حرف الهمزة مع النّون.

ومالم نذكره هنا من بقيّة الخطبة: «وكيف يراعي النبأة مَنْ أَصَمّتْه الصّيحة! رُبط جنان لم يفارقه الخفقان ـوآخرها ـ مَنْ وَثِقَ بماءٍ لم يَظْمَأْ».(١) استخرجنا منه عدّة أمثال، ذكرنا كلّ واحد تحت عنوانٍ خاصٍّ، أوّلها تحت: «انفجرتم عن السِّرار»، وآخرها بعنوان: «مَنْ وَثِقَ بماءٍ لم يَظْمأ».(٢)وهكذا البقيّة.

١٩٣ ـ ويل أمّه

هذه الكلمة استعملها الإمام عليه السّلام في كلام له، في ذمّ أهل العراق، أوّله:

«أمّا بعد يا أهل العراق!... ...ولقد بلغني أنّكم تقولون: عليٌّ يكْذب! قاتلكم اللّه تعالى فعلىٰ مَنْ أَكْذِبُ؟ أَعَلى اللّه؟ فأنا أوّل مَنْ آمَنَ به، أمْ عَلى نبيّه؟ فأنا أوّل مَنْ صدّق به، كلّا واللّه؛ لٰكنّها لهجة غِبْتُمْ عنها، ولم تكـونوا مِنْ أهلها، وَيْل أمّه، كيلاً بغير ثمنٍ، لوكان له وعاء: ولتعلمنّ نبأه بعد حين».(٣) (٤)

إنّما أثبتنا أكثر كلامه عليه السّلام لربط الكلمة التّمثيليّة به. ونظيره قوله عليه السّلام عند مروره علىٰ قتلىٰ حَرْب الجَمل، و أُجْلس كَعْب ابن سور: «ويلمُّك، لقد كان لك علم لو نفعك».(٥)

---

(١) النّهج: ١/٢٠٧.

(٢) حرف الميم مع النّون.

(٣) ص: ٨٨.

(٤) النّهج: ٦/١٢٧، ك ٧٠.

(٥) شرح النّهج: ١/٢٤٨.

قال المعتزليّ في شرحها: «ويلمّه» الضّمير راجع إلى مادلّ عليه معنى الكلام من العلم؛ لأنّه لمّا ذكر اللّهجة وشهوده إيّاها و غيبوبتهم عنها دلّ ذلك على علم له خصّه به الرّسول عليه السّلام فقال: (ويلمّه). وهذه الكلمة تقال للتّعجّب والاستعظام؛ يقال: (ويلمّه فارساً!). وتكتب موصولةً كما هي بهذه الصّورة، وأصله: (ويل أمّه) مرادهم: التّعظيم والمدح، وإن كان اللّفظ موضوعاً لضدّ ذلك، كقوله عليه الصّلاة والسّلام: «فاظفَر بذات الدّين ترِبت يداك». (١) وكقولهم للرّجل يصفونه ويقرّظونه: (لا أباً له). (٢)

جاءت كلمة (ويل أمّه) في قصّة جَذيمة مع الزّباء ومولاه قصير، أشرنا إلى إجمالها عندالمَثَل: «لَوْكانَ يُطاع لقصيرٍ أمرٌ»- وفيها: أَنْ نَصَحَ قصيرٌ جَذيمة- فلقيته الخيول والكتائب، فحالت بينه وبين العَصا- والعَصا: فَرَسُ جَذيمة-، فركبها قصيرٌ، ونَظَرَ إليه جَذيمة على مَتن العَصا مولّياً فقال: (ويل أمّه حَزْماً على مَتنْ العَصا)، فذهبت مَثَلاً... (٣) والقصّة طويلةٌ اختصرناها لموضع المَثَل.

كما وجاء المَثَل المبحوث عنه في خبرٍ له عليه السّلام أَخْبر بقاتلٍ يقتله في غير ساحة حربٍ ولا معركة رجالٍ: «ويلمِّهِ أشقى البشر!» انظر المصدر (٤).

---

(١) أثبتناه في حرف التّاء مع الرّاء من الأمثال النّبويّة: ١/٣١٧، رقم المَثَل: ٢٠٦.

(٢) شرح النّهج: ٦/١٣٣.

(٣) مجمع الأمثال: ١/٢٣٤، حرف الخاء.

(٤) شرح النّهج: ١/٢٣٥.

وقد ذكرنا الخبر في (الأمثال العلويّة) تحت المَثَل: «إنّه وأحمر ثمود لمقرونان في قَرْنٍ».

حرف الياء

١٩٤ ـ يبيعك بالتّافه

في كلام له لابنه الحسن عليهما السّلام:
«إيّاك ومصادقة الفاجر؛ فإنّه يبيعك بالتّافه». (١)

وقد وصفه عليه السّلام بصفات، كما في حديث الصّادق عليه السّلام قال: «كان أميرالمؤمنين ـ عليه السّلام ـ إذا صعد المِنْبر قال: «ينبغي للمسلم أن يتجنّب مؤاخاة ثلاثةٍ: الماجن الفاجر، والأحمق، والكذّاب؛ فأمّا الماجن الفاجر فيزيّن لك فعله، ويحبّ أن تكون مِثْلَه، ولا يعينك على أمر دينك ومعادك، ومقاربته جفاءٌ وقسوةٌ، ومدخله ومخرجه عارٌ عليك...». (٢)

الماجن: الّذي لايبالي قولاً ولا فعلاً، يزيّن لك فعله، و يحبّ أن تكون مِثْله. والفاجر: المنبعث في المعاصي والمحارم، والزّاني، والكاذب: المائل عن الصّدق، ومنه الدّعاء: «لاتجعل لفاجرٍ عليّ يداً ولا منّة». (٣) ولعلّ أكثر استعمال الفاجر في الكذب والزّنا، وجاء: «التّاجر

---

(١) النّهج: ١٨/١٥٧، الحكمة: ٣٨.

(٢) الوسائل: ٨/٤١٦.

(٣) مجمع البحرين: في (مجن وفجر)، مع تصرّفٍ مّا.

فاجرٌ مالم يتفقّه». (١) و«لا تسألوا الفاجرة: مَنْ فجربك ؟». (٢) وفي القرآن الكريم ما يقابل التّقوىٰ «أم نجعل المتّقين كالفجّار». (٣) «فألهمها فجورها وتقوىٰها». (٤) والأبرار: «إنّ الأبرار لفى نعيم * وإنّ الفجّار لفى جحيم». (٥) ثمّ الوجه في بيع الفاجر صديقه بالتّافه عدم مبالاته بالقيم الإنسانيّة والفضائل النّفسيّة، إمّا لسلب الفَهْم والفكر الصّائب منه، إذ الفجور والتّمرّد على اللّه تعالى يسلب الفهم الإنسانيّ، ويستبدل بنور الفكر الظّلام، فيفقد الميزة بين التّافه والثّمين. وفي القرآن العزيز ما يشير إليه بقوله تعالى: «لهم قلوبٌ لا يفقهون بها». (٦) «ولٰكنّ المنٰفقين لا يفقهون». (٧) وقد قال تعالى: «إنّ المنٰفقين هم الفٰسقون». (٨)

وليس الفاسق إلّا الفاجر، فافهم تعرف إن شاء اللّه. والأكثر هوعدم المبالاة بالقِيم الإسلاميّة، وإن كان له الميزة بينها، ومِنْ أَجل ذلك تمّت عليه الحجّة، واستحقّ مِن اللّه عزّ وجلّ العقوبة والخزْي في الدّارين، فعلى اللّبيب ترك مصادقة الفاجر حتّى لايباع في سوق الفجرة، فيخسر رأس المال: وهو عمره الّذي لا ثمن له إلّا الجنّة.

---

(١) الوسائل: ١٢/٢٨٥.

(٢) الوسائل: ١٨/٤١١، الأمثال النّبويّة: ٢/٩٣، رقم المَثَل: ٤١١، حرف اللاّم مع الألف.

(٣) ص : ٢٨.

(٤) الشّمس: ٨.

(٥) الانفطار: ١٣و١٤.

(٦) الأعراف: ١٧٩.

(٧) المنافقون: ٧.

(٨) التّوبة: ٦٧.

١٩٥ ـ يَدُ اللّه على الجماعة

من كلام له عليه السّلام قال للخوارج أوّله:

«فإن أبيتم إلّا أن تزعموا أنّي أخطأت وضللت....ـ إلى قوله عليه السّلام: ـ وخير النّاس فيّ حالاً النّمط الأوسط، فالزموه والزموا السّواد الأعظم؛ فإنّ يد اللّه على الجماعة، وإيّاكم والفرقة؛ فإنّ الشّاذّ من النّاس للشّيطان، كما أنّ الشّاذّ من الغنم للذّئب...».(١)

وقد رواه جمعٌ مِنْ محدّثي الشّيعة والسّنّة(٢) عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بهذا اللّفظ وبلفظ: «يد اللّه مع الجماعة». ذكرنا ذلك في الأمثال النّبوية.(٣) ومعناه: الجماعة المتّفقة مِنْ أهل الإسلام في كَنَف اللّه، ووقايته فوقهم، وهم بعيدٌ مِن الأذى والخوف.(٤)

واليد: القدرة والرّعاية الّتي تكون عن اقتدارٍ، وتفوّقٍ حيث استعملت بحرف (علىٰ) ، كما أنّ كلمة (مع) يقصد بها عدم مفارقة الرّعاية.

---

(١) النّهج: ١١٢/٨، كلام: ١٢٧.

(٢) التّمثيل والمحاضرة: ٢٧.

(٣) ج: ٣٥٨/٢، رقم المَثَل: ٦٤٥، حرف الياء مع الدّال.

(٤) النّهاية: في (يد).

والكلمة المذكورة تقال للترغيب إلى الاتّحاد، والتّحذير عن الفرقة، وقد حذّر الإمام عليه السّلام القوم عنها بضرب المَثَل بالشّاة المتخلّفة عن الشّياه فكما أنّها تكون للذّئب كذلك المتخلّف عن جماعة المسلمين تفترسه الذّئاب الإنسيّة والجنّيّة: وهي الشّياطين ولا يستطيع دفعها عن نفسه عند فقد الدّفاع الجماعيّ.

على أنّ الإسلام دين اللّه، مِنْ أهمّ آدابه اجتماع القلوب والأبدان عليه بإظهار التّوحيد للّه، والإخلاص له تعالى، وليس دين رهبان وانفراد، كما في الرّضويّ: «إنّما جعلت الجماعة لئلّا يكون الإخلاص والتّوحيد والإسلام والعبادة للّه إلّا ظاهراً مكشوفاً مشهوراً...»(١)

وجاء الأمر بإحراق الدّار على تارك صلاة الجماعة في صدر الإسلام أو مطلقاً «فإنّ رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ همّ بأنْ يحرق قوماً في منازلهم لتركهم الحضور لجماعة المسلمين...»(٢)

ولأدنى عُلقةٍ أقول: حديث إحراق بيت الإمام عليه السّلام أنكره الجمهور، وأثبته جمع منهم لعلّة ترك البيعة لا غيرها بأمر عمر، قيل له: فيها فاطمة، قال: وإن.(٣) وإليه يشير الشّاعر:

---

(١) الوسائل: ٣٧٢/٥.

(٢) الوسائل: ٢٨٨/١٨ - ٢٨٩.

(٣) الإمامة والسّياسة: ١٢/١، ط ـ مصر/١٣٨٢. تاريخ الطّبريّ: ج: ٣، ص: ١٩٨، نقلاً من دلائل الصّدق: ٨٨/٣. العقدالفريد: ٦٣/٣، ط ـ مصر/١٣٣١. الملل والنّحل في الفرقة النّظاميّة.

وقـولـةٌ لـعـلـيٍّ قـالهـا عـمرُ		أكـرِمْ بسامعـها، أعظِمْ بـمُلْقيها:
أَحْرقتُ بابَكَ، لا أُبْقي عَليكَ بها		إن لم تَبايعْ، وبنتُ المُصطفىٰ فيها
مَنْ كان مِثْل أَبي حفصٍ يَفُوهُ بها		أمام فارس عدنانٍ وحاميها؟!(١).

١٩٦ - يُذْري الرّوايات إذراء الرّيح الهشيم

قال عليه السّلام في أوصاف الفاقد لأهليّة القضاء بين النّاس: «يُذري الرّوايات إذراء الرّيح الهشيم».(٢)

تعرّضنا للأوصاف بمناسبة الأمثال المذكورة في كلامه عليه السّلام بهذا الصّدد.(٣)

وفي رواية ابن قتيبة: «يَذْرُو الرّواية ذَرْو الرّيح الهشيم»: أي يسرد الرّواية كما تنسف الرّيح هشيم النّبت، وهو مايَبس منه وتفتّت، ومنه قول الله جلّ وعزّ: «فأَصْبَحَ هشيماً تَذْرُوهُ الرِّيٰح».(٤). (٥) وعلى الرّواية الأولى نفس المادّة الاشتقاقيّة من باب الإفعال، وكلاهما بمعنى النّسف والإطارة. والرّيح أصله الرّوح، وجمعه الأرواح، وتجمع علىٰ

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم: ١/٨٢.

(٢) النّهج: ١/٢٨٣، كلام: ١٧.

(٣) حرف اللاّم مع الميم، والهاء مع الواو، والخاء مع الباء، والهمزة مع الرّاء.

(٤) الكهف: ٤٥.

(٥) غريب الحديث: ٢/١٢٤.

أرياح قليلاً، وعلى رِياح كثيراً. والرَّوْح: نسيم الرّيح، ومنه الحديث: «كان يقول إذا هاجَت الرّيح: اللّهمّ اجعلها رياحاً، ولا تجعلها ريحاً». العرب تقول: لا تلقح السّحاب إلّا من رِياح مختلفةٍ، يريد: اجعلها لقاحاً للسّحاب ولا تجعلها عذاباً. ويحقّق ذلك مجيء الجمع في آيات الرّحمة، والواحد في قصص العذاب كالرّيح العقيم، وريحاً صرصراً.(١)

والهشيم: اليابس مِن النّبت والهشم: كَسْر الشّيء اليابس والمجوّف. وهو من باب (ضرب) والهاشم: الكاسر، سمّي به هاشم بن عبد مناف؛ لأنّه أوّل مَن هَشَمَ الثّريد لقومه، واسمه عمرو.(٢) والمراد هنا مِن الهشيم: النّبت المنسوف، كما تقدّم.

قال ابن أبي الحديد: «يُذري الرّوايات» هكذا أكثر النّسخ، وقد أوضحه. قوله ـعليه السّلام ـ: (إذراء الرّيح) يقال: طعنه فأذراه: أي ألقاه وأذريت الحبّ للزّرع: أي ألقيتُه. فكأنّه يقول: يُلقي الرّوايات كما يُلْقي الإنسان الشّيءَ على الأرض.(٣)

وقال غيره: وفيه تشبيه تمثيليّ، ووجه الشّبه صدور فعلٍ بلا رويّةٍ، مِنْ غير أَنْ يعود إلى الفاعل نفعٌ وفائدةٌ، فإنَّ هذا الرّجل المتصفّح للّروايات ليس له بصيرةٌ بها، يمرّ على روايةٍ بعد أخرى ويمشي عليها مِنْ غير فائدةٍ.(٤)

بل الظّاهر مِنْ إذراء الرّوايات هو لأجل الجهل بوجوه الأحكام

---

(١) النّهاية: في (روح).

(٢) مجمع البحرين: في (هَشَمَ).

(٣) شرح النّهج: ١/٢٨٥.

(٤) منهاج البراعة: ٣/٢٥٨.

المختلفة باختلاف موضوعاتها، إذ لكل موضوع حكمٌ يخصّه، والفقيه يستخرجه مِن الكتاب والسّنّة، إذا أحْسن الاستخراج، وإلّا فراح يَضْرب الأدلّة الشّرعيّة بعضها ببعضٍ، ويستخرج خلاف الحقّ، ثمّ يقضي على ما رأى، فَيحْسبه حكم اللّه تعالى، وليس منه. فالإلقاء والمرور مِنْ لوازم هذا الاستخراج الباطل، وعلى الفقهاء اذا عرفوا ذلك منه مَنَعُوه بل خَلَعُوه عَنْ مَنصب القضاء؛ لأنّه الشّقيّ بحكم النّصّ (١).

١٩٧ - يريد أن ينفعك فيضرّك

من كلام له لابنه الحسن عليهما السّلام:

«يا بني! إيّاك ومصادقة الأحمق؛ فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك». (٢)

قال الشّارح المعتزليّ بهذا الصّدد في أبياتٍ له:

حياتك لا تصحبنّ الجهول فلا خير في صحبة الأخرق

يظنّ أخوالجهل أنّ الضّلا ل عينُ الرّشاد فلا يتّقي

ويكسب صاحبه حُمْقَه فيَسْرق منه ولا يُسرَق

(١) الوسائل: ٧/١٨.

(٢) النّهج: ١٥٧/١٨، الحكمة: ٣٨.

وأقسم أنّ العدوّ اللّبيب خيرٌ مِن المُشفق الأحمق (١)

وحقيقة الحُمق: وضع الشّيء في غير موضعه مع العلم بقبحه.(٢)وقيل: الحمق: قلّة العقل وفساده، أوْمَنْ يَسْبق كلامه فِكْرَه: وهُو مَنْ لايتأمّل عند النّطق، هل ذلك صوابٌ أم لا؟ فيتكلّم مِنْ غفلةٍ. والسّفيه: المُبذّر الّذي يَصْرف أمواله في الأغراض غيرالصّحيحة، أوْ مَن ينخدع في المعاملة.(٣) وكلٌّ لم ينفكّ عن الجهل الّذي يقابله وصف العاقل وهو مَنْ يضع الشّيء في مواضعه،على ما وصفه الإمام عليه السّلام بذلك.(٤)وعلامة كلٍّ منهما كما قال عليه السّلام: (لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه).(٥)

ثمّ إنّ الإضرار في موضع النّفع، والنّفع في موضع الإضرار مِنْ أظهر علائم الحمق، ومِنْ أجلى مصاديق وضع الشّيء في غير مواضعه وأجمعها. وللحمق آثار وقصصٌ أثبتها الكُتّاب، منها:

أنّ أحمقاً ورث نصف دار أبيه، فقال:أريد أن أبيع حصّتي من الدّار، وأشتري بالثّمن النّصف الباقي، فتصيرالدّار كلّها لي. وعن بعض: رأيتُ أعرابيّاً يبكي وسألته عن بكائه، فقال: بلغني أنّ جالوت قتل مظلوماً.(٦)

---

(١) شرح النّهج: ١٨/١٥٧.
(٢) النّهاية: في (حمق).
(٣) مجمع البحرين: في (حمق) و(سفه).
(٤) النّهج: ١٩/٦٦، الحكمة: ٢٣٢.
(٥) النّهج: ١٨/١٥٩، ٤٠.
(٦) شرح النّهج: ١٨/١٦٠ - ١٦٧.

أقول: لوفتّش حالنا لكان في قصص حمقنا الغنى عن النّظر إلى الحمق الظّاهريّين. أليس حدّ الحمق والجهل مَنْ يضع الشّيء في غير مواضعه؟ أَوَلم نكن نعصي الله عزّ وجلّ، بدل أن نطيعه؟ فلقد وضعنا الشّيء في غير مواضعه، وهذا مِنْ أفظع الوضع الممقوت غير المحبوب عقلاً فنحن حمقى، علمنا بذلك أم لم نعلم، سمّينا به أولم نسمّ!!.

١٩٨ ـ يَغْبقون كأس الحكمة بَعْد الصَّبوح

من خطبة له عليه السّلام، ويُومئ بها إلى الملاحم:

«وأخذوا يَميناً وشِمالاً ظَعْناً في مسالك الغيّ، وتركاً لمذاهب الرّشد، فلا تستعجلوا ما هو كائنٌ مُرصَدٌ، ولا تستبطئوا ما يجيء به الغَد؛ فكمْ مِنْ مُستعجلٍ بما إن أدركه وَدَّ أنّه لم يُدركه. وما أقْرب اليومَ مِنْ تباشير غدٍ!

يا قوم! هذا إبّانَ ورود كلّ موعودٍ، ودنوّ مِنْ طلعة ما لا تَعرفون. ألا وإنّ مَنْ أدْركها مِنّا يَسري بسراجٍ منير، ويحذُو فيها على مِثال الصّالحين، لِيَحُلّ فيها رِبْقاً، ويَعْتق فيها رِقّاً، ويَصْدع شعباً، ويَشْعَب صَدْعاً؛ في سُترةٍ عن النّاس؛ لا يبصر القائف أَثَرَه ولوتابع نظره؛ ثمّ ليشحذنّ فيها قومٌ شحذ القَيْن النّصل، تُجلى بالتّنزيل أبصارُهم، ويُرمى بالتّفسير في مسامعهم، ويَغبقون كأس الحكمة بَعْد الصَّبوح».(١)

---

(١) النهج: ١٢٦/٩، ط: ١٥٠.

اشتملت الخطبة على الإخبار بظهور الإمام المهديّ عجلّ اللّه فرجه الشّريف، وأهْوال ما قبل القيامة، والدّجّال وفتنته.

قال المعتزليّ: إبّان الشّيء بالكسر والتّشديد: وقته وزمانه، وكنّى عن تلك الأهوال بقوله -عليه السّلام-: «ودنوٍ مِنْ طلعة ما لاتعرفون»؛ لأنّ تلك الملاحم والأشراط الهائلة غير معهودٍ مثلها، نحو: دابّة الأرض، والدّجّال وفتنته، وما يظهر على يده مِن المخاريق والأمور المُوهمة، و واقعة السّفيانيّ، ومايقتل فيها من الخلائق الّذين لا يُحْصى عددهم.

ثمّ ذَكَرَ: أنّ مهديّ آل محمّد صلّى اللّه عليه وآله -وسلّم- وهوالّذي عَنى بقوله: «وإن مَنْ أَدْرَكَها منّا يَسري في ظلمات هذه الفتن بسراجٍ منيرٍ»، وهوالمَهْديّ وأتباع الكتاب والسّنّة.(١)

والمعتزليّ مِمّنْ ينكر أن يكون المهديّ عليه السّلام موجوداً حيّاً الآن، قال: قوله عليه السّلام: «في سُترةٍ عن النّاس» هذاالكلام يدلّ على استتار هذا الإنسان المشار إليه، وليس ذلك بنافعٍ للإماميّة في مذهبهم، وإن ظنّوا أنّه تصريحٌ بقولهم؛ وذلك لأنّه مِن الجائز أن يكون هذا الإمام يخلقه اللّه تعالى في آخرالزّمان، ويكون مستتراً مدّةً، وله دعاةٌ يدعون إليه، ويقرّرون أمره، ثمّ يظهر بعد ذلك الاستتار، ويملك الممالك، ويقهر الدّول، ويمهّد الأرض، كما ورد في قوله: «لا يبصر القائف»: أي هوفي استتارٍ شديدٍ لايُدرك القائف: وهو الّذي يعرف الآثار، والجمع (قافة) ولا يعرف أثره ولواستقصى في الطّلب؛ وتابع النّظر والتّأمّل.(٢)

---

(١) شرح النّهج: ١٢٨/٩.

(٢) شرح النّهج: ١٢٨/٩ - ١٢٩.

قوله عليه السّلام: «ثمّ ليشحذنّ فيها قومٌ شحذ القَيْنِ النَّصلَ» اطلب تفسيره من محلّه المُتاح.(١)

قوله عليه السّلام: «ويَغْبقون كأس الحكمة بَعْد الصَّبوح». الغَبوق: شُرب العشيّ. والصَّبوح: شُرب الغداة.

قال البحرانيّ: عَبَّرَ عن أخذهم الحكمة ومواظبتهم على تلقّفها بعد استعدادهم لها بالغَبوق والصَّبوح، ولفظا الصَّبوح والغَبوق مستعاران؛ لكونهما حقيقتَيْن في الشُّرب المخصوص المحسوس.(٢)

قال الميدانيّ: (هُريقَ صَبُوحُهم على غَبُوقِهم) يُضرب للقوم ندموا على ماظهر منهم. وقال بعضهم: أي ذَهَبا جميعاً، فلا صَبوح ولا غَبوق.(٣)

وقال أيضاً: (عن صبوحٍ ترقّق). الصَّبوح: مايُشربُ صَباحاً، والغَبُوق: ضدّه....(٤).

---

(١) حرف الشّين مع الحاء، والقَيْن: الحدّاد.

(٢) شرح النّهج: ٣/٢١٥.

(٣) مجمع الأمثال: ٢/٣٨٦، حرف الهاء.

(٤) مجمع الأمثال: ٢/٢١، حرف العين. وللمثل قصة، فراجع المصدر.

١٩٩ - يقعد عنك أحوج ماتكون إليه

كلمةٌ حكميّةٌ من كلمات الإمام الّتي قالها لابنه الحسن عليهما السّلام: «... وإيّاك ومصادقه البَخيل؛ فإنّه يقعد عنك أَحْوج ماتكون إليه». (١)

قيل: يقابل البُخْل الجُود، والشُّحّ السَّخاء. قال بعض الحكماء: السَّخاء هيئةٌ للإنسان داعية إلى بذل المقتنيات. حصل معه البذل أولم يحصل، وذلك خُلُقٌ، ويقابله الشُّحّ. وأمّا الجُود فهوبذل المُقتني ويقابله البُخل، هذا هوالأصل، وإن كان كلّ واحدٍ منهما قد يستعمل في موضع الآخر.

والّذي يدلّ على صحّة هذا الفرق، أنّهم جعلوا اسم الفاعل مِن السّخاء والشّحّ على بناء الأفعال الغريزيّة، فقالوا سخيٌّ وشحيحٌ، فبنَوْه علىٰ (فعيل). كما قالوا: حليمٌ وسفيهٌ وعفيفٌ، وقالوا: جائدٌ وباخلٌ، فبنوْهما على فاعل كضارب وقاتل. فأمّا قولهم: بخيل فمصروف عن لفظ (فاعل) للمبالغة، كقولهم في راحم رحيم. ويدلّ أيضاً على أنّ السّخاء غريزة وخُلُق، أنّهم لم يَصِفوا الباري سبحانه به، فيقولوا: سخيّ.

---

(١) النّهج: ١٨/١٥٧، الحكمة: ٣٨.

فأمّا الشّحّ فقد عظم أمره، وخوّف منه، ولهذا قال عليه السّلام: «ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه؛». (١) فخصّ المطاع تنبيهاً علىٰ أنّ وجود الشّحّ في النّفس فقط ليس ممّا يستحقّ به ذمّ؛ لأنّه ليس مِن فعله، وإنّما يذمّ بالانقياد له. قال سبحانه: «وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفسهِ» (٢) وقال: «وَأُحضِرتِ الأَنْفسُ الشُّحَّ». (٣) فأمّا الجود فإنّه محمود علىٰ جميع ألسنة العالم، ولهذا قيل: كفىٰ بالجود مدحاً أنّ اسمه مطلقاً لايقع إلّا في حَمْدٍ. وكفى بالبخل ذمّاً أنّ اسمه مطلقاً لايقع إلّا في ذَمٍّ. (٤)

أقول: استعمال (جائد وباخل) غير مألوف، والمألوف هوالجواد والبخيل. فكيف يجعل المألوف فرعاً، وغير المألوف أصلاً؟

قوله عليه السّلام: «يقعد عنك أحوج ماتكون إليه»؛ بإمساكه في بذل المال لك وإن كان مِنْ أمسّ الخلق إليك مِنْ أقربائك.

والبخل خلّةٌ ممقوتةٌ، توجب لصاحبها حرمان الجنّة، والبعد مِنْ رحمة اللّه الواسعة، وتُورده موارد السّخط والهلاك. وقدضُربت به الأمثال، فقالوا: (أبخل مِنْ صبيٍّ، ومِنْ كسعٍ). قالوا: هو رجل بلغ مِنْ بخله أنّه كوى إست كلبه حتّى لاينبح، فيدلّ عليه الضّيف. (بشّر مال الشّحيح بحادثٍ أو وارثٍ). (٥)

وللبحث تتمّة.

---

(١) السّفينة ٧٢١/٢ في (هلك) حديث نبويّ.

(٢) الحشر: ٩.

(٣) النّساء: ١٢٨.

(٤) شرح النّهج: ٣١٦/١٩ - ٣١٧.

(٥) مجمع الأمثال: ١٢٠/١، حرف الباء.

٢٠٠ - ينحدر عنّي السّيل، ولا يرْقىٰ إليّ الطّير

من الخطبة الشّقشقيّة قوله عليه السّلام:

«ينحدر عنّي السّيل، ولا يَرْقى إليّ الطّير».(١)

وعندالمَثَل: «محلّي منها محلّ القطب مِن الرّحا» (٢)قلنا:

قال المعتزليّ: في هذا الفصل مِنْ باب البديع في علم البيان عشرة ألفاظ:

أوّلها: قوله: «لقد تقمّصها» أي جعلها كالقميص مشتملةً عليه والضّمير للخلافة.(٣)

الثّانية: قوله: «ينحدر عنّي السّيل»،يعني: رفعة منزلته عليه السّلام، كأنّه في ذِرْوة جَبَلٍ أو يَفاعٍ مشرفٍ ينحدر السّيل عنه إلى الوهاد والغيطان. قال الهذليّ:

وعيطاء يكثر فيها الزّليل ... وينحدر السّيل عنها انحدارا(٤)

(١) النّهج: ١/١٥١، الخطبة: ٣.

(٢) حرف الميم مع الحاء.

(٣) شرح النّهج: ١/١٥٢.

(٤) عيطاء: مرتفعة.والزّليل: الزّلل. هامش المصدر. والزّلل في اللّغة: الانزلاق.

الثّالثة: قوله عليه السّلام: «ولا يرقىٰ إليّ الطّير»، هذه أعظم في الرّفعة والعلوّ من الّتي قبلها؛ لأنّ السّيل ينحدر عن الرّابية والهضبة. وأمّا تعذّر رقيّ الطّير فربّما يكون للقلال الشّاهقة جدّاً، بل ما هو أعلىٰ من قلال الجبال، كأنّه يقول: إنّي لعلوّ منزلتي كَمَنْ في السّماء الّتي يَسْتحيل أن يرقىٰ الطّير إليها. قال أبو الطّيب:

فوق السّماء، وفوق ما طلبوا   فإذا أرادوا غايةً نزلوا

وقال حبيب:

مكارمُ لَجّتْ في عُلوٍّ كأنّما   تُحاولُ ثأْراً عندَ بعضِ الكواكب(١)

لايمتري اثنان أنّه عليه السّلام هو في القمّة مِنْ كلّ نواحي الكمال، مِن العلم والشّجاعة والفصاحة والصّباحة وما يستأهل به للخلافة دون غيره، وأنّه في الرّفعة ما لا يطمع فيه طامعٌ، ولئن كان المَثَل المذكور يُضرب به في الرّفعة لغيره مجازاً وتوسّعاً، ففيه عليه السّلام واقع موقعه الحقيقيّ، بل لا مَساغَ لسواه. ويريد عليه السّلام بذلك: التّفرّد بالمؤهّلات للخلافة، وأنّ مَنْ عداه مهما كان نوعه فاقدٌ لها، غاصبٌ للمنصب.

والعجب مِن المعتزليّ مع خبرته بأساليب الكلام، كيف أهمل هذه

---

(١) شرح النّهج: ١/١٥٢ ـ ١٥٣.

النّاحية؟ وما الّذي حمله علىٰ تأويل ماهو الصّريح في الاغتصاب للخلافة؟ حكّم عقلك. ثم «فاقضِ ما أنت قاضٍ إنّما تقضى هٰذه الحيٰوة الدّنيا». (١)

وقد نصّ علىٰ أميرالمؤمنين عليه السّلام يوم الغَدير وماجاء عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم مِنْ تصريح بلفظ الخليفة فيه، وأنّه مُنْجز عدّته، ووصيّه مِنْ بَعْده. (٢) والنّصوص على الأئمّة مِنْ وُلْدِه المعصومين عليهم السّلام (٣).

٢٠١ ـ اليَمين والشِّمال مضَلَّةٌ

في خطبة له عليه السّلام لمّا بُويع بالمدينة:

«شُغِلَ مَن الجنّة والنّار أمامه. ساعٍ سريعٌ نجا، وطالبٌ بطيءٌ رجا، ومقصِّرٌ في النّار هوىٰ.

اليَمين والشّمال مَضَلّةٌ، والطّريق الوُسطىٰ هي الجادّة، عليها باقي الكتاب وآثار النّبوّة، ومنها منفذالسُّنّة، وإليها مصيرالعاقبة هَلَكَ مَنِ ادّعىٰ. وخابَ مَنِ افترىٰ». (٤)

---

(١) طٰه: ٧٢.

(٢) الغدير بأجزائه الأحد عشر. شرح نهج الخوئي: ٣٨٩/٢.

(٣) أصول الكافي: ٢٨٧/١.

(٤) النّهج: ٢٧٣/١، الخطبة: ١٦. البحار: ٣/٧٨. نهج السّعادة: باب الخطب: ١٩٣/١، وص: ٨٠.

ونقل المعتزليّ مِنْ كتاب (البيان والتّبيين) بلفظ: «ألا لايُرْعِيَنَّ مُرعٍ إلّا على نفسه. شُغِلَ مَنِ الجنّة والنّار أمامه. ساعٍ مجتهدٌ ينجو، وطالبٌ يرجو، ومقصّرٌ في النّار؛ ثلاثةٌ. واثنان: مَلَكٌ طارَ بجناحيه، ونبيٌّ أخذ اللّه بيده؛ لاسادِسَ. هَلَكَ مَن ادّعى، ورَدِيَ مَن اقتحم. اليمين والشمال مضلّةٌ، والوسطى الجادّة؛منهج عليه باقي الكتاب والسّنّة وآثار النّبوّة...» إلى نهاية الخطبة.(١)

قوله عليه السّلام: «شُغل مَنِ الجّنة والنّار أمامه» يفسّره ما في خطبة أخرى: «ألا إنّي لم أرَ كالجنّة نام طالبها، ولا كالنّار نام هاربها». (٢)

قال الشّارح: يقول إنَّ مِنْ أعجب العجائب مَنْ يؤمن بالجنّة، كيف يطلبها وينام! ومِنْ أعْجب العجائب مَنْ يُوقن بالنّار، كيف لايهرب منها وينام!: أي لا ينبغي أن ينام طالب هذه، ولا الهارب مِنْ هذه.(٣)

والمراد مِن الشُّغل: الطّلب لموجبات الدّخول في الجنّة، والهَرب عمّا يستوجب به النّار، لِمَنْ أيْقَنَ بحشرٍ ونشرٍ، وجنّةٍ ونارٍ.

ثمّ الطّوائف الأربع في الخطبة الثّانية أو الثّلاث في الأولى بيانٌ لموضع الموجبات والمستوجبات لدخول الجنّة أوالنّار: السّاعي السّريع النّاجي، والطّالب البطيء الرّاجي، والنّبيّ الآخذ بيده اللّه عزّ وجلّ، والمقصّر الخاسر الهاوي في النّار؛ وأمّا المَلَك الطائر بجناحيه لا إيجاب ولا

---

(١) شرح النّهج: ٢٧٥/١.

(٢) النّهج: ٩١/٢.

(٣) شرح النّهج: ٩٣/٢.

استيجاب فيه، لعدم التّكليف الشّرعيّ عليه، حتّىٰ تكون له المثوبة بالطّاعة أوالعقوبة بالعصيان.

وأمّا قوله عليه‌السّلام: «اليمين والشمال مضلّةٌ»: أي محلّ الإضلال والضّلال، «في كلّ شيءٍ هما متصوّران مِن العقائد، والعبادات، والأخلاقيّات، والمعاملات، والسّياسات، والعادات المتداولة بيْن النّاس، وفي الأحكام العقليّة، وغيرها ممّا يتصوّر فيه الإفراط والتّفريط، والحدّ الوسط الّذي هو خيرالأمور، كما جاء في النّبويّ: «خيرالأمور أوساطها». (١)

وقد كُتبتْ كُتُبٌ حول هذه الأنواع؛ لبيان المحبوب منها والمبغوض، ولم تنزل الكُتب السّماويّة، ولا أُرْسلت الرُّسُل بها إلى النّاس، إلّا وقد جاءت بالبيان الكافي، ناهيةً عمّا فيه أيّة مفسدةٍ، وآمرةً بما فيه المصلحة علىٰ ماسلكه أهل العدل، وفي مقـدّمتهم الإماميّة الإثناعشريّة. فتجد الإمام عليه‌السّلام طبقاً للكتاب الكريم والسّنّة الشّريفة يعبّر عمّا هوالمطلوب والمرضيّ عنداللّه عزّ وجلّ بالجادّة الوُسطى، وعمّا هوالمبغوض عنداللّه تعالى باليَمين والشِّمال اللّذَيْن هما موضع الضّلال والإضلال وإلى مالهما مِنْ آثارٍ سيّئةٍ في الدّارين.

وطَبّقَ جَمْعٌ اليَمين والشَّمالَ على دَوْلتي الشّرق والغرب، والوسط الوُسطىٰ، والعقل قاض بالتّطبيق بعدالمعرفة الكافية بالشّرائع السّماويّة

---

(١) المُروج: ٢/٢٩٥. الأمثال النّبويّة: ١/٣٩٣، رقم المَثَل: ٢٤٩، حرف الخاء مع الياء.

على كلّ مَن انحرف عنها مهما كان قُطْره، مِنْ شرقٍ أَوْغَرْبٍ أوغيرهما، بعد ماكان سبيل الحقّ واحداً، كما قال تعالى: «فما ذا بعد الحقّ إلّا الضّلٰل». (١) «وأنّ هذا صرٰطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السُّبُل فتفرّق بكم عن سبيله ذٰلكم وصّٰكم به لعلّكم تتّقون». (٢)

فسبيل الحقّ واحد، وماسواه كثيرٌ، وفي قوله تعالىٰ: «اهدنا الصّرٰط المستقيم * صرٰط الّذين أَنْعَمْتَ عليهم غَيْرِ المَغْضُوبِ عليهم ولا الضّالّين» (٣) بيانٌ للطّريق الواحد المطلوب، وتحذيرٌ عن الطُّرُق الباطلة الكثيرة.

ففي نبويّ: «خَطّ خطّاً، ثمّ قال: هذا سبيل الرّشد. ثمّ خَطَّ عَنْ يمينه وعن شماله خطوطاً ثم قال ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ هذه سُبل، على كلّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه. ثمّ تلا: «وأنّ هٰذا صرٰطي مستقيماً فاتّبعوه». (٤) (٥) وآخر: «ستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقةً، فرقةٌ واحدةٌ ناجيةٌ والباقية في النّار» (٦).

---

(١) يونس: ٣٢.

(٢) الأنعام: ١٥٣.

(٣) الفاتحة: ٦ ـ ٧.

(٤) الأنعام: ١٥٣.

(٥) تفسير الكشّاف: ٢/٨٠.

(٦) الوسائل: ١٨/٣١.

ثمّ الكلمة العلويّة مِن المَثَل المطبّق عليه تعريفه من الحكمة الجارية على الأَلْسُن، كما مرّ غير مرّةٍ نقلاً عن العسكريّ. انظر أول الكتاب في التّمهيد.

٢٠٢ - يُوهي الصّمّ الصّلاب

في خطبة له عليه السّلام:

«كلامكم يُوهي الصُّمّ الصّلاب، وفعلكم يُطمع فيكم الأعداء. تقولون في المجالس: كَيْتَ وكَيْتَ، فإذا جاء القتال قلتم: حيدي حيادِ...». (١)

تكلّمنا عن المَثَلَيْن: «كَيْتَ و كَيْتَ»، و «حيدي حيادِ». (٢)

قوله عليه السّلام: (يُوهي) مِن الوهي يدلّ على ضَعْفٍ واسترخاءٍ، وشَقٍّ، ومنه المَثَل:

خلّ سبيل مَنْ وَهىٰ سقاؤُهُ ... ومَنْ هُريقَ بالفلاة ماؤُهُ

يُضرب لِمَنْ لا يستقيم أمره. (٣) والنّبويّ: «المؤمن واهٍ راقعٌ»: أي مذنبٌ تائبٌ، شبّه بِمَنْ يَهي ثوبه فيرقعه. (٤)

---

(١) النّهج: ٢/١١١، الخطبة: ٢٩.

ويماثل المَثَل مِنْ بعض الوجوه ماذكره الميدانيّ: (يُوهي الأديم ولا يَرْقع). يُضرب لِمَنْ يُفْسد ولا يُصْلح. مجمع الأمثال: ٢/٤١٦، حرف الياء.

(٢) حرف الكاف مع الياء، والحاء مع الياء.

(٣) منتهى الأرب في لغة العرب. في (وهى).

(٤) الأمثال النّبويّة: ٢/١٥٢، رقم المَثَل: ٤٦٤، حرف الميم مع الهمزة.

قال ابن فارس: يدلّ على استرخاءٍ في شيءٍ. يقال: وَهَتْ عَزاليُّ السّحاب بمائه. وكلّ شيءٍ استرخىٰ رباطه فهو واهٍ؛ والشّقّ في الأديم وغيره.(١)

قوله تعالىٰ: «فهي يومئِذٍ واهيةٌ».(٢) أي ضعيفةٌ جدّاً. والمعنى: أنّها واهيةٌ مسترخيةٌ، ساقطة القوّة بانتقاض بُنْيَتِها بعد إذ كانت مستمسكةً محكمةً. ذكره الشّيخ الطّريحيّ، وقد تناول الحديث النّبويّ أيضاً، فراجع.(٣)

و (الصُّمّ) واحدة الأصّم، ومنه الحجرالأصمّ: الصّلب المُصمت. ويوصف به الجبل، وصَمامِ كقَطامِ: الدّاهية، ومنه المَثَل: (صمّي صَمامِ): أي زيدي يا داهية!.(٤)و (الصّلاب) جمع الصّلب: الشّدّة والقوّة. قال:

وماؤكما العذب الّذي لو شربته   وبي صالبُ الحُمّى إذاً لشفاني(٥)

قال الشّارح المعتزليّ: يقول لهم الإمام عليه‌السّلام: أبدانكم

---

(١) معجم مقاييس اللّغة: في (وهى).

(٢) الحاقّة: ١٦.

(٣) مجمع البحرين: فى(وهي).

(٤) منتهى الأرب في لغة العرب: في (صمم).

(٥) معجم مقاييس اللّغة: في (صلب). اختصاراً.

مجتمعةٌ، وأهواؤكم مختلفةٌ، متكلّمون بما هو في الشّدّة والقُوّة، يُوهي الجبال الصُّمّ الصّلْبة، وعندالحرب يَظْهر أنّ ذلك الكلام لم تكن له ثمرة.(١)

ذمّهم الإمام عليه السّلام على نفاقهم؛ حيث يقولون بما لايفعلون، والخطاب لايخصّ أصحابه فحسب، بل كلّ مَنْ كان على صفتهم شمله الذّمّ؛ وقدوبّخ اللّه عزّ وجلّ المؤمنين غيرالعاملين بما يقولون في آي من القرآن الكريم منها:

«يٰأيّها الّذين ءَامنوا لِمَ تقولون ما لاتفعلون * كَبُرَ مقتاً عنداللّه أن تقولوا ما لاتفعلون».(٢)

وطبعاً إذا اطّلع العدوّ على أنّ خصمه لايجاوز قولُه فِعْلَه، طَمع فيه، وأَقْدم على إبادته، فأَصْبَح مَقْهوراً، والعدوّ قاهراً؛ فحذّرهم عليه السّلام أن يكونوا كذلك، وكم قال لهم مِثْل ذلك، فلم يتحذّروا، وأدّبهم بسَوْطه، فلم يتأدّبوا؛ لوكانوا يعلمون مَنْ هوالمحذّر! هوالّذي شُرّفَتْ به مكّة ومنى، وزمزم والصّفا، صاحبُ الحوض وحامل اللّواء، البائتُ على فراش النّبيّ، ومُفديه بنفسه مِن الأَعْداء، قالعُ باب خَيْبَر والدّاحي به في الفضاء، مكلّمُ الفِتْية في كهفهم بلسان الأنبياء، قالعُ الصّخرة وقد عَجَزَ عنها الرّجال الأَشدّاء، مظهر العجائب أسداللّه الغالب ذلك أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام.

---

(١) شرح النّهج: ٢/١١٢.

(٢) الصّفّ: ٢ ـ ٣.

هذا ما أردناه مِنْ أوّل الغيث قبل الانسكاب (١) مِنْ سماء نهج البلاغة نهج العلم والعمل؛

كما قال القائل:

نهج البلاغة نهجُ العلم والعمل ... فاسْلكه يا صاح تبلغ غايةَ الأمل

كَمْ فيه مِنْ حِكَمٍ بالحقّ مُحكمةٍ ... تُحْيي القُلُوبَ ومِنْ حُكْمٍ ومِنْ مثل

ألفاظه دررٌ أغْنَتْ بِحِلْيَتِها ... أهْلَ الفضائلِ مِنْ حَلْيٍ ومِنْ حُلَل

ومِنْ مَعانيهِ أنْوارُالهدى سَطَعَتْ ... فانجاب عنها ظَلامُ الزَّيغ والزَّلَل

وكَيْفَ لا وَهُوَ نَهْجٌ طابَ مَنْهَجُهُ ... أهْدى إليه أميرُالمؤمنين علي

وما قالَهُ المُرتضىٰ مُرتضىٰ ... كَلامٌ علِيٌّ كَلامْ عَلي(٢)

واللّه عزّ وجلّ نسأل أنْ ينْهَجَ بنا نَهْجَ محمّدٍ وآل محمّدٍ الكرام صلّى اللّه تعالى عليهم وسلّم، وأنْ يُفرِّجَ عن الإمام المهديّ الموصوف في النّصوص، منها الرّضويّ:

«... بأبي وأمّي سَميّ جدّي،شبيهي وشبيه موسى بن عمران عليه السّلام

---

(١) إشارة إلى ماذكرناه في أوّل الكتاب مِنْ تقديم قسمٍ مِن الأمثال المُستخرجة قبل الاستيعاب بقول القائل:

* وأوّل الغَيْث رشٌّ ،ثمّ ينسكب *.

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٥/١، ما عداالبيت الأخير.

عليه جيوب النّور تتوقّد بشعاع ضياء القُدْس...».(١) وأَنْ يَجْمعنا معهم في دارالسّلام،وآخر دعوانا: «أَنِ الحَمْد لِلّهِ رَبِّ العٰلمينَ» (٢).

* * *

(١) إثبات الهداة للشّيخ الحرّ: ٤٥٦/٣. ولعلّ في الشَّبَه المُوسويّ الإيماء إلى الغَيْبة، أوخفاء الولادة، أوغير ذلك.

(٢) يونس: ١٠.

الفهارس العامّة:

إرشادٌ

الاستخراج ميسورٌ مِن طريق أخذ أرقام الأمثال الموجودة في الفهارس مِنْ دون افتقارٍ إلى رقم الصّفحة.

و لمزيد الإيضاح نقول: خذ مِن الفهارس المتسلسلة غيرالمصادر مِنْ كلٍّ مَثَلاً، فإذاشئت:

مِن الآيات الكريمة قوله تعالى: «وإذا سألك عبادِى عنّى فإنّى قريبٌ...» فخذ رقم المَثَل ١٧.

ومِن الأحاديث الشّريفة النّبويّ: «إذا تخلّى المُؤمن مِنْ الدّنيا سَما، وَوَجَدَ حلاوة حُبّ اللّه...»، فخذ رقم المَثَل ١١١.

ومِن الأمثال: «أُنادُون ماتَقول، وفَوْق ما في نَفْسكَ»، فخذ رقم المَثَل ١٥. ومِن الأشعار:

الحمد للّه بقدر اللّه ... لا قَدْر وُسْع لعبد ذي التّناهي

فخذ رقم المَثَل ٣٩.

ومِن الموضوعات: الاعتذار، فخذ رقم المَثَل ٢٣. وهلمّ جرّاً في البقيّة. وإنّما اَستَثْنَيْنا المصادر لاستِغْناء النّاظر إلى فِهْرسها في مطلوبه.

وأمّا محتويات تمهيد الكتاب فتُبْتدأ بَعْدالحمد والثّناء ببيان داعية التّأليف، ثمّ تقسيم الأمثال إلى المَثَل السّائر، والقياسيّ، وتصنيفها، وفوائدها، والكُتُب المؤلّفة بتفصيلٍ، ونهج الكتاب، والتّحميد، وإن شئت، استخرجت كلّ ذلك بأخذ أرقام الصّفحات.

١

فهرس الآيات الكريمة

	الآية	المَثَل	الصّفحة
أَنَّ لهُمُ النّارَ وأَنَّهم مُفْرَطون	٦٢	١٣٠	٣٩٢
والله أَخْرَجكمْ مِنْ بُطون أمّهٰتِكُمْ لا تَعْلمونَ شَيْئاً	٧٨	١٥٢	٤٥٠
		و١٧٩	و٥١٩
إنّ الله يأمر بالعدل والإحسٰنِ	٩٠	١٧٠	٤٩٣
ما عِنْدكم يَنْفَدُ وما عند الله باقٍ	٩٦	١٧	٥٩
		و٦٧	و٢٠٧
فلنُحْيِيَنّه حَيوٰةً طيّبةً	٩٧	٨٤	٢٦٢
وجٰدلهم بالّتى هِيَ أَحْسَنُ	١٢٥	١٦٧	٤٨٨

الإسراء ١٧

ومَنْ كانَ فى هٰذه أَعْمىٰ فَهُوفى الأَخرة أَعْمىٰ	٧٢	١٢٢	٣٦٩

الكهف ١٨

فلا تُمارِ فيهم إلّا مِراءً ظٰهراً	٢٢	١٦٧	٤٨٨
وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قلْبه	٢٨	١٣٠	٣٩٢
فَأَصْبَحَ هشيماً تذروه الرّيٰح	٤٥	١٩٦	٥٦٠

طٰهٰ ٢٠

لعلّى ءَاتيكم منها بِقَبَس	١٠	٢١	٧٤
فأَوْجَسَ فى نَفْسه خيفَةً مُوسىٰ	٦٧	١٧٥	٥٠٦

* * *

٢

فهرس الأحاديث الشّريفة

المَثَل		الصّفحة
آفة الدّين الحسد والعُجب والفخر	٣٧	١٢١
آمنت بسرّ آل محمّد عليهم السّلام	١٣١	٣٩٥
آهِ مِنْ قلّة الزّاد و بُعْد السّفر	١٨٩	٥٤٦
ائتوني أكتب لكم كتاباً	١٦٥	٤٨١
أبىَ الله أن يُجْري الأَشْياء إلّا بالأسباب	٦٩	٢٠٩
اتّقوا فراسة المُؤمن	٧٧	٢٣٨
	و٨١	و٢٥٣
اتّقوا الكذب الصّغير منه والكبير	١٦١	٤٧١
اجمعوا كلّ مَنْ بيني و بينه قرابةٌ	٦٩	٢١١
أُحْثوا في وجوه المادحين التّراب	١٥	٥٥
اِحْفظ لسانك ويحك	١٣٩	٤١٥
الإخوان صنفان: إخوان الثّقة وإخوان المكاشرة	٥٢	١٦٥
إذا تخلّى المُؤمِن مِن الدُّنيا سما و وَجَدَ حلاوة حبّ الله	١١١	٣٤٤
إذا جمع الله الأوّلين والآخرين	٩٥	٢٩٩
إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أين أعوان الظّلمة	٧٣	٢٢٧

	المَثَل	الصّفحة

ظ

ع

ف

***

٣

فهرس الأمثال والحكم

	المَثَل	الصّفحة
عالمها مُلجَمٌ، وجاهلها مُكَرمٌ	٨٣	٢٥٨
العفاف زينة الفقر	٨٤	٢٦٠
على أثر الماضي ما يمضي الباقي	٨٥	٢٦٣
على ذٰلك نسلت القرون	٨٦	٢٦٦
على وضرٍ مِنْ ذا الإناءِ قليلِ	٨٧	٢٦٩
عند الصّباح يَحْمَدُ القوم السُّرىٰ	٨٨	٢٧١
غ		
غرضٌ لنابلٍ، وأكلةٌ لآكلٍ، وفريسةٌ لصائلٍ	٨٩	٢٧٤
الغريب مَنْ لم يكُنْ له حبيبٌ	٩٠	٢٧٧
ف		
فاز... بالسّهم الأخيب	٩١	٢٨٢
فاعل الخير خيرٌ منه، وفاعل الشّرّ شرٌّ منه	٩٢	٢٨٥
الفَضْلُ للبادي	٩٣	٢٨٧
فَعَلَ فِعْلَ السّادة، وَفَرَّ فرار العبيد	٩٤	٢٩٠
فَقْدُ الأحِبّة غُربةٌ	٩٥	٢٩٦
فَلَقَ لكم الأمْر فَلْقَ الخرزة	٩٦	٢٩٩
فوتُ الحاجة أهون مِنْ طَلَبِها إلىٰ غير أهلها	٩٧	٣٠٢

المَثَل	الصّفحة	
ق		
قد أضاء الصّبحُ لذي عَيْنَيْن	٩٨	٣٠٦
قَدَّمَ للوَثْبةِ يداً، وأَخَّرَ للنُّكُوص رِجْلاً	٩٩	٣٠٨
قديرى الحوّلُ القُلّبُ وَجْهَ الحيلة ودونها مانعٌ	١٠٠	٣١٠
قديرمي الرّامي وتُخطىء السّهام	١٠١	٣١٣
قَلَبْتَ لابن عَمِّكَ ظَهْرالمِجَنّ	١٠٢	٣١٦
ك		
كأنّ بيْن أعينهم رُكَب المِعْزى	١٠٣	٣٢٠
كأنّه قَلْعُ داريّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ	١٠٤	٣٢٢
كاد العفيفُ أنْ يكون مَلَكاً مِن الملائكة	١٠٥	٣٢٥
كجؤجؤسفينةٍ، أونعامةٍ جاثمةٍ	١٠٦	٣٣٠
كالجبل لاتحرّكه القواصف، ولا تزيله العواصف	١٠٧	٣٣٢
كربيضة الغنم	١٠٨	٣٣٦
كعُرْف الضَّبع	١٠٩	٣٣٨
كفى بالمرء جهلاً ألّا يعرف قَدْرَه	١١٠	٣٤١
كلابٌ عاويةٌ، وسباعٌ ضاريةٌ	١١١	٣٤٣
كلعقة لاعقٍ	١١٢	٣٤٥
كلّ غُدرَةٍ فُجَرَةٌ	١١٣	٣٤٧
كلّ متوقّعٍ آتٍ، وكلّ آتٍ قريب دانٍ	١١٤	٣٥٠

م

	المَثَل	الصّفحة
المُتعلّق بها كالواغل المُدَفّع والنَّوْط المُذَبْذَب	١٥١	٤٤٨
مَثَلُ آل محمّدٍ كَمَثَل نجوم السّماء	١٥٢	٤٤٩
مَثَلُ الدّنيا كَمَثَل الحيّة	١٥٣	٤٥١
مَثَلُكم ومَثَلُها كسَفْرٍ سلكوا سبيلاً	١٥٤	٤٥٣
مَثَلُ مَنْ خَبرَ الدّنيا كَمَثَل قومٍ سَفْرٍ	١٥٥	٤٥٥
محلّي منها محلّ القطب مِن الرّحىٰ	١٥٦	٤٥٦
مَخَضته مَخْضَ السّقاء	١٥٧	٤٦٠
المرأة ريحانةٌ، وليست بقهرمانةٍ	١٥٨	٤٦٣
المرأة عقربٌ حُلوة اللَّسْبة	١٥٩	٤٦٥
مستقبلين رياح الصّيف تضربهم	١٦٠	٤٦٨
مصادقة الكذّاب كالسّراب	١٦١	٤٧٠
مُعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال	١٦٢	٤٧٢
مَنْ أبدىٰ صفحته للحقّ هَلَكَ	١٦٣	٤٧٥
مَنِ آستسلم لهلكة الدّنيا والآخرة هَلَكَ	١٦٤	٤٧٧
مَنْ أكثَرَ أهجَرَ	١٦٥	٤٨٠
مَنْ تردّد في الرّيب وطئته سنابك الشّياطين	١٦٦	٤٨٣
مَنْ جعل المراء ديدناً لم يُصبح ليلُهُ	١٦٧	٤٨٦
مَنْ سَلَكَ الطّريق الواضح وَرَدَ الماء	١٦٨	٤٨٩
مَنْ صَرّحتْ له العِبَر. . . حَجَزَتْه التّقوىٰ	١٦٩	٤٩١
مَنْ ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق	١٧٠	٤٩٢

* * *

٤

فهرس الأشعار

ذ

* * *

ه

فهرس الموضوعات

المثل		الصفحة
ك		
كلمة قدحٍ، ومدحٍ	١٨٤	٥٣٣
ل		
لحوق الشّرّ بالشّرّ، والفسّاق	٦٨	٢٠٧
اللّعب المنسوب إليه عليه السّلام	١٢	٤٣
م		
المال مادّة الشّهوات، وشرح ذلك	١٥٠	٤٤٥
المخادعة، والتّرأّس	١٩	٦٨
المراء	١٦٧	٤٨٦
مراتب الحبّ، والبغض	٣	٢٠
المزعبلات	٩	٣٧
المشاركة في الثّواب، ولوفي الأصلاب	٦٤	١٩٧
المشكلات والخلافة	٧٤	٢٢٨
مصادقة الأحمق	١٩٧	٥٦٢
مصادقة البخيل	١٩٩	٥٦٧
مصادقة الفاجر	١٩٤	٥٥٦
مصقلة بن هبيرة، و بنوناجية	٩٤	٢٩٠
المعافاة في الدّين، والدّنيا	١٨١	٥٢٣

***

٦

فهرس المصادر

القرآن الكريم

*

إثبات الهداة بالنّصوص والمعجزات — للشّيخ محمّدبن الحسن الحرّ العامليّ ١١٠٤، المطبعة العلميّة ـ إيران ـ قم، ثلاثة أجزاء.

الاحتجاج — للشّيخ أبي منصور أحمد الطّبرسيّ من أعلام القرن السّادس، تعليق السّيّد محمّد باقرالخرسان، النّعمان. النّجف ١٣٨٦هـ.

الإرشاد — للشّيخ المفيد محمّدبن محمّد البغداديّ ٤١٣ ـ الطّبع القديم ـ والحديث طبع قم، منشورات بصيرتيّ.

الاسم الأعظم — للمؤلّف، طبع بيروت ١٤٠٢هـ. مؤسّسة الأعلميّ.

أصول الكافي — للشّيخ محمّدبن يعقوب الكلينيّ ٣٢٨هـ ـ طبع طهران، إسلاميّة، ١٣٨١ ـ مجلّدان.

إكمال الدّين — للشّيخ الصّدوق محمّدبن عليّ القمّيّ ٣٨١هـ ـ

تقديم السّيّد محمّد مهديّ الخرسان، المطبعة الحيدريّة- النّجف ١٣٩٨هـ.

الأمالي — له أيضاً- تقديم السّيّد الخرسان، المطبعة الحيدريّة- النّجف ١٣٩٨هـ.

الأمالي — للشّيخ الطّوسيّ محمّدبن الحسن ٤٦٠هـ- النّجف مط النّعمان ١٣٨٤هـ - تقديم محمّدصادق بحرالعلوم.

الأمثال النّبويّة — للمؤلّف، طبع بيروت، مؤسّسة الأعلميّ ١٤٠١، مجلّدان.

أمثال وحِكَم — لدهخدا علي أكبر ١٣٣٤هـ ش/ طهران، مطبعة سپهر، ١٣١١ش، الطّبع الرّابع /أربعة مجلّدات.

*

بحارالأنوار — للشّيخ محمّد باقر المجلسيّ ١١١١هـ - طبع إيران- إسلاميّة ١٣٨٥. مائة وعشر مجلّدات.

بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة — للشّيخ محمّد تقي التّستريّ، في أربعة عشرمجلّداً، مختلفة الطّبع قد طبع منها في مطبعة الخيّام -قم- ١٤٠٠- وطهران. الصّدر.

*

تحف العقول — للشّيخ حسن بن شعبة الحرّانيّ، من أعلام القرن الرّابع -المطبعة الحيدريّة-طهران

١٣٧٦ـ تعليق علي أكبر الغفّاريّ.

تفسير البرهان	للسّيّد هاشم البحرانيّ ـ ١١٠٧ ـ طهران ـ آفتاب ١٣٧٥هـ، أربعة مجلّدات.
تفسير روح البيان	لإسماعيل الحقّيّ ١١٣٧هـ ـ طبع مصر، عثمانيّة ١٣٣٠هـ ـ عشرة مجلّدات.
تفسير الصّافي	للشّيخ محمّدمحسن الفيض الكاشانيّ ١٠٩١هـ ـ طهران ـ إسلاميّة ١٣٨٤هـ. مجلّدان.
تفسير الكشّاف	لمحمود الزّمخشريّ ٥٣٨هـ، طبع بيروت ـ دارالكتب العربيّة، أربعة مجلّدات.
تفسير المنار	لرشيد رضا ١٣٥٤هـ. طبع مصر، دارالمنار ١٣٧٣هـ اثناعشر مجلّداً.
تفسيرالميزان	للعلّامة الحاجّ السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ ١٤٠٢ بيروت، الأعلميّ ١٣٩٤هـ، عشرون مجلّداً.
التّمثيل والمحاضرة	لأبي منصور الثّعالبيّ ٤٢٩هـ. تحقيق عبدالفتّاح محمّد الحلو ـ طبع القاهرة، عيسى البابيّ ـ ١٣٨١هـ.
التّوحيد	للشّيخ الصّدوق ـ طهران ـ حيدريّ ١٣٨٧هـ تعليق الحاجّ السّيّد هاشم الحسينيّ الطّهرانيّ.

*

جامع أحاديث الشّيعة	للسّيّد الحاجّ الأغاحسين البروجرديّ ١٣٨٠هـ

طهـران المسـاحـة ١٣٨٠ ـوالعِلـمـيّة قم ١٣٩٩هـ.

جامع الشّواهد — للمولى محمّدباقر الشّريف، معاصر صاحب الجواهر المتوفّى ١٢٦٦هـ ـالمطبعة المحمّديّة، إصفهان ـ٣ أجزاء في مجلّد.

الجامع الصّغير — لجلال الدّين عبدالرّحمن السّيوطيّ ٩١١هـ، الطّبع الرّابع، بيروت، دارالكتب العلميّة، وبهامشه كنوز الحقائق للمناويّ.

الجمهرة على هامش مجمع الأمثال — لأبي هلال العسكريّ من القرن الرّابع ـ المطبعة الخيريّة مصر ـ ١٣١٠هـ، جزءان في مجلّد.

*

الحِكَم المنسوبة إلى عليّ عليه السّلام — لابن أبي الحديد ٦٥٥ ملحق بشرح نهج البلاغة له، الجزء العشرون، مصر، دار إحياء الكتب ١٣٨٥، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم.

حياة الإمام الحسين عليه السّلام — للشّيخ باقر القرشيّ، مكتبة الدّاوريّ، قم ـ إيران، الطّبع الثّاني ١٣٩٧هـ، ثلاثة مجلّدات.

الحيوان — لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ٢٥٥، طبع بيروت، الطّبع الثّالث ١٣٨٨هـ، سبعة مجلّدات.

*

الخصال — للشّيخ الصّدوق، مطبعة حيدريّ، طهران،

تعليق علي أكبر الغفّاريّ، طبع في ١٣٨٩هـ.

*

دستور معالم الحِكَم	للقاضي القضاعيّ ٤٥٤هـ، طبع بمطبعة السّعادة، مصر ١٣٣٢هـ.حول كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام.
الدّيوان	لحافظ إبراهيم.
الدّيوان	المنسوب إلى أميرالمؤمنين عليه السّلام ـ جمع عبدالعزيزالكرم ـ المكتبة الشّعبيّة.

*

رسالة الإسلام	لكلّيّة أصول الدّين، العدد ٧ ـ ٨ ـ اذي القعدة ١٣٨٨ـ السّنة الثّانية ـ مطبعة الأزهر ـ بغداد ١٩٦٨ـم

*

سحرالبلاغة	لأبي منصور عبدالملك بن محمدبن إسماعيل الثّعالبيّ النّيسابوريّ المتوفّى ٤٢٩هـ، طبع دمشق.
سفينة البحار	للحاجّ الشّيخ المحدّث القمّيّ ره، ت، ١٣٥٩هـ ـ طهران ، مطبعة سنائي ـ مجلّدان.
سيرة الرّسول صلّى الله عليه وآله سلّم	للحاجّ السّيّد مُحسن الأمين العامليّ، ت، ١٣٧١هـ ـ منشورات دارالفكر للجميع ـ الطّبع الثّاني ١٩٦٩م.

*

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد عبدالحميد المعتزليّ، ت ٦٥٥هـ - الطّبع الثّاني، مصر، دار إحياء الكتب، تحقيق محمّد أبوالفضل إبراهيم، طبع سنة ١٣٨٥هـ في عشرين مجلّدا - ومتنه معتمدنا في بحوث الكتاب.

شرح نهج البلاغة لابن ميثم كمال الدّين ميثم بن عليّ البحرانيّ، ت ٦٧٩هـ - مطبعة دفتر تبليغات إسلامي - قم ١٣٦٢، ٥ أجزاء.

*

عيون الأخبار لابن قتيبة أبي محمّد عبدالله بن مسلم، ٢٧٦هـ، مصوّرعن الطّبع الأوّل، ١٣٨٣/المؤسّسة المصريّة للطّباعة والنّشر،أربعة أجزاء.

*

الغدير للعلّامة الشّيخ عبدالحسين الأمينيّ، ت ١٣٩٤هـ - الطّبع الثّالث - ١٣٨٧هـ - دارالكتاب العربيّ، بيروت - أحد عشر جزءاً.

غررالحكم ودررالكلم لعبد الواحد الآمديّ التّميميّ ناصح الدّين - مطبعة النّعمان - النّجف الأشرف.

غريب الحديث لأبي عُبيد القاسم بن سلام. ت ٢٢٤هـ، من منشورات دارالكتاب العربيّ ،بيروت، مصوّر

عمّا طبع في حيدر آباد، الدّكن، ١٣٩٩هـ. أربعة مجلّدات.

غريب الحديث — لابن قُتيْبة ـمطبعة العاني ـ بغداد، ١٣٩٧هـ. في ثلاثة مجلّدات.

*

الفائق في غريب الحديث — للزمخشريّ ـ تحقيق عليّ محمّد البجاويّ، ومحمّد أبوالفضل إبراهيم ـمن منشورات دارالفكر ١٣٩٩، هـ أربعة مجلّدات.

الفاخر — للمفضّل بن سلمة بن عاصم، ت ٢٩١هـ ـتحقيق عبدالعليم الطّحاويّ، ومحمّدعليّ النّجّار ١٣٨٠، هـ، عيسى البابيّ الحلبيّ ـدارالكتب العربيّة.

فروق اللّغات — للسّيّد نورالدّين الجزائريّ، ت ١١٥٨هـ ـ مطبعة النّجف ـ النّجف ١٣٨٠هـ.

الفروق اللّغويّة — لأبي هلال العسكريّ ـطبع القاهرة ـ ١٣٥٣هـ.

الفصول المختارة — للشّيخ المفيد ـ ره ـ الطّبع الرّابع، ١٣٩٦هـ. من منشورات الدّاوريّ ـ قم ـ إيران.

فقة اللّغة — لأَبي منصور عبدالملك بن محمّدبن إسماعيل الثّعالبيّ النّيسابوريّ، ت ٤٢٩هـ بيروت دارالكتب العلميّة

* القواعد الفقهيّة — للحاجّ السّيّد ميرزاحسن البجنورديّ، ت ١٣٩٤هـ - مطبعة الآداب - في النّجف الأشرف ١٣٩١. وهي أجزاء - الجزء الرّابع.

* كفاية الأصول — للشّيخ محمّد كاظم الخراسانيّ، ١٣٢٩هـ، من مكتبة الوجدانيّ - قم - إيران.

* لسان العرب في اللّغة — لابن منظور جمال الدّين محمّد بن مكرم المصريّ، ٧١١هـ، طبع إيران - قم - نشر أدب الحوزة - ١٤٠٥ هـ ١٦٣ق - في خمسة عشر مجلّداً والملحقات.

* المجازات النّبويّة — للسّيّد الشّريف الرّضيّ، ٤٠٦هـ، مطبعة مصطفى البابيّ، بمصر ١٣٥٦هـ.

المجالس السّنيّة — للسّيّد محسن الأمين العامليّ، مطبعة النّعمان ،النّجف الأشرف. الطّبع الخامس ١٣٨٧هـ، خمسة أجزاء.

مجمع الأمثال — لأحمد بن محمّد النّيسابوريّ الميدانيّ، ٥١٨هـ - مطبعة السّعادة بمصر ١٣٧٩هـ - مجلّدان.

مجمع البحرين	للشّيخ فخرالدّين الطّريحيّ، ١٠٨٥هـ مطبعة الآداب في النّجف الأشرف، تحقيق السّيّد أحمد الحسينيّ - في ستّة أجزاء.
مجموعة ورّام	لأبي الحسين ورّام بن أبي فراس الأشتريّ، ٦٠٥هـ المطبعة الحيدريّة في النّجف الأشرف، ١٣٨٩هـ - جزءآن.
محاضرات الأدباء	لحسين بن محمّد الرّاغب الإصبهانيّ- ٥٠٢هـ مؤلّف (المفردات) في غريب القرآن، وغيره.
مرآة الأنوار	لأبي الحسن الفتّونيّ وعنوان الكتاب مقدّمة تفسير مرآة الأنوار ومشكوة الأسرار، وهو يعتبر خامس أجزاء تفسير البرهان، توفّي أبوالحسن في الأربعين بعد المائة و الألف، وطبع الكتاب في طهران. مطبعة آفتاب ١٣٧٤.
مُروج الذّهب	لعليّ بن الحسين المسعوديّ، ٣٤٦هـ تحقيق يوسف أسعد داغر - دار الأندلس - بيروت ١٣٨٥هـ، أربعة مجلّدات.
المستقصىٰ في أمثال العرب	لمحمود الزّمخشريّ، بيروت، دارالكتب العلميّة، الطّبع الثّانى ١٣٩٧هـ، مجلّدان.
مصابيح الانوار في	للسّيّد عبدالله شبّر، ١٢٤٢هـ، تحقيق نجله

حل مشكلات الأخبار	السّيّد عليّ. مطبعة الزّهراء ـ بغداد ـ انتشارات بصيرتي، قم، مجلّدان.
مصادر نهج البلاغة وأسانيده	للسّيّد عبدالزّهراء الحسينيّ الخطيب، من منشورات الأعمليّ، بيروت، الطّبع الثّاني ١٣٩٥هـ، أربعة مجلّدات.
معجم رجال الحديث	للأستاذ السّيّد أبوالقاسم الخوئيّ، دارالزّهراء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الطّبعة الثّالثة بيروت، عام ١٤٠٣هـ.
معجم مقاييس اللّغة	لأحمد بن فارس، ٣٩٥ـ تحقيق عبدالسّلام محمّد هارون ـ دارالكتب العلميّة ـ قم ـ إيران إسماعيليان، ستّة مجلّدات.
مفاتيح الجنان	للشّيخ عبّاس المحدّث القمّيّ، ـ ط ـ علميّة إسلاميّة ـ طهران ـ كتاب دعوات وزيارات.
منتهى الأرب في لغة العرب	لعبدالرّحيم بن عبدالكريم صفي پور، بعد ١٢٠٠ مطبعة إسلاميّة ـ أفست ـ إيران ١٣٧٧هـ، عربيّ وفارسيّ، أربعة مجلّدات.
منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة	للحاجّ ميرزا حبيب الله الهاشميّ الخوئيّ، ١٣٢٤هـ ـ تصحيح السّيّد إبراهيم الميانجيّ المطبعة الإسلاميّة ـ طهران ١٤٠٠، واحد وعشرون مجلّداً، عدمنها لغيره. فراجع.
منهاج الصّالحين	للسّيّد الأستاذ الخوئيّ في العبادات

والمعاملات، رسالة عمليّة ـ المطبعة العلميّة ـ قم المقدّسة ـ الطّبع الخامس ـ جزءان.

*

النّهاية في غريب الحديث	لابن الأثير المبارك بن محمّد الجزريّ، ٦٠٦هـ، تحقيق طاهر أحمد الرّازيّ ومحمود الطّناحيّ ـ مطبعة عيسى البابيّ ـ بمصر ١٣٨٣هـ. خمسة أجزاء.
نهج السّعادة في مستدرك نهج البلاغة	للشّيخ محمّد باقر المحموديّ ـ بيروت، دارالتّعارف للمطبوعات ـ ١٣٩٧هـ، في ثمانية مجلّدات.

*

وسائل الشّيعة	للشّيخ محمّدبن الحسن الحرّالعامليّ، ١١٠٤هـ، تحقيق عبدالرّحيم الرّباني، المطبعة الإسلاميّة ـ طهران ـ الطّبعة الثّانية، ١٣٨٣، عشرون مجلّداً، وقسمٌ منها تحقيق الرّازيّ والشّعرانيّ.

***

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله وصلّى الله على محمّد نبيّ الله وعلى آله آل الله

لقد قامت مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة بقم المشرّفة بنشاطات واسعة في مجال نشر المعرفة و إحياء التراث الإسلامي و اليكم سرداً لبعض منشوراتها:

أ ـ من الكتب التي تمّ طبعها أخيراً

١ ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الجزء الأوّل	تأليف عدّة من الفضلاء بإشراف ناصر مكارم الشيرازي
٢ ـ الحدائق الناضرة ج ١-١٦	= الشيخ يوسف البحراني
٣ ـ الحدائق الناظرة ج ٢١ و ٢٢ و ٢٣	= = = =
٤ ـ فرائد الاصول	= الشيخ مرتضىٰ الأنصاري تحقيق عبدالله النوراني
٥ ـ فوائد الاصول ج ١ و ٢ (تقرير بحث آية الله النائيني)	= الكاظمي الخراسانى
٦ ـ فوائد الاصول ج ٣ (تقرير بحث آية الله النائيني) مع حواشي آية الله آغا ضياء الدين العراقي	= الكاظمي الخراساني
٧ ـ الصلاة ج ١ (تقريرات بحث المحقّق الداماد)	= الشيخ محمّد المؤمن
٨ ـ الصلاة ج ٢ (تقريرات بحث المحقّق الداماد)	= الشيخ عبدالله الجوادي الآملي

٩ـ مجمع الفائدة والبرهان = المقدّس الأردبيلي
ج١ـ٥ تحقيق الشيخ مجتبى العراقي
في شرح إرشاد الأذهان والشيخ علي پناه الاشتهاردي وآغا حسين اليزدى
١٠ـ قاعدة لا ضرر وإفاضة القدير = شيخ الشريعة الاصفهاني
١١ـ معالم الدين وملاذ المجتهدين = الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني
تحقيق لجنة التحقيق في مؤسّسة النشر الاسلامي
١٢ـ منتقى الجمان ج١و٢و٣ = الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني
تحقيق علي اكبر الغفاري

ب ـ من الكتب التي تحت الطبع

١ـ التوضيح النافع (في شرح تردّدات صاحب الشرايع) تأليف الحسين بن علي الفرطوسي
٢ـ الحدائق الناضرة (ج ١٧و١٨و١٩و٢٠و ٢٤) = الشيخ يوسف البحراني
٣ـ رياض السالكين ج١ = السيد علي خان المدني
تحقيق السيد محسن الأميني
٤ـ المهذّب البارع ج١ = ابن فهد الحلّي
تحقيق الشيخ مجتبى العراقي
٥ـ الوهّابيّة في الميزان = الشيخ جعفر السبحاني
٦ـ كشف المراد (في شرح تجريد الاعتقاد) = العلّامة الحلّي
تحقيق الشيخ حسن زاده الآملي
٧ـ المنهج الجديد في تعليم الفلسفة = الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي
٨ـ أدب الحسين وحماسته = الشيخ أحمد صابري الهمداني
٩ـ الإمام الصادق (ج١و٢) = الشيخ محمّد الحسين المظفّر
١٠ـ كفاية الاصول = الآخوند الخراساني
تحقيق لجنة التحقيق في مؤسّسة النشر الاسلامي
١١ـ الصلاة ج٣ (تقريرات بحث المحقّق الداماد) = الشيخ عبدالله الجوادي الآملي

* * *